



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة- الجزائر 2- أبو القاسم سعد الله
كلية العلوم الإنسانية



قسم التاريخ

القبائل وحركاتها في بلاد المغرب القديم أثناء الاحتلال الروماني (146 ق.م - 429م)

أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه (ل.م.د) تخصص التاريخ والحضارات القديمة

إشراف الأستاذة:

إعداد الطالبة:

د. بورني دليلة

قادري حدة

أعضاء لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الدرجة العلمية	الجامعة الأصلية	الصفة
أ.د. بلقاسم رحمانى	أستاذ التعليم العالي	جامعة الجزائر 2- أبو القاسم سعد الله	رئيسا
د. دليلة بورني	أستاذ محاضر أ	جامعة الجزائر 2- أبو القاسم سعد الله	مشرفا ومقررا
د. سعيدة أويحي	أستاذ محاضر أ	جامعة الجزائر 2- أبو القاسم سعد الله	مناقشا
د. فطومة أشلاف	أستاذ محاضر أ	جامعة الجزائر 2- أبو القاسم سعد الله	مناقشا
أ.د. كهينة قبايلي	أستاذ التعليم العالي	المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة	مناقشا
د. عماد طويل	أستاذ محاضر أ	جامعة سطيف 2 محمد لمين دباغين	مناقشا

الموسم الجامعي: 2024/2023

يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ
لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ

(سورة الحجرات: 13)

الإهداء

إلى صنّاع التاريخ وبُناة الحضارة حيثما امتدت ...

إلى المؤرخين والباحثين المهتمين بتدوين تاريخ حضارة المغرب القديم
وحضارات العالم ...

لأهلي: والداي العزيزان ...

إخوتي كلُّ السند ...

أخوالي ... أعمامي ... وأحفاد البيت الكريم ...

صديقاتي وأحبي ...

أهدي بحبي هذا

شكروعرفان

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله سبحانه وتعالى: "لئن شكرتم لأزيدنكم" سورة إبراهيم 07

الشكر أولاً لله سبحانه وتعالى الذي أنعم علينا بنعمة الإسلام، ورسم لنا طريق الصواب

وأنازلنا بنوره ظلام الجهل وأعاننا بفضلہ على إنجاز هذا العمل

"فاللهم لك الحمد حمداً كثيراً عند كل طرفة عين وتنفس نفس"

تتقدم بجزيل الشكر والعرفان لأستاذتي المشرفة "دليلة بورني" عرفانا لها لما

قدمته لي من نصائح وتوجيهات لإخراج عملنا هذا في الشكل الذي بين أيديكم

سائلة الله سبحانه وتعالى أن يبارك في عمرها وعملها ووقتها

وخالص الشكر والامتنان لجامعة أبي القاسم سعد الله - الجزائر 2- التي حملت أسمائنا

كلية العلوم الانسانية، قسم التاريخ .

وإلى كل من ساهم في إنجاز هذا العمل من قريب أو بعيد ولوبكلمة طيبة

كما أشكر الأساتذة الأفاضل أعضاء لجنة المناقشة على كرم قبولهم مناقشة الأطروحة وتقويمها معرفيا .

قائمة المختصرات :

- A.A.A : Atlas Archéologique de l'Algérie.
- Afr. Rom : Africa Romana.
- Anti. Afr : Antiquité Africaine
- C.I.L : Corpus Inscriptionum Latinarum.
- C.R.A.I: Les Comptes Rendus de l'Académie des Inscriptions et belles-lettres
- C.N.R.S : Centre National de Recherche Scientifique.
- Ency.Berb. : Encyclopédie berbère,
- H.N : Histoire Naturelle.
- Joh :Johannide
- IAM: Inscriptions Antiques du Maroc.
- IL Alg: Inscriptiones Latinae Alger.
- ILS: Inscriptions Latine Selectae.
- R. Afr: Revue Africaine.
- R.S.A.C: Recueil de la Société Archéologique de Constantine.
- Tab. Peut: Tabula Peutingeriana
- VOL:Volume.

مقدمة

مقدمة:

كانت تحركات القبائل عاملاً مهماً في التكوين الاجتماعي والاقتصادي والثقافي لبلاد المغرب القديم على مرّ العصور، نظراً لمجموعة من الظروف الجغرافية والمناخية، والتاريخية التي دفعتها إلى التحرك في اتجاهات ومسارات مختلفة، خاصة وأنّ المنطقة وبحكم موقعها المتميز الذي يتوسط العالم القديم وانتمائها لحوض البحر المتوسط؛ شكلت مجالاً لجذب واستقطاب مهم؛ إذ عرف المغرب القديم تعميراً بشرياً باكراً، وهو ما يؤكد الانتشار الواسع لمواقع ما قبل التاريخ بكل جهاته شمالاً أو جنوباً، شرقاً أو غرباً، وهي المواقع التي ارتقت لاحقاً ومع مرور الوقت إلى تنظيمات أسرية صغيرة ثم تطورت إلى تجمعات قبلية تميزت بمبدأ الانتماء القبلي، وبفضل هذه التطورات تكوّن المجتمع المغربي القديم أين شكّلت القبيلة المرتبطة بمجال قبلي إحدى سماته الكبرى، وهو يُعتبر من أقدم المجتمعات البشرية، تمتع بعدة سمات ميزته عن غيره من الشعوب القديمة، والتي دائماً ما يذكرها المؤرخون القدامى، وخلّدتها المصادر الأدبية والمادية.

انتهى هذا المجتمع المحلي إلى تشكيل نظام سياسي بالمنطقة ورد ذكر إشارات متفرقة له في المصادر منذ القرن التاسع قبل الميلاد، والذي تطورت عنه ممالك القرن الثالث قبل الميلاد ممثلة في مملكتي الماسيل والمازيسيل، ثم مملكة نوميديا والمملكة المورية التي ذكرتها المصادر الإغريقية واللاتينية.

إذا عرف المغرب القديم على مر المراحل التاريخية (ليبية، فينيقية، قرطاجية، إغريقية، رومانية)، تكوين ظاهرة اجتماعية ديمغرافية متميزة ونشطة، أساسها تواجد بشري متنوع الأصول والأعراق، وبنية اجتماعية معقدة التركيب نتيجة ذلك التوافد لعدد الأجناس الأجنبية، التي استطاعت التعايش والاحتكاك مع عناصر المجتمع المحلي ممثلة في قبائل متنوعة وشعوب عديدة، منذ القدم مكونة مجتمعا متفردا من خلال تنوع عناصره، إلا أنّ تغييرات بارزة ظهرت، وأثّرت على الوضع الاجتماعي والقبلي على الخصوص، كان أهم سماتها حتمية التحرك، والتنقل خلال فترة الاحتلال الروماني، الذي نجح في بسط نفوذه

وسيطرته على كامل بلاد المغرب القديم؛ ونتيجة لذلك انتشرت القبائل في مساحات شاسعة وبعيدة بأقاليم كانت حديثة العهد بها، والتي لا يستطيع أي مؤرخ بلوغها أو معرفة أخبارها.

فقد شهد المغرب القديم خلال العهد الروماني تحركات قبلية غير معهودة، وبمسارات جديدة، رغم معرفتنا المسبقة بعدم استقرار لجزء من قبائله وشعوبه بمكان واحد في الفترات القديمة، حيث كانت دائمة التنقل والترحال جراء نمط معيشتها القائم على الرعي والبحث عن وفرة الكلاً ومصادر المياه، عدم الاستقرار هذا ليس مرتبطاً فقط بالقبائل البدوية الرحل أو أشباه الرحل بل حتى بتلك المستقرة والجبليّة، أين عمل الاحتلال الروماني على بسط سيطرته على كامل بلاد المغرب القديم، باتباع جملة من التدابير والإجراءات التي استهدفت إخضاع القبائل المحلية وتهجيرها لأجل السيطرة والتحكم، وهو الأمر الذي جعل من تحركات القبائل والشعوب المحلية مظهراً بارزاً في تاريخ المغرب القديم خلال هذه الفترة.

قيمة وأهمية الموضوع: إنّ الإشكال الذي يصطدم به الباحث في تاريخ المغرب القديم هو قلة -إن لم نقل ندرة- مصادر المعلومة، نتيجة افتقارنا لمصادر أدبية محلية بعد؛ فهي إما مبعثرة في المصادر المادية من نقوش أثرية، وفي مخلفات العمارة سواء المدنية منها أو الدينية (المعابد والقبور)، أو في شذرات النصوص القديمة التي سجلها الكتاب القدماء سواء في كتب التاريخ والجغرافيا والحوليات والسير، وهي أجنبية كتبت بالإغريقية أو اللاتينية، فهؤلاء الكتاب والمؤرخون اعتادوا على الاهتمام بحياة الرومان والتأريخ لهم في بلاد المغرب القديم، وليس التأريخ للبلاد بما في ذلك الشعوب وقبائل المغرب القديم المحلية، لذلك يبقى ما ورد في هذه النصوص عاماً تنقصه الدقة، بالإضافة لكونه قليلاً ومقتضباً، وتغيب عنه في أحيان كثيرة الحقيقة.

ومن ثمّ يمكن وصف هذه الأعمال بأنّها تؤرخ للفعل الروماني في مقاطعاتهم وليس لسواهم من عمل عسكري وتكريس للاحتلال؛ إلى التنظيمات الإدارية، والاقتصادية والاجتماعية، إلى المنجزات الحضارية في صورها المختلفة (عمارة مدنية وجنازية). وهذا ما ذهب إليه المؤرخ شنييتي (م، ب) بقوله: "...وهنا تكمن النظرة الجزئية للتاريخ ويتجلى الانحياز وتبرز ظاهرة الانتقائية التي نجم عنها تهميش مساهمة أهل البلاد في صنع

الأحداث وإنجاز الأعمال الحضارية داخل أو خارج الإطار السياسي والإداري لدولة الرومان".

أما الكتابات الحديثة والمعاصرة وهي في مجملها فرنسية، فاهتمامها بالمنطقة جاء بخلفية استعمارية هدفها الاستفادة من التجربة الرومانية في بلاد المغرب القائمة على الاحتلال، والسيادة على الشعوب الخاضعة لها، لخدمة مصالح الاحتلال الفرنسي، وتوسعته وتشجيعه على اتباع الأساليب الرومانية نفسها، فكانت أبحاثهم متحيزة تنقصها الموضوعية، يضاف إلى ذلك تركيز اهتمام هذه الكتابات على التاريخ العسكري، والسياسي وأهملت جوانب أخرى مغمورة ذات أهمية بالغة، كما أن اهتمام هذه الأبحاث وجّه وركّز على منطقة معينة وأهمل المناطق الأخرى.

غير أننا لا يمكننا تجاوز العديد من الأبحاث والدراسات الحديثة، والمعاصرة من مؤرخين وأثريين محليين، والذين اتخذوا من أعمال المتخصصين الأجانب في التاريخ القديم لمنطقتنا منطلقا وقاعدة لأجل استجلاء الحقيقة، ومحاولة الإجابة عن عديد التساؤلات التي تطرحها هذه الفترة، والتي تمثل إشكالية حقيقية عن مدى رومنة أفريقيا والمسماة رومانية (L'Afrique Romaine)، وهو الاصطلاح الذي ظهر في العديد من البحوث والدراسات، التي تهدف إلى تجريد منطقتنا من هويتها.

إن ندرة التوثيق لفعل إنسان المغرب القديم إذا ما قورن بالفعل الروماني الموثق من خلال الشواهد المادية والأدبية. فالآثار الموزعة في عموم هذه المنطقة، والتي تمثل الحصّة الكبرى من آثارنا توصف على الدوام بأنها رومانية، كل هذا لا يُغَيِّب أثر وفعل السكان المحليين الذين كان لهم دور كبير في سير أحداث المنطقة، وما أخبارهم المذكورة في كتابات القدامى ووثائقهم لخير دليل، حتى وإن كان ذكرهم جاء في سياق أحداث عسكرية كانوا طرفا فيها.

على هذا الأساس ارتأينا البحث في موضوع يخص التاريخ القديم لمنطقة المغرب القديم في الفترة الرومانية، وهو موضوع غاية في الأهمية كونه لم يحض باهتمام كبير لدى المؤرخين والباحثين والموسوم بـ: " القبائل وحركاتها في بلاد المغرب القديم أثناء الاحتلال الروماني (146ق.م - 429م)"، والذي نسعى من خلاله تتبع أخبار شعوب وقبائل المغرب القديم المذكورة في كتابات ونصوص المؤرخين والجغرافيين القدماء، والنصوص الإيبوغرافية،

أي أن موضوعنا يكمن في البحث عن تحركات مختلف القبائل المحلية في ظل السيطرة الرومانية التي كانت سمة مميزة في تاريخ المغرب القديم السياسي والاجتماعي والاقتصادي، من خلال تبيان مواطن انتشارها ومحاولة حصره في حيز أو إقليم جغرافي معين، دون التطرق لنظامها القبلي الداخلي، أو لوضعها الاجتماعي أو الأنثروبولوجي لأن ذلك موضوع آخر.

كما أننا نجهل تماما التسيير الداخلي للقبائل المحلية بسبب عدم اهتمام المؤرخين الكلاسيكيين، يضاف لذلك انعدام آثار مادية أو كتابية محلية خلفتها القبائل يمكن الاستعانة بها، وهي مشكلة حقيقية لا تساعد بطبيعة الحال على تتبع طرق معيشتها، وأحوالها الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية بشكل دقيق، ولعل ذلك راجع إلى تحركها الدائم نتيجة مجموعة من الظروف الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والعسكرية.

تكمن أهمية موضوعنا أيضا في محاولة رصد، وتحديد موطن استقرار جموع قبائل المغرب القديم في فترة الاحتلال الروماني للمنطقة باعتماد المصادر الأدبية كما سبق الإشارة إليه، والاستعانة بالأبحاث الأثرية التي جاءت بكم معتبر من النصوص النقوشية التي يمكن من خلالها توضيح الرؤى، رغم محاولة هذه المصادر تغييب الدور الكبير الذي لعبته هذه القبائل حضاريا.

لعل أبرز ما يهمننا في موضوعنا هذا هو رصد وضعية شعوب وقبائل المغرب القديم التي عُرفت بكثرة تحركها خلال فترة دراستنا، وتوضيح موقفها من الاحتلال الروماني من خلال تسليط الضوء على حقيقة العلاقة بينهما (القبائل المحلية - الرومان) وموقفها منه.

وعليه تكمن أهداف موضوعنا في معرفة الحقائق التاريخية المتعلقة بالقبائل التي وجدت، سواء منها ما كان يدور في فلك الأراضي الواقعة تحت السيطرة الرومانية، ولجأت على إثرها لسياسة التحالفات والمهادنة والاتفاقات معها، أو ما كان خارجا عن دائرة الهيمنة الرومانية كالمناطق الجبلية، التل والمناطق الصحراوية، التي قابلتها السلطات الرومانية بالعمليات العسكرية والمطاردة، وهي إجراءات هدفت روما من خلالها الحد من تحركات تلك القبائل المحلية ومراقبتها.

من الدوافع التي جعلتنا نهتم بدراسة تحركات قبائل المغرب القديم في الفترة الرومانية: هو الرغبة في تسليط الضوء على تلك القبائل والشعوب التي وطنت هذه المنطقة ذات

الموقع الإستراتيجي المهم، مشكلة مجتمعا محليا بتكوينها لتكتلات وكنفدراليات قبلية استطاعت مجابهة الرومان، فلا تزال الكثير من الحقائق حول هذه القبائل مجهولة أو غامضة.

الإطاران الزمني والمكاني للدراسة: حُدد المجال الزمني لهذه الدراسة بالفترة ما بين القرنين الثاني قبل الميلاد والقرن الخامس الميلادي، فكان اختيارنا لبداية الدراسة بالعام 146 ق.م لكونه تاريخًا مفصليًا غيّر كثيرًا من تاريخ المنطقة السياسية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية، والمتمثل في التغلب على قرطاجة وتحطيمها، وهو الحدث الذي أعقبه البداية الفعلية للاحتلال الروماني للمغرب القديم الذي اتسم بسياسة رومانية أقلّ ما يقال عنها أنها مرنة، مزجت بين اللين والقوة، ضف لذلك سياسة المراحل التي اتبعتها الرومان لبسط سيطرتهم على المنطقة، فقد انطلقت التوسعات الرومانية من قرطاجة في اتجاه الغرب، واكتمل الاحتلال الروماني لكامل منطقة المغرب القديم في النصف الأول من القرن الأول الميلادي، وبذلك دخل في مرحلة تاريخية جديدة.

بينما حُدد التاريخ الثاني لمجال الدراسة بالنصف الأول من القرن الخامس الميلادي، أي مع بداية زحف القبائل الجرمانية الوندالية على المنطقة سنة 429م، وهي المرحلة التي سينتقل فيها المغرب القديم لفترة تاريخية جديدة تختلف عن سابقتها.

أما بخصوص الإطار المكاني أو المجال الجغرافي للدراسة: فمثّل ذلك الإقليم الممتدّ من مصر شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا، ومن البحر المتوسط شمالا إلى ما يُعرف اليوم بالصحراء. ويمكننا تقريب الحدود الشرقية لهذا الإقليم في الفترة الرومانية وهو ما اصطلح عليه تسمية المغرب الروماني، إلى خليج السيرت الكبير وبالتحديد مذابح الأخوين فيلايني، أما جنوبا فالحدود الجغرافية لم تكن مستقرة، إذ كانت تتغير باتساع حركة التوسع الروماني في عمق أراضي المغرب القديم على حساب القبائل المحلية، وقد حاول المؤرخون رسم وتحديد هذه الحدود انطلاقا من مجموعة من الدلائل الأثرية والمادية التي وضعت لتوضيح وتعيين خطوط اللمس الفاصلة بين الأراضي الرومانية والأراضي الخارجة عن سيطرتها.

ويتكون الإقليم الذي سيطر عليه الرومان من مقاطعات طرابلس، البروقنصلية نوميديا، والموريطانيتين القيصرية والطنجية.

الإشكالية : من أجل قراءة صحيحة للمسار التاريخي لعناصر دراستنا لا بد أن نحاول إعادة رسم خريطة المغرب القديم البشرية، وتبيان انتشار مختلف شعوبها، وقبائلها أثناء الفترة الرومانية الممتدة من القرن الثاني قبل الميلاد إلى القرن الخامس الميلادي، من خلال استنطاق المصادر الأدبية والأثرية، ومحاولة تقديم قراءة جديدة بهدف تحقيق أهداف البحث، وجاءت الإشكالية العامة وفق تساؤل رئيسي تمحور حول تحركات قبائل المغرب القديم التي كانت ملمحا بارزا خلال فترة السيطرة الرومانية على المنطقة، متسائلين عن من المتسبب فيها، فهل بسبب سياسات الاحتلال الروماني التوسعية والاستغلالية التي عملت على السيطرة والإخضاع لمختلف القبائل المحلية؟ أم أن التحركات هذه كانت بسبب الظروف الجغرافية والطبيعية والتاريخية؟

وتفرع عن هذه الإشكالية مجموعة من الإشكاليات الفرعية تناولناها في مختلف فصول دراستنا:

- نتساءل بداية عن الخلفية التاريخية لتعدد التسميات التي عُرف بها المغرب القديم أرضا، وسكانا على حد سواء، فهل اختلفت جذور وأصول واستخدامات وتوظيف كل مصطلح من فترة لأخرى، ومن مصدر لآخر؟

- ماهي المصادر المادية والكتابية التي يمكن الاعتماد عليها لدراسة، ومعرفة شعوب وقبائل المغرب القديم خلال فترة الدراسة، وحتى في فترات سابقة؟ ثم كيف تناولت هذه المصادر طبيعة تواجد المجموعات البشرية التي عمرت أراضي المغرب القديم؟

- ثم كيف كانت خريطة توزيع وانتشار القبائل والشعوب المغاربة خلال فترة الاحتلال الروماني الذي نجح في بسط سيطرته على كامل بلاد المغرب القديم الشمالية؟

- هل يمكن القول أنّ الإجراءات والسياسات الرومانية العديدة التي طاردت القبائل، واستولت على أراضيهم وهجرتهم، عُدت من أهم العوامل ذات الأثر البارز في تحركات قبائل وشعوب المغرب القديم طيلة العهد الروماني وحتى في فترات لاحقة؟، أم أن التحركات هذه كانت طوعية حتمتها مجموعة من الظروف لعل أهمها الظروف التاريخية والجغرافية؟ وكيف يمكن تفسير المسارات التي اتخذتها التحركات القبلية منها شمال- جنوب، ثم جنوب - شمال، وشرق-غرب؟

- ماهي الآثار التي أفرزتها تحركات القبائل عبر مختلف مقاطعات المغرب القديم؟ هل كان لها دور في الأحداث التي شهدتها المنطقة من مقاومات التي امتدت من القرن الأول الميلادي إلى القرنين الرابع والخامس الميلاديين؟ وإلى أي مدى يمكن الحديث عن تعميق المشهد البدوي بالمنطقة؟ هل كان للقبائل المورية التي برزت مع خواتيم القرن الرابع وبداية القرن الخامس وانتشرت في الأراضي التي انسحبت منها الإدارة الرومانية دور في إنهاء الاحتلال الروماني بالمنطقة؟

خطة البحث:

ارتأينا تقسيم دراستنا هذه حسب المادة المتوفرة وفق الخطة التالية: مقدمة وخمسة فصول، كل فصل تضمن مجموعة من العناصر وخاتمة.

فجاء الفصل الأول تحت عنوان " المغرب القديم؛ الأرض والسكان"، حيث تم فيه تقديم لمحة عن بلاد المغرب من حيث تعدد مدلول التسميات التي عرف بها، سواء تعلق الأمر بأرض المغرب أو ساكنته، كما تطرقنا لمسألة أصل سكان المغرب القديم من منظور المصادر القديمة، والدراسات المعاصرة، وفي الأخير خصصنا عنصرا كاملا لمصادر دراسة القبائل في المغرب القديم.

أما الفصل الثاني والموسوم "بشعوب، وقبائل المغرب القديم قبل الاحتلال الروماني من خلال المصادر الأثرية والأدبية المصرية والكلاسيكية الإغريقية رومانية"، والمقسم إلى ثلاثة

عناصر رئيسية، مقسمة بدورها إلى مجموعة العناصر الفرعية، تناولنا فيه أولاً إرهاصات النظام القبلي في بلاد المغرب القديم، وكيف كان النظام الاجتماعي والسياسي بالمنطقة، ثم تطرقنا لأولى المجموعات القبلية الليبية الكبرى التي ذكرتها المصادر المصرية، على اعتبار أن حدود المغرب القديم تبدأ من الحدود الغربية لمصر، وهي المنطقة التي كانت موطناً لهذه القبائل. وفي العنصر الموالي تناولنا الجماعات القبلية في المغرب القديم، من القرن الخامس قبل الميلاد إلى القرن الثاني ق.م أي مع بدايات الاحتلال الروماني للمنطقة.

وعالجنا في الفصل الثالث والمعنون "بانتشار وتوزيع القبائل في المغرب القديم أثناء الاحتلال الروماني"، والذي قسمناه إلى خمسة عناصر رئيسية، سعينا فيها بعد التطرق في عجالة للاحتلال الروماني للمنطقة، إلى ضبط توزيع شعوب وقبائل بلاد المغرب القديم خلال العهد الروماني، الذي قدم لنا نصوصاً، ونقوشاً تجعل من الممكن التعرف على عدد كبير منها، وهي المصادر التي أمدتنا بكم هائل من المعلومات استقناها منها في معرفة أسماء، وأماكن انتشار القبائل، وقد أحصينا قبائل وشعوب مقاطعات الولاية الرومانية الأفريقية كل على حدة، طرابلس، البروقنصلية، نوميديا، والموريطنيتين، القيصرية والطنجية.

وجاء الفصل الرابع الموسوم "بالإجراءات الرومانية ودورها في تحركات القبائل المحلية بالمغرب القديم"، والمقسم بدوره إلى أربعة عناصر اندرج تحت كل عنصر مجموعة من العناصر الفرعية، حيث تطرقنا فيه إلى تلك السياسة الرومانية اتجاه القبائل المحلية التي هدفت من ورائها إلى ضبط، ومراقبة والحد من حركيتها، وقد اختلفت هذه الإجراءات، فمنها الاستيطانية القائمة على نزع الأراضي وطرد القبائل، وسياسة الحصار العسكري، وما خلفته من تأثيرات، ضف إلى ذلك سياسة التودد والمداينة مع شيوخ القبائل، وهي السياسة التي استعملتها الإمبراطورية الرومانية لتقليص نفوذ هذه القبائل وذلك عن طريق احتضانها.

وخصصنا الفصل الخامس لأهم نتائج وانعكاسات تحركات القبائل خلال الفترة الرومانية، وقد جاء تحت عنوان "أثر تحركات القبائل المحلية على بلاد المغرب القديم في

ظل الاحتلال الروماني"، وقسمناه إلى أربعة عناصر رئيسية، حيث تناولنا أولاً: موقف تلك القبائل المحلية من الإجراءات الرومانية، واتخذنا مجموعة من الثورات والمقاومات كنماذج، ثم تعرضنا للتأثيرات الاجتماعية لحركة القبائل على بلاد المغرب القديم، وتناولنا فيه ظاهرة البداوة من خلال تساؤل مهم: هل فعلاً بلاد المغرب القديم كانت بدوية؟ ثم تطرقنا للنمو الديمغرافي وأثره على حركة السكان الداخلية، وفي الأخير عرجنا على انحطاط الامبراطورية الرومانية وظهور إمارات مورية محلية القرن الخامس الميلادي.

وختمنا دراستنا بخاتمة أدرجنا فيها مجموعة من الاستنتاجات المتوصل إليها حول الموضوع، وإجابة عن جملة الإشكالات التي عرضناها في دراستنا هذه.

المناهج المعتمدة: لدراسة الموضوع وللإجابة عن إشكالياته وفرضياته، وتنظيم وعرض المادة العلمية بغية تحليلها واستنباط النتائج، اعتمدنا مجموعة من المناهج يكمل بعضها بعضاً، حيث اعتمدنا في الدرجة الأولى على المنهج التاريخي، الذي يهتم بوصف وتسجيل الأحداث التي وقعت في الماضي وتسلسلها تاريخياً وكونولوجياً في الزمان، والمكان اعتماداً على ما جاء في مختلف المصادر القديمة والمحدثة، وهو المنهج الذي لا يمكن الاستغناء عنه كونه يسمح بالتحليل، ويفسر الحادثة البشرية الماضية عبر مراحلها المختلفة.

والمنهج الوصفي ورغم كونه منسجماً كلياً مع المنهج التاريخي الذي يهتم بدقة ذكر مميزات، وخصائص الظاهرة الموصوفة أي المدروسة، ونجده أكثر استعمالاً في المجالات العسكرية (تعداد الجيوش، ويعتبر المنهج الوصفي من طرق التحليل، والتفسير في البحث العلمي).

إضافة إلى المنهج التحليلي الذي استعنا به في تحليل المادة العلمية من مختلف المصادر والمراجع بحثاً عن تفسيرات واستثمارها كمادة معرفية بغية إظهار بعض الحقائق التي قد تُغيب، أو تُغيب في أحيان كثيرة، من ذلك وقائع لها علاقة مباشرة، أو غير مباشرة بموضوع دراستنا، وهو ما لمسناه في عديد الدراسات الأجنبية التي تحوي في طياتها الفكر

الاستعماري، كأسباب ونتائج بعض الأحداث التاريخية -وكمثال عند التطرق لأصل سكان المغرب القديم، ضف إلى ذلك خلفية التحرك القبلي وأسبابه، أسباب ونتائج المقاومات والثورات- ذلك أن كثيراً من الأحداث تقتصر للحقيقة التاريخية، البحث التاريخي الجاد لا يكتفي بوصف المادة التاريخية فقط بل نلجأ في أحيان كثيرة للمقارنة، لأن القراءات حول ظاهرة ما قد تختلف، وهنا نستعمل منهجاً آخر وهو المنهج المقارن.

المصادر والمراجع:

اعتمدنا على جملة من المصادر المادية، والكتابية التي لها صلة بموضوعنا سواء في إطارها التاريخي، أو الجغرافي وهي عديدة ومتنوعة، كما أننا سعينا إلى جمع واعتماد مجموعة من المراجع والمؤلفات والمقالات، وحتى الدراسات السابقة المتنوعة والمتخصصة، التي تخدم موضوعنا.

بالنسبة للمصادر الأدبية والمتمثلة في كل ما سجله الكتاب القدامى في كتب التاريخ، والجغرافيا، والحواليات والسير، فهي قليلة لم تقدم لنا الكثير من المعلومات التي تخدم موضوعنا كونها تناولته على هامش الأحداث الأساسية التي ألفت في سياق التأريخ لقرطاجة وروما، لذلك يبقى ما كتبوه قليل تميز بالعمومية، ونقص الدقة ومتناثر، لكننا لا يمكن الاستغناء عما جاءت به هذه المصادر التي أفادتنا في دراستنا.

أول مصدر اعتمدنا عليه كان نصوص هيرودوت في الكتاب الرابع من مؤلفه التاريخ، حيث اطلعنا عليه من خلال ترجمة ستيفن غزال في كتابه (Textes Relatif D'Hérodote)، و"الكتاب الرابع من تاريخ هيرودوتوس الكتاب السكيثي والكتاب الليبي" ترجمة محمد مبروك الدويب الذي نقله عن النص الأصلي الإغريقي، ويعتبر هيرودوت من أشهر المؤرخين الكلاسيكيين الذين اهتموا، وسجلوا أخبار سكان بلاد المغرب القديم، ولكن يبقى ما جاء به لا يغطي كامل أجزاء المنطقة، ففي مؤلفه هذا نجد غياباً لكثير القبائل والشعوب التي كانت المنطقة عامرة بهم، ربما بسبب غياب وندرة المعلومة، أما المؤرخون

والجغرافيون الذين عاشوا بعده، فقد توفرت لهم معلومات حول شعوب، وقبائل عديدة من سكان المغرب القديم فتحدثوا عنها بإطناب.

ومن ذلك ما أورده ساليستوس (Salluste) في تأريخه لحرب يوغرطة (Jugurtha) مستفيدا من كتب بونية كانت في خزائن الملك النوميدي هيملسال (Hiempsal)، وسترابون (Strabon) الذي خلف لنا معلومات بالغة الأهمية حول الأرض والسكان ضمن كتابه الجغرافيا (Géographie) وبخاصة الجزء السابع، أما الرومان فأشهرهم بلين الأكبر (Pline l'Ancien) صاحب كتاب التاريخ الطبيعي (Histoire naturelle) خاصة الكتاب الخامس الذي أشار فيه إلى الكثير من المدن النوميديّة والقبائل القاطنة بها، بالإضافة إلى ما جاء به كلاوديوس بطليموس (Claude Ptolémée) في مصنفه الدليل الجغرافي (Geographicae Enarrationis)، والذي تعد خريطته عن شمال أفريقيا من أهم الأعمال النادرة في التاريخ القديم، وتظهر المعلومات التي قدمها كل من بلين وبتليموس أكثر تعمقا ومعرفة بالجغرافيا البشرية للمنطقة.

ضف إلى ذلك ما جاءت به مصادر، ووثائق الفترة الرومانية المتأخرة منها ما كتبه أميان ماركولان (Ammien Marcellin) الذي عاش في القرن الرابع الميلادي في كتابه تاريخ روما (Histoires) الكتاب التاسع والعشرين، الفصل الخامس المعنون بحرب فيرموس، فأرخ للأحداث التي عايش بعضها منها مثل ثورة فيرموس التي شاركت فيها عدد من القبائل المورية، وأيضاً من الوثائق المهمة كتاب (Cosmographia) لصاحبه يوليوس هونوريوس (Julius Honorius) الذي يحوي معلومات دقيقة عن مختلف قبائل المغرب القديم، وبروكوب (Procopius) الذي تحدث في مؤلفه حرب الوندال (Bllum Vandalicum) عن القبائل المورية وعاداتها، وقد تطرقت هذه المصادر إلى تدوين بعض من تاريخ الوقائع التي شهدتها المنطقة من ذلك الإشارة إلى قبائلها.

ويضاف لهذه النصوص الأدبية نصوصاً أخرى، هي المصادر المادية، وتضمنت النقوش الإيبغرافية المجسدة باللغة اللاتينية في الغالب، والتي نشرت في الجزء الثامن من مدونة النقوش اللاتينية (Corpus Inscriptionum Latinarum)، وكتاب النقوش المغربية

(Inscriptions Antiques du Maroc) لأوزينا (Euzennat)، ومختلف الأبحاث الأثرية، وتقارير علماء الآثار خاصة ما نشر بالمجلة الأفريقية (La Revue Africaine)، ومجلة أفريقيا رومانا (Africa Romana)، وأطلس الجزائر الأثري (Atlas archéologique de l'Algérie) لغزال، التي أمدتنا بكم هائل من المعلومات استقدنا منها في معرفة أسماء، وأماكن انتشار القبائل.

كما اعتمدنا على مجموعة من المراجع الأساسية باللغة الأجنبية والعربية يمكن تقديم أهمها، فالأجنبية منها نذكر كتاب صنفه المؤرخ الفرنسي جيهن ديزانج (Desanges.J) حول القبائل الأفريقية التي عرفتها العصور القديمة في المنطقة المنحصرة بين مصر والمحيط الأطلسي، والموسوم "بمدونة القبائل الأفريقية في العصور القديمة غرب النيل": **Catalogue des tribus Africaines de l'antiquité classique a l'Oust de Nil** الذي صدر بذكر سنة 1962، وقد تمكن الباحث بعد استقراء جميع نصوص المصادر الأدبية القديمة والأثرية من تقييد، وتحديد مواطن أغلب قبائل المغرب القديم، ولا شك أن مصنفه يعتبر مرجعاً مفيداً لكل من يريد معرفة القبائل الليبية، ودورها في المغرب القديم قبل الغزو الروماني وبعده، كما اعتمدنا مؤلف لجون ماري لاسير (Lassere.j.m) والمعنون بـ "الاستيطان وحركة السكان في أفريقيا الرومانية من سقوط قرطاجة إلى نهاية حكم الأسرة السيفيرية 146 ق.م-235م" (**Vbique Populus. Peuplement et mouvements de population dans l'Afrique romaine de la chute de Carthage à la fin de la dynastie des Sévères (146 av. J.-C. – 235 ap. J.-C.)**)، الذي درس سكان أفريقيا الرومانية الأهالي منهم والمهاجرين، دراسة معمقة، ودقيقة تميزت بالنقد الجدي للمادة المستخدمة، خصوصاً النقائش اللاتينية بغية معرفة وتوطين سكان المنطقة ومعرفة تحركاتهم، ودراسته هذه تعتبر بحثاً في الجغرافية التاريخية للمنطقة، لازالت نتائجه تعتمد إلى يومنا هذا.

ونشير إلى دراسات كل من غابريال كامبس (Camps.G) الفرنسي ومواطنه ستيفن غزال (Gsell. St) اللذين قدما العديد من المؤلفات التي تشمل مجموعة من الكتب، وعشرات المقالات حول تاريخ المغرب القديم، حيث كانت مؤلفاتهما القاعدة، واللبن الأساسية

في التأريخ للمنطقة، واعتمدتها العديد من المراجع اللاحقة، كتاب فنطر (Fantar .M.H) ودوكريه (Decret.F)، كما لا ننسى روني كانيا وكتابه حول الجيش الروماني (Cagnat.R)، الذي تناول المجال العسكري في المغرب القديم من كل جوانبه، ومؤلف مارسال بن عبو (Bénabou.M)، وكتاب الوندال وأفريقيا لكريستيان كرتوا (Courtois.C) الذي أفادنا في التعرف على القبائل المورية.

إضافة إلى جملة من المراجع باللغة العربية، فلا يمكننا تجاهل مؤلفات محمد البشير شنييتي، صاحب عشرات الكتب المرجعية في تاريخ وآثار المغرب القديم، وموقع مئات المقالات المنشورة في مجلات متخصصة وثقافية، والذي أعاد كتابة تاريخنا ودحض مقولات مؤرخي المدرسة الكولونيالية، كما أنه صحّح مفاهيم التاريخ القديم بأمانة، ونذكر أهم المؤلفات التي استعملناها، كتاب روما الإمبراطورية وبلاد المغرب، نوميديا وروما الإمبراطورية، الذي هو تنقيح لكتابه التغيرات الاقتصادية والاجتماعية في المغرب أثناء الاحتلال الروماني، ومؤلف الجزائر في ظل الاحتلال الروماني في جزأين الذي أفادنا في تحليل سياسة الاحتلال الروماني بالمغرب القديم خاصة الموجهة ضد القبائل، وكذا دراسات محمد العربي عقون وغيرها من الأبحاث الجادة، وهي مؤلفات كانت منطلقا لنا لوضع صورة للنسيج التاريخي، والاجتماعي لشعوب، وقبائل بلاد المغرب القديم في ظل نشاط المؤسسة الرومانية.

كما استعنا أيضا بمجموعة من الأطروحات والرسائل الجامعية المتخصصة التي تناولت مواضيع ذات صلة بدراستنا وقدمت لنا معلومات مهمة، منها مذكرة ماجستير لمقدم بنت النبي "سياسة الرومان تجاه قبائل المغرب القديم خلال العهد الإمبراطوري الأعلى"، وقد جاءت الدراسة في أربعة فصول ومدخل، تضمنت عرضًا للسياسة الرومانية الاقتصادية والعسكرية والسياسية والإدارية اتجاه قبائل بلاد المغرب القديم، سعيًا منهم لتكريس الاحتلال والسيادة على تلك القبائل، وقد استفدنا من هذه الدراسة في فصلنا الثالث أين قمنا باستعراض مختلف القبائل المحلية في بلاد المغرب القديم في الفترة الرومانية، غير أن صاحبة المذكرة لم تتناول تحركات قبائل المغرب القديم في الفترة محل الدراسة في عنصر منفرد. واعتمدنا

أيضا على أطروحة دكتوراه قدمت لنا بالإضافة في مختلف فصول وعناصر دراستنا وهي الخاصة بمها عيساوي "المجتمع اللوبي في بلاد المغرب القديم من عصور ما قبل التاريخ إلى عشية الفتح الإسلامي"، والتي استفدنا منها في استعراض مختلف القبائل المحلية قبل أو أثناء وحتى بعد العهد الروماني.

بالإضافة إلى الكثير من الرسائل والمقالات التاريخية والأثرية لمختصين عربية كانت، أو أجنبية التي قدمت مادة متخصصة كتلك التي نشرت في الموسوعة البربرية (Encyclopédie berbère)، والمكتبة الإلكترونية للدراسات الإنسانية الاجتماعية (Persée)، إذ تناولت جوانب مهمة من موضوع دراستنا بكثير من الدقة والتحليل، فالأجنبية منها نذكر مساهمات كل من غزال، كامبس، وجيهان ديزانج، لابورت (Laporte.J.P)، وأوزينا (Euzenn .M)، وموديران (Modéran.Y)، وكريستيان حمدون (Hamdoune.Ch)، أما العربية فنجد مقالات لمحمد حسين فنطر، محمد العربي عقون، وخديجة منصوري، وجهيدة مهنّتل، ومقدم بنت النبي، الربيع عولمي، ومختلف الدراسات الأثرية والتاريخية للباحث مصطفى الأعشي، وعبد الرحمان اليوبي على سبيل المثال لا الحصر.

الصعوبات:

خلال دراستنا صادفتنا بعض الصعوبات العلمية، لعل أهمها هو نقص أو لنقل غياب الدراسات الأكاديمية المتخصصة التي تتناول موضوع تحركات القبائل في بلاد المغرب القديم خلال الفترة الرومانية، وإن كان هناك مجموعة من الدراسات والمقالات التي اهتمت بالتطرق لنماذج من القبائل وتبيان علاقتها مع الرومان، لكن يبقى تناولها لا يبين أسباب ومسارات التحرك، وهو ما دفعني للتمحيص فيها بغية استخلاص ما يخدم مضامين دراستنا. إن طول الفترة التاريخية التي شكلت الإطار الزمني لبحثنا، والذي يمتد من القرن الثاني قبل الميلاد إلى القرن الخامس الميلادي، واتساع رقعة الجغرافية الممتدة من السيرت الكبير شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا، صَعَّبَ إلمانا بالموضوع بشكل كبير بسبب كثرة القبائل

والشعوب المحلية، وتشعب وتداخل الأحداث ما صعب علينا تناول الموضوع من كل جوانبه.

الفصل الأول

المغرب القديم الأرض والسكان

أولاً: الإطار الجغرافي للمغرب القديم من خلال المصادر الكلاسيكية الإغريقية والرومانية

ثانياً: التسميات التي عرف بها بلاد المغرب القديم وشعوبها

ثالثاً: أصل سكان المغرب القديم

رابعاً: مصادر دراسة القبائل المحلية في المغرب القديم خلال الفترة الرومانية

عرف المغرب القديم تسميات عديدة في العصور القديمة (ليبيا، المغرب القديم، نوميديا، موريطانيا، إفريقيا) أقدمها ليبيا؛ ومدلولها التاريخي والجغرافي يقصد به ذلك الإقليم الممتد من مصر شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا، ومن البحر المتوسط شمالا إلى ما يُعرف اليوم بالصحراء، هذا الإقليم الذي أصبح يُعرف بالمغرب القديم (Maghreb antique) وهي التسمية التي طغت لتصبح أشملها. أما السكان فقد عرفوا بالليبيين، والنوميد والمور والأفارقة، والأمازيغ والبربر. وبالحديث عن السكان ونشاطاتهم يعد المغرب القديم منطقة هامة للبحوث حول نشاطات المجموعات البشرية وتطورها، التي عمرت المنطقة، فالأبحاث التي أجريت في العديد من المواقع الأثرية بينت قدم تواجد واستقرار المجموعات البشرية بالمغرب منذ ما يقارب مليوني سنة، هذا الاستيطان استمر عبر مختلف المراحل التاريخية التي مرت بها المنطقة.

لا زالت دراسة المغرب القديم بمختلف موضوعاتها سواء السياسية، أو الاقتصادية، أو الاجتماعية تحتل مكانة معتبرة من الجدل العالمي، بسبب قلة إن لم نقل ندرة مصدر المعلومة، فهي إما مبعثرة في مقتطفات النقوش الأثرية، أو عبارة عن شذرات وإشارات في النصوص القديمة الإغريقية واللاتينية، سنتطرق في فصلنا هذا لموضوع أسأل الكثير من الحبر، وتعددت واختلفت الروايات والأراء حوله وهو موضوع أصل سكان المنطقة، بالإضافة إلى مختلف التسميات التي عرف بها ساكنو المنطقة والمنطقة في حد ذاتها على السواء.

أولا: الإطار الجغرافي للمغرب القديم من خلال المصادر الكلاسيكية الإغريقية واللاتينية:

يطلق على المنطقة الممتدة من مذابح الأخوين فيلايني (philénes)⁽¹⁾ - خليج السيرت الكبير - (ليبيا الحالية) شرقا لغاية المحيط الأطلسي غربا، ومن البحر المتوسط شمالا

(1) يذكر المؤرخ ساليستوس أن الإغريق واليونانيين وبعد صراع طويل إمتد من صقلية وصولا إلى شمال إفريقيا، حيث أصبح بين قوريني وقرطاجة، وكان محوره مناطق النفوذ في منطقة خليج السيرت الكبرى وبعد أن أنهكتها الخلافات أقر اتفاقا سلام بينهما تقضي بترسيم معالم الحدود، وهي ما عرفت بقصة الأخوين فيلايني اللذين تطوعا بأن يدفنا حيين، لتثبيت الحدود في النقطة التي وصلا إليها في السباق الذي جرى بين المتسابقين الإغريق والقرطاجيين. للمزيد ينظر:

Salluste, Guerr de Jugrtha, XVII,79, Texte établi et traduit par A. Ernout, 10ème tirage, Les Belles Lettres, Paris, 1974.

إلى الصحراء الكبرى جنوباً تسمية "بلاد المغرب القديم" (Maghreb antique)، وتشمل المنطقة اليوم الدول التالية: ليبيا، تونس، الجزائر، المغرب، الصحراء الغربية وموريتانيا. وقد عرفت خلال الفترة القديمة بعدد التسميات، وشهدت تعاقباً لعدد الحضارات بعد أن سكنتها شعوب مختلفة.

عرفت المنطقة هذه باسم شمال إفريقيا أيضاً، وأرض البربر، وإفريقيا الصغرى⁽¹⁾، الذي ينحصر شمال غرب القارة الإفريقية، يفصلها عن قارة أوروبا مضيقين هما: مضيق صقلية بـ 140 كلم ومضيق جبل طارق بـ 15 كلم، يحدها من الشمال والغرب البحر المتوسط والمحيط الأطلسي، أما من الشرق والجنوب تحدها التلال الرملية الضخمة، والجرء الممتدة من السرت الكبير إلى فزان حالياً⁽²⁾. تظهر خريطتها على شكل رباعي غير منتظم ممتد الأطراف⁽³⁾، يحده البحر في غربه وشماله وشرقه، كما تحده الصحراء في جنوبه كما سبق ذكره، فهو كالجزيرة المعزولة، أطلق عليه العرب اسم "جزيرة المغرب"⁽⁴⁾، أما الموقع الفلكي للمغرب فهو ينحصر بين دائرتي عرض 18° و 38° شمال خط الإستواء، وبين خطي طول 25° شرقاً و 19° غرب خط غرينتش⁽⁵⁾.

وهو ما أعطاها موقعا استراتيجيا فهي تنتمي إلى الحوض الغربي للبحر المتوسط وتشكل الجزء الشمالي من القارة الإفريقية مما مكنها أن تكون حلقة ربط بين الحضارتين الإفريقية، والبحر متوسطة المتمثلة في الإغريقية والرومانية والشرق القديم، فالموقع الجغرافي لبلاد المغرب كان له دور بارز في تاريخه؛ فانفتاحه على البحر المتوسط أعطاه فرصة الإتصال بشعوب مختلفة مؤثرا، ومتأثرا بأقدم الحضارات القديمة وأعرقها⁽⁶⁾.

(1) ستيفن غزال، تاريخ إفريقيا الشمالية، تر: محمد التازي سعود، ج1، الرباط، 2007، ص15.

(2) Th. Mommsen, Histoire Romaine, traduit par R. Cagnat, J. Toutaine, Tome 11, Imile Bouillon, paris, 1889, p.252.

(3) Decret. F et Fantar.M.H, L'Afrique de nord dans l'antiquité histoire et civilisation (des origines au V siècle), payot, paris, 1981, p.9.

(4) ستيفن غزال، تاريخ إفريقيا الشمالية، ص15.

(5) Mercier.E, Histoire de l'Afrique septentrionale, T1, Ernest Leroux Editeur, Paris, 1888, p.9.

(6) محمد الصغير غانم، مقالات وآراء في تاريخ الجزائر القديم، ج2، دار الهدى عين مليلة، الجزائر، 2010، ص5.

تناولت المصادر الكلاسيكية منذ القرن الخامس قبل الميلاد إلى القرن السادس الميلادي تاريخ بلاد المغرب القديم، فتطرق إلى الطبيعة والسكان والقدرات الاقتصادية، وذكرت ملوك المنطقة والممالك التي نشأت بها وجاءت المعلومات على العموم مقتضبة، وغير كافية لكنها تكتسي أهمية بالغة لا يمكن الإستغناء عنها، لأن أصحابها عاصروا الأحداث⁽¹⁾.

الحيز المكاني للمغرب القديم من خلال المصادر الكلاسيكية:

ذكرت بعض الكتابات المصدرية القديمة معلومات قيمة عن جغرافية المنطقة في القديم، وسنبدأ برواية هيرودوت (420-485 ق.م) باعتباره أقدم مصدر وصل إلينا، الذي ذكر "بلاد لوبة" في الجزء الثاني والرابع من كتاب التواريخ⁽²⁾، وقد خصها بعمل جغرافي غاية في الإتقان حسب كامبس⁽³⁾، فحسب ما ذكر فإن لوبه هي القارة الثالثة من قارات العالم القديم بعد أوربا وآسيا⁽⁴⁾، تمتد أراضيها من الحدود الغربية لمصر إلى رأس سولوس (Soleils)، تتخللها مسطحات مائية قديمة كخليج السيرت الكبير وبحيرة تريتونيس (Tritonis) وأعمدة هرقل⁽⁵⁾. وقسم هيرودوت ليبيا إلى أربعة مناطق، منطقة الساحل، ومنطقة الحيوانات المتوحشة، ومنطقة الواحات والصحراء⁽⁶⁾، لا يميز هيرودوت المناطق بشكل واضح فقط بل إنه يشير بدقه إلى الخط الذي يفصل شمال إفريقيا إلى منطقتين طبيعيتين جيداً⁽⁷⁾ حيث جاء:

(1) حليلة غازي وبن ميس والحسن بودرقا، أضواء على تاريخ إفريقيا القديم وحضارته، ط1، دار السلام للطباعة والنشر، الرباط، 2007، ص22.

(2) هيرودوت، التاريخ، II، 31، 33، IV، 42، 43، IV، 199، 168، تر: مصطفى أعشي، مركز الترجمة والتوثيق والنشر والتوزيع، الرباط، 2009.

(3) قابريال كامبس، في أصول بلاد البربر ماسينييسا أو بداية التاريخ، تع: محمد العربي عقون، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 2009، ص28.

(4) Hérodote, Histoires, Livre IV, trad., PH. E. Le grand, éd., Les belles Lettres, Paris, 1949. IV. 42, 43.

(5) Carette. E, Origine et Migrations des principales tribus de l'Algérie, IMPRIMERIE IMPÉRIALE, 1853, paris, p.2.

(6) Hérodote. IV.174-175.

(7) Tissot.C. J, Charles Joseph, La Libye d'Hérodote (pl. XI, XII) (cf. p. 264). In: Bulletin de correspondance hellénique. Vol 1, 1877.p. 265.

- **القسم الساحلي:** ويتكون من منطقة شرقية ما بين مصر، وبحيرة تريتونيس (شط الجريد وشط الحميمات) وتنتشر فيه مختلف القبائل الليبية البدوية⁽¹⁾، ومنطقة غربية من بحيرة تريتونيس إلى المحيط الأطلسي غربا وهي موطن الليبيين المزارعين ساكني البيوت⁽²⁾، وتتميز المنطقة بكثرة مرتفعاتها، وغاباتها وحيواناتها من دببة وفيلة وحمير، وحيات سوداء، ونلاحظ أن هيرودوت لم يفرق بين هذه المجموعات الليبية من حيث الجنس، وإنما من حيث اختلاف نوع حياة كل منهما عن الأخرى، ويبدو بوضوح أن هذا التمييز جعل العلماء المحدثين يقسمون أيضا الليبيين القدماء إلى مجموعتين: ليبينون شرقيون وليبينون غربيون⁽³⁾.

- **القسم الداخلي:** يعتبر امتدادا لموطن القبائل اللوبية الساحلية، وهي منطقة تكثر بها الوحوش والضواري.

ولم تقتصر ليبيا لدى هيرودوت على المنطقة الساحلية فقط بل أنه ضم إليها الواحات والصحراء، وقد أشار إلى ذلك بكل وضوح في الكثير من فقرات كتابه الرابع حيث يقول: "... لقد تحدثت في السابق عن الليبيين الرعاة الذين يسكنون على ساحل البحر، ولكن أسفل هذه المناطق توجد مناطق ترتادها الوحوش المفترسة، وأسفل المنطقة السابقة يوجد شريط رملي يمتد من طيبة في مصر حتى أعمدة هيرقليس (هرقل)، تقع على هذا الشريط الرملي روابي تحيط بها الرمال، ويتوسط كل واحدة نبع يقذف ماءً بارداً عذباً وحول هذه الروابي يقيم السكان مضاربهم"⁽⁴⁾. وقد أشار هيرودوت إلى أن هذه الروابي كثيرة، وتبعد عن بعضها البعض مسيرة عشرة أيام. ومما لاشك فيه أن الروابي التي يقصدها هي الواحات الكثيرة التي تنتشر على طول المنطقة الداخلية من ليبيا. ذكر هيرودوت بعض الواحات مثل: واحة الأمونيين، ويعنى بهم الذين يعبدون الإله أمون وهم سكان واحة سيوة، ثم ذكر سكان واحة أوجلة، وواحات الجرامنت⁽⁵⁾.

(1) Hérodote. IV.186.

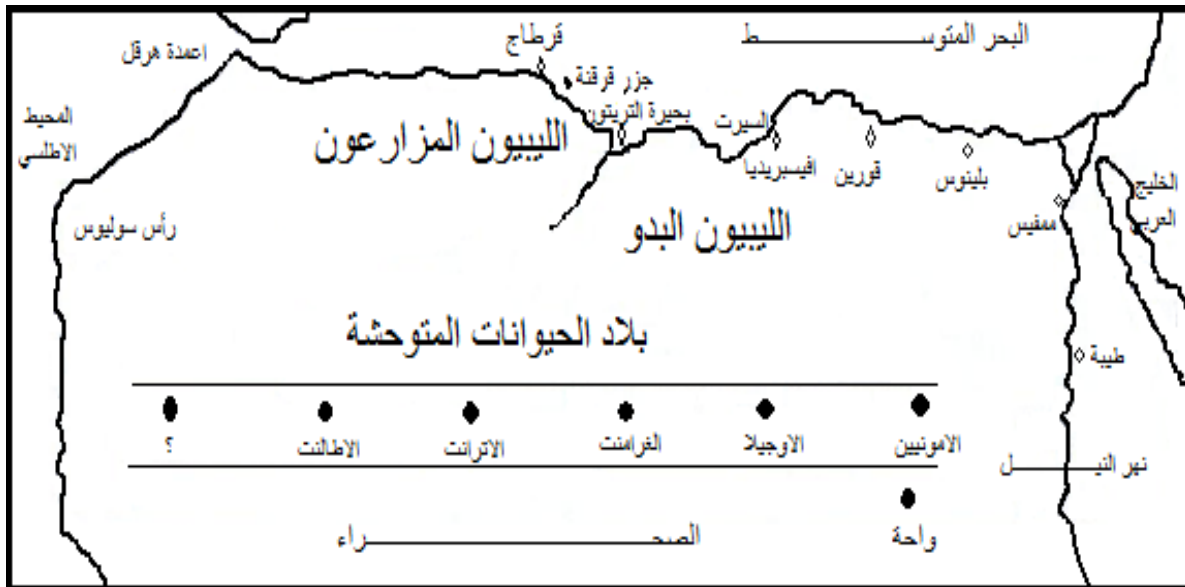
(2) قابريال كامبس، ماسينيما أو بداية التاريخ...، ص28.

(3) مصطفى كمال عبد العليم، دراسات في تاريخ ليبيا القديم، المكتبة الاهلية بنغازي، 1966، ص1.

(4) Hérodote. IV.181.

(5) Hérodote. IV. 181, 183, 184, 185.

أشار هيرودوت بأن خلف هذا الشريط الرملي الذي يضم العديد من الواحات توجد الأجزاء الجنوبية والداخلية من ليبيا، والتي هي صحراء حيث لا يوجد بها لا الماء، ولا الحيوانات، ولا المطر، ولا الأشجار ولا أي أثر لحياة بشرية أين يقول "...ووراء هذا الشريط إلى الجنوب وإلى داخل ليبيا، تكون الأرض صحراء، وجافة وخالية من الوحوش وغير مطيرة ولا غابات فيها..."⁽¹⁾، ويمثل هذا الجزء القسم الجنوبي أو الصحراوي، وهو إقليم ذو مناخ قاسي، عبارة عن طوق عظيم من الرمل يمتد من طيبة في مصر إلى أعمدة هرقل غرباً، تعتبره القبائل صعباً للمعيشة، وتنتصب على امتداده تلال من الملح، وعليه باعتماد ما جاء به هيرودوت نستطيع أن نعمم إسم ليبيا والليبيين القدماء على كل شمال إفريقيا والصحراء الكبرى⁽²⁾. (أنظر الخريطة رقم 1).

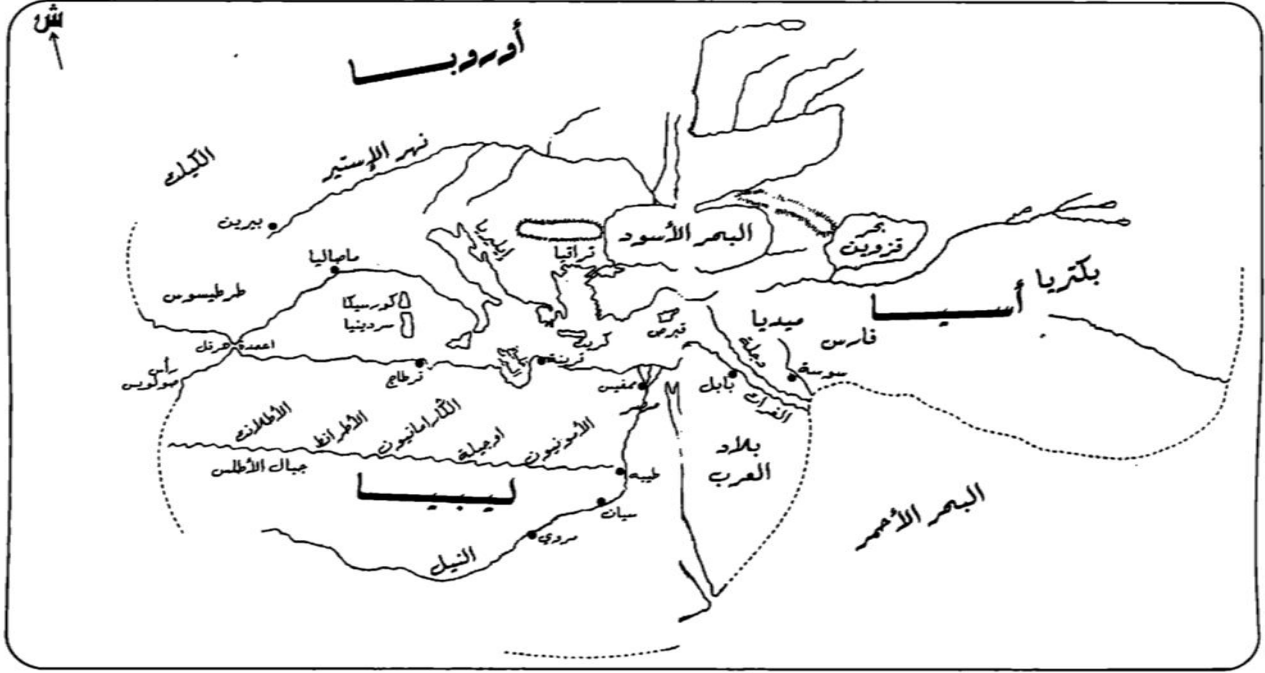


الخريطة رقم 1: خريطة ليبيا حسب هيرودوت،

Gsell.St, Hérodote, textes relatifs à l'histoire de L'Afrique du nord, topographie
Adolph Jourdan, paris, 1915, p.255.

⁽¹⁾ Ibid. IV.185.

⁽²⁾ هيرودوت، تاريخ هيرودوت، تر: عبد الإله الملاح مر: احمد السقاف وحمد بن صراي، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، المجمع الثقافي، 2001، ص 363-367.



الخريطة رقم 2: العالم وفقاً لما يتصوره هيرودوت القرن الخامس قبل الميلاد، عن مصطفى الأعشي،
أحاديث هيرودوت...، ص 133.

بالإضافة إلى هيرودوت يذهب المؤرخون والجغرافيون الذين أتوا بعده، إلى أن ليبيا هو الاسم الذي أُطلق على إحدى القارات الثلاثة القديمة؛ إذ يذكر الجغرافي سكيلاكس الكرياندي (Scylax of Caryanda) صراحة أن العالم ينقسم إلى ثلاث قارات هي آسيا، وأوروبا، وليبيا⁽¹⁾. بينما بوليبيوس وديودور الصقلي على الرغم من أنهما كانا قد كتبا عن تاريخ المنطقة، وبالأخص الحروب البونية، لا نجد في مصديهما ذكراً للحدود الجغرافية للمغرب القديم⁽²⁾.

والملاحظ مما سبق ذكره أن اسم ليبيا قديماً كان يطلق على ما هو معروف بأفريقيا الحالية لاسيما في الفترات المبكرة عند الإغريق، إلا أن هذا الاسم أخذ يتلاشى وينكمش مدلوله

(1) Carette. E ,Op. Cit, p.2.

(2) مها عيساوي، المجتمع اللوبي في بلاد المغرب القديم من عصور ما قبل التاريخ إلى عتبة الفتح الإسلامي، أطروحة دكتوراه، إ: محمد الصغير غانم، جامعة منتوري، قسنطينة، 2010/2009، ص 29.

خاصة في العصور الرومانية ابتداء من القرن الثاني قبل الميلاد، إذ أن المؤرخ الروماني ساليستوس (Sallust) (86 ق.م - 35م)⁽¹⁾ في كتابه حرب يوغرطة يتفق مع من سبقوه في تقسيم العالم إلى ثلاث قارات هي آسيا، وأوروبا، وإفريقيا⁽²⁾. فيقول "... وهناك من يلحق إفريقيا بأوروبا... يحد إفريقيا إلى الغرب المضيق الذي يربط بحرنا بالمحيط، وهو يقصد الخليج الذي يجمع البحر المتوسط بالمحيط⁽³⁾، أول مدينة تصادفك عند قدومك من مصر هي مستعمرة ثيرا (Théra)، ثم منطقتا سيرت ولبتيس، فمعابد فيلاني ليأتي بعد ذلك عدد من المدن البونيقية، وكل الأراضي التي بعدها هي أرض النوميديين وتمتد إلى غاية موريطانيا"⁽⁴⁾.

بينما إذا بحثنا في جغرافية سترابون (Strabon) (63/64 ق.م - 21م) فنجد في الفقرة 33 من كتابه الثاني يذكر أن: "... ليبيا هي التي تأتي بعد آسيا، ولها حدود مع مصر وإثيوبيا، أما ساحلها الشمالي فيمتد من الإسكندرية حتى أعمدة هرقل فهو بمثابة خط مستقيم تتخلله بعض الخلجان، ومن أعمدة هرقل تنزل سواحلها على طول المحيط مسافة، وقبل وصولها إثيوبيا تأخذ اتجاه موازيا لحدودها الساحلية، وتقرب كثيرا من الساحل باتجاه أعمده هرقل، مما يقلل من عرض ليبيا حتى تكاد تنتهي بنقطة حادة، ولذلك تأخذ ليبيا شكلا شبه منحرف..."⁽⁵⁾، وحسبه دائما فليبيا قسمت إلى ثلاثة أقسام متباينة هي:

- المنطقة الأولى: الساحلية شديدة الخصوبة تبدأ من برقة إلى غاية أعمدة هرقل.

(1) ساليستوس: هو غايوس كريستوس من أشهر مؤرخي الإمبراطورية الرومانية ولد حوالي العام 86 ق.م، ينتمي إلى أسرة من العامة، كان يناصر الحزب الديمقراطي، ويؤيد يوليوس قيصر وكان من مقريه، أصبح عضوا في مجلس الشيوخ لكنه طرد منه عام 50 ق.م بتهمة أخلاقية. تولى سالوستيوس حكم ولاية إفريقيا الجديدة التي كونها قيصر من الأراضي المنتزعة من مملكة يوبا في 45 ق.م. لقب بقيصر إفريقيا الجديدة، كتب مؤامرة كانلينا حوالي 42 ق.م، والحرب اليوغرطية سنة 38 ق.م ثم التواريخ، مات العام 35 ق.م. للمزيد ينظر محمد مبروك الدويب، ساليستوس الحرب اليوغرطية، منشورات جامعة بنغازي، ليبيا، 2007، ص 7-10.

(2) Salluste, Jugurtha, XVII,3,

(3) Ibid ,XVII.XIX.

(4) ساليستوس، حرب يوغرطة، ط 1، 2011، ص 15.

(5) Strabon, Géographie, Trad. par I Amédée, Paris, 1980, Liv II.

- المنطقة الثانية: متوسطة الخصوبة تلي برقة، ومنطقة ثالثة فاصلة يقصد بها بعد المنطقة الثانية ومصر، تتميز بندرة الإنتاج ويغمر جزؤها الأكبر الصخور والرمال لا ينبت بها إلا السيلفيوم⁽¹⁾⁽²⁾.

يذكر الجغرافي سترابون في مؤلفه الذي ورد فيه فصل كامل عن جغرافية ليبيا، وهو الفصل الثالث من الكتاب السابع عشر، تفصيلاً وافياً وجلياً عن جغرافية ليبيا وشرح الظروف الجغرافية التي كانت سائدة في ذلك الوقت، ومما جاء به سترابون: "... أن ليبيا هي قارة يحيط بها الماء من كل الاتجاهات وهي تشبه في شكلها شكل المثلث يميل للإستطالة قاعدته ساحل البحر المتوسط، ويقدم أقصى امتداد جغرافي لليبيا طولياً بحوالي 13,000 أو 14,000 ستاديوم⁽³⁾، أما الطول فأقل من الضعف بقليل، مع ذلك لم يستطع وضع تحديد دقيق لكامل المساحة"⁽⁴⁾ (أنظر الخريطة رقم 2). ويبقى ما جاء به سترابون في تقسيمه للفضاء الليبي يعكس الحدود المعرفية لوقته، وهي الجهل التام بالمناطق الغربية لهذا الفضاء⁽⁵⁾.

ويؤيده في ذلك أيضاً بلين (Plinius) (23-79م) الذي يشير أن الإغريق كانوا يطلقون على أفريقيا اسم ليبيا، وأنهم يسمون البحر المتواجد أمامها بالبحر الليبي فوصفها قائلاً "...هي

(1) أم الخير العقون، الليبيون وتأسيسهم للدولة في مصر الفرعونية، أطروحة دكتوراه في التاريخ القديم، إ: غازي جاسم الشمري ومحمد الصغير غانم، جامعة وهران، 2003/2004، ص 60.

(2) السيلفيوم: أو السلفيون (Silphium) باليونانية نبات بري منقرض كان ينبت في منطقة الجبل الأخضر بالتحديد قورينا في العهد الإغريقي، وقد كانت أهم المنتجات الاقتصادية بالمنطقة، ورد ذكر نبات السيلفيوم في الكتابات القديمة، وكانت معظم عملات قورينا تحمل صورته. Hérodote. IV.169، Strabon. XVII.20-21-22.23. للمزيد ينظر: أندريه لاروند، السلفيوم على نقود قوريني، مجلة البحوث التاريخية، ع 1990، 2، ص 99-100.

(3) ستاديوم: أو ستاديون (Stadium) (στάδιον) وحدة قياس إغريقية للأطوال والمسافات، كانت تعتمد على مقدار محيط الملاعب الرياضية في ذلك الوقت، وفقاً لهيرودوت فإن 1 ستاديوم تساوي 600 قدم يوناني، وهي تعادل 184.87م بالمقياس الحديث. للمزيد ينظر: محمد مبروك الدويب، الكتاب السابع عشر من جغرافية سترابون، ص 93.

(4) سترابون، الكتاب السابع عشر من جغرافية سترابون (وصف ليبيا ومصر)، تر: محمد مبروك الدويب، منشورات جامعة قازوينسن، بنغازي، 2002، XVII، 3، 1.

(5) Callegarin.L et Moreau. J, Le Gétule : cet Autre insaisissable, Figures de l'étranger autour de la Méditerranée antique. Actes du colloque 'A la rencontre de l'Autre', L'harmattan, Paris, mars 2009, p.205.

المنطقة المحصورة بين الحدود الغربية لمصر حتى المحيط الأطلسي وبها خليج السيرت والترتونيس وأعمدة هرقل⁽¹⁾.

بالإضافة إلى ما ذكره المؤرخون والجغرافيون السابقون نجد إشارات موجزة عن طبيعة ليبيا لدى المؤرخ بطليموس (100-178م)، الذي ذكر عدة أسماء لأنهار وبحيرات بليبيا، كما قسم ليبيا وفق الأقاليم والمقاطعات التالية من الغرب إلى الشرق: مافريتانيا تنغيتاني، التي تمثل موريطانيا الطنجية، مافريتانيا كاييسارينسيا وتمثل موريطانيا القيصرية، نوميديا (أفريقيا)، وكيريناكي (قورينائية)، ومارماريكي (مارماريكا) وهو الإقليم المسمى ليبيا الحالية.⁽²⁾



خريطة رقم 3: ليبيا حسب الجغرافي سترابون،

Strabo, The Geography of Strabo, Tran: Duane Roller, Cambridge University
Presse, 2014, p.17.

⁽¹⁾ Pline l'Ancien, The Natural History, Books V,1.1, traduit par Henry T. Riley et John Bostock, texte du projet Perseus, sous licence Creative Commons Attribution- Licence américaine Share-Alike 3.0.1855.

⁽²⁾ كلاوديوس بطليموس، الجغرافيا، VI، ترجمة محمد المبروك الدويب، ليبيا، 2002.

والملاحظ مما سبق ذكره أن اسم ليبيا قديماً استعمل كتعبير جغرافي للدلالة على الإقليم، أو القارة المعروفة بإفريقية عدا جزءاً من مصر ولاسيما في الفترات المبكرة عند الإغريق، وعنهم أخذ الرومان هذا الاسم الذي أخذ يتلاشى وينكمش مدلوله ابتداء من القرن الثاني قبل الميلاد.

في حين بروكوب (Procopios) يحصر اسم ليبيا في منطقة إقليم كيرينيكا فقط وهي الإشارة الواضحة التي ترد في قوله: "... أما الأرض التي تقع يسار النيل فإنها تحمل اسم ليبيا حتى تبلغ الأوقيانوس (المحيط الأطلسي)، وعلى العموم فإن المنطقة التي تمتد من حدود الإسكندرية حتى مدينة كيريني بما فيها المدن الخمسة هي الآن الإقليم الوحيد الذي يدعى باسم ليبيا"⁽¹⁾.

مما سبق ذكره يتضح جلياً أن اسم ليبيا قديماً كان يطلق على ما هو معروف بأفريقيا الحالية ولاسيما في الفترات المبكرة عند الإغريق والرومان، كما نلاحظ أن الحدود السياسية للمغرب القديم تضيق وتتسع وفقاً لتحركات القبائل المحلية التي كانت مواطن انتشارها تمثل حدود المنطقة، وقد تغيرت هذه الحدود عبر عدة محطات تاريخية، لكن الثابت أنها تمتد من مصر شرقاً إلى غاية المحيط الأطلسي غرباً، ومن ساحل البحر المتوسط شمالاً إلى التخوم الصحراوية جنوباً، إلا أن هذا الاسم أخذ يتلاشى وينكمش مدلوله خاصة في العصور الرومانية.

ثانياً: تسميات بلاد وسكان المغرب القديم:

1. تسميات البلاد:

لم تكن المدلولات الجغرافية لأسماء الأقاليم في القدم محددة وواضحة كما هو عليه الآن، بل كان كل إقليم يأخذ في كثير من الأحيان تسمية المجموعة السكانية التي تقيم فيه، ولذلك فإن رقعة الإقليم قد تتسع، أو تتقلص تبعاً لتحركات وانتصارات وهزائم تلك المجموعات، والغالب أن تلك التحركات طليقة لا تخضع لأي قيود غير القيود التي تعرضها عليها مصالحها وظروفها. ويظهر ذلك بوضوح من خلال تحركات القبائل الليبية القديمة في

⁽¹⁾ Procopios, Buildings, VI.1.7.

البداية نحو الشرق ثم رجوعها وارتدادها نحو الغرب مرة أخرى⁽¹⁾. فأطلق الدارسون تسميات عديدة للدلالة على بلاد المغرب القديم منها ليبيا وإفريقيا وبلاد البربر وشمال إفريقيا، واختلفت هذه التسميات من حيث تاريخ ظهورها وإستعمالها وتطور مدلولاتها.

1.1 ليبيا:

يعتقد القارئ غير المتخصص في التاريخ القديم من الوهلة الأولى أن اسم ليبيا الذي سنتطرق له يقصد به ذلك الاسم الذي تم حصره في تلك الأرض المتعارف عليها جغرافياً في وقتنا الحاضر (ليبيا الدولة) ولكن العكس غير ذلك، فالشعوب القديمة كانت في الغالب تُطلق اسم الجماعة السكانية، أو القبلية على الإقليم الذي تقطنه، وجدير بالذكر أن اسم ليبيا استخدم كمدلول جغرافي منذ أقدم العصور التاريخية على نطاق مترامي الأطراف، وقد دل خلال الفترة القديمة على مجموعة واسعة من المعاني⁽²⁾، وظف الاصطلاح في البداية للدلالة على الساحل الشمال إفريقي المقابل للعالم الإغريقي، وهذا المفهوم الجغرافي ظهر مع ليبيا الواردة في ملحمة هوميروس، لكن سرعان ما اكتسب المصطلح معنى أوسع، وهو القارة بأكملها الواقعة جنوب المتوسط. وفي القرون اللاحقة على الرغم من أن المصطلح قد حافظ على معناه الواسع إلا أن المنطقة ضاقت نتيجة العديد من التحولات السياسية الناتجة عن احتكاك عدة جهات مغربية قديمة بالعالم الإغريقي والفينيقي، ثم الروماني، وصار معنى ليبيا عندهم أضيق إذ صار محصوراً في سكان الشمال الشرقي من المغرب القديم دون غيرهم⁽³⁾. فاقصر في بداية القرن الأول الميلادي على مقاطعة إفريقيا الرومانية فقط، وتنتقل التسمية بعد ذلك الى جزء آخر من البلاد، وهو إقليم برقة، ثم تختفي بعد ذلك لتظهر التسمية من جديد سنة 1934 عندما أطلق الإيطاليون على مستعمراتهم في ولايتي طرابلس وبرقة اسم ليبيا⁽⁴⁾.

(1) محمد علي عيسى، الجذور التاريخية لسكان المغرب القديم من خلال المصادر الأثرية والأنثروبولوجية واللغوية، منشورات المركز الليبي للمحفوظات والدراسات التاريخية، ليبيا، 2012، ص 85.

(2) محمد مصطفى بازامة، ليبيا هذا المصطلح في جذوره التاريخية، مؤسسة تاولت الثقافية، بيروت، 1975، ص ص 9-10.

(3) غابريال كامبس، البربر ذاكرة وهوية، تر: عبد الرحيم حزل، إفريقيا الشرق، المغرب، 2014، ص 126.

(4) أم الخير العقون، دولة الأمازيغ في مصر الفرعونية 950 ق.م - 715 ق.م، مكتبة المهتدين المصرية، 2015، ص 18.

ففي المصادر المصرية أطلق على بلاد المغرب القديم الواقعة غرب النيل مصطلح أمنت (Imntt) وقصد بها منطقة الغرب، ثم في عصر قبل الأسرات عرفت باسم التحنو (Thnou) للدلالة الجغرافية على الصحراء الغربية المتاخمة للبلاد المصرية⁽¹⁾، يذكر بتيس (Bates) أن المصريين في هذه الفترة لم يعرفوا الشعوب التي كانت تقطن إلى الغرب من وادي النيل، ثم مع احتكاكهم المستمر بهم عن طريق الحروب أطلقوا مصلح " الليبيون " المأخوذ من الجذر "ليبو" على تلك المجموعات البشرية الواسعة الانتشار⁽²⁾.

أقدم نص تاريخي مدون لكلمة ليبو  (L'BW) أو ريبو (R'BW) ورد في النصوص الهيروغليفية، عثر عليه في النصوص الفرعونية في منطقة العلمين بمصر، تعود إلى عهد الفرعون المصري رمسيس الثاني من الأسرة التاسعة عشرة حوالي 1232-1298 قبل الميلاد، على الرغم من أن الدلائل الأثرية تؤكد أن أول إشارة لاسم ليبيا في مصر ظهر في عهد الدولة الوسطى (الأسرة 18 و 19) أين وردت تحت مصطلح الليبو⁽³⁾. ثم بعد ذلك يظهر الاسم مرة أخرى في عهد خليفته مرنبتاح 1224-1232 قبل الميلاد في نصوص معبد الكرنك المنسوبة إلى هذا الملك⁽⁴⁾، وهو الاسم الذي يقصدون به إحدى المجموعات السكانية التي تقع أراضيها إلى الغرب من مجرى وادي النيل واحتكت بالمصريين خلال حروب كثيرة درات بينهم في ذلك الوقت.

كما ورد اسم الليبين في التوراة⁽⁵⁾، يرد في سفر التكوين على شكل لهابيم (LEHABIM)، "ومضرايم ولد: لوديم وعناميم ولهابيم ونفتوحيم"⁽⁶⁾، وأما في سفر دانيال فيرد تحت اسم " اللوبيون"، ويتسلط على كنوز الذهب والفضة وعلى كل نفائس مصر. واللوبيو والكوشيون عند خطواته⁽⁷⁾، والملاحظ أن ظهور هذا الاسم في تزامن متكرر مع

(1) Bates. O, The Eastern Libyans an Essay, St Martin's Street, London, 1914, p 46.

(2) Ibid, p.46-48.

(3) محمد إبراهيمي، سكان المغرب القديم من خلال المصادر الأثرية المصرية، مجلة قضايا معرفية، ع2، سبتمبر 2018، ص2.

(4) محمد مصطفى بازامة، المرجع السابق، ص20.

(5) ذكروا بهذه التسمية في الفقرة 13 من السفر العاشر، وكذلك الكتاب الثاني من الوقائع (3,XII)(8,XVI) الذي يتحدث عن الليبيين الذين حاربوا في جيش الفرعون ضد روبعام. عن محمد الهادي حارش، التاريخ السياسي... ص21.

(6) التوراة، سفر التكوين، الإصحاح العاشر، 13.

(7) التوراة، سفر دانيال، الإصحاح الحادي عشر، 43.

المصريين، والإثيوبيين في التوراة، دليل على أن المقصودين في ترجمة التوراة هم الليبيون، وهذا يرجح الرأي القائل بمعرفة العبرانيين لليبيين كشعب عن طريق المصريين القدماء، وعن طريق اللغة المصرية القديمة الهيروغليفية وهي الليبو (L'BW) أو الريبو (R'BW)⁽¹⁾.

ورد المصطلح في النصوص الإغريقية فنجد اسم ليبيا لأول مرة في ملحمة هوميروس⁽²⁾ (Homér) في أوديسته (Edissea)، مابين القرنين التاسع والثامن قبل الميلاد وقد ذكر "... ليبيا التي تلد بها الخراف ثلاث مرات في السنة..." أثناء حديثه عن مغامرات مينلاوس وأوديسيوس⁽³⁾، واعتبر اسماً أسطورياً. وقد استخدم اللفظ للدلالة على ليبيا ولكن عندما يتحدث في ملحمة عن الليبين يطلق عليها اسم اللوتافاجي أي آكلي نبات اللوتس⁽⁴⁾. أما ليبيا عند هيرودوت فقد كانت تعني أحيانا إحدى القارات الثلاث من قارات العالم القديم، وأحيانا يقصد بها معظم شمال إفريقيا ماعدا مصر، وفي بعض الأحيان يقصد بها تلك المنطقة التي استعمرها الإغريق في القرن السابع قبل الميلاد وهي منطقة برقة وما جاورها⁽⁵⁾.

كما نجد اسم ليبيا في النقوش البونية والبنونية الحديثة التي عثر عليها في بعض مناطق طرابلس، وتونس معبد صلامبو بقرطاجة، وكذلك موقع "مكثر" بالقطاعات الليبية، و"معبد الحفرة"⁽⁶⁾ بقسنطينة، وتورده على شكل لبييت (LBT) ولوبي (LBY)، كما ورد هذا الاسم أيضاً

(1) محمد مصطفى بازامة، المرجع السابق، ص 23-24.

(2) هوميروس: شاعر وملحمي إغريقي شهير من جزيرة خيوس عاش حوالي القرن التاسع قبل الميلاد، وهو كاتب الملحمتين: الإلياذة والأوديسا قام بتخليد حرب طروادة شعرا بدقة متناهية التي يعتقد حدوثها العام 1250 ق.م.

(3) أوديسيوس: أحد الملوك الإغريق الذين شاركوا في حرب طروادة 1196 ق.م، وأثناء رجوعه إلى مدينته واجهته مصاعب عدة وقذفته العواصف على شواطئ ليبيا القديمة، للمزيد ينظر: هوميروس، الأوديسة، تر: ديني خشبية، دار التنوير، لبنان، 2013، ص 96_97.

(4) محمد مصطفى بازامة، المرجع السابق، ص 26.

(5) محمد علي عيسى، المرجع السابق، ص 87.

(6) معبد الحفرة: يقع معبد الحفرة على هضبة مرتفعة في الجنوب الغربي لمدينة سیرتا عاصمة المملكة النوميديّة، وتمتد الهضبة المشار إليها طوليا على محور يبلغ حوالي 400م، يحدها من اليسار الضفة اليسرى لوادي الريمال، يعتبر معبد الحفرة المجال المقدس حيث يعرف بالتوفاة، وهو المعبد المفتوح محاط بسور تقدم به القرايين، وهي تضحية بشرية أو حيوانية، يحتوي هذا المعبد على العديد من النصب وأجزاء نصب نذرية، الليبية وأغلبها بونية وبونية جديدة، وكذلك نقوش إغريقية وأخرى لاتينية، وجسدت هذه النقوش أسماء الآلهة التي كانت تعبد في سیرتا الإله بعل حمون، الإلهة تانيت. للمزيد ينظر: محمد الصغير غانم، سیرتا النوميديّة النشأة والتطور، دار الهدى، الجزائر، 2008، ص ص 105-111.

بما يقابل "لوبيم-لولبات" في حالة الجمع، وربما كان المقصود هنا السكان وليس الإقليم في حد ذاته⁽¹⁾.

وحول أصل هذه التسمية "ليبيا" فهناك من المصادر من يذكر أنها مأخوذة من اسم ملكة كانت تحكم شعبا يقطن إلى الغرب من نهر النيل⁽²⁾، ثم عمم المصطلح على الشعوب التي استوطنت بالمنطقة، وذكر رأي آخر ربة معبودة في المنطقة منذ القديم، بينما لم يستبعد فريق ثالث الاسم السامي الذي يعني أرض السباع، ورأي رابع يُرجع مصطلح ليبيا إلى "لوب" أي الجفاف أو الحر⁽³⁾. في حين يرى قابريال كامبس⁽⁴⁾ و(م.ح) فنطر⁽⁵⁾ أن مصطلح ليبيا إفريقي الأصل أي أنه من أصول محلية، وقد اختلف حقل استخدام مصطلح ليبيا من فترة تاريخية إلى أخرى ومن مؤرخ لآخر.

2.1 إفريقيا:

يعتبر مصطلح إفريقيا حديث نسبيا ولا يتجاوز ظهوره القرن الثالث قبل الميلاد، فهو من التسميات القديمة التي نعت بها الرومان سكان المغرب القديم ثم أطلقوه على مقاطعتهم التي أنشأوها على الأراضي القرطاجية عام 146 ق.م⁽⁶⁾، أما عن اشتقاق هذا المصطلح فقد فتح أصله، ومعناه نقاشا كبيرا بين الباحثين فيرى البعض أنه مشتق من الجذر (F.R.G) الذي يعبر عن فكرة تفريق المستوطنات، أو من كلمة فريجي (Frigi)، أو فاريكيا (pharikia) التي تعني بلاد الفواكه على اعتبار أن المغرب القديم اشتهر بوفرة منتجاته الفلاحية والحيوانية⁽⁷⁾، أو من الكلمة اللاتينية (Apricus) و (Aprica) التي تعني المناخ الحار، أو المنطقة المشمسة، وهناك من ربطها بالكلمة الإغريقية (aphrike) التي تعني المنطقة التي لا يوجد فيها البرد.

(1) Decret. F et. Fantar .M.H, Op.cit, p .16.

(2) Gsell.St, Hérodote, textes relatifs à l'histoire de L'Afrique du nord, topographie Adolph Jourdan, paris, 1915, p.70.

(3) Gsell.Stt, Hérodote, textes ... Op.cit, p.70.

(4) غابريال كامبس، البربر ذاكرة وهوية، ص126-127؛ غابريال كامبس، ماسينيسا أوبديّة التاريخ، ص35.

(5) Decret. F et. Fantar .M.H ,Op.cit, p .20.

(6) محمد البشير شنيّتي، الجزائر قراءة في جذور التاريخ وشواهد الحضارة، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2007، ص68.

(7) محمد الهادي حارش، التاريخ المغربي القديم...، ص74.

وذكر المؤرخ اليهودي جوزيف فلافيوس (Josephe Flavius) أن أصل التسمية يرجع إلى أفرين (Ophren) أحد حفدة إبراهيم عليه السلام الذي غزا ليبيا واحتلها، فاستوطنها حفدته، وأعطوا اسم أفريقيا لهذا البلد، ونجد رواية أخرى تذكر أن أفيراس (Aphéras) وجافراس (Japhras) اللذان سميا مينة بأفر (Aphara) والأرض بأفريقيا⁽¹⁾، أما عند المؤرخين العرب في العصور الوسطى منهم ابن خلدون فوجدوا بطلاً أسطورياً يدعى إفريقش (Africos) أخذت هذه المنطقة إسمه⁽²⁾.

وهناك من الباحثين المعاصرين من يذهب إلى القول أن مصطلح أفريقيا (Africa) مشتق من إفري (ifri) أو يفر⁽³⁾ التي تعني الكهف، والمغارة في المنطوق المحلي، المرتبط بجذر ليبي اشتقت منه مختلف الكلمات المتداولة في المنطقة، فالقاف في إفريقية وأفريقي وأفارقة نقل صوتي للاحق لاتيني (US) فأصبحت أفريقوس بمعنى الإفريقي، وحسب رأي (م.ح) فنظر فإن أصل التسمية محلي وأن مادة أفر ويفر تعود لأسماء قبائل ومدن كبني يفرن وقبيلة إفرن⁽⁴⁾.

بينما (م.ب) شنييتي فقد قال أن لفظ "أفري" كان مرادفا للفظ "ليبو" في أذهان الرومان الذين أشاعوا استعماله مثلما أشاع الإغريق قبلهم لفظ "ليبو"، وكثيرا ما نجد خطأ واختلافاً في النصوص بين اللفظين "ليبو" و"أفري"، فالشاعر هورانس مثلاً وصف حنبعل بالأفري، على الرغم من كون حنبعل قائداً قرطاجياً فينيقي الأصل وليس ليبيا⁽⁵⁾.

(1) Josèphe Flavius, Antiquités judaïques, I, XV

(2) ابن خلدون، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأعظم، ج6، مؤسسة جمال للطباعة والنشر، بيروت، 1979، ص89.

(3) هذا المدلول ذو الجذر الليبي والذي يعني المغارة ومنها سكان المغارات أو الغيران. للمزيد ينظر: محمد حسين فنطر، اللوبيون وحدة أم شتات قبائل وشعوب مختلفة، مجلة الدراسات الفينيقية البونية والآثار اللوبية، ع12، المعهد الوطني للتراث، 2002، ص44.

(4) محمد حسين فنطر، اللوبيون وحدة أم شتات قبائل وشعوب مختلفة، مجلة الدراسات الفينيقية البونية والآثار اللوبية، ع12، المعهد الوطني للتراث، 2002، ص44.

(5) محمد البشير شنييتي، قراءة في جذور، ص68.

يرى ستيفن غزال أن استعمال الرومان لمصطلح أفريكاوس (Africus) كان قبل أن تسقط قرطاجة، كما أن أفريكانوس (Africanus) والمشتق منها، قد أطلق لقبًا على سكييون القديم الذي عرف بسكييون الإفريقي عند نهاية القرن الثالث قبل الميلاد⁽¹⁾.

وبتتبع التطور التاريخي لهذا الإصطلاح نجد أن بدايته تعود إلى الكتاب الرومان، الذين أطلقوه على الأراضي التي احتلها الرومان بعد تدمير قرطاجة سنة 146 ق. م فسموها⁽²⁾ (Provincia Africa)، أو أفريكا وهو اختصار لتعبير الولاية الإفريقية، الذي أصبح في سنة 46 ق.م يمتد إلى الولاية التي أنشأها يوليوس قيصر (Jules César) بعد استيلائه على مملكة يوبا الأول (Africa Nova) تمييزا لها عن المقاطعة القديمة (Africa Vetus) ومنذ ذلك الحين فإن "أفريكا" بالمعنى الإداري، امتدت حدودها من نهر أمباسقا (Ampasga) (الوادي الكبير) غربا إلى معابد فيلاني (السيرت الكبير) شرقا⁽³⁾. هاتان المقاطعتان اللتان دمجتا العام 27 ق.م وأخذتا تسمية إفريقية البروقنصلية، ثم بدأ اسم المقاطعة يتوسّع ليشمل الشمال الإفريقي من طرابلس إلى المحيط الأطلسي، حتى أصبح يُطلق على كل القارة عوض اسم ليبيا عند الإغريق قديما⁽⁴⁾.

وعلى العموم فإفريقية اسم جغرافي أطلق على شمال قارة إفريقيا، واستعمال هذا المصطلح مرتبط بالعصور القديمة خاصة الرومانية ثم البيزنطية، إذ تغيرت تسمية المنطقة عند الفتح الإسلامي ليعرف بالمغرب والسكان بالبربر⁽⁵⁾.

وفي الأخير يمكننا القول أن سكان المغرب القديم ليسوا هم الذين أطلقوا على أنفسهم هاذين الاسمين " ليو - أفري " حتى وإن كان المصطلحان محلًا للدلالة، لأنهما أطلقا عليهم من طرف غيرهم من الأقوام (إغريق أو رومان)، فالسكان المحليون في القديم كانوا يعرفون

(1) ستيفن غزال، تاريخ شمال أفريقيا القديم، تر: محمد التازي سعود، ج7، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 2007، ص 7-8.

(2) Decret. F et. Fantar .M.H, Op.cit, p .24 ; Kotula.T et Peyras.J, Afri, Encyc. Berb, 2, Aix-en-Provence, Edisud, 1985, p. 208-215.

(3) ستيفن غزال، ج7، المرجع السابق، ص9.

(4) Decret. F et. Fantar .M.H, Op.cit, p.24.

(5) محمد حسين فنطر، اللوبيون، ص44.

عن بعضهم البعض بأسماء قبائلهم وعشائرتهم، وإنتماءاتهم الإقليمية مثل النوميدي والموري والجرمي والجيتولي وغير ذلك⁽¹⁾.

2. التسميات التي أطلقت على ساكنة المغرب القديم:

عرفت الربوع الممتدة بين السرت الأكبر والمحيط الأطلسي باسم لوبة، هكذا سمتها النصوص المصرية الفرعونية والإغريقية، وأشار القدماء إلى سكانها باسم عرقي هو اللوبيون.
1.2 الليبيون:

التسميات التي أطلقت على ساكني بلاد المغرب القديم كلها جاءت في المصادر القديمة، وهي أجنبية بداية من النصوص الهيروغليفية المصرية، كما وردت في التوراة، وكذلك في النصوص الإغريقية كما وثقته النقوش البونيقية، وبالمقابل نجد غياباً تاماً لها في المصادر المحلية التي تميزت بالندرة. تذكر هذه النصوص معلومات دقيقة ذات أهمية تاريخية وإثنوغرافية متعلقة بالليبيين (كأسماء الشخصيات، ملامحهم، ملابسهم وأدواتهم وأسلحتهم).

من أقدم التسميات التي عرف بها المغاربة القدماء هي لفظ "ريبو" أو "ليبو" بتبادل بين الراء واللام فـ"ريبو" اسم عرقي، عرف به الليبيون في الكتابات المصرية القديمة منذ الألف الثالثة قبل الميلاد الذي تظهره لوحة نعرمر (Narmar)، كما أشارت مصادر فرعونية أخرى إلى الريبو خلال الألف الثانية قبل الميلاد (القرن الثالث عشر قبل الميلاد)⁽²⁾. فبالنسبة للمصريين القدامى كانت ليبيا هي أرض الغرب، وإليها ينسبون منذ فجر التاريخ القبائل الليبية ودونوا أسماءها في آثارهم.

والغرب هو ما يقع مباشرة غرب وادي النيل، ويمتد حتى المحيط الأطلسي⁽³⁾، تلك القبائل تقوم بمهاجمة أراضي المصريين من حين لآخر فيقوم الفراعنة بصدّها، فهي كانت تمارس ضغوطاً على بلاد النيل، وقد بينت مختلف المعطيات التاريخية عن تلك العلاقة، وتجذرّها بين مصر واللوبيين والتي تناوبت بين العلاقات الحربية حيناً والسلمية حيناً آخر⁽⁴⁾.

(1) محمد البشير شنيقي، الجزائر قراءة في، ص 69.

(2) محمد حسين فنطر، من هم أسلافنا الأوائل، الجزائر النوميديّة، الجزائر، 2007، ص 16.

(3) فرج محمود الراشدي، المرجع السابق، ص 4.

(4) محمد حسين فنطر، من هم أسلافنا، ص 16.

وردت تسميات أخرى في النصوص الهيروغليفية منها التحو، التحنو، الريو، المشاوش، غير أن عبارة ليو كانت أكثر التسميات شيوعا والتي انتقلت إلى الإغريق⁽¹⁾.

أطلق هيرودوت اسم ليبيا على كل القارة، واسم الليبين على أهل المنطقة القاطنين على طول سواحلها الشمالية من مصر حتى المحيط الأطلسي، فيذكر أن كل أجزاء ليبيا الممتدة طول البحر الشمالي من مصر حتى رأس صولويس (Solois)، وهو أقصى نقطة تسكنه مختلف القبائل الليبية إلا بعض أجزائه التي يسكنها الفينيقيون والإغريق، أما منطقة جنوب الساحل فتحفل بالوحوش الضارية، وإذا تجاوزها المرء كانت المنطقة الصحراوية⁽²⁾. ومن هذا النص نجد أن هيرودوت يقف على ثلاث مجموعات بشرية تتمثل الأولى في الليبين وهم السكان الأوائل للمنطقة.

وفي موضع آخر يقول: "... هؤلاء هم الليبيون الذين نستطيع تسميتهم. وأكثر هؤلاء لا يعيرون ملك الميديين أي اهتمام لا الآن ولا في الوقت السابق. الأمر الذي أريد قوله حول هذه البلاد هو أنه تسكنها أربع أمم وليس أكثر من ذلك حسبنا نعرف. إثنان من الأمم محليتان والإثنان الأخريان ليستا محليتين، سكنت اثنتان شمال ليبيا واثنتان جنوبها. فالليبيون والإثيوبيون محليون، أما الفينيقيون والإغريق فهم غرباء قادمون من أماكن أخرى"⁽³⁾.

إن دراستنا لهذه الفقرات تبين لنا مختلف الشعوب التي تواجدت بالمنطقة وهي أربع: ليبيون وإثيوبيون المحليتان، فنيقيون وإغريق الأجنيبتان، في فقراته التي سبقت هذه الفقرة من 168-197 ذكر هيرودوت أن كل أجزاء ليبيا الممتدة طول البحر الشمالي من مصر حتى رأس صولويس تسكنه مختلف القبائل الليبية إلا بعض أجزائه التي يسكنها الفينيقيين والإغريق⁽⁴⁾.

تدل رؤية هيرودوت على وجود إثنية لسكان لوبا(ليبيا) من مصر للمحيط الأطلسي فهو يبين أنهم ينسبون إلى العرق اللوبي باستثناء الفينيقيين والإغريق الدخلاء، فواضح أن

(1) Bates. O, Op.cit, p.40.

(2) Hérodote, II,32,

(3) Ibid. IV.197.

(4) هيرودوت: تاريخ هيرودوت، تر عبد الإله الملاح، المجمع الثقافي أبوظبي الإمارات العربية المتحدة، 2001، ص147.

اسم ليبيا يشير إلى ربوع المغرب، وهي بلاد اللوبيين على تعدد شعوبهم وقبائلهم، وعلى اختلافها أحيانا من حيث طرق العيش⁽¹⁾، وبعض العادات والتقاليد والممارسات اليومية⁽²⁾. كما نجد ذكرا لمصطلح اللوبيين لدى كتاب ومؤرخين وجغرافيين من غير هيرودوت منهم بوليبيوس (Polybe) الذي قصد بالليبيين السكان الخاضعين لقرطاجة⁽³⁾، وديودور الصقلي (Diodore Sicile) الذي تحدث في الفقرة 49 من كتابه الثالث عن ليبيا والقبائل الليبية، وعن الكثير من الظواهر الطبيعية خاصة الغربية منها⁽⁴⁾، بالإضافة لسترابون⁽⁵⁾ الذي أشار لقلة المعلومات التي توفرت لديه حول الموضوع وأرجع ذلك الى ندرة المصادر الموثوقة، وإلى صعوبة تصديق ما يروى حول هذه البلاد⁽⁶⁾، وغيرهم من المؤرخين والجغرافيين الإغريق كثير.

أما في المصادر اللاتينية أورد ساليستوس في كتابه حرب يوغرطة رواية عن سكان المغرب القديم جاء فيها: "... يتمثل السكان الأوائل لإفريقيا في الجيتوليين والليبيين وهم عمالقة متوحشون يتغذون على لحوم الحيوانات الضارية، وأعلى الأعشاب في شكل مجموعات لا يحكمهم عرف ولا قانون ولا زعيم، يعيشون متجولين مغامرين لا يتوقفون إلا عندما يداهمهم الليل"⁽⁷⁾، من نص ساليستوس نجد أن ليبيا لم تكن مأهولة بالليبيين فقط، بل وجدت أقوام

(1) تحدث المؤرخون والجغرافيون القدامى عن الشعوب اللوبية وقبائلهم ذاكرين أسماءهم واصفين أساليب عيشهم وتقاليدهم، فهم رعاة مزارعون يتعاطون تربية الحيوان والزراعة في الواحات. فهيرودوت مثلا لم يفرق بين هذه المجموعات الليبية من حيث الجنس وإنما من حيث اختلاف نوع حياة كل منها عن الأخرى، مايسمى بمعلومات الأنماط (حسب مواردهم الاقتصادية)، فقسمهم الى صنفين بدو رعاة وزراع مستقرون إعتادا على طبيعة بلادهم الجغرافية. ينظر هيرودوت IV 191.

(2) محمد حسين فنطر، من هم أسلافنا، ص16.

(3) Polybius, Histoire générale, traduction: M. Félix bouchot, adolphe delahays libraire, Paris, 1847. I. 77.

(4) Diodore de sicile, bibliothèque historique, trad par Miot AF, paris : Librairie de Hachette, 1917, III, 49.

(5) يقول سترابون في كتابه الثاني من الجغرافيا "...إن معظم الشعوب التي تقطن لوبية مجهولة وأن جزءا صغير فقط من هذه البلاد غزا بعضهم بقوة السلاح، أو زاره بعض الرحالة الأجانب، وأن الأهالي لم يزروا منهم سوى النادر، كما أنهم لا يرغبون في الإدلاء بكل شيء عن بلادهم، ثم إنه لا يوثق في كل ما يقولون" ينظر محمد البشير شنيقي، نوميديا وروما الإمبراطورية تحولات اقتصادية واجتماعية في ظل الاحتلال، ط1، دار كنوز الحكمة، الجزائر، 2012، ص192.

(6) نفسه، ص192.

(7) Salluste, Jugurtha, XVII.

أخرى تمثلت في الجيتوليين، كما نلاحظ من خلال نصه هذا تلك النظرة العنصرية التي عرف بها ساليستوس ضد الليبيين.

تحدث كتاب لاتين آخرون عن ليبيا والليبيين فبلين الأكبر إستخدم هذا المصطلح للإشارة إلى سكان شمال إفريقيا على أنهم أفريقيون وليبيون عاشوا وفق نظام قبلي واحد، كما يصف بالليبية المنتجات الحيوانية والنباتية في ليبيا⁽¹⁾.

ما يمكننا استخلاصه أن تسمية ليبيا قد اشتقت بادئ الأمر من اسم قبيلة الريبو-الليبو التي كانت تقطن غرب النيل، ونتيجة احتكاكها المباشر بالمصريين القدماء عمم الاسم على كامل القبائل التي استوطنت على الحدود الغربية لمصر، ليأتي الإغريق ونخص بالذكر هيرودوت ويعمموا التسمية على كل سكان شمال القارة والصحراء، وحتى المنطقة الجغرافية فعرفوا بالليبيين وليبيا.

2.2. الإفريقيون:

ومنذ أواخر القرن الثالث قبل الميلاد بدأ تراجع استعمال تسمية ليبيا، والليبيين ليستبدل بتسمية جديدة هي إفريقيا والأفريقيون، وهي التسمية التي استعملها الرومان، وأطلقوها في البداية على الأراضي القرطاجية بعد الإستيلاء عليها العام 146 ق.م، ليتسع مدلول التسمية تدريجيا ليشمل كل الشمال الإفريقي من طرابلس حتى المحيط الأطلسي، ثم كل القارة الإفريقية بعد ذلك⁽²⁾.

غير أن هذا لا يعني أن أهل البلاد كانوا يطلقون على أنفسهم مصطلح "إفريقي"، الراجح أنها تسمية أطلقت بالأساس على الأفراد المندمجين مع الحضارة الرومانية، سواء كانوا سكانا محليين أو وافدين، ذلك أن أهل البلاد المغاربية كانوا يعرفون أنفسهم بأسماء قبائلهم وعشائرتهم وإنتماأتهم الإقليمية كالنوميدي والموري، الجرمي والجيتولي وغيرها من الأسماء الكثيرة⁽³⁾.

(1) Pline L'Ancien, XIII,24, XIV,3.

(2) Decret. F et. Fantar .M.H, Op.cit, p.24.

(3) محمد البشير شنيقي، الجزائر قراءة، ص 69.

حتى أولئك الذين اندمجوا مع الحضارة الرومانية حافظوا على انتمائهم القبلي الأصلي، فهذا فرونتون السيرتي (Fronton)⁽¹⁾ الذي عاش في القرن الثاني الميلادي، والمولود بنوميديا فكان فخورا بأصوله الليبية النوميديّة. ومثله أبوليوس (Apuleius)⁽²⁾ المترومن يعتز بموطنه فيعرف بنفسه قائلا " بأنه نصف نوميدي ونصف جيتولي"⁽³⁾. وما نخلص له أن تسمية "الإفريقيون" وظفها المؤرخون والجغرافيون الرومان لوصف ساكني المغرب القديم سياسيا وإداريا.

3.2. البربر:

من الأسماء الأكثر شيوعا تلك التي أطلقت على سكان شمال إفريقيا المحليين في العصور الإسلامية، وهي عبارة "بربر" التي أصبحت اسم علم موازيا للفظي ليبو وأفري، شاع استعمالها فكانت بديلة لما سبقها من التسميات، وانفردت بالدلالة الأكثر شمولية من غيرها⁽⁴⁾.

(1) فرنطون السيرتي: Marcus Cornelius Fronton (95-166م) ولد بسيرتا (كيرتا) وتخرج منها نشر الأدبيات والمراسلات باللغة اللاتينية، كان معلما لإمبراطورين ماركوس أورليوس ولوكيوس فيروس. من فحول الخطابة والبيان حصل على شهرة كبيرة في ميدان الأدب، وقد عد فريد عصره ومن أكبر فناني عصره. للمزيد ينظر: =

=Paul Monceau , Les auteurs latins d 'afrique ,étude sur lalittérature latine d'Afrique, Paris,1894, p82.

(2) أبوليوس: الكاتب الروائي أبولي (Apuleé) (125-170م) أو أبولو ديمادور (المداورشي) Lucius Apuleius Theseus هو محامي وفيلسوف وطبيب مغربي، ولد بمداوروش سنة 125م من عائلة أرسقراطية عرف بنبوغه النادر وشغفه بالفلسفة كان فنانا رقيقا وخطيبا بليغا قوي اللسان خصبا في إيجاد الألفاظ وابتكار المعاني، كان يعتز بموطنه يقول عن نفسه: بأنه نصف نوميدي ونصف جيتولي، أول روائي في التاريخ اشتهر بكتابه التحولات (المسوخ) Metamorphoseon او الحمار الذهبي Asinus aureus الذي ألفه حوالي 170م أول رواية نثرية باللغة اللاتينية، للمزيد عن أبوليس ينظر : لوكيوس أبوليوس، الحمار الذهبي أول رواية في التاريخ، تر: أبو العيد دودو)، و الدفاع Apologia. ألف كتب عديدة منها التي لخص فيها فلسفة أفلاطون كما له كتاب في الحساب وآخر في علم الفلك، كتب في علم النبات والفلاحة، في الفيزياء، وهكذا يعتبر أبوليوس نموذجا لشخصية المثقف المغربي. للمزيد ينظر:

Paul Monceau, Op.cit, p.265.

(3) جيلبار شارل بيكار، حضارة شمال أفريقيا (تريبوليتانيا-البروقنصلية-نوميديا-موريتانيا) خلال الفترة الرومانية، تر: العربي عقون، ط1، دار المثقف للنشر والتوزيع، الجزائر، 2020، ص110.

(4) محمد البشير شنيقي، الجزائر قراءة، ص69.

فُتِح نقاش كبير بين المؤرخين حول أصل، ومعنى هذه التسمية فأعادها بعض المؤرخون العرب إلى الجد المشترك اسمه بر⁽¹⁾ (Ber)⁽²⁾، بينما أعاده آخرون من أمثال الطبري والمسعودي وابن خلدون⁽³⁾، إلى إفريقش الفاتح الأسطوري-ملك التبابعة- الذي غزى بلاد المغرب، وعندما حل بها لم يفهم لغة وهمهمات السكان الأصليين فصرح قائلاً ما أكثر بربرتكم، وهي تعني الجلبة والرطانة واختلاط الأصوات بكلام غير مفهوم⁽⁴⁾ فقال فيهم:

بَرْبَرَت كَنَعَان لَمَّا سَقَتْهَا مِنْ أَرَاظِي الضَّنْكَ لِلْعَيْشِ الرَغِيدِ

وإذا كان المؤرخون والجغرافيون العرب هم الذين نشروا اسم البربر على سكان المغرب الأصليين وبالأخص أولئك الذين ضلوا خارجين عن الحضارة الرومانية ثم البيزنطية، فإن اشتقاق الاسم مرتبط بكلمة لاتينية سنحاول تتبع جذورها.

يقول (م.ب) شنيطي: لو تفحصنا اللغة الليبية القديمة وكذلك النصوص الفينيقية والإغريقية واللاتينية فإننا لا نعثر فيها على ما يشير مباشرة إلى أن المصطلح عرف قديماً، لكننا نجد في وثائق ونصوص لاتينية ألفاظاً قريبة من لفظ بربري، فالمصطلح أطلقه الرومان وحتى البيزنطيين على قبيلة أو مجموعة قبائل ناصبتهم العداء⁽⁵⁾، كلفظ بوار⁽⁶⁾ أو ببار (Bavar) الذي ورد في كثير من النصوص والنقوش اللاتينية، وكذلك عند المؤرخ البزنطي بروكوب الذي ذكرها بصيغة بربار (Barbar) في صيغة الجمع ولم يرد في صيغة الفرد بارباروس (Barbarus) وقصد به الأشخاص غير المتعلمين، الذين ينتمون إلى جماعات

(1) هو بر بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار، تذكر الرواية أنه تزوج ابنة ويسبب عداوة إخوته له فر بها وانتقل إلى شمال إفريقيا، ومنها تناقل الناس كلمة بربري أي فر بر إلى البراري. للمزيد ينظر: عبد الرحمان ابن خلدون، ديوان المبتدأ، ج6، ص176.

(2) محمد العربي عقون، في أصول البربر، ص197.

(3) Carette, E, Op. Cit, p.17-18.

(4) عبد الرحمان بن خلدون، المرجع السابق، ص117.

(5) محمد البشير شنيطي، الجزائر قراءة، ص69.

(6) البوار: اسم قبيلة عرفت في المغرب الروماني اشتهرت بعداها للرومان خاصة خلال القرنين الثالث والرابع ميلادي، وسنتطرق لها بأكثر تفصيل في الفصول اللاحقة.

قاطنة خارج حدود المدينة الرومانية "أوربس"؛ أي الأجانب بالمعنى السياسي والحضاري، وعليه فلفظ باربار الذي كان شائع الاستعمال في الفترة الرومانية والبيزنطية قصدوا به المجموعات البشرية المحلية الخارجية عن سيطرتهم، ومنه انتقل إلى اللغة العربية⁽¹⁾.

إذا فالمصطلح لم يستخدم من قبل المؤرخين الرومانيين للدلالة على السكان الأوائل للمغرب القديم بل وظف للدلالة على كل من يعيش خارج الحدود الرومانية وغير مندمج في حضارتها، ويمكن اعتبار بداية الفتح الإسلامي للمنطقة سنة 647م، منطلقا لاصطلاح البربر بالنسبة للعرب كإشارة لجماعة إثنية⁽²⁾.

يستخلص من كل ما أوردناه أن تسمية البربر هي تسمية مستوردة أطلقها الآخر (رومان - بزنطيين - عرب)، وليست نابعة من واقع السكان الأصليين، كما أنها تبقى مفتقرة للدقة والمعنى الأصلي، ويبقى السكان المحليون للمغرب يفضلون تسمية أمازيغ.

4.2. الأمازيغ:

لفظ أطلقه المغاربة القدماء على أنفسهم وجمعه "إيمازيغن" ومؤنثه "تمازيغت"⁽³⁾، ولفظ في اللغة المحلية معنى عظيم: "نبيل" و"حر" ومنه جاء معنى "الرجال الأحرار"، أو "الرجال النبلاء"⁽⁴⁾، في اللهجات المحلية المنحدرة من اللغة الليبية القديمة فهو ليس مشتقا من اسم علم⁽⁵⁾، يرى قبريال كامبس أنه الاسم الحقيقي لسكان المغرب وذلك راجع لجذر هذا المصطلح (M.Z.G) أو (M.Z.K) الذي نجده في العديد من أسماء القبائل وفي عدة مناطق من بلاد المغرب⁽⁶⁾، فذكرهم المؤرخ الإغريقي هيكاتي (القرن السادس ق.م) باسم المازييس (Mazyces)، وذكرهم هيرودوت باسم الماكسيس (Maxyes)⁽⁷⁾، أما المؤرخون

(1) محمد البشير شنييتي، الجزائر قراءة، ص 70.

(2) Decret. F et. Fantar .M.H, Op.cit. p.27.

(3) شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص 12.

(4) De Saint Martin, V, Le nord de l'Afrique dans l'antiquité grecque et romaine : étude historique et Géographique, Imprimerie Impériale, Paris ,1863, p.407.

(5) محمد البشير شنييتي، الجزائر قراءة في، ص 70.

(6) Bates.O, Op.cit. P.42.

(7) Hérodote, IV,191.

اللاتين فقد ورد الاسم عندهم محرفا كالمازيس (Mazices) ومازاس (Mazaces) ومازازس (Mazazeces)⁽¹⁾، في حين جاء باسم المشوش في الكتابات النقوشية المصرية⁽²⁾، وتحفظ تسميات إيموشاغ (Imusagh) غربي الفزان وإماجيكن (Imagughen) في الأبير، وإمازيغن في الأوراس، والريف والأطلس الأعلى بهذا الاسم⁽³⁾، ويطلق على ساكنة الصحراء الوسطى الذين يعرفون بالطوارق على أنفسهم إيموشار (Imoshar) أو إيموشاغ (Amôchagh بصيغة المفرد)⁽⁴⁾. وهي مصطلحات لها جذع واحد هو (Mazik) الذي يتوافق مع مازيغ (Mazig)(ينظر الجدول رقم 1).

بالنسبة لمؤرخي الفترة الإسلامية فمصطلح أمازيغ لم يظهر كاسم إثني فابن خلدون أرجع أصل تسمية سكان المغرب إلى أبيهم مازيغ بن كنعان بن حام بن نوح عليه السلام⁽⁵⁾، فهو اسم لسلفهم.

ويمكننا القول أن تسمية المازيس هي مجرد تسمية لقبيلة ليبية وليست لكل الليبيين ولا يوجد أي سند يسمح بتعميم التسمية على كل القبائل، حسب (م.ب) شنييتي فرغم إشتقاقاتها اللفظية المبينة إلا أنها لم تستعمل في العصور القديمة للدلالة على الأقوام والشعوب التي استوطنت بلاد المغرب آنذاك⁽⁶⁾. وتسمية أمازيغ هي من وضع المغاربة أنفسهم، ظهرت في العقود الأخيرة كبديل لتسمية البربر التي أطلقها عليهم الآخر.

المنطقة	الاسم	المصدر
ليبيا	مازييس Mazyes	هيكاتوس
تونس الجنوبية	ماكسي Maxyes	Hérodote.IV.191-193
تونس الجنوبية	مازييسي Mazicei	كتاب الأجيال Liber generationis

(1) حيث ذكرهم لدى كتاب ومؤرخي وشعراء العصر الإمبراطوري كبطليموس، وأميان وماركولان ويوليوس هونوريوس، غير أننا نسجل غياب لهذا الاسم لدى ميلا وسترابون وبلين.

(2) قابريال كامبس، البربر ذاكرة وهوية، ص 127.

(3) المرجع نفسه، ص 127؛ قابريال كامبس، ماسينسا وبداية التاريخ، ص 38.

(4) De Saint Martin, V, Op.cit, p.407.

(5) عبد الرحمان ابن خلدون، المرجع السابق، ص 117.

(6) محمد البشير شنييتي، الجزائر قراءة في، ص 70.

Justin.XVIII.6.1	ماكسيتاني Maxitani	قرطاجة
Liste de vérone قائمة فيرون	مازازاس Mazazeces	موريطانيا
Ammien Marcellin.XXIX.V.17	مازيس Mazices	جنوبي شرشال
, G.I.m, 8Iulius Honorius, A4 54.-p53	مازيس Mazices	موريطانيا القيصرية
بطليموس، IV، 2، 5	مازيس Mazices	موريطانيا الطنجية
CIL.VIII.2786	مازيس Mazices	//
CIL.VIII.9613	مازيس Mazices	مليانة
Corippus. Joh,I .579	مازاكس Mazax	//

جدول رقم 1: أشكال واسم المازيس في النصوص الكتابية والإيبغرافية، غابريال كامبس، ماسينيسا...، ص ص 39-42.

هناك تسمية أخرى أطلقت على ساكني جزء من المغرب القديم وفي فترات معينة، "الليو-فينيقيون": والمصطلح لم يستعمل كثيرا لدى الكتاب الإغريق، بينما لدى الكتاب اللاتين استعماله كان أندر فكما سبق الإشارة إليه فإنهم يسمون سكان المغرب القديم بأفري (Afri)، ونجد ثلاث استعمالات لمصطلح ليو-فينيقي في الأدب اللاتيني: الأول تيتيوس ليفيوس الذي استعملها مرتين للحديث عن شعب مختلط الأجناس⁽¹⁾، وأيده في ذلك ديودور الصقلي⁽²⁾، واستعملها بلين مرة واحدة عندما سمى سكان بيزاسيوم⁽³⁾.

يظهر أن تسميات عديدة أطلقت على منطقة المغرب القديم، منها ليبيا التي أطلقها المصريون القدامى على الأقوام التي جاورتهم من الجهة الغربية، والتي وسع الإغريق من

(1) Tite Live, Histoire romaine, éd. Les belles lettres, Paris, 1940-2005, Liv.21.22.3, et 25.40.5.

(2) Diodore de sicile, 17.32, 16, 4.

(3) Plin L'Ancien, V. III.2.

استعماله، ثم منذ أواخر القرن الثاني قبل الميلاد استخدمت تسمية إفريقيا التي أطلقها الرومان على أملاك الدولة القرطاجية في البداية ليتوسع مدلولها بعد ذلك لتشمل كل القارة. كما أطلق الرومان أيضا تسمية البربر على سكان المنطقة الرافضين لسيطرتهم، وامتد مدلولها إلى البلاد التي سكنوها، وبهذا فليبيا أو لوبة و شمال إفريقيا وأفريكا وبلاد البربر والمغرب القديم كلها ذات مدلول واحد.

إلى جانب المصطلحات هناك مصطلحات أخرى كانت في الأصل أسماء لقبائل اجتمعت في القرنين الثالث والثاني قبل الميلاد مكونة اتحادات، أو كونفدراليات قبلية كبرى صارت تطلق مع مرور الزمن على مجموع سكان هذه المنطقة ونذكر منها النوميديين والموريين.

ثالثا: أصل سكان المغرب القديم:

جعل الموقع المتميز لبلاد المغرب القديم وبحكم انتمائه لعالم حوض البحر المتوسط منه منطقة مثلى لاستقرار الجماعات البشرية، وجذب لمختلف الأجناس القاطنة على ضفتيه، فتواجدت به مجموعات بشرية مختلفة محلية كانت، أو وافدة ذكرتها المصادر الكتابية والأثرية. إن مسألة أصل سكان المغرب القديم معقدة ومتشعبة، تعددت وتضاربت آراء المؤرخين حولها باختلاف الإيديولوجيات، والعصور، والجهات التي ينتمي إليها مؤلفو تلك الروايات، لذلك أصبح الموضوع مصدر نقاش وجدال بين المؤرخين، والدارسين للمنطقة فتعددت الدراسات وتضاربت الافتراضات والنظريات. فمن هم سكان هذه البلاد؟ هل هم أصيلو المنطقة منذ حقب بعيدة؟ أم أنهم سكنوا المنطقة بعد هجرات قدمت من الشرق، أو حتى من الغرب؟

في لقي السؤال هذا راجا كبيرا في أوساط المؤرخين المحدثين خاصة رواد المدرسة الاستعمارية الفرنسية، الذين بالغوا في طرحه، والهدف من ذلك هو جعل هذه المنطقة بلدا شاغرا دون شعب، وأن الجميع فيه وافدون، وبالتالي ليس من حق أي أحد أن يزعم بأنه أصيل والآخرين دخلاء، وهو الأمر الذي جعل عقون(م،ع) يعلق على هذا الطرح من خلال قوله:

بأن مروجوا هذا السؤال لم يجدوا جهة من العالم إلا وافترضوا قدوم سكان المغرب القديم منها⁽¹⁾.

يجب على الباحث في موضوع ومسألة أصل سكان المغرب القديم وفي ظل الغموض الذي أفرزته الكتابات الغربية، أن يستعين ويستكمل عمله بالرجوع إلى المصادر سواء الأدبية أو الأثرية التي لها دور مهم للغاية.

1. روايات المؤرخين القدامى الإغريقية والرومانية:

في عنصرنا هذا سنورد روايات وأساطير بعض المؤرخين والإخباريين، والجغرافيين القدامى التي نسجت عن الأصول المختلفة لسكان المغرب القديم المتواجدة في هذا الجزء من حوض البحر المتوسط⁽²⁾، تحدثت المصادر الأدبية الكلاسيكية عن شعوب اللوبيين وقبائلهم، ذاكرين أسماءهم، واصفين أساليب عيشهم وتقاليدهم. وقد تميزت تلك النصوص التي تتناول تاريخ الشعوب خلال فترات التاريخ البعيدة⁽³⁾ بالندرة والإقتضاب، بل بالغموض في معظم الجوانب وخاصة ما تعلق بأصولهم تحديداً⁽⁴⁾. فيكاد يتفق هؤلاء الكتاب القدامى من الإغريق والرومان حول الأصل الأجنبي للسكان المحليين أو على الأقل لجزء منهم، وقد لجأ هؤلاء الدارسون أحيانا لسرد الأساطير لتبرير وجود بعض الملامح، والصفات التي بدت لهم غريبة عن المنطقة مثل الشعر الأشقر والعيون الزرقاء⁽⁵⁾.

1.1. رواية هيرودوت:

قبل الحديث عن روايته وجب التطرق لأقدم من تناول موضوع أصول السكان وهو هيكاتوس (Hecatus) الذي ذكر مدينة كوبوس (Cubos) التي أسسها الإغريق الأيونيين

(1) محمد العربي عقون، الإقتصاد والمجتمع في الشمال الإفريقي القديم، ديوان المطبوعات الجامعية بن عكنون، الجزائر، 2008، ص157.

(2) محمد بوكبوط، الممالك الأمازيغية في مواجهة التحديات صفحات من تاريخ الأمازيغ القديم، إصدارات مركز طارق بن زياد، المغرب، ص11.

(3) قابريال كامبس، ماسينسا وبداية التاريخ، ص13.

(4) محمد البشير شنيقي، نوميديا وروما الإمبراطورية، ص153.

(5) أم الخير العقون، المرجع السابق، ص60.

بالقرب من إحدى الهيونتين (هيبودياريتوس-بنزرت - Hippoo Diarrhytus - وهيوريحيوس-عنابة-Hippo Reguis) وهذا يعني أن أصل سكان المنطقة من اليونان⁽¹⁾. تناول هيرودوت الأقوام التي سكنت بلاد المغرب القديم في موضعين اثنين من مؤلفه التواريخ، ففي كتابه الثاني الفقرة 32: يذكر أن كل أجزاء ليبيا الممتدة على طول البحر الشمالي من مصر حتى رأس صولويس (Solois)، وهو أقصى نقطة تسكنه مختلف القبائل الليبية إلا بعض أجزائه التي يسكنها الفينيقيون الإغريق، أما المنطقة جنوب الساحل فتحفل بالوحوش الضارية، وإذا تجاوزها المرء كانت المنطقة الصحراوية⁽²⁾.

وفي كتابه الرابع الفقرة 197 قال: "هؤلاء هم الليبيون الذين نستطيع تسميتهم، وأكثر هؤلاء لا يعيرون ملك الميديين أي اهتمام لا الآن ولا في الوقت السابق. الأمر الذي أريد قوله حول هذه البلاد هو أنه يسكنها أربع أمم وليس أكثر من ذلك حسبما نعرف. اثنتان من الأمم محليتان واثنتان ليستا محليتين، سكنت اثنتان شمال ليبيا واثنتان جنوبها فالليبيون والإثيوبيون محليون، أما الفينيقيون والإغريق فهم غرباء قادمون من ماكن أخرى"⁽³⁾.

يعد هيرودوت الذي أطلق اسم ليبيا على كامل القارة أقدم المؤرخين الذين ميزوا بين السكان الأصليين وغير الأصليين، ففي هاذين الموضعين يميز هيرودوت بين السكان الأصليين والمهاجرين الذين قدموا من مناطق أخرى كالإغريق الذين استقروا ببرقة، والفينقيين المستقرين بقرطاجة وبعض المدن الساحلية. ويلاحظ أيضا أن هيرودوت ذكر لنا اللوبيين كوحدة عرقية، فهم أمة واحدة وإن تعددت القبائل، تجلت وحدتهم العرقية والحضارية هذه عندما يناظرهم بتلك الأقوام التي هاجرت إلى لوبة وأسست فيها مستوطنات (الفينقيين والإغريق)، ونلمس وحدة اللوبيين في عاداتهم وتقاليدهم ومعتقداتهم⁽⁴⁾.

لم يطرح هيرودوت قضية الأصول اللوبية بل ركز على القبيلة، ومجالها وتقاليدها ومعتقداتها⁽⁵⁾. إلا أنه أشار إلى بعض أصولها في فقرة واحدة (الفقرة 191) من تواريخه

(1) محمد العربي عقون، الإقتصاد والمجتمع، ص 187.

(2) Hérodote. II.32.

(3) Hérodote. IV.197.

(4) محمد حسين فنطر، اللوبيون وحدة أم شتات، ص 51.

(5) محمد حسين فنطر، من هم أسلافنا الليبيين، ص 19.

الكتاب الرابع، والتي انطلقت من البلاد التي على سواحل بحر إيجه⁽¹⁾، حيث قال بالأصل الطروادي (Τροίησ)(Troie)⁽²⁾ لقبيلة الماكسيس (Μάξυες)(Maxyes)⁽³⁾، وهم كما صنفهم هو نفسه معاشيا من المزارعين يعيشون غربي بحيرة تريتون(خليج قابس) فيذكر "...ويكون الماكسيس(الماكسوس) اسما لهم ويطيل هؤلاء شعر الجانب الأيمن من الرأس ويحلقون الجانب الأيسر، ويدهنون أجسامهم بصبغة معدنية حمراء، ويقول هؤلاء أنهم ينحدرون من نسل طروادة..."⁽⁴⁾.

وهذا الطرح القائل بالأصل الآسيوي لسكان المغرب (بعض القبائل) ليس وحيداً، فقول هيرودوت هذا يذكرنا بما جاء في أشعار فيرجيليوس الروماني حول رحلة الملك الضائع، "أوليس" العائد من حرب طروادة الذي نزل بشواطئ بلاد المغرب⁽⁵⁾، وهو طرح أسطوري وخرافي حاول من خلاله هيرودوت الربط بين شعوب البلاد الليبية وبعض سكان المناطق الإغريقية، فمن غير المعقول أن تجمع قبيلة بين الأصل الليبي المحلي والأصل الأجنبي⁽⁶⁾. استطاع هيرودوت أن يلامس الوحدة العرقية التي جمعت الليبيين القاطنين في الجزء الشمالي من البلاد، رغم إدخاله للأصل الطروادي(الإيجي-الإغريقي) لقبائل الماكسيس. حاول المؤرخون إيجاد عذر لطرح هيرودوت هذا، فمن المعلوم أن الإغريق والفينيقيين الذين استوطنوا بلاد المغرب القديم أقاموا على السواحل، ما دفع السكان الأصليين نحو المناطق الداخلية باستثناء هذه القبيلة التي تعرف عليها هيرودوت، أو سمع عن إقامتها على السواحل وهو ما دفع به إلى ضمها إلى عرق أجنبي⁽⁷⁾.

(1) ستيفن غزال، تاريخ إفريقيا الشمالية، ج1، ص19.

(2) **طروادة**: هي مدينة قديمة تقع في غرب تركيا على شط مضيق البوسفور، ازدهرت في الألف الثالث قبل الميلاد لها مكانة كبيرة في التاريخ.

(3) Moderan. Y, *Mythes d'origine des Berbères (ANTIQUITÉ ET MOYEN ÂGE)*, Ency berb [En ligne], 32 | 2010, document M152a, mis en ligne le 11 novembre 2020, p.5157.

(4) Hérodote. IV.191.

(5) محمد البشير شنيقي، الجزائر قراءة، ص59.

(6) سلوى بوشارب، أشكال التنظيمات الاجتماعية بالمغرب القديم من خلال المصادر الأدبية والمادية (دراسة في الأصول والتطور)، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، مج2، ع4، 2014، ص55.

(7) Gsell. St, Text Relatifs ..., Op. Cit, P113.

كما توجد روايات أخرى لمؤرخين آخرين قالت بالأصل الإيجي الإغريقي لسكان المغرب القديم، منها ما أورده المؤرخ ديودور الصقلي عن مدينة ميشلا أو مسكيلا (Mescela) أو مشالة (Μεσχέλα) (Meschela)، وهي مدينة يحتمل أنها شمال تقع غرب تونس أو شمال شرق الجزائر، وذلك أثناء حديثه عن حملة القائد الإغريقي أغاثوكليس (Agathocles) على السواحل القرطاجية سنة 310 ق.م⁽¹⁾، فديودور قال أن المدينة أسسها الإغريق العائدين من حرب طرواده⁽²⁾، وهي رواية شبيهة بما جاء به بلوتارك (Plutarque) الذي اعتمد في معلوماته على أحد أعمال الملك يوبا الثاني المفقودة، فذكر أن قسما من الموكنيين (الموسينيين) (Mycénien) والإغريق الألبين (Olbiens) تركهم هرقل (Héraklès) في إقليم طنجة (شمال موريطانيا الطنجية) خلال إحدى رحلاته⁽³⁾، كما وافقه الرأي بطليموس⁽⁴⁾ الذي ذكر رواية شبيهة برواية بلوتاك، حيث أكد على وجود مجموعة سكانية من أصل إغريقي كانت تقطن موريطانيا الطنجية وهم إغريق الموكيني (Muceni)⁽⁵⁾.

ونجد مؤرخًا إغريقيًا آخر وهو سترابون (القرن الأول ميلادي) الذي اعترف بقلة المعلومات التي توفرت لديه حول سكان المغرب القديم، وذلك راجع لندرة المصادر الموثوقة⁽⁶⁾ بقوله: "إن الشعوب التي تقطن ليبيا مجهولة، وأن جزءا ضئيلا فقط من هذه البلاد زاره بعضهم بالسلاح، أو ارتاده بعض الرحالة الأجانب، وأن الأهالي لم يزرنا منهم سوى النادر، كما أنهم لا يرغبون في الإدلاء بكل شيء عن بلادهم، ثم أنه لا يوثق في كل ما يقولون"⁽⁷⁾، وجاء سترابون بنظرة مغايرة، فهو يعتقد أن الموريين من الهنود الذين قدموا إلى ليبيا (المغرب القديم) مع هرقل الذي غزاها⁽⁸⁾، وورد لدى سترابون اسم الفاروسيين "...أما الفاروسيون... الذين يسكنون بجوار الإثيوبيين... ونادرا ما يتصل الفاروسيون

(1) قابريال كامبس، البربر ذاكرة، ص 61.

(2) Diodore de Sicile, XX, 57.

(3) Moderan. Y, Op.cit, p.5158.

(4) بطليموس، IV، I، 5.

(5) ستيفن غزال، تاريخ إفريقيا الشمالية، تر: محمد التازي سعود، ج 1، الرباط، 2007، ص 277.

(6) محمد البشير شنييتي، الجزائر قراءة، ص 58.

(7) Strabon, XVII, II, 5, 33.

(8) Ibid, XVII, II, 7.

بالموريين...⁽¹⁾، وقد حاول بعض المؤرخين المحدثين إثبات هذه الرواية ببراهين علم الوراثة، كما تتبّعوا أسماء الأماكن ومطابقتها لكنهم لم يصلوا إلى أي حقيقة علمية⁽²⁾، واعتبر غزال رواية سترابون خرافة ولا شيء يسوغ الاعتقاد بأن الهنود ساهموا في تعمير شمال إفريقيا بالسكان⁽³⁾.

إذا كان هيرودوت أول وأقدم المؤرخين الإغريق من اهتم بالقبائل الليبية وأخبره عنها تعد الأكثر تفصيلاً وغنى بالمعارف التاريخية خاصة حول الأعراق، والأنماط والمتمثلة في الخصائص الثقافية والاجتماعية، فإن ساليستوس يعد الأول بين الكتاب اللاتين الذين دونوا روايات، وأخباراً مفصلة تتعلق بأصول من عاصروه من المغاربة القدماء.

2.1 رواية ساليستوس:

تطرق ساليستوس في كتاباته "حرب يوغرطة" (*Bellum jugurthinum*) لمسألة أصول الليبيين (الإفريقيين)، وقد قال بالأصل الآسيوي (الهيرقولي)⁽⁴⁾ هو الآخر، وبنى رأيه هذا على ماورد في مصادر محلية تمثلت في الكتب البونيقية التي قيل بأنها كانت بحوزة الملك النوميدي هيمبسال الأول (*Hempsal*) (118 ق.م) من خلال عبارة (*qui regis Himpsalis*)⁽⁵⁾، الذي كان ملكاً لنوميديا في القرن الأول قبل الميلاد، وحفيد للملوك الذين عاصروا تدمير قرطاجة 146 ق.م، فصيغة المفعولين (*Génétif*) التي استعملها ساليستوس في قوله (*Ex libris puniceis qui regis Himpsalis decebantur*) تدل على كتب قرطاجية يملكها الملك هيمبسال، بمعنى أن المؤلف كان قرطاجياً⁽⁶⁾، وقد يكون هذا الملك

(1) Ibid, III,7.

(2) محمد العربي عقون، الإقتصاد، ص 189.

(3) ستيفن غزال، تاريخ إفريقيا الشمالية، ج 1، ص ص 270-271.

(4) حسب ساليستوس توغل الفرس والميديين والأرمن في بلاد المغرب القديم بعد موت هرقل.

(5) Moderan. Y, Op.cit, p. 5159.

(6) ستيفن غزال، تاريخ إفريقيا الشمالية، ج 1، ص 267.

هو من كتبها الذي عرف بسعة اطلاعه، ويقال أن مستنبل (Mastanabal) جده كان ذو ثقافة في الأدب الإغريقي، وحفيده يوبا الثاني كان كاتبًا إغريقيًا مشهورًا⁽¹⁾.

استطاع ساليستوس الإستفادة منها أثناء وجوده حاكمًا على مقاطعة نوميديا التي أقامها الرومان على أنقاض مملكة يوبا الأول العام 46 ق.م⁽²⁾، فأورد ساليستوس في كتابه حرب يوغرطة رواية عن سكان المغرب القديم جاء فيها: "... يتمثل السكان الأوائل لإفريقيا في الجيتول والليبيين وهم عمالقة متوحشون يتغذون على لحوم الحيوانات الضارية، أو على الأعشاب في شكل مجموعات لا يحكمهم عرف، ولا قانون ولا زعيم، يعيشون متجولين ومغامرين لا يتوقفون إلا عندما يداهمهم الليل.."⁽³⁾.

ميز ساليستوس ضمن سكان إفريقيا عمقًا ليبيًا وآخر جيتوليًا وهو بهذا أشار إلى العنصر المحلي، هؤلاء الذين امتزجوا حسبه دائمًا بأمم وافدة تشكلت من الأرمن (Arméniens) والميديين (Mèdes) والفرس (Perses) قيل أنهم من شتات جيش هرقل (Hercule) في إسبانيا⁽⁴⁾، فبعد وفاة هذا الأخير تشتتوا وهاجروا إلى إفريقيا أين اختلطوا بالسكان الأصليين⁽⁵⁾. فالميديون والأرمن اختلطوا بالليبيين الذين كانوا على الساحل الإفريقي ليشكلوا المور، أين أقاموا لأنفسهم مدنا وصاروا يتبادلون منتجاتهم مع إسبانيا، في المقابل اختلط الفرس مع الجيتول ومارسوا حياة الترحال، وعرفوا بالرحل (Nomades)⁽⁶⁾، غير أن قوتهم تزايدت وتمكنوا من بسط سيطرتهم على كامل البلاد حتى حدود قرطاجة وصاروا يعرفون باسم بالنوميديين (Numides)⁽⁷⁾.

(1) المرجع نفسه.

(2) محمد البشير شنيقي، الجزائر قراءة، ص 59.

(3) Salluste, XVIII.

(4) ستيفن غزال، تاريخ إفريقيا الشمالية، ج 1، ص 265.

(5) Salluste, XVIII.

(6) Ibid, XVIII.

(7) قابريال كامبس، البربر ذاكرة، ص 56.

ناقش المؤرخون المحدثون رواية ساليستوس هذه، فأندري جوليان ينفىها ويرى أن لا نصيب لها من الصحة⁽¹⁾، بينما يعتقد غزال(س) بأن ما جاء فيها أسطوري، ويتساءل لماذا البحث فيها بالرغم من غموض أحداثها، وتفاصيل ذلك الزحف العظيم الذي تغلغل في بلاد المغرب القديم من جهة الغرب(مضيق جبل طارق - أعمدة هيراقل-)⁽²⁾، في حين مؤرخون آخرون رأوا أن الهدف من وراء هذه الرواية هو تفسير اشتقاق أسماء الشعوب التي وجدت بالمنطقة، فإدخال الميديين (Medae) هو لتفسير اسم المور(Mauri) بعد تحريف الاسم من طرف الأهالي، والفرس (Persae) لتفسير اسم قبيلة الفاروزيين (Perorse)⁽³⁾. يقول كامبس عن سبب وجود اسم فرس في نص ساليستوس أننا نجد في كتاب بلين الأكبر إشارة عرضية يقول فيها: " الفاروزيون شعب يسكن جنوبي المغرب وكانوا في ما مضى فرسا، وهذا أيضا تشابه غامض أو تشابه في الاسم يبرر دون ريب نسبة الفاروزيين إلى الفرس" (Pline.V.45)⁽⁴⁾، أما اسم نوميد فالملحوظ أن نص ساليستوس قد وقع في الخطأ باعتماده على الشبه الكبير بين لفظي نوماد (Nomade)، ونوميد (Numid) اللذين قد يحملان المعنى نفسه وقد يختلفان، وحسب كامبس فقد كان وصف الكتاب الإغريق للنوميد خاطئ⁽⁵⁾.

بينما عقون (م.ع) فيتساءل باستغراب شديد عن وجود علاقة تجمع الفرس، والميديين بأعرق الاتحادات القبلية الليبية القديمة، النوميد والمور، وهو الإشكال الذي لم يجد له تفسيراً لا في المصادر الأدبية الأحادية النظرة ولا في الأدلة الأثرية المكتشفة لاحقاً⁽⁶⁾.

ويرى فنطر(م.ح) أن رواية ساليستوس يغلب عليها الطابع الخرافي الميثولوجي، مستدلاً في ذلك على ذكر البطل الإغريقي هيرقل، وجيشه الذي إنحل وتشتت بعد موته، فكأنها

(1) شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص71.

(2) ستيفن غزال، تاريخ إفريقيا الشمالية، ج1، ص270.

(3) محمد الهادي حارش، دراسات في تاريخ الجزائر الماضي والحاضر، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص18.

(4) قابريال كامبس، ماسينييسا وبداية، ص44.

(5) قابريال كامبس، البربر ذاكرة، ص129.

(6) محمد العربي عقون، الإقتصاد، ص187.

خرافة أخذت صداها مما حدث بعد موت الأسكندر المقدوني، ورغم ذلك يؤكد فنطر أن الخرافات الميثولوجية قد تحوي غالبا معطيات تاريخية وخاصة هنا باعتمادها على مصادر محلية، وكتب بونية حسب قول ساليستوس⁽¹⁾.

ويمكننا أن نستفيد من رواية ساليستوس بذلك سبق الذي منح لليبيين المستقرين والجيتول الرحل، وهو يتفق مع ما نقله من قبل هيرودوت الذي قسم الليبيين إلى شرقيين رحل وغربيين مستقرين، تفصل بينهما بحيرة تريتون، وهو تقسيم لا يقوم على أساس عرقي بل تم على أساس نمط المعيشة الذي هو وليد البيئة الجغرافية⁽²⁾.

في حين ذهب كامبس إلى ربط الليبيين والجيتول بشعوب ما قبل التاريخ، ومقابلة هذه الرواية بالمعطيات الأنثروبولوجية في موضوع أصول سكان المغرب القديم، فيذكر وجود سلالتين تتقاسمان البلاد المغاربية أواخر ما قبل التاريخ، بالأخص خلال عصر النيوليتي (العصر الحجري الحديث) وهما إنسان المشتى أفالو (الحضارة الإيبرومورية)، الذي كان امتداده تليا ساحليا، والإنسان القفصي (الما قبل متوسطي) الذي يشغل المناطق الداخلية التي ستصبح فيما بعد مناطق تنقل الجيتول⁽³⁾.

3.1. الأصول الشرقية:

ترجع الرواية هذه أصل سكان المغرب القديم إلى الأصول الشرقية السامية وهي مأخوذة عن مصادر شرقية قديمة. من تلك الروايات نجد إشارة المؤرخ اليهودي فلافيوس يوسيفوس (Flavius Josèphe) (Antiquités juives, I, 6, 2 et I, 15, 1)⁽⁴⁾ في نهاية القرن الأول ميلادي، الذي أتى بإشارة مختصرة جاءت أثناء تعليقه على الإصحاح العاشر من سفر التكوين، والتي تفترض أصلا شرقيا للجيتوليين⁽⁵⁾، أين تحدث عن خروج العبرانيين من مصر إلى فلسطين، ذاكرا أحد أبناء كوش وهو "إيلاس" (Euilas)، أب الإيويلايون

(1) محمد حسين فنطر، من هم أسلافنا الأوائل، ص 19.

(2) المرجع نفسه، ص 186.

(3) محمد الهادي حارش، دراسات في تاريخ الجزائر، ص 118-119.

(4) فلافيوس يوزيفوس: أديب ومؤرخ وعسكري يهودي عاش خلال القرن الأول للميلاد اشتهر بكتبه عن تاريخ اليهود، كتب عن التمرد اليهودي على الإمبراطورية الرومانية.

(5) ستيفن غزال، تاريخ إفريقيا الشمالية، ج 1، ص 271.

(Euilaioi) وهم الجيتول، بقوله أن إبراهيم (Ophren) استعمر ليبيا وأبناءه هم الذين أطلقوا اسم إفريقيا على الشمال الإفريقي⁽¹⁾، وفي رواية أخرى ذكر أن ابني إبراهيم "أفراس" (Aphras) و"جافراس" (Japhras) دخلا ليبيا مع هرقل، أين كانا مساعدين له، وأطلقا اسمهم على "مدينة دافري" وعلى كامل المنطقة تسمية إفريقيا⁽²⁾.
أ/ رواية القديس أغسطين⁽³⁾:

لدينا جملة بالغة الأهمية ورغم ايجازها حول الأصول الشرقية لسكان المغرب القديم تركه لنا "القديس أغسطين"، الذي يذكر في إحدى رسائله إلى روما مايلي: "...أسأل فلاحينا من يكونون، يجيبونك بالبنوقية نحن كنعانيون... متلفظيين بهذه العبارة محرفة عن أصلها بقلب الكاف شيئا"⁽⁴⁾، وهذا النطق معروف في اللغتين الكنعانية والليبية القديمة وحتى في بعض لهجات البربر اليوم، وإلى جانب النص المشار إليه سابقا، نجد في رسائل ومواظ القديس أغسطين إشارات تبين بأن هؤلاء النوميدي يتحدثون اللغة البنوقية، ولا يفهمون اللاتينية مما حتم على الوعاظ والمبشرين الاعتماد على المترجمين لإفهامهم ونشر المسيحية بينهم، كما يتم الحديث في أسقفية هيبون بالبنوقية⁽⁵⁾.

(1) محمد البشير شنيقي، أضواء على تاريخ الجزائر القديم (أبحاث ودراسات)، دار الحكمة، الجزائر، 2003، ص 149-150; Moderan. Y, Op.cit, p.5160

(2) Moderan. Y, Op.cit, p. 5160.

(3) القديس أغسطين: أوروليوس أغسطينوس Aurelies gustianus ولد في نوفمبر 345م بمدينة تاغاست Tagast (سوق أهراس حاليا) من أسرة متوسطة، الأب باتريسيوس مجند في الجيش الروماني ويدين بالوثنية وأمه مونيكاً وهي مسيحية، تعلم مراحل الأولى في مسقط رأسه، ثم انتقل إلى مداورش، ثم أرسل إلى قرطاج ومنها ذهب إلى روما لإكمال تعليمه أين تأثر بالثقافة الإغريقية والرومانية، فدرس شعر هوميروس وتأثر بخطابات شيشرون، اعتنق المذهب المانوي قبل أن يعتنق المسيحية في الثانية والثلاثين من عمره 387م، شغل منصب عراف في هيبون (عنابة) ثم صار أسقفا للمدينة نفسها، توفي العام 430 م قبيل سقوط هذه المدينة في يد الوندال، خلف العديد من المؤلفات أهمها مدينة الإله، الإعتراقات، كتاب الثالوث. للمزيد ينظر: جوناثان هيل، تاريخ الفكر المسيحي، تر: إسكندر سليم، دار الكلمة، 2012، 84-86.

Mounir Bouchenaki, Augustin et l'africanité a partir des œuvres historique et de l'étude des sites de Thagaste, diHippone et de Carthage, Le philosophie Algerien Saint Augustin, Africanité et universalité, actes du premier colloque international, Annaba T1, haut conseil Islamique, 2004, p, 149- 151.

(4) القديس أوغسطين، الرسائل، نقلا عن محمد البشير شنيقي، الجزائر قراءة، ص 61.

(5) محمد البشير شنيقي، أضواء على تاريخ، ص 150.

الجملة هذه وعلى إيجازها كان لها تأثير واضح وواسع لدى المؤرخين، فتعددت قراءاتهم وآراءهم حول استعمالهم لها، فشنتي (م.ب) يرى بأن نص القديس أغسطين له أهمية كبيرة من الناحية التاريخية رغم كونه مقتضبا ومختصرا، حول الأصول المشرقية لسكانة المغرب القديم، أين بين احتفاظ النوميديين بانتسابهم إلى الكنعانيين بالشرق، وتمسكهم بلغة الأجداد (البونية أو البونيقية) رغم المحيط اللاتيني الذي ظل يحاصره منذ أكثر من خمسة قرون، وحسبه دائما أن هؤلاء القوم لم يدعوا لأنفسهم نسبا لأمم كان مجدها قائما بينهم كالأمة الرومانية أو اليونانية⁽¹⁾.

ويعتقد عقون (م.ع) أن العبارة الأغسطية "...نحن كنعانيون..."، محل نقاش طويل، متسائلا إن كان سكان أرياف هيبون لا يزالون يتكلمون لهجة بونية بعد أكثر من خمسة قرون من سقوط قرطاجة؟ وهو ما جعل البعض حسب رأيه يستنتج بأنها مثل كلمة عربي في أدبيات الاحتلال الفرنسي التي تعني كل سكان الشمال الإفريقي أي البربر، فهو يحمل النصوص القديمة مسؤولية الفكرة الكلاسيكية القائلة بأن العنصر الشرقي هو الذي عمّر بلاد المغرب القديم، وذلك بناءً على الطرح القائل بأن الشرق هو الموطن الأصلي للشعوب⁽²⁾.

ب/ رواية بروكوب:

تحدث بروكوب (Procop) صاحب آخر رواية خاصة بسكان بلاد المغرب القديم عند المؤرخين القدامى، والذي جاء إلى إفريقيا في القرن السادس الميلادي مع الحملة البيزنطية التي قادها بليزار (Bélisaire) وخليفته سولومون (Solomon) العام 533م، عن هجرة فينيقية نحو بلاد المغرب القديم بعد دخول العبرانيين بلاد الشام، فيقول بأن أصل المور كنعاني، حيث هاجروا إلى ليبيا واستقروا فيها بعد فتح أرض الميعاد من طرف يوشع ابن نون (Jousué)، وأسسوا فيها عدة مدن منها مدينة تيجيس ليستقروا فيها بعد أن حاولوا الاستقرار بمصر لكنهم وجدوها مكتظة بالسكان⁽³⁾. ويعتقد نفس المؤرخ في موقع آخر من

(1) المرجع نفسه، ص150.

(2) محمد العربي عقون، الإقتصاد والمجتمع، ص190.

(3) Procop, Histoire de la guerre des Vandales, II, 10, 22.

مؤلفه أن ليبيا قبل هؤلاء كانت أهلة بشعوب أخرى منذ عهود قديمة جدا، ينظر إليها على أنها الأصلية⁽¹⁾، لكن بروكوب لا يقول شيئا عن هؤلاء الأصليين⁽²⁾.

رواية بروكوب هذه شبيهة برواية ساليستوس بخصوص هجرات شرقية نحو بلاد المغرب القديم، وإن اختلفت الروايتان في مصدر هذه الهجرات إلا أنهما إتفقتا في الفصل بين فئتين من سكان المغرب، فئة الأهالي الأصليين المقيمين فيها منذ القدم، وفئة المهاجرين الذين وفدوا من الشرق، ويعتقد شنييتي (م.ب) أن رواية بروكوب هذه والمتأخرة عن رواية ساليستوس أكثر دقة لإعتمادها مصادر أكثر تنوعا وصدقا كالمصادر العبرية وكذلك النقش التذكاري⁽³⁾، حيث يذكر بروكوب: "...ولبت فيها خلفهم، ومازالوا يتكلمون لغة الفينقيين حتى اليوم، وأقاموا لهم حصنا في نوميديا بمدينة تيديس (Tigisis) (مدينة عين البرج التي تبعد عن جنوبي شرق قسنطينة بـ 50 كلم)...تنتصب مسلتان من حجر أبيض نقشت عليهما كتابه بأحرف فينيقية...تعني في لغة الفينقيين نحن الذين هربنا بعيدا من وجه الشرير (الصلعوك) يوشع (Jésus) ابن نافي (Navé)"⁽⁴⁾. "...وكان قد سكن ليبيا قوم أقاموا بها منذ عصور قديمة جدا، وكان ينظر إليهم على أنهم السكان المحليون...لاحقا الذين هاجروا من فينيقية مع ديدون (Didon)⁽⁵⁾⁽⁶⁾، جاءوا لملاقاة سكان ليبيا، الذين يعتبرونهم أقرباء لهم، وبموافقتهم سمحوا لهم بإقامة قرطاجة التي أقاموا بها، وبعد أن عظمت هذه المدينة وأصبحت كثيرة العدد، حاربت جيرانها الذين كانوا قد قدموا من فلسطين كما ذكرنا،

(1) Ibid, II, 10, 2.

(2) محمد الهادي حارش، دراسات في تاريخ الجزائر، ص 19.

(3) محمد البشير شنييتي، الجزائر قراءة، ص 62.

(4) Procop, II, 10, 22؛ ص 59؛ نقلا عن قابريال كامبس، البربر ذاكرة، ص 59؛

(5) ديدون (Didon): وهي الأميرة الصورية عليسة أو أليسا (Elissa)، لقبها الأهالي بديدون (الهاربة) بسبب رحلاتها العديدة؛ لأنها غادرت فينيقية هاربة من أخيها بغماليون (Pygmalion) ملك صور الذي قتل زوجها وعمها الكاهن عشباص (Acherbas)، متجهة رفقة مواطنيها المخلصين إلى جزيرة قبرص ومنها إلى إفريقية (سواحل ليبيا) أين أسست قرطاجة (قرد حدثت) عام 814 ق.م، وهي الأسطورة التي نقلها المؤرخ اللاتيني جوستان (Justin) من القرن الثاني وصاحب كتاب التاريخ العالمي. للمزيد ينظر: ستيفن غزال، تاريخ إفريقيا الشمالية، ج 1، ص 302-303.

(6) إميل فيليكس غوتيه، ماضي شمال أفريقيا، تر: هاشم الحسيني، مؤسسة تاولت الثقافية، 2010، ص 101، ص 72.

والذين يسمون حالياً بالمرور، وانتصروا عليهم في معارك عديدة، وأزاحوهم إلى أبعد حد ممكن عن قرطاجة⁽¹⁾.

ويرى نفس المؤرخ (شنيتي) دائماً أن الهجرات التي تحدث عنها بروكوب قد كانت في ظروف قهرية موضوعية منها الضغط العبري على فلسطين بعد حادثة الخروج من مصر، وظهور حركة شعوب البحر التي تسببت في إقلاق بلاد المشرق، ما أحدث تغيرات واضحة على الخريطة البشرية بالمنطقة، ثم مع التطور في صناعة الأسلحة الحديدية، وبناء السفن وركوب البحر دفع بالفينقيين المدفوعين من الداخل للبحث عن مجال تعويضي في بلاد المغرب⁽²⁾.

ينفي شارل أندري جوليان رواية بروكوب من خلال قوله أن لا أساس لها من الصحة، وهي صادرة عن بيئة يهودية متأثرة باليونانية وليس لها قيمة تاريخية⁽³⁾. وتبقى رواية بروكوب هذه الأكثر تداولاً، ونجد أثرها واضحاً عند المؤرخين المسلمين الأوائل، ولا يستبعد أن تكون مصادر الرواية العربية حول أصول البربر، على علاقة بالمصادر المسيحية واليهودية بعد أن أسلم الكثير منهم، أين نقلوا إلى العرب الكثير من المصادر سواءً كتابياً أو شفهاياً⁽⁴⁾. لقد استعرضنا مختلف النصوص القديمة (إغريقية ولاتينية) التي تناولت موضوع أصل السكان وزعمت وجود هجرات وتحركات إلى بلاد المغرب القديم.

2. رواية المؤرخون العرب:

تتفق جل روايات مؤرخي القرون الوسطى في طرحها لقضية الأصول، إذ تذهب كلها إلى القول بالأصل الشرقي لسكان بلاد المغرب غير أنها تختلف في الجد الذي ينتسب إليه

(1) Procop, II,10.

(2) محمد البشير شنيتي، الجزائر قراءة، ص 62.

(3) شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص 71.

(4) حفيظة لعياضي، المرجع السابق، ص 111.

أولئك السكان، فهناك من قال بأن أصلهم يعود إلى جدهم "إبراهيم" عليه السلام من "نقشان" ابنه، بينما قال آخرون أنهم من أصل يمني من أوزاغ اليمنية⁽¹⁾.

فالمسعودي (345هـ - 956م) قال "...البربر من أصل حميري فهم من بقايا الغساسنة والسكاسك وقبائل أخرى، هاجرت إلى المغرب واستقرت فيه بعد انهيار سد مأرب.."⁽²⁾، وكذلك البكري وابن الأثير الذين ساروا على أثر بروكوب وقالوا أن أصل سكان المغرب القديم من الشام، وأنهم طردوا من فلسطين أيام داود الذي قتل ملكهم جالوت⁽³⁾. وقد إستدلوا على رأيهم هذا بنص النقيشة السابقة الذكر التي عثر عليها بتيديدس (جنوب قسنطينة) والتي جاء فيها "...نحن الذين هربوا من الصعلوك يوشع بن نافي..."⁽⁴⁾.

أما ابن خلدون⁽⁵⁾، أورد في كتابه العبر وديوان المبتدأ والخبر وكذلك في مقدمته عددا كبيرا من الروايات التي يقول أنها تحكي أصل التواجد الأول للإنسان في المغرب القديم⁽⁶⁾، يتفق ابن خلدون مع المؤرخين الآخرين في الأصل المشرقي، يذكر بأن البربر من نسل كنعان بن حام بن نوح عليه السلام، ويصفهم بالبداوة لأنهم أقوام بعيدون عن الصنائع فهم أعرق في

(1) محمد الهادي حارش، دراسات ونصوص في تاريخ الجزائر، ص 170؛ 5164، Moderan. Y, Op.cit.

(2) Shatzmiller .M, Le mythe d'origine Berbère (aspects historiques et sociaux), ROMM, n°35, 1983, p147.

(3) محمد العربي عقون، الاقتصاد، ص 191؛ محمد الهادي حارش، دراسات ونصوص، ص 169-177.

(4) محمد بوكبوت، المرجع السابق، ص 15-16.

(5) عبد الرحمن بن خلدون: (732 - 808 هـ) (1332 - 1406 م) عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن الحسن بن محمد بن جابر بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن عبد الرحيم الحضرمي، الاشبيلي الاصل التونسي، ثم القاهري، المالكي، المعروف بابن خلدون (ولي الدين، ابو زيد) عالم، اديب، مؤرخ، اجتماعي، حكيم. ولد بتونس في اول رمضان، ونشأ بها وطلب العلم وسمع من الوادي آشي وغيره، واخذ عن عبد المهيم الحضرمي ومحمد بن ابراهيم الاربلي، وولي كتابة السر بمدينة فاس، ورحل الى غرناطة وبجاية، واعتقل، وتنقلت به الاحوال الى ان رجع الى تونس، فأكرمه سلطانها، فسعوا به عند السلطان، ففر الى الشرق، وولي قضاء المالكية بالقاهرة مرارا وكان ممن رافق العسكر الى تمرلنك وهو مفصول عن القضاء، واجتمع بتمرلنك وأعجبه كلامه وبلاغته، وتوفي بالقاهرة فجأة لاربع بقين من شهر رمضان، ودفن بمقابر الصوفية خارج باب النصر. من مؤلفاته: العبر وديوان المبتدأ والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر (تاريخ ابن خلدون)، شرح قصيدة ابن عبدون الاشبيلي، لباب المحصل في اصول الدين، رحلة، وطبيعة العمران (خ) فهرس المؤلفين بالظاهرية. للمزيد ينظر: عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، مكتبة المثنى - بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت.

(6) الصديق بودوارة المغربي، الأصول الأولى لسكان المغرب القديم بين روايات ابن خلدون وحقائق ما قبل التاريخ، المجلة العلمية للدراسات التاريخية والحضارية، ع1، جامعة محمد بن علي السنوسي الاسلامية، 2018، ص10.

البداءة⁽¹⁾، كما تحدث أيضا عن أصل كل من قبيلتي كتامة وصنهاجة اليميني فربطهما ببني حمير⁽²⁾. وروايه ابن خلدون هذه تقول بأن هناك من قدم إلى المغرب من خارج محيطه الجغرافي ليسكنه، وكأنه قبل ذلك كان مقفرا خاليا من السكان فيقول "...إن الذي لا يقبل الشك أن العرب والبربر هما الجنس اللدان عمرا بلاد المغرب منذ الأزل..." فهو بذلك يرى أن العرب والبربر هم أصل المغرب الذين عمروه وسكنوه⁽³⁾.

كما ذهب مؤرخون آخرون للقول بأن البربر من نسل جالوت وحاول البعض أن يربط بين اسم جالوت (Goliath) وإقليد (Aguellid) الذي يعني ملك⁽⁴⁾، منهم ابن حوقل (943م) الذي قال "...سكن المغرب قبائل كثيرة ومتشعبة لا يمكن تعدادها جميعها من ولد جالوت إلا اليسير منهم" وهو ما ذهب إليه ابن عثمان الذهبي (1374م).

نلخص ماتوصل إليه مؤرخو العصور الوسطى حول أصل سكان المغرب القدماء، وإن اتفقوا في الأصل المشرقي في ثلاث اتجاهات؛ فالمجموعة الأولى ترى بأن البربر من أصل فلسطيني قدموا إليها بعد مقتل جالوت⁽⁵⁾، والثانية ترى أصلهم من الحميريين (السبئيين) قدموا إلى إفريقيا بعد سيل العرم، في حين المجموعة الثالثة ترى أنهم من سلالة حام بن نوح فهم حاميين والذين نزحوا إلى البلاد المغاربية.

يظهر التأثير اليهودي واضحا في هذه الرواية بالقول بأن الكنعانيين من ذرية حام، وذلك أن اليهود هم الذين أخرجوا الكنعانيين في روايتهم من أبناء سام، وهو عكس ماقررتة الدراسات الحديثة. يرى شنييتي (م.ب) أن للرواية هذه أهمية بالغة بغض النظر عن مصدرها، كونها تتفق وروايته بروكوب وفلافيوس يوسوفوس حول هجرة أقوام من فلسطين إلى المغرب القديم أواخر القرن الثاني قبل الميلاد⁽⁶⁾. وهي الرواية التي ستجد صدق في كتب الأنساب العربية وإن اختلف أصلها، ويعتقد دائما نفس المؤرخ أن مصادر الرواية العربية حول أصول ساكنة المغرب القديم لا يستبعد أن تكون لها علاقة بالمصادر المسيحية

(1) عبد الرحمان ابن خلدون، المرجع السابق، ص 178-179.

(2) Carette. E, Op. Cit, pp.27-30.

(3) الصديق بودواره المغربي، المرجع السابق، ص 10، 12.

(4) محمد العربي عقون، الاقتصاد، ص 191.

(5) Shatzmiller .M, op.cit, p147.

(6) محمد البشير شنييتي، أضواء على تاريخ الجزائر، ص 152.

واليهودية، بعد أن أسلم كثير منهم فنقلوا معارفهم إلى العرب كتابيا أو شفويا. وبهذا تطابقت الرواية العربية مع الرواية المسيحية، منها رواية أوريوس (Orose) تلميذ القديس أغسطين والذي يرجع أصل سكان المغرب القديم إلى الكنعانيين، وكنعان ابن نوح، وتنطلق رواية الأنساب عنده من وحدوية الجنس البشري ذي الأب الواحد وهو نوح، الذي تنحدر من ذريته جميع الأقوام والأمم، ويؤيده في الطرح ذاته إيسيديوس الإشبيلي⁽¹⁾.

إن إختلاف الروايات وتعددتها يبين الأهمية الكبيرة لسكان المغرب القديم ولبلاده لدى الشعوب والأمم الأخرى، أين حاولت كل مجموعة كما رأينا ربط أصله بها ليس حبا في المغاربة بقدر ما هو خدمة لمصالحها التي تقتضي نفي الأصالة عن هذا الشعب فوق أرضه. وذلك بجعل بلاد المغرب القديم بلدا شاغرا دون قبائل أو شعوب فيه وأن الجميع وافدون، وبالتالي ليس من حق أي أحد أن يزعم أنه أصيل والآخرين دخلاء، وقد راجت هذه الفكرة خلال الفترة الإستعمارية، الأمر الذي شجع مجموعة من المؤرخين المحدثين على صياغة فرضيات عديدة أقل ما يقال عنها أنها غير موضوعية. في محاولة منهم لتفكيك المنطقة عن طريق بحوث عنصرية بخلق مشكلة الهوية لدى سكان بلاد المغرب.

3. فرضيات المؤرخين المحدثين:

بعد عرضنا للروايات الإغريقية والرومانية وروايات مؤرخي العصر الوسيط، سيأتي الدور على ذكر روايات المؤرخين المحدثين أو الباحثين الأوروبيين الذين بحثوا في مسألة أصل المغاربة القدماء وتاريخهم، وقد اختلفوا في هذا الصدد، حيث اعتمدوا مناهج وبحوث علمية متباينة في دراستهم، فخلال القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، يمكن التمييز بين نوعين من الأبحاث في هذه المسألة، الأولى فيلولوجية (لغوية) قادها علماء ألمان، والثانية أركيولوجية (الإكتشافات الأثرية) وأصحابها فرنسيون، ولكن رغم محاولاتهم إضفاء الطابع العلمي على فرضياتهم إلا أنهم لم يقدموا ما قدمه سابقهم⁽²⁾. وهذه الأبحاث يمكننا إجمالها

(1) محمد البشير شنيقي، الجزائر قراءة، ص 62.

(2) محمد بوكبوط، المرجع السابق، ص 17.

في مدرستين مدرسة تدعي الأصول الشرقية الكنعانية الحميرية، وأخرى تدعي الأصول الهندو أوروبية: الكلتية، الغالية، الفريجية، التراقية وحتى أوروبا الشمالية والهند⁽¹⁾.

فبالنسبة للفيلولوجيين والمستشرقين اعتمدوا في دراستهم ما جاءت به النصوص الإغريقية، واللاتينية والعربية محاولين إثبات الأصل الشرقي لسكان المغرب القديم بناءً على قرائن جديدة، فهذا موفر (Movers) يرى إنطلاقاً من نصوص ساليستوس، وبروكوب أن الكنعانيين الفارين من فلسطين عبروا إلى إفريقيا عن طريق ركوب السفن الفينيقية، وباختلاطهم مع الليبيين الأولين وتعلمهم الزراعة أصبحوا ليبيفينقيين (Libyphéniciens)⁽²⁾.

إن تقدم الدراسات حول مصر القديمة (المصريات) قد فتح أفقا أمام الباحثين للبحث في أصول المغاربة القدماء، فجعل ذلك كثيرا منهم يعتقد أن الهيكسوس، الذين تعود أصولهم إلى سوريا وآسيا الصغرى عندما طردوا من مصر انتقل قسم منهم إلى إفريقيا واختلط بالليبيين⁽³⁾. وحاول باحثون آخرون إثبات الأصل الآسيوي فجاءوا بافتراضات أكثر جرأة، منها ما ذهب إليه كارل ريتز (Carl Ritter) الذي زعم الأصل الهندي للبربر معتمدا في ذلك على رواية سترابون التي جاء فيها اسم البربر قريبا من اللفظ واروار (Warwara) الذي يطلق على سكان منطقة الدكن قديما (Dekhan)، وهو مطابق لاسم مدينة باربريا (Barbaria) القديمة الموجودة على الساحل الصومالي الذي يربط ببلاد اليمن و من ثمة إلى الهند. ويتطابق أيضا مع مصطلح البرابرة الذين يعيشون مابين الشلال الأول والرابع للنيل⁽⁴⁾. وهي مقارنة تهدف للقول بوجود علاقة بين شبه القارة الهندية وبلاد المغرب، هذه الرواية عارضها محمد حسين فنطر وقال بأنها هذيان⁽⁵⁾. حيث أورد قائلا: "يجب علينا أن نوسع بحثنا الذي بقي محدودا في اللغة بأن نضيف في دراستنا للأصول المغربية، إلى جانب العنصر اللغوي، العنصر

(1) محمد الهادي حارش، دراسات في تاريخ الجزائر، ص 24.

(2) ستيفن غزال، تاريخ إفريقيا الشمالية، ج 1، ص 274-275.

(3) محمد العربي عقون، الإقتصاد والمجتمع، ص 193.

(4) ستيفن غزال، تاريخ إفريقيا الشمالية، ج 1، ص 271.

(5) Decret. F et Fantar.M.H, op.cit, p.26-27.

الجغرافي لأن الأعلام الجغرافية تصاغ من طينة اللغة، فاستمدت منها أسماء المدن والقرى والجبال والوديان، وهناك عدة عناصر تشترك فيها مناطق المغرب ككل⁽¹⁾.

بينما هناك من دافع عن الرأي القائل أن سكان المغرب القدماء من أصول إفريقية، إيجابية منهم برثولون (Bertholon) الأنثروبولوجي مطلع القرن العشرين، بالاعتماد على التشابه في عديد الكلمات، والأسماء البربرية التي اعتبرها أصحاب هذا الرأي ذات أصل إفريقي أو ما قبل هيليني⁽²⁾. وهي أراء اعتمدت إسهامات الدراسات اللسانية في محاولة لتحديد أصول البربر في سياق كون اللغة هي الطابع الأكثر أصالة اليوم، من خلال محاولة تأسيس تقارب لغوي لكثير من المصطلحات⁽³⁾.

يبدو أن الأسلوب الذي اتبعه أصحاب الفرضيات الأولى، وهو المقاربات اللغوية لم يكن كافيا للإجابة على الإشكال المطروح حول أصول سكان المغرب، لذا اتجه أصحاب المجموعة الثانية للبحث عن الأدلة الأثرية كدليل على القول بالأصول الهند-أوروبية والشمالي أوروبية⁽⁴⁾، وانطلق هذا الطرح من اتفاق أغلب الدراسات الأوروبية حول الإنطلاقة الأولى للهجرة نحو المغرب القديم، والتي كانت من الشمال إلى الجنوب⁽⁵⁾.

انقسم هذا الفرض الى ثلاث فرق، نادت الأولى منها بالأصول الغالية للمعالم الميغالييتية، والدولمنات المنتشرة في كل بلاد المغرب القديم، والتي دار نقاشا حولها والشيء نفسه بالنسبة للسكان، ما دفع البعض بتشبيهها بتلك المتواجدة في فرنسا، وبالتالي فإن الذين بنوها هم غالليون جندوا في الجيش الروماني وقد يكونون وندال، يعتبر فيرو (Féraud) من أبرز المروجين لفكرة الأصول الغالو رومانية للمقابر الميغالييتية الشمالي إفريقية⁽⁶⁾، وهناك من نسبها للسليتين .

(1) محمد حسين فنطر، من هم أسلافنا، ص35.

(2) ستيفن قزال، تاريخ إفريقيا الشمالية، ج1، ص278.

(3) محمد الصغير غانم، الأمازيغ عبر التاريخ نظرة موجزة في الأصول والهوية، ط1، التتوخي للنشر والتوزيع، الرباط، 2010، ص31.

(4) Olivier. G, Recherches sur l'origine des Berbères, imp; Dagand, Bône (Annaba), 1867, p36.

(5) Boëtsch.G. Ferrié. J.N, L'impossible objet de la raciologie (Prologue à une anthropologie, physique du Nord de l'Afrique), C.E. A, Vol 33, n° 129, 1993, p14.

(6) Camps.G, Monuments et Rites Funéraires Protohistoriques, pris 1968, p 15.

بينما ذهب الثانية للقول بالأصول الشمالية، وأن هذه الدولمات تعود لفترة سابقة للسلتين والغالين، وهي بذلك تستمر في اعتبار الدولمن إنتاج حضاري أوربي، فإن لم يكن من فرنسا فهو من شمال أوربا، وابتدع برتراند لفكرة شعب الدولمن، الذي نزح على مراحل من آسيا إلى أوربا، فالجزر البريطانية ثم بلاد الغال ومنها إلى شمال إفريقيا معتمدين على المعطيات الأنثروبولوجية، حيث وجدوا في المميزات الفيزيولوجية سببا لادعائهم، وهو تميز أفراد بعض قبائل المناطق الداخلية الجبلية باللون الأشقر والعين الزرقاء، إضافة إلى أنهم يتحدثون إحدى لهجات اللغة البربرية، وبالتالي فهم امتداد واضح لقدماء الشمال الإفريقي حسبهم⁽¹⁾.

كما أشار أندري جوليان لهذه الفكرة من خلال قوله "...يكفي أن نقارن بين الميزابيين ذوي الرؤوس البيضاء والقامات القصيرة واللون الأسمر والوجوه المفلطحة وبين سكان جبال القبائل ذوي الرؤوس المستطيلة والقامات القصيرة، والنظرة الصافية، والشعر الأشقر أو الأصهب غالبا لنذكر إلى حد اليقين أن البربر لا يكونون جنسا منسجما من حيث الانثروبولوجيا"⁽²⁾.

في حين رأت الفرقة الثالثة انتماءهم للأصول الإيبيرية محاولين إثباته بشتى الوسائل الممكنة نذكر منها لجوءهم لمقاربة أسماء المناطق الجغرافية الموجودة على ضفتي البحر المتوسط، حيث قدم الباحث ديزانج (Desanges) جردا لبعض الأسماء في لغة الباسك القريبة من البربرية مثلا كلمة (Ibères) وهي تصغير لباربار (ber ibères)⁽³⁾.

وبهذا فقد نسب سكان المغرب القديم إلى مناطق كثيرة، كالميديين، الفرس، سوريا، بلاد كنعان، الجزيرة العربية تراقيا، بحر إيجه، آسيا الصغرى، شمال أوربا وإيبيريا، كل هذه الفرضيات قائمة على أساس الغزو، والنزوح والفتوحات والاحتلال⁽⁴⁾، ومن الطبيعي أن نصادف مثل هذه الآراء، وذلك لعدة أسباب نذكر أهمها: أن الترويج لفرضيات الأصل الأوربي لسكان المغرب القديم، يندرج ضمن التبرير لسياسة الاندماج التي يمارسها

(1) محمد العربي عقون، الاقتصاد، ص197.

(2) شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص67.

(3) محمد العربي عقون، الاقتصاد، ص196.

(4) Camps. G, Origines des Berbères, Ency Berb I, Édisud, 1984, p14. - Vignet-Zunz Jacques,

(4) Les Berbères hors de l'histoire ? C.E.A, Vol ,22, n°85-86, 1982, p191.

الاستعمار الأوربي وخدمة لمصالح أمتهم، أما ثاني تلك الأسباب يرجعها (م.ه) حارش إلى عدم وقوف أهل الاختصاص من الباحثين المحليين في وجه هذه الإدعاءات والرد عليها، والأسوء من ذلك أننا صرنا نكتب تاريخنا من منظورهم⁽¹⁾.

وهكذا لم تبقى منطقة من العالم إلا ونسب سكان المغرب القديم إليها، لكن السؤال الذي يطرح هو لماذا لم يرجع أولئك الباحثون إلى البحث في صميم المشكل؟ وهم البربر أنفسهم، والانطلاق من فرضية أن البربر لم يأتوا من أي بلد؟ وهو ما أشار إليه (م.ع) عقون عندما قال " ليس هناك طريقة أفضل من البدء في فحص الأمازيغ أنفسهم من خلال البقايا البشرية السابقة للفترة التاريخية⁽²⁾، وفعلا فقد همت مجموعة من الباحثين إلى البحث في الموضوع من خلال الاعتماد على البقايا العظمية لأقدم إنسان وجد بالمنطقة.

4. فرضيات المدرسة المحلية:

يرفض فريق من الباحثين وعلى الخصوص المحليين منهم هذه الآراء، ويعولون على معطيات الأناسية لمعرفة أصول سكان المغرب القديم عبر تفحص البقايا البشرية التي بحوزتنا، وهي تعود لفترة ما قبل التاريخ، وفجر التاريخ وبهذا ظهرت نظرية المهد الإفريقي التي من شأنها أن تكون محركا لتوسع الإنسان في العالم، وهو ما وضحته مواقع ما قبل التاريخ المختلفة، التي بينت قدم الاستقرار البشري بإفريقيا (مواقع شرق إفريقيا ووسط الصحراء وشمال إفريقيا)⁽³⁾.

يعود قدم الإنسان في بلاد المغرب القديم إلى العصور الحجرية القديمة، حيث وجدت آثار الإنسان في السهول وبالقرب من ضفاف الأنهار، ومن بين المواقع التي عثر فيها على بقايا الأدوات الحجرية التي صنعها الإنسان مؤرخة بـ 1,8 مليون سنة (موقع عين لحنش بالقرب من العلة)، أما أقدم بقايا الإنسان تعود لموقع تغنيفين بالقرب من معسكر، وهو ما عرف بإنسان باليكاو الذي ينتمي إلى الإنسان الموريتاني الأطلسي (إنسان المشتى وجبل

(1) محمد الهادي حارش، دراسات في تاريخ الجزائر، ص 24.

(2) محمد العربي عقون، الأمازيغ عبر التاريخ، ص 19.

(3) Chaker. S, Origines : linguistique et préhistoire, Ency berb [En ligne], 35 | 2013, document O26, mis en ligne le 01 juin 2018, consulté le 25 septembre 2020 .Ency berb.2829. p.4.

أرحود⁽¹⁾. بل إن الإنسان المغاربي القديم هو امتداد لإنسان الهضبة الصحراوية التاسيلي ناجر الذي نزح شمالا بعد التصحر الذي عرفته المنطقة⁽²⁾.

كان اكتشاف الإنسان العاتري حجة ليتقبل المختصون فكرة وجود سلالة مباشرة مستمرة منذ نياندرتال الشمال إفريقي، وهو إنسان جبل أرحود الكرومانيون⁽³⁾، ويكون الإنسان العاتري الذي اكتسب خصائص الإنسان العاقل العاقل (Homo sapiens sapiens) هو حلقة الوصل بينهما⁽⁴⁾. بدوره يعد إنسان مشتي العربي (Mechta el-Arbi) أو (Mechta-Afalou) صانع الثقافة الإيبيرو مورية التي كانت أكثر انتشارا في سائر المناطق الساحلية، والتلية لبلاد المغرب من الفاعلين الهامين خلال فترة ما قبل التاريخ (العصر الحجري القديم الأعلى)⁽⁵⁾، اعتقد بعض المختصين أن هذا الإنسان جاء من أوروبا واجتاز إسبانيا ومضيق جبل طارق لينتشر بعدها في بلاد المغرب، في حين رأى آخرون أنه ينحدر من الإنسان العاقل الذي ظهر في فلسطين، وأنه من هذا الموطن الأصلي خرج فرعان أوروبي نشأ عنه إنسان كرومانيون وإفريقي نشأ عنه إنسان مشتي العربي، في حين رأى آخرون بانحداره من الإنسان العاقل الذي ظهر في فلسطين⁽⁶⁾.

يتفق اليوم الكثير من الباحثين على أن الإنسان القفصي الفجر متوسطي هو من يمثل المغاربة الأوائل، وهو الذي يحمل المغاربة الحاليون خصائصه (متوسط القامة 1,75 م للرجال و1,62 م للنساء تتناسب في أقسام الوجه، أنف مستقيم)، وقد اختلف الباحثون في أصله أهو شرقي، أم أوروبي ويعتقد (م.ع) عقون أنه امتداد للإنسان المشتوي وهو أحد سلالاته، بينما يذهب غبريال كامبس إلى اعتبار القفصيين الفجر متوسطيين هم من يمثل أسلاف سكان المغرب القديم، وهذا منذ ظهوره حوالي 9000 سنة⁽⁷⁾.

(1) Chaker. S, Op. Cit, P. 1.

(2) محمد العربي عقون، الاقتصاد والمجتمع، ص 197.

(3) Chaker. S, Op. Cit, P. 4.

(4) محمد العربي عقون، المرجع السابق، ص 200.

(5) Chaker. S, Op. Cit, P. 4

(6) محمد العربي عقون، المرجع السابق، ص ص 199-200.

(7) المرجع نفسه، ص ص 200-201.

وخلاصة القول أن تعدد الدراسات والفرضيات حول أصول سكان بلاد المغرب القديم سواء كانت صحيحة أو جانبت الصواب تدل على أهمية المنطقة بالنسبة للشعوب المحيطة بها، كما أن تلك الفرضيات شجعت على البحث في هذه المسألة من قبل مختصين سواء أجنب، أو محليين وباتماد الدراسات الأنثروبولوجية والمعطيات الأثرية، توصلوا إلى أن التركيبة الأساسية لسكان بلاد المغرب القديم تنتمي إلى ذلك العمق البربري القديم الذي كان موجودًا بالمنطقة منذ ما قبل التاريخ، ولا شك أنه قد تم إثراء هذا العمق البشري المحلي الموعول في القديم بواسطة مساهمات عرقية، وثقافية عبر الحقب المتلاحقة وفي ظروف متباينة مثل الفينيقيون والإغريق والزنج وبعدم الرومان والوندال العرب المسلمون⁽¹⁾.

رابعاً: مصادر دراسة القبائل في المغرب القديم الفترة الرومانية:

1. قراء في المصادر الكلاسيكية الإغريقية واللاتينية:

- **هيرودوت (Herodotus)**⁽²⁾: يعتبر المؤرخ هيرودوت أشهر من اهتم وسجل أخبار القبائل الليبية المتواجدة بالمنطقة الممتدة من غرب وادي النيل حتى سواحل المحيط الأطلسي بما في ذلك الصحراء الكبرى من الإغريق، في كتابه التاريخ بالجزئين الثاني والرابع، هذا الأخير الذي سمي بالكتاب الليبي لإفراده لوبة بقسم هام منه، ورغم أن هناك من سبقه في الحديث عن هذه القبائل وهو هيكتاتوس الملتى (Hacataei Mulle)(القرن السادس

(1) Decret. F et Fantar .M, Op. Cit, P. 35

(2) **هيرودوت أو هيرودوتوس (Hèrédotos)**: من مؤرخي القرن الخامس قبل الميلاد، أجمعت أغلب المصادر أنه ولد بهاليكارنس (Halicarnassus) أو بودرون الحالية (Budrun) جنوب غرب آسيا الصغرى حوالي 485 ق. م، ويحدده آخرون بعام 484 ق.م، وعلى العموم فالمعلومات عن حياته المبكرة قليلة جداً. أسرة هيرودوت الإغريقية معروفة بأدوارها في توجيه الحياة السياسية التي كانت تسعى للحرية والخلاص من حكم وظلم الطغاة. شغل هيرودوت منذ صغره بالدراسات والتعليم وانكب على مطالعة الكتب المختلفة والأشعار والأدب والملاحم، وقد عاصر في بداية طفولته غزو الفرس. أما عن تاريخ ومكان وفاته ففيه اختلاف أيضاً فهناك من يقول أنه كان في ثوري قبل العام 420 ق.م لأن هناك قبر نقش عليه اسم المؤرخ ولقبه نسبة لهذه المدينة، وهناك رواية أخرى تقول أنه مات في بيللا عاصمة مقدونيا (مكدونيا). لقب بأبو التاريخ (Pater Histoire) وأول من منحه هذا اللقب هو الشاعر الروماني الكبير شيشرون كيكرون (Cicéron, I,1,5)، زار أغلب العالم المعروف في زمانه كجزر الأرخيل اليوناني رودس وديليوس وباروس وتاسوس وكريت وغيرها، كما زار مصر وبلاد الرافدين وفلسطين وعيلا والحواف الجنوبية لروسيا وأغلب الساحل الشمالي لإفريقيا وصل إلى قورينة ومنها إستمد معلوماته حول بلاد المغرب التي تطرق لها في كتابه الثاني والرابع. للمزيد ينظر: محمد مبروك الدويب، هيرودوت. الكتاب الرابع من تاريخ هيرودوتس الكتاب السكيثي والكتاب الليبي، بنغازي، منشورات جامعة قاريونس، 2003، ص ص 17-26.

قبل الميلاد) الذي تغلب على نوعية كتاباته الجانب الميثولوجي (الأسطوري)، ويبقى ماجاء به من معلومات يفتقر للنظام من حيث ترتيب مواقع القبائل وحتى أسماء هذه القبائل⁽¹⁾، بينما ما جاء بها هيرودوت ورغم تناثر الإشارات عن ليبيا وقبائلها في كتاب أجزائه التسعة اتسم بالدقة والوضوح⁽²⁾، وأخذ عن هيرودوت في الحديث عن القبائل الليبية وتحديد مواطن استقرارها كثيرون نذكر منهم سيلاكس (Saylax) حوالي 320 ق.م غير أن وصفه لم يكن بالدقة نفسها⁽³⁾.

وتعد نصوص هيرودوت حول الليبيين من أقدم النصوص الكلاسيكية وأطولها نوعا ما، كما يعتبر أول من قدم وصفا إثنوغرافيا للقبائل التي سكنت المغرب القديم خلال القرن الخامس قبل الميلاد (عاداتها وتقاليدها)، أين نجد أكثر الأسماء شدا للانتباه في نصوصه مصطلح ولفظ نوماد (Numad) الذي يعني البداوة والترحال، والذي قصد به جميع اللوبيين الممتننين للرعي⁽⁴⁾، بل وشملت نصوصه العديد من المعلومات البشرية والاقتصادية والدينية والتنظيمية وكذا العادات والتقاليد، عكس باقي النصوص التي جاءت في شكل إشارات فقط⁽⁵⁾.

والجدير بالذكر أن هيرودوت في كتابه التواريخ استعمل اسم ومصطلح الليبيين الذي أطلقه على كل القبائل، والشعوب، التي قطنت المجال الجغرافي الذي يمتد من حيث تنتهي الحدود الغربية لمصر شرقا، إلى المحيط الأطلسي غربا، خلال القرن الخامس قبل الميلاد،

(1) فاطمة العقيلي، بعض مظاهر التفاعل الحضاري بين الليبيين والإغريق في إقليم قورينايا في الفترة من 631-323 ق.م، RESS Journal Route Educational & Social Science Journal، Vol 7، Issue 4، Istanbul / Türkiye، أبريل 2020، ص 364.

(2) المرجع نفسه، ص 364.

(3) أم الخير العقون، دولة الأمازيغ، ص 65.

(4) Hérodote, IV.191.

(5) علي فهمي خشيم، أحاديث هيرودوت، ص 10.

هو المجال المعروف بالمغرب القديم، ونصوص هيرودوت تتضمن نظرتة لليبيين القدماء الذين شكلوا وحدة عرقية وحضارية⁽¹⁾.

- سترابون (Strabon): من أهم المؤرخين والجغرافيين الإغريق ولد ما بين سنوات 64-63 ق.م في أماسيا (Amasée)⁽²⁾ على سواحل بحر مرمرة من أسرة ثرية، ذهب سترابون الى روما حوالي 44 ق.م في بواكير شبابه لمواصلة تعليمه، عاصر حكم أغسطس وحكم تiberius، زار مصر وبقي بها حوالي خمس سنوات العام 25 ق.م وعاش بالإسكندرية، في سنة 7 ق.م أنهى مؤلفه الجغرافيا المؤلف من 17 كتابا، توفي حوالي 21 م بمكان مجهول، فالبعض يقول في بلاد الشرق والبعض الآخر في روما⁽³⁾.

تحدث سترابون عن بلاد المغرب القديم، وعن مختلف الجوانب التي تخص المنطقة، فبعد هيرودوت بحوالي أربعة قرون ونصف نجد الجغرافي سترابون الذي خلف لنا معلومات بالغة الأهمية، وبكثير من التفصيل حول الأرض والسكان ضمن كتابه (الجغرافيا) تحديداً الجزء السابع عشر في قسمه الثالث، الذي تحدث فيه عن مصر وليبيا أو ليفي كما يسميها التي كانت بالنسبة له وللكتاب القدامى جميع الأجزاء المعروفة من قارة أفريقيا الحالية، من مصر حتى المحيط ومن البحر حتى الأجزاء غير المسكونة من هذه القارة حسبهم⁽⁴⁾.

أورد سترابون في مؤلفه تعريفاً ديمغرافياً، خص به سكان المغرب القديم (الليبيون والجيتول)، كما قدم في كتابه السابع عشر أهم المجموعات البشرية التي سكنت ليبيا، بينما في كتابه الثاني زدنا بنوع من التفصيل عن أسماء هذه الشعوب وقد بدأ وصفه من الجهة الشرقية بداية من الإثيوبيين وصولاً إلى المورزيين أو المور، فذكر الغرامنت، الفاروزيين، والنيقريتان، والجيتوليين، والمارماريدان، والبيسيليان، والأسبيستيان، وسكان البيزانس بالقرب

(1) محمد حسين فنطر، اللوبين وحدة أم شتات، ص 49.

(2) تابعة لمقاطعة دوبونت اليونانية بآسيا الصغرى.

(3) محمد مبروك الدويب، الكتاب السابع عشر عن جغرافية سترابون (وصف ليبيا ومصر)، منشورات جامعة قاريوس،

ليبيا، 2001، ص ص 13-18.

(4) Strabon.XVII.III.

من قرطاجة، والنوميديين من ماسيليين وماسيسيليين، وأخيرا الموريزيين⁽¹⁾، كما ذكر سترابون بعضا من المظاهر الاجتماعية لهذه المجموعات القبلية كنوع طعامهم ولباسهم⁽²⁾، وحتى قدم وصفا دقيقا للمحارب الليبي⁽³⁾، غير أن وصفه كان عاما وغامضا في بعض أجزائه⁽⁴⁾.

- الجغرافي كلاوديوس بطليموس (Claude Ptolémée): أو بطليموس القلودي كما يسميه بعض الكتاب العرب القدامى، فلكي ورياضي وجغرافي، ولد بمصر من أصل يوناني، وعاش في القرن الميلادي الثاني ما بين عام 100 و178م في مدينة الإسكندرية على أغلب الأقوال، وفي الإسكندرية تعلم بطليموس، ثم مارس عمله في الفلك، اعتبر أشهر جغرافي العصور القديمة⁽⁵⁾.

اشتهر بطليموس بكتاب الدليل الجغرافي (Geographicae Enarrationis) المعروف عند عامة الباحثين بالجغرافيا، يتألف المؤلف من ثمانية كتب، خص الجزء الرابع منه للحديث عن جغرافية أفريقيا ومصر في العصور القديمة⁽⁶⁾، و يقدم بطليموس عرضا لليبيا القديمة كلها (والمقصود بها كل القارة الإفريقية التي كانت معروفة آنذاك) مع ذكره لعدة أسماء لأنهار وبحيرات بلبيبا، وقسم ليبيا وفق الأقاليم والمقاطعات التالية: مافريتانيا تنغيتاني، التي تمثل موريطانيا الطنجية، مافريتانيا كاييسارينسيا وتمثل موريطانيا القيصرية، نوميديا (أفريقيا)، وكيرينايا (قورينايا)، ومارماريكي (مارماريكا) وهو الإقليم المسمى ليبيا الحالية⁽⁷⁾، يصف بطليموس الساحل أولا مع مدن ونبوءات ومصبات الأنهار، ثم يعطي أسماء الجبال والمدن الداخلية، ثم يورد أسماء الشعوب والقبائل التي تسكن مختلف الأقاليم، وفي الأخير يذكر الجزر⁽⁸⁾، فبفضل مؤلفه تم التعرف على قائمة كبيرة من القبائل والشعوب التي تنتشر بمختلف أقاليم المغرب القديم بمختلف مقاطعاته بدءا من المحيط الأطلسي وحتى

(1) Strabon, Ibid.II.5,33-34.

(2) Ibid.XVII.3.7.

(3) Ibid.

(4) أم الخير العقون، دولة الأمازيغ، ص65.

(5) بطليموس كلاوديوس، جغرافية ليبيا ومصر، ط1، تر: محمد مبروك الدويب، منشورات جامعة قاريونس بنغازي، ليبيا، 2004، ص15-20.

(6) Laporte.J. P, Ptolemee et La Mauretanie Cesarienne, CRAI, 2003, p. 172.

(7) بطليموس، IV.

(8) Laporte.J. P, Ptolemee..., Op.cit. p.172.

الحدود الغربية لمصر، وتعدادها مائة وسبعة وتسعون (197) قبيلة⁽¹⁾، ولكن يبقى ما جاء به بطليموس محل شك من قبل الباحثين⁽²⁾.

ومن الكتاب الإغريق أيضا ديودور الصقلي (90 ق.م) وكتابه (المكتبة التاريخية)، وكشف في كتابه الثالث عن دوره في كتابة تاريخ الشعوب غير الإغريقية منهم الليبيون، لقد تحدث في الفقرة 49 من كتابه الثالث عن ليبيا والقبائل الليبية، وعن الكثير من الظواهر الطبيعية⁽³⁾. لكن يبقى ماجاء به عن القبائل ناقص.

- بلين الأكبر (Pline l'ancien): اسمه الكامل هو كايوس بليينوس سكوندوس (Gaaius Plinius Secundus)، اشتهر باسم بلين الأكبر أو القديم، تميزا له عن ابن أخته وابنه بالتبني المعروف باسم بلين الأصغر (Pline le Jeune)، وهو مؤرخ روماني ولد بمدينة نوفوم كوموم (Novum Comum)⁽⁴⁾ في غاليا العام 23 م، استقر بروما عام 52م، شغل سنة 70 منصب حاكم بمقاطعة نارابون (Provincia Narabonnensis) التي تقع جنوب فرنسا، وفي سنة 73 عُين حاكما على إقليم إسبانيا (Hispania Tarraconensis)، توفي العام 79م عن عمر يناهز الستة وخمسون سنة⁽⁵⁾.

كتب الكثير من الأعمال التاريخية والفنية حيث ألف ستة كتب في مختلف المجالات، لم يتبق منها سوى 37 مجلداً من كتاب التاريخ الطبيعي (Histoire Naturelle)، الذي جمع فيه جميع العلوم من الفلك، والجغرافيا، والتاريخ، الزراعة وعلوم أخرى...، تحدث بلين عن بلاد المغرب القديم (ليبيا) في الكثير من فقرات كتابه خاصة في الكتاب الخامس والثالث عشر والتاسع عشر والثاني والعشرين، حيث تناول فيها جغرافية وطبيعة هذه المنطقة، قبائلها وبعض الأحداث التاريخية، وحتى النظم الاقتصادية والاجتماعية، خاصة في الفقرات (4، 5، 6، 8) من الكتاب الخامس⁽⁶⁾.

(1) بطليموس، IV.

(2) Laporte.J. P, Ptolemee..., Op.cit. p.171.

(3) Diodore de Sicile, III.

(4) تقع هذه المدينة بسهل البو (po) على بعد 45 كلم شمال مدينة ميلانو بمقاطعة لومبارديا في الشمال الإيطالي.

(5) علي فهمي خشيم، نصوص ليبية من هيرودوتس سترابون بلييني الأكبر ديودور الصقلي بروكوب القيصري ليون الإفريقي، تامغناست، مصراتة، 1967، ص76.

(6) Pline l'ancien, V.

يعتبر بلين أحسن من تحدث عن القبائل الليبية بعد هيرودوت في القرن الأول ق.م، والذي قدم معلومات جغرافية دقيقة استعان فيها بالمستكشفين العسكريين أثناء الحملات، وحتى وثائق إدارية ثمينة وقعت في يده⁽¹⁾، ويقر بلين في كتاباته أنه نقل كثيرا عن مؤلفات الملك النوميدي يوبا الثاني الذي وصفه بالملك العالم من خلال قوله "...أول من حكم إقليم موريطانيا هوبا يوبا والد بطليموس، وهو جدير بالذكر بسبب شهرته بوصفه باحثا بين التلاميذ أكثر من شهرته ملكا"⁽²⁾.

في بداية كتابه الخامس أوضح عدد القبائل والمقدر بـ 516 مجتمعا⁽³⁾، التي احتلت المنطقة الممتدة بين أمباسغا وبوريون (Boreion) أي من حدود نوميديا إلى برقة⁽⁴⁾، وقد أشار بلين إلى مساكن النوميديين ووصفها بأنها مساكن متنقلة عرفت باسم المباليا⁽⁵⁾ (Mapalia)⁽⁶⁾، وتظهر المعلومات التي قدمها كل من بلين وبطليموس معرفة أكثر تعمقا بالجغرافيا البشرية للمنطقة⁽⁷⁾. ويضاف كذلك ما أورده سالوستيوس في تأريخه لحرب يوغرطة مستفيدا من كتب بونية كانت في خزائن الملك النوميدي هيمبسال (Hiempsal)⁽⁸⁾. ضف إلى ذلك ماجاءت به وثائق الفترة الرومانية المتأخرة منها:

- أميان ماركولان (Ammien Marcellin): مؤرخ لاتيني ولد بأنطاكية سنة 330م توفي بروما سنة 390م، كان ضابطا في الجيش الروماني إستقر بروما وكتب مؤلفه "التواريخ" (Histoires) في ثلاثة عشر كتابا لم يصلنا كلها، وقد كتبه باللاتينية وضمنه أحداث

(1) محمد مبروك الدويب، بليني الأكبر الكتاب الخامس من التاريخ الطبيعي (وصف إفريقيا ومصر وغرب آسيا)، ط2، مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية بوزارة التعليم، ليبيا، 2019، ص ص 12-14.

(2) Pline l'ancien, V.1.16.

(3) Ibid, V.1.

(4) Modéran. Y, De Julius Honorius à Corippus : la réapparition des Maures au Maghreb oriental, In: Comptes rendus des séances de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres, 147^e année, N. 1, 2003. p. 260.

(5) Pline l'ancien, V.II.2.

(6) احتفى الإنسان المغاربي (اللوبي/ والنوميدي) من قساوة الطبيعة والحيوانات البرية الضارية في البداية بمساكن بدائية، والمباليا تعني لدى الكتاب اللاتين مساكن الريفيين والبدو المتنقلين، شكلها مستدير أو ذو استطالة دائرية، أي أنها تخلو من الزوايا بحيث تنحدر جوانبها من أعلى كي تلتحم ببعضها مشكلة السقف، يحتمل أن تكون مبنية بالأغصان والتربة المخلوطة بالماء والسقف من القش. للمزيد ينظر: Pline l'ancien, V.II.2 ; Sallust, XVII.8.

(7) Hamdoune .Ch, Op.cit, pp3045-3052.

(8) محمد حسين فنطر، من هم أسلافنا الأوائل، ص 17.

عصره، حيث تحدث عن تاريخ روما من الفترة التي تمتد من عهد نيرفا (Nerva) (96-98م) إلى عهد فالاس (Valens) (374-378م) أي من سنة 96-378م، وما وصلنا من تلك الكتابات إلا الفترة التي عاشها أي من 352-378م.

يعتبر ماركولان من الكتاب اللاتين المتأخرين نسبياً، حيث عاش في القرن الرابع الميلادي وزار بلاد المغرب القديم، وعاصر الأحداث التي جرت بالمنطقة وسجلها، فما أورده في كتابه تاريخ روما في الكتاب التاسع والعشرين الفصل الخامس المعنون بحرب فيرموس، يبقى غزير وذو أهمية بالغة رغم ضياع كثير من فصول كتابه، أرخ ماركولان للأحداث التي عاش بعضها منها كثرة فيرموس⁽¹⁾، وما يهمنا هنا هي الشعوب والقبائل التي ساندت فيرموس وذكرها ماركولان لكن دون تحديد لمواضعها ومسارات تحركاتها، فالكاتب في كتابه يذكر ثلاثة عشر اسماً لقبيلة ناصرت فيرموس بأسماء ليبية جيدة، وبعضها لاتيني⁽²⁾.

- **يوليوس هونوريوس (Julius Honorius):** من الوثائق المهمة كتاب (Cosmographia) وصف الأرض، لصاحبه الكوسموغرافي (الفلكي) يوليوس هونوريوس الذي يحوي معلومات دقيقة عن مختلف شعوب وقبائل إفريقيا الرومانية⁽³⁾، وهذا المؤلف هو مجموعة من الملاحظات كتبها أحد طلابه دون علمه على خريطة مستدير أو بيضاوية، قسم فيها العالم القديم وعُدّت بحاره، أين قُسم إلى أربع محيطات، أدرجت إفريقيا في الجزء الأخير من التقرير أو المحيط الجنوبي⁽⁴⁾، غير أنه لم يصلنا من هذا المؤلف سوى 30 صفحة مخطوطة ومعقدة للغاية. تكفل بجمعها فريديريك ألكسندر رايس (F.Alexander Riese) في القرن التاسع عشر⁽⁵⁾. وعن تاريخ هذا النص فهو غير معروف بدقة فهناك من

(1) Ammien Marcellin, Histoire, trad. Nisard.M, carnier frères, libraires, Paris. 1851, XXIX.V.

(2) Laporte.J. P, Les révoltés dans la guerre de Firmus en Maurétanie Césarienne (370-375), Éditions du Comité des travaux historiques et scientifiques' Collection CTHS. Hisronuî, 2014, p.122.

(3) Julius Honorius, Cosmographia.

(4) Modéran Yves. De Julius Honorius...Op.cit. pp. 264-265.

(5) Ibid, p.264.

يرجعه إلى القرن الخامس⁽¹⁾، بينما تشير أحدث دراسة والتي أجراها موديران (Modéran) تاريخ تأليف وصف الأرض إلى أواخر القرن الرابع وبداية القرن الخامس ميلادي⁽²⁾.

يعطينا نص هونوريوس إحصاءاً للمدن المغاربية وأسماء لقبائل ظهرت في التاريخ الروماني المتأخر وفي الإيبغرافيا، ولم تكن معروفة لدى بومبيوس ميلا وبلين وبطليموس وحتى في طاولة بوتنغر مثل قبائل البوار والحلف الخماسي وقبائل المازيس والبقواط⁽³⁾. وقد قدم (Cosmographia) قائمة من ستة وعشرين اسماً إثنيا، والتي يمكن تقليصها إلى واحد وعشرين اسماً بسبب أخطاء في القراءة، أين أدرج ثلاثة أسماء لمجموعة قبلية واحدة، كما أدرج اسمين لمدينتين إعتقد أنها كانت تخص مجموعة إثنية⁽⁴⁾.

ثم نجد بروكوب الذي ولد في قيصرية بفلسطين في نهاية القرن الخامس الميلادي وتوفي في عام 562 م، أشار في كتابه "العمائر" إلى بعض الثورات التي شنّها سكان المناطق الغربية من ليبيا ضد الوندال وفيها ذكر مختلف القبائل الليبية.

- بروكوب القيصري (Procopé de Césarée): مؤرخ بيزنطي عاش نهاية القرن الخامس أو بداية القرن السادس ميلادي، صاحب كتاب التواريخ أو تاريخ الحروب (Les Guerres)، أو كما يسميه بعض المؤرخين حروب جوستينيان، مقسم إلى ثمانية أجزاء ضمن أربع مجلدات، ما يهمنا هو المجلد الثاني الذي يضم كتابين اثنين، أين يتناول فيه المؤلف تاريخ الحروب البيزنطية ضد الوندال (la guerre contre les Vandales) (Bellum Vandalicum)⁽⁵⁾ في أفريقيا وضد مختلف القبائل المورية، أين

(1) محمد البشير شنيّتي، روما الإمبراطورية وبلاد المغرب (سجال عسكري وتفاعل حضاري)، موفم للنشر، الجزائر، 2019، ص220.

(2) Modéran. Yves, Les Maures et l'Afrique romaine (IVe-VIIe siècle), École française de Rome, 2003, pp. 85-93.

(3) Modéran Yves. De Julius Honorius..., Op.cit. p. 265.

(4) Ibid, p.266.

(5) يذكر محمد البشير شنيّتي في كتابه "تاريخنا القديم في كتابات اليونانيين القدماء"، أن مجلدات الحرب الوندالية تم طبعها لأول مرة باللاتينية في مدينة بون الألمانية تحت عنوان (De Bello Vandalico) دون تبويب وتفصيل، وهي التي اعتمد عليها شارل ديهل (Ch.Diehl) في كتابه أفريقيا البيزنطية، ثم صدرت ترجمات أخرى للكتاب بلغات أوروبية مختلفة جاءت مفصلة ومبوبة.

أشار بكتابه إلى أصول سكان المغرب القديم في الكتاب الثاني، الفصل العاشر، الفقرات، من 12 إلى 29، كما أنه أورد بعض الثورات التي شنها سكان المناطق الغربية من ليبيا الحالية - إقليم طرابلس - ضد الوندال وفيها ذكر مختلف القبائل والكيانات المورية، ويبدو أنه أخذ معلوماته من بعض الأمراء المور⁽¹⁾، التي كانت متواجدة في قلب أكثر المقاطعات ترومنا وتحضرا وهي المقاطعات الثلاث البرقنصلية، والبيزاكنيا، ونوميديا⁽²⁾. فيذكر بروكوب هزيمة الوندال أمام أمير طرابلس في كتابه الأول، الفصل الثامن، الفقرات من 1 إلى 29، وجاء ذكر لمقتل القائد صولومون البيزنطي، واشتباكات مع القائد البيزنطي سيرجيوس (Serjius) وشيوخ قبائل لواته في كتابه الثاني، الفصل الواحد والعشرون الفقرات من 1 إلى 20⁽³⁾.

وعموما تعتبر الفترة الوندالية والبيزنطية في المغرب القديم شحيحة من حيث وفرة المعلومات خاصة ما تعلق بأوضاع السكان المحليين، فبروكوب سماهم بـ"المور" وأعطاهم صورة في ذلك الباربار (Barbare) غير المتحضر، ورغم أن كتابات بروكوب تميزت بالاعتصاب وتركيزها على الأحداث العسكرية، إلا أنه وبفضل قائمة الأمراء التي أوردها سمحت بترسيخ خريطة التوزيع الجغرافي لبعض الإمارات وتأكيد جانب كبير من نصوص كوربيوس⁽⁴⁾.

- فلافيوس كريسكونيوس كوربيوس (Flavius Cresconius Corippus): (القرن السادس الميلادي) ينسب الشاعر كوربيوس إلى منطقة المغرب القديم (أفريقيا) من حيث الأصل والمولد، ويفهم ذلك من خلال لقبه "الإفريقي"، هو مؤرخ وكاتب ملاحم، ويعتبر عمله الأول ملحمة الحرب الليبية (de Bellis Libycis) والتي تسمى أحيانا

(1) Procope, B.V.II.13,29.

(2) Modéran.Y. De Julius Honorius..., Op.cit. p. 259.

(3) محمد البشير شنيقي، تاريخنا القديم في كتابات اليونانيين القدماء (سترابو - هيرودوت - بروكوبوس - بوليبيوس)، الدار الجزائرية للكتاب، ط1، الجزائر، 2024، ص209.

(4) يوسف عيش، الاحتلال البيزنطي لبلاد المغرب دراسة للأوضاع الاجتماعية والاقتصادية: تق: محمد البشير شنيقي، ط1، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص226.

الجوهانيد⁽¹⁾ (Johannide)، ورغم طابعها الشعري إلا أنها تعتبر أهم مصدر تاريخي عن منطقة المغرب القديم خلال القرن السادس الميلادي وذلك لسرده وقائع تاريخية ثابتة حول الحملة البيزنطية ضد الوندال في الفترة ما بين (546-548م)، تعتبر هذه أهم مصدر بعد (هيرودوت) و(بروكوب) حول القبائل المورية، حيث حاول إعطاء جرد كامل لها مع تبيان خصوصيتها الإقليمية وتوزيعها⁽²⁾، فأشار كوريبوس من خلالها إلى خصائص هذه القبائل وعاداتها وأماكن تواجدها ووسائل حروبها وتقاليدها المعيشية والاجتماعية⁽³⁾.

وبالرغم مما جاءت به قصيدة كوريبوس من حقائق إلا أنه لا يمكن إعتبارها وثيقة تاريخية كاملة، كونها تحوي كثير من الخرافات المبالغات التي قد تقتضيها ضرورات العمل الملحمي كالنسيج الخيالي الأدبي، ما يجعل نصه مجرد قصيدة أدبية من أدبيات نهاية المرحلة اللاتينية⁽⁴⁾.

بالإضافة إلى بعض مسارات الرحلات والتقارير الجغرافية التي تعتبر من المصادر المهمة ونذكر منها:

- **طاولة بوتنغر (Tabula Peutingeriana):** أو خريطة العالم الروماني تظهر أهم الطرق والمدن الرومانية هي عبارة عن مخطوط على شكل شريط طوله 6,75 م وبعرض 34 سم، احتوت على أحد عشر مسارا أو منطقة (Sectin)، ويعود اكتشافها للقرن الثالث عشر حوالي 1265م لناقل مجهول، أخذت اسم مكتشفها الألماني كونراد بوتنغر Konrad Peutinger) الذي ورثها عن صديقه (Conrad Celtes) وحاول نشرها⁽⁵⁾، ثم في عام 1598م قام الجغرافي البلجيكي أبراهام أورتيليوس المختص في علم الخرائط باستكمال

(1) Fevrier P. A. Le Maure ambigu ou les pièges du discours. École Française de Rome, 1996, p.292.

(2) Modéran. Y, Les Maures..., Op.cit. p..41

(3) فلافيوس كريسكونيوس كوريبوس، ملحمة الحرب الليبية الرومانية او مقاومة قبائل المغرب العربي للاستعمار الروماني، تر: محمد الطاهر الجراي، مركز الجهاد للدراسات التاريخية، طرابلس، 1988، ص ص.15-20.

(4) Fevrier P. A. Le Maure..., Op.cit. p.301.

(5) Ekkehard. W, Die Tabula Petingeriana mittelalterliche kopie einer spatromischen Weltkarte und UNESCO- Weltkulturerbe, KARTOGRAFIE UND KULTURGÜTERSCHUTZ, 2014, p.90.

تأليفها⁽¹⁾. النسخة الأصلية محفوظة في متحف فيانا، تكمن أهمية هذا المخطوط في أنه تناول وصف العالم القديم من الجزر البريطانية إلى الهند عن طريق تحديد وبصفة أولية المواقع الأثرية مرورا بمنطقة دراستنا شمال إفريقيا والبحر المتوسط⁽²⁾.

امتازت الوثيقة بقلّة الدقة في تحديد المسافات لأنها وضعت بطريقة اختيارية ولأهداف معينة. وتعتبر لوحة بوتنغر أوضح نموذج احتفظت به الوثائق الوثائق المخطوطة في العهد الروماني، توصف بأنها ذات وجهة عسكرية مقارنة بخريطة أنطونيني (Itinirarium Antonini Augusti) ذات الوجهة الإدارية والاقتصادية، أين ركزت لوحة بوتنغر على دقة المسافات ورمزت إلى المحطات بعلامات تقيد المتنقل وترشده⁽³⁾.

المسار أو المنطقة التي جاء فيها ذكر المغرب القديم من طاولة بوتنغر هو المنطقة الثانية والثالثة (Sectin,II.III) أين ذكرت عديد المدن والمراكز الحضرية، وحتى ذكرت أسماء بعض القبائل بها.

2. المصادر الإيبغرافية:

الإيبغرافيا (L'épigraphie) أو علم النقوش هو علم يعنى بدراسة الكتابات، والنصوص القديمة بمختلف أنواعها، المنقوشة والمنحوتة أو المكتوبة بالصباغة، على الأحجار أو المعادن أو الطين أو الزجاج أو العظام أو الفسيفساء، وتعتبر أحد أهم المصادر في دراسة التاريخ والحضارة⁽⁴⁾، فالمصادر الإيبغرافية على عكس المصادر الأدبية أدق وأغنى نسبيا، لما تحتويه من معلومات تعطي المؤرخين الحيوية، والنشاط والتجديد في

(1) خالد محفوظ، المقاطعات الإفريقية خلال الفوضى العسكرية 235-285م (بحث تداعيات الأزمة وانعكاساتها على البروقنصلية وموريطانيا القيصرية)، أطروحة دكتوراه، إ: محمد الهادي حارش، جامعة الجزائر2-قسم التاريخ-، الجزائر، 2020/2019، ص42.

(2) Ekkehard. W, Op.cit ,P83.

(3) محمد البشير شنيقي، دراسات في التاريخ والآثار القديمة بالجزائر وبلاد المغرب، دار كنوز الحكمة، الجزائر، 2018، ص182.

(4) مجموعة من المؤلفين، الموسوعة الأثرية العالمية، تر: محمد عبد القادر محمد وزكي اسكندر، ط2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1997، ص45.

المعلومة⁽¹⁾، وقد تزايد الاهتمام بدراسة النقائش انطلاقاً من كونها مصدراً أثرياً متميزاً، ومادة خاماً غنية بالمعلومات، بإمكان المهتمين استنتاجها واستثمارها، واعتمادها في عديد المجالات العلمية، كعلم الآثار والتاريخ، والمجال الاجتماعي، الثقافي والعسكري إضافة إلى المجال الاقتصادي... ومجالات أخرى⁽²⁾، فتحليلها السليم يوضح لنا صورة تحرك المجتمعات القديمة.

في دراستنا حول قبائل المغرب القديم الفترة الرومانية تعتبر النقوش الإيبيرية أهم المصادر التي يلجأ إليها الباحث، فمن خلال استقراءها وتحليل ما جاء فيها جمعت كثير المعلومات التي تفيد في معرفة أسماء بعض القبائل المغربية القديمة المحتكة مع الرومان، وتحديد مواقع استقرارها ومجالات تحركاتها، ذكر أسماء بعض زعماء وأمراء وملوك القبائل، وحتى اتفاقيات ومعاهدات مع الرومان.

تجمع الدراسات التاريخية والأثرية المهمة بتاريخ المغرب خلال العصر الروماني، بأن القرن الثاني للميلاد يعد العصر الذهبي للإيبيريا، ويذهب البعض إلى تمديده إلى غاية النصف الأول من القرن الثالث، لكنه سيشهد قلة في النصف الثاني من ذات القرن، ومع دخول القرن الرابع نشهد عودة قوية للإيبيريا بكل مقاطعات المقاطعة الرومانية بالمغرب القديم⁽³⁾.

خلف الرومان عددا هائلا من النقائش اللاتينية شرع في جمعها انطلاقاً من سنة 1863 م في مؤلف وُسم بجامع النقوش اللاتينية أو مدونة النقوش اللاتينية (Corpus

(1) عبد العزيز أكرير، مقاومة الموريين للرومان بموريطانيا الطنجية ما بين 40م-285م دراسة إسطفورية، المقاومة المغربية عبر التاريخ أو مغرب المقاومات، أعمال الندوة الدولية، الرباط، 2005، ص26.

(2) مصطفى الأعشي، نقائش معاهدات السلام بين الباكوات الأمازيغ والرومان في موريطانيا الطنجية خلال القرنين الثاني والثالث الميلاديين، منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، المغرب، 2004، ص8.

(3) خالد محفوظ، المقاطعات الإفريقية، ص46.

(Inscriptionum Latinarum)⁽¹⁾ الذي يرمز له بـ: (C.I.L). ولا زالت مجلداتها تصدر تباعا إلى اليوم، وهو مقسم إلى عدة مجلدات (17 مجلدا حاليا فيه حوالي 70 جزءا)، تم تقسيم المجلدات من الثاني إلى الرابع عشر جغرافيا وفقا للمناطق التي تم بها العثور على النقوش⁽²⁾.

أما المجلد الثامن (C.I.L.VIII) منه يحتوي على النقوش الخاصة ببلاد المغرب القديم التي كان الاهتمام بها متأخرا نوعا ما (الربع الأخير من القرن التاسع عشر الميلادي) وهو المجلد الذي نعتمده كثيرا في دراستنا، ابتداء من سنة 1888م شرع في إصدار حولية خاصة بالنقوش الإيبغرافية تحمل اسم السنة الإيبغرافية (L'année Epigraphique)⁽³⁾، كما نشرت نقوش كل من مقاطعتي نوميديا، وأفريقيا البروقنصلية في مؤلف النقوش اللاتينية الجزائرية (Inscriptions Latines de l'Algérie)، إضافة إلى إصدارات مختلفة في نشریات، ومجلات مثل النشريات الأثرية للجنة الأعمال التاريخية والعلمية (Bulletin Archéologique du Comité des Travaux Historiques et Scientifiques)، يضاف لها النشريات الأثرية الجزائرية (Bulletin Archéologique de l'Algérie)، والمجلة الأفريقية (Revue Africaine)⁽⁴⁾.

تم العثور على أكثر من 50 ألف نقيشة ببلاد المغرب القديم، كانت البروقنصلية من أكثر المقاطعات غنى بالنقائش. ثم نوميديا خاصة جزءها الشرقي، في حين كانت قلة

(1) تم جمع هذه النقوش لأول مرة من طرف علماء النقوش الألمان العاملون في أكاديمية برلين، وأسندت مهمة جمعها في البداية إلى قوستاف ويلمانس (Willmans.G)، غير أنه توفي قبل انتهاء عمله فخلفه ثيودور مومسن (Th. Mommsen) الذي نشر العمل سنة 1881 في المجلد الثامن من سجل النقوش اللاتينية.

(2) مصطفى الأعشي، نقائش معاهدات، ص7.

(3) المرجع نفسه، ص7.

(4) حياة بوسليمان زروقي، دراسة مكونات مجتمعات مدن موريطانيا القيصرية من خلال الكتابات اللاتينية في الفترة الممتدة بين القرنين الأول والثالث للميلاد، أطروحة دكتوراه، إ: محمد المصطفى فيلاح، جامعة الجزائر2-معهد الآثار-، الجزائر، 2015/1016، ص61.

النقائش في الموريطانييتين خاصة الطنجية إذ لا يتجاوز العدد ثمانمائة وخمسين (850) نقيشة لاتينية، نال منها موقع ويلي النصيب الأكبر⁽¹⁾. وحسب ما أدرج وصنف في مختلف المدونات، وما نشر في المجلات والدوريات المتخصصة، فإن النقوش اللاتينية التي تعود إلى الفترة الرومانية بالمغرب القديم (146ق.م-429م) صنف حسب محالات استخدامها إلى:

- **النقوش الرسمية:** ذات الطابع التشريعي والقانوني مثل المناشير والمراسيم الإمبراطورية، مختلف النصوص القانونية كالسجلات العقارية لأملاك الإمبراطور بالمقاطعات، سجلات الوقائع الخاصة بالانتصارات، الشهادات العسكرية، النصب الميلية.

- **النقوش الخاصة:** كالعقود التجارية، الوصايا، الهبات وغيرها. وقد احتلت المرتبة الثانية من حيث الكم بعد النقائش الدينية.

- **النقوش الدينية الجنائزية:** توجد بكثرة في المواقع الأثرية، تحمل معلومات قيمة خاصة في المجال الاجتماعي⁽²⁾، حيث تفيد في معرفة الأسماء ومختلف الطبقات الاجتماعية بالإضافة إلى معرفة المهن والحرف ضمن حيز جغرافي معين⁽³⁾. وكل هذه النقوش أفادت الباحثين في تغطية نقص المعلومة بالمصادر الأدبية عموما كونها شاهداً مباشراً للحادثة التاريخية.

من خلال استعراضنا لما سبق توصلنا إلى: تعدد تسميات بلاد المغرب القديم: لوبة، أفريقية، جزيرة المغرب، بلاد البربر، شمال أفريقيا، المغرب، وهذا على الرغم من وحدة البلاد الجغرافية والجنسية. كل هذه التغيرات في الأسماء كانت في الواقع نتيجة العوامل التاريخية، ولمختلف المكتسبات البشرية والثقافية التي عرفت المنطقة، اختلفت هذه التسميات من حيث

(1) مصطفى الأعشي، نقائش معاهدات، ص8.

(2) Lassère.J.M., Manuel d'Epigraphie Romaine, volu 1, Editions Picard, Paris 2007, pp. 5-6.

(3) Ibid, p.6.

تاريخ ظهورها، واستعمالها وتطور مدلولاتها، والتي سيقع استعمالها وفق الحقبة التاريخية والثقافية المطروحة.

أما امتدادها الجغرافي وبحسب كل المصادر القديمة (مصرية، إغريقية، رومانية) فامتدت من حوض النيل شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا، وهي بامتدادها هذا احتلت موقعا متميزا بحكم انتمائها لعالم حوض البحر المتوسط، ما جعل منها منطقة جذب لمختلف الأجناس البشرية وعلى مر العصور، في هذه المنطقة الجغرافية الواسعة تكون المجتمع اللوبي، أو الإفريقي القديم، واستمر متمثلا في مختلف القبائل، وقد أمدتنا المصادر الإغريقية والرومانية بالكثير من المعلومات حول الجماعات الليبية القديمة التي كانت تعيش في المنطقة المعروفة قديما باسم ليبيا بمعناها الواسع، وقد استقينا معلوماتنا هذه من خلال ما تركه هؤلاء الكتاب من أخبار معظمها كانت خليطا بين الحقائق والأساطير، وكان على رأس هؤلاء الكتاب هيرودوت (القرن الخامس قبل الميلاد) في كتابة التاريخ الجزء الثاني والرابع، الذي أفرد لوبة بقسم هام منه، وسالوستوس القرن الأول قبل الميلاد، وسترابون وبلين الأكبر القرن الأول الميلادي وغيرهم كثير.

أثارت مسألة جذور السكان الأصليين لبلاد المغرب جدلا واسعا بين الباحثين والمؤرخين، فتعددت روايات المؤرخين القدامى، وتضاربت آراء وفرضيات المختصين والباحثين المحدثين؛ فالنصوص الأدبية الكلاسيكية السابقة الذكر وما تضمنته من أخبار لا يمكن الأخذ بها، وتصديق ما جاء فيها بالرغم من كوننا لا نهمل كثيرا من المعلومات التي وردت بها، لذلك نلجأ لاستقراء المعطيات الأثرية والدراسات الأنثروبولوجية التي ترشدنا لحقائق جديدة، وقد توصلوا من خلالها إلى أن التركيبة الأساسية لسكان بلاد المغرب القديم تنتمي إلى ذلك العمق المحلي القديم الذي كان موجودا بالمنطقة منذ ما قبل التاريخ.

الفصل الثاني

شعوب وقبائل المغرب القديم قبل الاحتلال الروماني من خلال المصادر الأثرية والأدبية المصرية والكلاسيكية الإغريقية رومانية.

أولاً: النظام القبلي في بلاد المغرب القديم.

ثانياً: المجموعات القبلية الليبية الكبرى الباكورة من خلال المصادر المصرية

ثالثاً: القبائل الليبية في المغرب القديم من القرن الخامس إلى القرن الثاني قبل الميلاد

كانت جغرافية المغرب القديم من الحدود الغربية للبلاد المصرية إلى المحيط الأطلسي عامرة بها منذ قديم الأزمنة بمجموعات بشرية وقبائل، واستطاعت تشكيل مجتمع قبلي بالدرجة الأولى، ويمكن التعرف على هذه القبائل الليبية القديمة من خلال المصادر الأثرية والتاريخية المصرية القديمة، التي تمتد منذ عصر ما قبل الأسرات وحتى مجيء الإغريق إلى منطقة الجبل الأخضر وما حوله في القرن السابع قبل الميلاد، ونلاحظ أنها كتبت من جانب واحد وهو الجانب غير الليبي وهي بذلك لا تخلو من مبالغة وتحيز خاصة أن الحفريات الأثرية في الفترة الأولى وهي فترة العلاقة بالمصريين القدماء لم تمدنا بمعلومات ذات قيمة نستطيع من خلالها كتابة تاريخ متسلسل لهذه المنطقة.

كما تحدثت المصادر الأدبية الكلاسيكية سواء الإغريقية منها أو اللاتينية عن شعوب اللوبيين وقبائلهم، ذاكرين أسماءهم، واصفين أساليب عيشهم وتقاليدهم. وقد تميزت تلك النصوص التي تتناول تاريخ الشعوب خلال فترات التاريخ البعيدة بالندرة والاقتضاب، بل بالغموض في معظم الجوانب وخاصة ما تعلق بأصولهم تحديداً.

أولاً: النظام القبلي في بلاد المغرب القديم

مجتمع المغرب القديم: المجتمع عبارة عن جماعة بشرية تشمل عدداً غير محدود من الناس يعيشون في أرض معلومة الحدود لفترة زمنية طويلة، فتنشأ بينهم روابط ثابتة تمثلها القرابة التي تشير إلى تفاعلهم الاجتماعي بثلاث طرق، الأولى تنجم عن تناسل الأسرة وتكاثرها وهي التجمع المتسلسل، في حين تعتبر الثانية ناتجة عن اجتماع عدد من الأسر مع بعضها محافظة كلا منها على عاداتها وتقاليدها وهي التجمع المختلط، أما الثالثة فتكون نتيجة اختلاط الأسر وامتزاجها عن طريق الزواج (المصاهرة) وهي التجمع المزجي⁽¹⁾.

شكلت جموع القبائل والشعوب التي سكنت بلاد المغرب القديم وأشارت لها معظم المصادر سواء الأثرية وفي مقدمتها المصرية، أو الأدبية الكلاسيكية الإغريقية واللاتينية، مجتمعاً له خصائصه ومميزاته يمكن أن نطلق عليه مجتمع المغرب القديم الذي انتشر في كامل شمال

(1) مها العيساوي، إشكالية المنهج والمصطلح في المدرسة التاريخية الجزائرية مصطلح المجتمع المغاربي القديم أنموذجاً، أشغال الندوة العلمية بالمدرسة العليا للأساتذة ببوزريعة 2011، مؤسسة كنوز الحكمة، الجزائر 2012، ص 81.

إفريقيا دون تحديد للإطار الزمني والمكاني الذي عاش فيه هذا المجتمع، وتشير جل تلك المصادر القديمة أن سكان بلاد المغرب القديم كانوا مجموعة من القبائل تحمل كل منها اسما خاصا بها⁽¹⁾. وعليه فأول صورة للتنظيمات الاجتماعية الدائمة التي ظهرت في الفترة القديمة بالمنطقة هي المجتمع القبلي الذي ظهر منذ الألف الثانية قبل الميلاد، حيث كانت أساسه القبيلة⁽²⁾. فبجمع القبائل المغربية القديمة تشكل المجتمع اللوبي القديم الكبير في مفهومه الواسع، الذي ينضوي بداخله عدد من المجتمعات القبلية المتعددة الخصائص والعناصر الثقافية المميزة لكل واحد منها⁽³⁾.

وعن الإطار المكاني الذي شغله المجتمع المغربي القديم فقد كان متغيرا يضيق ويتسع وفقا لتحركات القبائل المحلية التي مثلت مواطن انتشارها حدود المغرب القديم، والذي مثلته المنطقة الممتدة من غرب النيل شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا ومن البحر المتوسط شمالا إلى الحدود الصحراوية جنوبا⁽⁴⁾.

1. الأسرة:

تشكل الأسرة النواة الأولى الأساسية في تكوين أي مجتمع وهو ما كانت عليه الأسرة اللوبية فشكلت نواة المجتمع اللوبي القبلي القديم⁽⁵⁾، فأقدم الإشارات التي تشير للأسرة في بلاد المغرب القديم تعود لمصادر التاريخ المصري القديم، إذ ورد ذكر الشعوب والقبائل الليبية لأول مرة ابتداءً من عهد ما قبل الأسرات ثم توالى ذكرهم في عهد الدولة القديمة والوسطى، وحتى الحديثة⁽⁶⁾، وهي إشارات مقتضبة عن الليبيين وصفاتهم وعاداتهم⁽⁷⁾، من ذلك ما بينته نقوش جدران معبد الكرنك في عهد "مرنبتاح" (Merneptah) (1212-1202).

(1) مها العيساوي، المرجع نفسه، ص 82.

(2) وفاء بوغراة، ظاهرة تعدد الزوجات في الأسرة اللوبية القديمة قبل القرن الرابع قبل الميلاد، الحوار الفكري، (د، س، ن)، ص 289.

(3) مها عيساوي، المجتمع اللوبي، ص 158.

(4) مها العيساوي، إشكالية المنهج، ص 86.

(5) محمد الصغير غانم، سيرتنا النوميديّة النشأة والتطور، دار الهدى للطباعة والنشر، الجزائر، 2008، ص 201.

(6) مقدم بنت النبي، الأسرة في بلاد المغرب القديم خلال العهد الروماني الإمبراطوري الأعلى (27ق.م - 284م)، اطروحة دكتوراه، إ: بلقاسم رحمان، جامعة الجزائر 2، 2013/2014، ص 18.

(7) المرجع نفسه، ص 21.

1202ق.م) والتي ذكرت أن "مري بن دد" أمير الليبو الذي سحب زوجته وستة من أولاده إلى الدالتا⁽¹⁾، وفي إشارات أخرى ورد أنه يصطحب زوجاته الإثني عشر (12)، وتعتبر هذه الإشارة هي أول ذكر صريح لكلمة أسرة ليبية في المصادر المصرية⁽²⁾.

تعرف الأسرة المغربية القديمة أنها أسرة أغناطية (Agnatique) بمعنى عائلة أبوية (Patriarcal) تنتمي للنسب الأبوي⁽³⁾. وهي أسرة موسّعة تتعايش فيها الأجيال الثلاثة الجد، والأبناء، والأحفاد ترجع السلطة فيها دائماً للأب الأكبر سناً الذي له مكانة كبيرة⁽⁴⁾، كما تكون السلطة مطلقة للرجال⁽⁵⁾، وكانت الأسرة الضيقة المكونة من الزوجين والأبناء جزءاً من الأسرة الكبيرة التي تنشأ عن روابط القرابة (الأمومة، الأبوة، الأخوة، البنوة، المصاهرة)⁽⁶⁾. وتتكون الأسرة من عدد من الذكور المنحدرين من جد مشترك واحد مع نسائهم، ومفهوم الأسرة هذا نجده كذلك لدى الإغريق والرومان⁽⁷⁾⁽⁸⁾، بينما الأسرة القرطاجية لم تكن تضم إلا الزوجين والقليل من الأطفال في غالب الأحيان⁽⁹⁾. وباجتماع وتكتل هذه الأسر تتكون العائلة ثم القبيلة. وقد أطلق الرومان لفظي عائلة (Familia)، وقبيلة أو شعب (Tribus) على الأسرة الكبيرة من سكان المغرب القديم⁽¹⁰⁾، وهذا النظام الأسري مثّل أرقى مابلغه المجتمع بعد مراحل طويلة من التطور الاجتماعي الداخلي⁽¹¹⁾.

(1) وفاء بوغرة، المرجع السابق، ص 290.

(2) مقدم بنت النبي، المرجع السابق، ص 19.

(3) غزال ستيفن، تاريخ إفريقيا الشمالية، ج5، ص ص 41-42.

(4) محمد العربي عقون، المجتمع والثقافة في الشمال الإفريقي القديم نظرة موجزة في إسهامات الجزائر في الحضارة

الإنسانية، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، ع4، جوان، 2015، ص 23.

(5) محمد الصغير غانم، سيرتنا النوميديّة، ص 204.

(6) أبوبكر حسني عيسى أحمد سرحان، مجتمع المغرب تحت الاحتلال الروماني 28ق.م - 235م، رسالة مقدمة لنيل درجة

الماجستير في الدراسات الأفريقية من قسم التاريخ، إ: السيد على أحمد فليفل وعزت زكي حامد قادوس، معهد البحوث

والدراسات الإفريقية، القاهرة، 2013، ص 192.

(7) ستيفن غزال، تاريخ إفريقيا الشمالية، ج5، ص 53.

(8) Rebuffat. R. Les tribus en Maurétanie Tingitane. In: Anti Afr, 37, 2001. p. 25.

(9) مقدم بنت النبي، المرجع السابق، ص 24.

(10) أبوبكر حسني عيسى أحمد سرحان، مجتمع المغرب، ص 192، Cit.p.25. Rebuffat René. Op.

(11) محمد العربي عقون، الاقتصاد والمجتمع، ص 172.

يرى بعض المؤرخين أن العائلة بالمغرب القديم في بدايتها الأولى كانت أمومية (أموسية) (Famille Matriarcal) وهي مرحلة مرت بها كل الشعوب القديمة، ولا تزال بعض خصائصها مستمرة في المجتمع التارقي، ذلك نتيجة الاحتكاك بالمجموعات الزنجية التي شاع هذا الشكل العائلي لديها، غير أن عقون (م.ع) يعتقد أن الباحثين والمؤرخين قد بالغوا في تحليل هذه المسألة⁽¹⁾، غير أن غزال (س) ذكر بأنه لا وجود لبرهان على وجود الأسرة الأمومية في عصور التاريخ القديمة لليبيين عكس العائلة الأبوية التي عرفت منذ الألف الثانية قبل الميلاد⁽²⁾.

وعلى العموم تعتبر الأسرة في بلاد المغرب القديم القديمة أسرة زيجية (زواجية) تكونت من مجموعة أشخاص اتحدوا بروابط الزواج والدم أو التبني⁽³⁾، رغم أن بعض الدراسات الغربية تشير إلى العكس مستندة في ذلك على ما جاءت به المصادر بالأخص ماكتبه هيرودوت الذي أشار في تاريخه إلى تفاصيل العادات المميزة لكل قبيلة، فقدم معلومات قيمة ومفيدة عن بعض العادات التي تميز الأسرة خاصة والمجتمع اللوبي القديم عامة⁽⁴⁾. فالزواج وتكوين عائلة هو تقليد قديم معروف في المغرب القديم، وعادة يكون الزواج في سن مبكرة بالنسبة للفتاة، كما يشترط على الفتاة العروس العذرية التي هي عنوان للمحافظة على نقاء النسب⁽⁵⁾، وتنتقل الزوجة إلى بيت زوجها ويلزمها العرف بالوفاء والخضوع لزوجها، والعلاقة الشرعية بين الرجال والنساء يمكن أن تتخذ عدة أشكال زواج رجل من امرأة واحدة، زواج

(1) محمد العربي عقون، المجتمع والثقافة في الشمال، ص 22.

(2) ستيفن غزال، تاريخ إفريقيا الشمالية، ج 5، ص 38.

(3) محمد العربي عقون، الاقتصاد والمجتمع، ص 171.

(4) أثار موضوع الزواج لدى سكان المغرب القديم جدلا كبيرا ، فبعض المؤرخين اعتمدوا إشارات هيرودوت كإعدام الزواج لدى قبيلة المخيلس (Mechlyes) وغيره من المصادر الأخرى، ويشير بلين الأكبر أن الغرامنت لم يمارسوا الزواج وكانوا ينتقلون من امرأة لأخرى (PlineV, 45) كما أن الرجال الغرامنت لم تكن لهم زوجة ونسب الأطفال يعرف بالشبه الجسدي، العادة نفسها نجدها لدى قبيلة الأفسيس الأوسيس فمن تقاليدهم إذا ولد طفل بالقبيلة ينظرون حتى تظهر ملامحه ويحدد الوالد من بين الحضور على أساس الشبه (هيرودوت IV، 180)، ليؤكدوا ويثبتوا أن سكان المنطقة لم يعرفوا الزواج ، وعليه وجب علينا إعادة استقراء تلك المصادر القديمة والرد على ما ورد فيها لأن العائلة المغاربية القديمة عائلة زواجية. للمزيد ينظر: محمد العربي عقون، المرجع السابق، ص 335 و Gsell. s, Hérodote, Texts relatifs a

l'histoire...Op.Cit .p.151

(5) محمد العربي عقون، الاقتصاد والمجتمع، ص 172.

رجل واحد من عدة زوجات، وأخيرا زواج امرأة من عدة رجال وهو شكل نادر من الزواج بالمنطقة ولم يعثر له على أثر في المجتمع المحلي⁽¹⁾، تعرض هيرودوت في تاريخه وفي مناسبتين لزيجات احتفل بها علانية عند الليبيين القدماء لدى كل من قبيلتي النسامون والأديرماخداي⁽²⁾. كما عرفت العائلة المغربية ظاهرة تعدد الزوجات⁽³⁾.

وعليه فالأسرة شكلت أهم المؤسسات الاجتماعية التي أقامها الإنسان منذ فترات ضاربة في القدم (ترجع لمرحلة ما قبل التاريخ)، ونطاق الأسرة في مجتمع المغرب القديم لا يزال غامضا كونه مهماشا في المصادر الكلاسيكية⁽⁴⁾.

2. القبيلة المغربية القديمة كأداة لحركة الشعوب:

1.2. مفهوم القبيلة:

يعد مفهوم القبيلة من المفاهيم المتعسرة الضبط على الباحث نظرا لعدم الاتفاق على دلالاته ومعناه لكون المفهوم قد تم تناوله في سياقات عدة⁽⁵⁾، وكثيرا ما يستعمل مصطلح القبيلة

(1) أبوبكر سرحان، عادات وتقاليد سكان شمال إفريقيا القديم (814 ق.م - 429م)، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية المصرية، ع11، ج1، مصر، 2021، ص32.

(2) Hérodote. IV.168.172.

(3) تعدد الزوجات: أورد هيرودوت في كتابه التواريخ "... من عادات النسامونيين أن يتخذ الرجل عدة زوجات فالمرأة عندهم مُشاع" (هيرودوت IV، 172)، لكن هذه الفكرة عن مشاعية المرأة في عرف القبائل الليبية فندتها رواية جوستيان (Justin) حين طلب الملك هيرباس الأميرة الفينيقية عليسة ديدون للزواج، فلو كانت المرأة مشاعا لاعتبرها حقا من حقوقه على إعتباره أنه ملك، والمقصود بالمشاعة إنما هو التعدد، فتعدد الزوجات كان موجودا في مجتمع المغرب القديم من ذلك أن قبائل الليبو وحتى ملوك النوميدي كانوا يقتنون أكبر عدد ممكن من الزوجات، وهو ما أكدته سترابون من خلال قوله: "والسكان هنا على بساطة متناهية في أنماط حياتهم وثيابهم غير أن للرجال زوجات كثيرات وأولاد كثيرون، وهم في جوانب معيشتهم كالعرب الرجل". لا تعني ظاهرة تعدد الزوجات على إنحطاط مكانة المرأة في المغرب القديم، والظاهر أن سببه الرغبة في إنجاب الكثير من الأولاد وهو ما يفسر العدد الكبير للسكان بالمنطقة قديما. للمزيد ينظر: وفاء بوغرارة، وفاء بوغرارة، ظاهرة تعدد الزوجات في الأسرة اللوبية القديمة، ص ص292-305.

(4) مها عيساوي، المجتمع اللوبي، ص ص169-170.

(5) عرفت الموسوعة العربية الميسرة القبيلة على أنها مجموعة من الناس يتكلمون لهجة واحدة ويسكنون إقليما واحدا مشتركا يعتبرونه ملكا خاصا بهم، وعرف العرب القبيلة عن طريق علم الأنساب بـ: الجدم، الجمهور، الشعب، القبيلة، العمارة، البطن، الفخذ، العشيرة، الفصيلة، الرهط. للمزيد ينظر: محمد نجيب بوطالب، سوسيولوجيا القبيلة في المغرب العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت، 2002، ص54.

للدلالة على مفاهيم مختلفة كالإثنية أو العرقية أو الطائفة الدينية أو حتى الحزب السياسي⁽¹⁾، وحتى للدلالة على المجتمع.

نجد في علم الاجتماع ثلاثة مفاهيم للقبيلة: الأول يعتبرها نسقا من التنظيم الاجتماعي يتضمن عدة جماعات محلية مثل القرى والبلدات والعشائر، وتوطن القبيلة إقليما معيناً ويكتنفها شعور قوي بالتضامن والوحدة يستند إلى مجموعة من العواطف الأولية، في حين المفهوم الثاني اعتبرها تجمعا كبيرا أو صغيرا من الناس يستغلون إقليما معيناً ويتحدثون اللغة نفسها، وتجمعهم علاقات اجتماعية خاصة متجانسة ثقافيا، ومفهوم ثالث حدد القبيلة كوحدة متماسكة اجتماعيا ترتبط بإقليم وتعتبر في نظر أعضائها ذات استقلالية سياسية⁽²⁾.

والقبيلة بمفهومها العام هي كيان اجتماعي قائم على مجموعة أسر متحدة بوشائج القرابة والدم والمصاهرة، وبإمكانها أن تتعزز بالمساكنة والمشاركة في مختلف النشاطات الاقتصادية وهي بذلك تمثل عائلة كبيرة⁽³⁾. فكانت العلاقات التي تربط بين الأفراد والجماعات قائمة على قرابة الدم، أي أن الإحساس بالانتماء يحركه الولاء للعشيرة⁽⁴⁾، وتعد القبيلة من أقدم المؤسسات الاجتماعية والسياسية وهي أصل التجمعات البشرية منذ القدم، وتحظى في المجتمعات التقليدية بمكانة هامة تتجلى في كونها معبرة عن انتماء الفرد إلى الوحدة الاجتماعية التي تشكل الحاضنة الأساسية له، وقد يكون هذا الانتماء جينيا كالانتماء إلى جد مشترك واحد⁽⁵⁾، وقد يكون الانتماء القبلي ناتجا عن تحالف بين مجموعة من الأفراد أو مجموعة من القبائل مشكلين بذلك قبيلة تكون مرجعيتهم القبلية، والثقافية والاجتماعية

(1) محمد نجيب بوطالب، سوسيولوجيا القبيلة في المغرب العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت، 2002، ص53.

(2) محمد مكحلي، إشكالية القبيلة في الدراسات الاجتماعية - المغرب العربي أنموذجا-، مجلة أفاق فكرية، ع1، 2014، ص4.

(3) محمد العربي عقون، الاقتصاد والمجتمع، ص168.

(4) جهيدة مهنتل، النوميديون ضحية المصادر القديمة، آراء ودراسات في التاريخ والآثار القديمة، ندوة علمية بوزريعة، 23.24 ديسمبر، الجزائر، 2011، ص11.

(5) محمد نجيب بوطالب، المرجع السابق، ص54.

والسياسية والاقتصادية، تسكن القبيلة مجالا محددًا ترسم حدوده، وتتحدث لغة واحدة مشتركة⁽¹⁾. إذا تعتبر القبيلة مؤسسة اجتماعية تقوم بأدوار اقتصادية واجتماعية وسياسية، تمتاز بها المجتمعات القديمة، وتحدد سماتها الثقافية والحضارية.

إذا ما طبقنا المفهوم الاجتماعي للقبيلة على مفهوم القبيلة الليبية فإننا نجده متشابهًا، فالقبيلة الليبية كانت عبارة عن تجمع صغير من الناس يستغلون إقليمًا معينًا ويتحدثون اللغة نفسها وتجمعهم علاقات اجتماعية متجانسة ثقافياً⁽²⁾. ووجود القبيلة والنظام القبلي في المغرب القديم قديم جداً، ذلك راجع لكون الرعي والزراعة المحدودة شكلتا جانبا مهما في حياة المغاربة القدماء الاقتصادية⁽³⁾، فكانت لدى الشعب النوميدي كما لدى المور والجيتول الوحدة السياسية الأساسية فوق العائلة ذات الوحدة الطبيعية⁽⁴⁾.

للقبيلة في المغرب القديم مفهوم خاص تمثل مجموعة من العشائر أو العائلات تنتهي بالذكور إلى جد مشترك والمعروف في اللاتينية باسم (agnats)⁽⁵⁾. كما نجده أيضا في النصوص نفسها باسم (gens) أي عشيرة رغم أن الرومان استعملوا هذا المصطلح بمفهوم القبيلة⁽⁶⁾، وقد تم العثور على مفهوم لـ (gens) الذي استخدم بمعنى مجتمع قبلي أفريقي لدى كل من بلين (Pline)⁽⁷⁾، وأميان ماركولان (Ammien Marcellin) الذي يرجع للفترة الرومانية المتأخرة⁽⁸⁾، والراجح أنهم استخدموا هذا الإصطلاح قبل أن يميزوا المجموعات العائلية (Groupes Familiaux) التي تكونت منها القبيلة⁽⁹⁾. أطلق الرومان لفظا

(1) محمد الترسالي، الحياة البدوية بمنطقة الساقية الحمراء، دار القلم، الرباط، 2019، ص 41.

(2) محمد نجيب بوطالب، المرجع السابق، ص 55.

(3) أم الخير العقون، دولة الأمازيغ، ص 69.

(4) غابريال كامبس، ماسينييسا أو بداية التاريخ، ص 299.

(5) ستيفن غزال، تاريخ إفريقيا الشمالية، ج 5، ص ص 53، 54، حفيظة العياضي، المنظومة القبلية في الأوراس من كيان النوميدي إلى مقاومة الاحتلال الروماني، العدد 25، 24، مجلة العصور الجديدة، 2016، ص 12.

(6) Hamdoune.C, *Gens, Gentes, Gentiles*, Ency berb, 20 | 1998, pp.3045-3052.

(7) Pline l'Ancien, V. 30.

(8) Ammien Marcellin. XXX.5.11.

(9) ستيفن غزال، تاريخ إفريقيا الشمالية، ج 5، ص 54.

(Famili) و (Tribus) على العائلة الواسعة عند الأفارقة⁽¹⁾، ونجد لفظ (Familia) بنفس هذا المعنى عند بلين الأكبر⁽²⁾.

قدم الأنثروبولوجي جاك بيرك (Berque.j) مقترحاً لمفهوم القبيلة بشمال إفريقيا حتى وإن كان في فترات حديثة، من خلال ربط القبيلة بفضاء معين، فالقبيلة في شمال إفريقيا حتمية تاريخية ارتبطت في هذه المنطقة بعدة ظواهر منها: الانتصارات أو الهزائم، حركات الهجرة والتهجير، الحيوية التي تساعد على الانتشار أو الضعف الذي يخلف التشتت، بالإضافة إلى الجانب الاقتصادي الذي يساهم في حركة التوسع والمقترن بالنشاط الاقتصادي الزراعي أو الرعوي وتكاثر أو اختلاط المجموعات البشرية⁽³⁾، فألحقت فروع عديدة بالفرع الأصلي فأدى هذا إلى استحالة التمييز فيما بينهم وغدت القبيلة في المغرب القديم لا تركز فقط على الاندماج بل التجميع أيضاً، ذلك أن الانتماء للجد المشترك يضم أصولاً عديدة للسكان تتقاطع فيما بينها بهذا الانتماء في كل الاتجاهات هذا ما يفسر انتشار أسماء نفس القبائل في كل شمال إفريقيا⁽⁴⁾.

أما عن نظام الحكم داخل القبيلة، فأى مجموعة تحتاج لزعيم يسيرها ويمثلها أمام المجموعات الأخرى المماثلة لها والتي كانت جزءاً من مجتمع أوسع⁽⁵⁾، فتزعم القبيلة زعيم الأكبر سناً من أسرة معينة تحتكر لنفسها زعامة القبيلة، وكان هذا الزعيم يعزل عن الزعامة إذا لم تثبت كفاءته ويعهد بمنصبه إلى أحد أعضاء الأسرة الآخرين⁽⁶⁾. نظام الحكم في القبيلة وراثي ويكون للأكبر سناً من بين جميع الأعضاء المكونين لمجلس القبيلة الإستشاري ويكون

(1) ستيفن غزال، المرجع السابق، ص 54.

(2) Pline l'Ancien, V. 17.

(3) جاك بيرك، في مدلول القبيلة بشمال إفريقيا، ضمن كتاب الأنثروبولوجيا والتاريخ حالة المغرب العربي، تر: عبد اللطيف الفلق، ط2، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، 2007، ص 114.

(4) للمزيد عن مقترح جاك بيرك المتعلق بمفهوم القبيلة بشمال إفريقيا ينظر: جاك بيرك، في مدلول القبيلة بشمال إفريقيا، المرجع نفسه، ص ص 113-125.

(5) ستيفن غزال، تاريخ إفريقيا الشمالية، ج5، ص 55.

(6) على مؤمن إدريس مؤمن، المظاهر الحضارية للمجتمع الليبي القديم، المجلة الليبية العالمية، ع27، 2017، ليبيا، ص4.

من العائلة الملكية، وهو ما كان معمولاً به في الكنس (Gens) أي القبيلة الرومانية (1)(2)، جمع رئيس القبيلة في يده السلطتين الزمنية والدينية فهو رئيس مجلس القبيلة وقت السلم يدير شؤونها، وقائد الجيش وقت الحرب، حتى أن هذا الرئيس إعتبر كاهناً أيضاً (3).

أشارت النصوص الكلاسيكية القديمة الإغريقية واللاتينية إلى الجماعات القبلية القديمة في المغرب القديم (4)، فهيردوت ذكر في كتابه الثاني والرابع من تاريخه عدداً كبيراً من القبائل الليبية القديمة وأشار إلى تقاليدها وأعرافها، فقدم لنا صورة عن جوانب هامة من الحياة الاجتماعية للقبيلة (5)، بالإضافة إلى سترابون الذي خلف لنا معلومات مهمة عن الأرض والسكان ضمن الكتاب السابع من مؤلفه الجغرافيا (6)، والجغرافي بطليموس. ويكون المغرب القديم قد وصل إلى هذا الشكل من التنظيم على امتداد مراحل تاريخية طويلة نتيجة تراكمات اجتماعية في السلم والحرب جعلت من القبيلة جسماً متحركاً، وهو ما بينته توزع عشائر القبيلة الواحدة في مختلف الجهات، وبذلك شكلت حركة القبائل أداة للدمج الاجتماعي، ورغم هذا لم تستطع القبيلة في هذه المنطقة رسم حدود ثقافية أو اجتماعية أو دينية بينها رغم وجود حدود سياسية في بعض مراحل تاريخها (7)، أي أن لكل قبيلة عاداتها وثقافتها ومعتقداتها الخاصة بها.

(1) ستيفن غزال، تاريخ إفريقيا الشمالية، ج5، ص55.

(2) في روما يتم استخدام المصطلح (Gens) لتعيين مجتمع معين يعتمد على علاقات قرابة الدم وتعلقها بالسلف، وبذلك دل المصطلح على ذلك التجمع بين عدد معين من العائلات التي ينعكس تضامنها في الممارسات المشتركة والاجتماعية والدينية على وجه الخصوص، ويتم تحديد علامة الانتماء إلى القبيلة بالاسم. وقد تشكل هذا التنظيم الاجتماعي البدائي على مدار تاريخ روما. للمزيد ينظر: Hamdoune.C, Op.cit, p.3045

(3) Bates.O, Op.cit, P 116.

(4) حفيظة لعياضي، المرجع السابق، ص12.

(5) Hérodote. II.31-33 ; IV.42.43.168.199.

(6) سترابون، جغرافية سترابون (وصف ليبيا ومصر) الكتاب السابع عشر الفصل الثالث، تر: محمد مبروك الدويب، ط1، دار الكتب الوطنية، بنغازي، 2003

(7) محمد العربي عقون، الاقتصاد والمجتمع، ص ص170، 171.

- مفهوم الشعب:

بما أننا تطرقنا لمفهوم القبيلة أعلاه لأبد من الوقوف أيضا على معرفة معنى الشعب، وتوضيح الفرق بين المصطلحين، جاء في القواميس اللغوية والمعاجم أن الشعب هو ما تشعب من قبائل، والجماعة الكبيرة المنسوبة لأب واحد، والشعب الجمهور والقبيلة العظيمة، وفي هذا الخصوص يقول صاحب اللسان ابن منظور: "الشعب من القبيلة، وقيل هو القبيلة نفسها والجمع شعوب، والشعب أبو القبائل الذي ينسبون إليه، أي يجمعهم ويضمهم"⁽¹⁾، يقول تعالى: " يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا " سورة الحجرات 13.

وهي معاني تربط الشعب بالقبيلة التي تتضوي تحتها الطبقات المجتمعية الأصغر (العمارة، البطن، والفخذ، والفصيلة)، فهو الوحدة البشرية الأوسع، وبذلك يكون الشعب أوسع من القبيلة، والقبائل تشعبت من الشعب. إذا فالشعب هو القبيلة الكبيرة التي تتضمن مجموعة من القبائل الصغيرة المتناسبة فيما بينها، بالإضافة إلى وجود روابط بينهم توحدتهم⁽²⁾. ولنا في المغرب القديم أمثلة عن ذلك ولنبداها بالشعوب والقبائل الليبية التي ذكرتها المصادر المصرية، فنقول شعب التحنو، والتمحو، والمشوش والليبيو، وقبائل إيموكهك، كهك، كيكش، أسبت.... إلخ⁽³⁾، في الفترة الرومانية وصفت الموزولامي، والبوار⁽⁴⁾ والبقواط بالشعب الكبير أو الكثير (Gentis Multas)⁽⁵⁾، والتي تتضوي تحته مجموعة من القبائل الصغيرة.

(1) ابن منظور، لسان العرب، ج1، مج1-2، 1883، دار الكتب العلمية، بيروت، ص482.

(2) فتحي حسن ملكاوي، فقه الانتماء إلى المجتمع والأمة، ط1، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الأردن، 2012، ص222.

(3) Bates.O, op.cit. P.40-60.

(4) Camps. G, Les Bavares..., Op.cit. pp.242-246.

(5) Desanges. J, Catalogue des tribus Africaines de l'antiquité classique a l'ouest du nil . Publications de la section d'histoire Dakar, 1962, p.28.

1.2. القبيلة والأرض:

القبيلة هي مؤسسة اجتماعية تقوم بأدوار اقتصادية واجتماعية وسياسية، تمتاز بها المجتمعات القديمة التقليدية، والتي تحدد سماتها الثقافية والحضارية، طرح (ي) عيش تساؤلا عن درجة ارتباط الحكم القبلي بالجغرافيا، مستقهما عن ديمومة صورة الترحال والتنقل المرتبطة بالكيانات القبلية، وهل يمكن الوقوف على معالم تؤكد ارتباطها بمواقع ثابتة؟ ذلك أن المصادر الأدبية الكلاسيكية لم تتحدث ولا مرة عن عاصمة لقبائل وشعوب كبيرة، وإنما تذكر فقط منطقة وإقليم، وهو أمر يدعونا للتفكير في طبيعة علاقة القبيلة بالجغرافية أو بالمكان في المغرب القديم⁽¹⁾. وهي نقطة حاول (ن.د) كوسة الباحث في الأنثروبولوجيا تبيانها من خلال توضيح أهمية المقاربة الأنثروبولوجية في دراسة موضوع القبيلة بالمغرب، بقوله لا يمكن إطلاق مفهوم القبيلة بشكل اعتباطي، واسقاطه بشكل تعسفي على كل الفضاءات الجغرافية ببلاد المشرق أو المغرب أو أقاليم أخرى، إذ يجب الأخذ بعين الاعتبار مسألة الخصوصية المُميّزة للقبيلة في كل فضاء جغرافي⁽²⁾، وهذا المفهوم ينطبق على القبيلة في المغرب الوسيط، أي البعد الإقليمي للقبيلة ذا السياق الزماني المرتبط بالأبعاد التاريخية المتشابكة بالمكون الاجتماعي والثقافي، الذي يبطل فكرة الخصوصية المشتركة للتنظيمات القبلية⁽³⁾، والمرتبطة بفضاء جغرافي معين⁽⁴⁾.

يشير جاك بيرك نقلا عن إيمانويل غوتيه أن التسمية المشتقة من الجد المشترك تخفي تنوعا كبيرا في أصول السكان، وقال بأن الالتجاء إلى الجد الذي تنتمي إليه اسم السلالة هو في الواقع مجرد وهم، ذلك أننا نجد عدد لا حصر له من الأصول بالمنطقة، وما يفسر هذه الظاهرة هو الإنتشار المبكر لفروع قبلية أساسية في كل الاتجاهات⁽⁵⁾. وهذا ما يفسر تناثر بعض المجموعات القبلية التي ذكرتها المصادر الأدبية الكلاسيكية الإغريقية واللاتينية،

(1) يوسف عيش، المرجع السابق، ص 272.

(2) نور الدين كوسة، إشكالية المحددات الأنثروبولوجية لموضوع القبيلة ببلاد المغرب في العصر الوسيط، مجلة عصور

الجديدة، مج 11، ع 2، جوان 2021، ص 69.

(3) المرجع نفسه، ص ص 70-71.

(4) المرجع نفسه، ص 73.

(5) جاك بيرك، المرجع السابق، ص 114.

ولنأخذ كمثال عن ذلك قبيلة المازيكس (Mazices) ⁽¹⁾، فهي تسمية أسندت إلى عدة قبائل بالمغرب القديم، أين عثر على عدة نقوش ليبية تحمل مصطلحات متقاربة مع المازيس مثل (Mazik، Mazix، Mazzic، Mazic، Mazica)، منتشرة من نوميديا إلى موريطانيا الطنجية ⁽²⁾، وهذا راجع لانقسام هذه القبائل وتغيير لمواطنها نتيجة تحركاتها الممتدة في الزمان والمكان والتي وفرضها عليها مختلف الظروف الاقتصادية والسياسية وحتى العسكرية ⁽³⁾. وهو التفسير التاريخي الذي يقوم على تناثر وتشتت المجموعات القبلية من مراكز أصلية ⁽⁴⁾، الذي يظهر تكرر نفس أسماء المجموعات القبلية هنا وهناك عبر مجال المغرب القديم ⁽⁵⁾.

كانت القبيلة في أغلب مراحل تاريخ المغرب القديم جسما متحركا، وهو ما يفسر توزع القبيلة الواحدة عبر مختلف جهات البلاد، هذا التوزع الذي سجلته مختلف المصادر الإغريقية رومانية، واستطاعت هذه الحركة أن تكون أداة للدمج الاجتماعي منذ البدايات الأولى لتكون المجتمع بالمنطقة، فكان للنوميد والجيتول والمور إمتدادات في مختلف جهات الشمال الأفريقي القديم، والحدود بين هذه الشعوب دائما ماتكون سياسية ولم تكن حدودا ثقافية أو اجتماعية أو دينية ⁽⁶⁾.

3.2. مفهوم وعوامل التحرك القبلي:

- مفهوم التحرك القبلي: يرتبط مفهوم التحرك القبلي باشكالية المجال القبلي، الذي يعني الرقعة الجغرافية الأصلية التي تشغلها القبيلة والتي تضطر للانتقال منها أو التخلي عن جزء منها، أو قد تعمل على توسيعها، في كثير من الأحيان نتيجة لمجموعة من الدوافع والتحولات الطبيعية، والسياسية والعسكرية، والاقتصادية، والاجتماعية وحتى الدينية، والتحرك

(1) Desange.J, Op.cit. p.45 .p.49.

(2) Gsell. St, Observations Géographiques sur la révolte de firmus .RSAC ,1902, p.35.

(3) Hamdoune.C, Op.cit, pp3045-3052.

(4) جاك بيرك، المرجع السابق، ص 116.

(5) نفسه، ص 117.

(6) محمد العربي عقون، الإقتصاد، ص ص 170-171.

القبلي كمصطلح هو انتقال قبيلة من مكان إلى مكان آخر⁽¹⁾، ما خلف صعوبه في تحديد المجالات الجغرافية الأصلية لكثير من القبائل بحكم تحركاتها الدائمة، الأمر الذي ترك تداخل في مواطن عديد القبائل وحتى تغيير جذري لها⁽²⁾، وهو ما ينطبق على جموع قبائل المغرب القديم التي يصعب ضبط حدودها بسبب حركيتها الدامة والمستمرة.

وعن الظروف والعوامل التي جعلت من التحركات القبلية في المغرب القديم ملمحا بارزا في تاريخه السياسي والاجتماعي والاقتصادي والثقافي فنوجزها في:

- **العوامل السياسية:** وهي من أهم العوامل التي تتحكم في تحرك القبائل وانتقالها من مكان إلى آخر، فكثرة المنازعات والحروب الداخلية التي تغذيها الطبيعة البدوية والروح القبلية، تجبر كثير من القبائل المستضعفة والصغيرة إلى النزوح عن مواطنها الأصلية، إذا واجهت قبائل أكثر منها قوة، وذلك بحثا عن الأمن والاستقرار⁽³⁾.

- **العوامل العسكرية:** أهم عوامل التحرك القبلي بالمغرب القديم هو خضوعه للاحتلال الروماني، الذي سعى منذ بداياته الأولى إلى إتخاذ عدة إجراءات لعل أهمها هو بسط سيطرته على الأراضي الزراعية الخاصة بالأهالي، الذين أبعادوا إلى مناطق نائية وجرداء، كما أن التحركات القبلية كانت نتيجة للسياسات الرومانية التي استهدفت إخضاع ثم تفكيك القبيلة وتهجيرها⁽⁴⁾، كما سعى الرومان أيضا إلى تجزئة السكان المحليين إلى وحدات متميزة الأقاليم الجغرافية، وجعلها تحمل في طبيعتها من خصائص التضاد أكثر مما تحمل من عوامل الاتحاد⁽⁵⁾.

(1) بن ميرة بن سعيد، دور القبيلة في التغيرات المذهبية في بلاد المغرب الإسلامي (2-6 هـ)، أطروحة دكتوراه، إ: حسيبة بن علي، جامعة حسيبة بن بوعلي، قسم العلوم الإنسانية، الشلف، 2022/2021، ص78.

(2) رضا بن النبة، صنهاجة المغرب الأوسط من الفتح الإسلامي حتى عودة الفاطميين إلى مصر (80 هـ - 362م/699م)، إ: بوبة مجاني، رسالة ماجستير، جامعة منتوري، قسنطينة، 2005/2006، ص10.

(3) عبد العزيز صالح، الشرق الأدنى القديم مصر القديمة، مكتبة الأنجلو المصرية، 2006، ص33.

(4) شافية شارن وآخرون، المرجع السابق، ص101.

(5) محمد البشير شنيقي، أضواء على تاريخ، ص12.

- **العوامل الاقتصادية:** كان للأنشطة الاقتصادية الممارسة من قبل القبائل دورا هاما في تكريس التنقل والتحرك، والمتمحور أساسا في الرعي، والزراعة وتجارة القوافل التي أوجبت عليهم التنقل المستمر من مجال إلى آخر⁽¹⁾.

- **العوامل الطبيعية:** يرتبط التحرك القبلي بنمط معيشة القبيلة سواء رحل كانوا أو أشباه رحل أو مستقرين، والمرتبط بدوره بعوامل وظروف طبيعية وجغرافية، كتفرق موارد الماء وتغير مناطق العشب والرعي، وهو ما خلف تسابق وتصادم مختلف القبائل إلى استغلال هذه الموارد والاستئثار بها والتحكم فيها⁽²⁾، وهو ما يفسر تحرك القبائل المنتشرة بالمناطق الجافة وشبه الجافة إلى المناطق الشمالية الرعوية والخصبة، حتى وإن كان ذلك باستخدام القوة⁽³⁾. إضافة إلى:

- ثنائية البداوة والاستقرار:

إن الخصائص الجغرافية للمغرب القديم والتي تميزت باحتوائها على إقليم جبلي زراعي في الشمال، يليه إقليم داخلي تكثر فيه البحيرات والسباسب والحيوانات المفترسة، ثم الصحراء الممتدة بحرارتها الشديدة⁽⁴⁾، تسبب في ظاهرة البداوة والترحال التي تعتبر قديمة قدم المناخ السائد حاليا في هذه المنطقة، وقد أشارت إلى ذلك أقدم النصوص التاريخية (الإغريقية واللاتينية) المتعلقة بسكان هذه البلاد⁽⁵⁾، فهذا هيرودوت وهو يصف ليبيا في الفقرات مابين 168 و199 من كتابه الرابع، قسم السكان إلى مجموعتين كبيرتين حسب نمط المعيشة وتبعاً لطبيعة أرضهم: مجموعة البدو الرعاة ومجموعة الزراع المستقرين⁽⁶⁾، والجغرافي سترابون الذي أورد تعريفا دقيقا للبداوة والتي ربطها بالجيتول وبلاد جيتوليا، فقد شبههم بالعرب البدو في عاداتهم وأخلاقهم وملابسهم وطرق معيشتهم وتعدد زوجاتهم، وكثرة أطفالهم، فيقول بأنهم يقتاتون من لبن ولحوم القطعان التي يربون منها أعداد كبيرة، خاصة بالمنطقة المحاذية لبلاد الإثيوبين⁽⁷⁾، والمنطقة التي وصفها سترابون ماهي إلا إقليم الرعي الممتد مابين الأطلس

(1) ينظر لعنصر ثنائية البداوة والاستقرار.

(2) ستيفن غزال، تاريخ إفريقيا الشمالية، ج5، ص ص58-59.

(3) Strabon, XVII.III.3,5 ; Plin l'Ancien, V.17.

(4) محمد البشير شنييتي، روما الإمبراطورية، ص189.

(5) Lassère. J.M, Vbique Popvlvs, Op.cit, p.349.

(6) Gsell.St., Hérodote..., Op.cit, p.25 ; Hérodote. IV.185-186.

(7) Strabon, XVII. 3. 19.

الصحراوي وحواف الصحراء من جبال القصور إلى جبال أولاد نايل، وهي موطن البدو الرحل الذين مارسوا الترحال بين الصحراء والتل في حركة اعتيادية⁽¹⁾. والحياة البدوية تعتمد على تربية الحيوانات كما وضع ذلك فريجيل (Virgile) بقوله: "...هل أتحدث إليكم عن رعاة ليبيا ومراعيهم وتقلهم في كثير الأحيان مع الأكواخ القليلة... ليلا ونهارا وحتى لشهر كامل دون انقطاع...يرعى القطيع ويذهب من صحراء إلى صحراء وفي سهول واسعة جدًا.. دون العثور على مأوى...ينقلون كل شيء معهم"⁽²⁾.

أما سالوستوس والذي يفهم من نصه الذي قال فيه ورغم إحتقاره واستعلائه: "...أن سكان ليبيا هم جيتول وليبيون، قوم متوحشون...يقتاتون كالحيوانات من لحوم السوائم ونبات الحقول، يهيمنون بلا استقرار ولا بيوت، ولا يتوقفون إلا عندما يداهم الليل"⁽³⁾، حالة الترحال كنمط اجتماعي واقتصادي الذي كان سائد في بلاد المغرب القديم دون تحديد مساحة انتشاره، على عكس ما فعل هيرودوت قبله بأكثر من أربعة قرون⁽⁴⁾.

وجاء عند بوليبيوس (Polybius)⁽⁵⁾ أن القبائل الليبية كانت لا تهتم بالزراعة بقدر اهتمامها بالرعي وتربية الماشية، وبداية من القرن الثاني قبل الميلاد وسعيا للحد من ترحال السكان سعى الملك ماسينيسا (Massinissa)، إلى انتهاج سياسة زراعية هدفت إلى توطين القبائل النوميدية⁽⁶⁾، وقد أشاد بوليبيوس بسياسة هذا الملك فيذكر: "أن ما قام به ماسينيسا في ميدان الزراعة يعد عملا جبارا، فقد كانت نوميديا قبله غير مجدية بالنسبة لسكانها،

(1) محمد البشير شنييتي، أثر الضغط الديمغرافي على بيئة السهوب في العهد الروماني (اختفاء الفيل وتفاقم البداوة)، مجلة آثار، مج6، ع1، 2018، ص34.

(2) Hamdoune.Ch, Ad Fines Africae Romanae. Les mondes tribaux dans les provinces maurétaniennes, Scripta Antiqua, Bordeaux, 2018, p.36. نفلا عن فريجيل Lassère. J.M, Vbique Popvlvs, Op.cit, p.349.

(3) Salluste, XVIII.2.

(4) محمد البشير شنييتي، روما الإمبراطورية، ص188.

(5) Polybius, XII,3-4.

(6) يفهم من النصوص القديمة الإغريقية والرومانية أن المغاربة القدماء وخاصة النوميديين لم يعرفوا الزراعة، والفضل في تعرفهم عليها يعود لماسينيسا وجهوده، Polybius, Histoire, XXXVI, 16 ; Strabon, I, II, 5, 33 ; XVII, 3, 11-12, 33 ; Salluste, XVIII, 1-2 ; XVII, 6 ; Plin l'Ancien, V, III, 1 ; Pomponius Méla, I, 42 لكن الحقيقة أن سكان المغرب القديم وبناء على المصادر المادية والكتابات المتوفرة في المنطقة كانوا قد مارسوا الزراعة منذ فترة موعلة في القدم ترجع لفجر التاريخ. (نهاية العصر النيوليتي وبداية الفترة البونية) للمزيد ينظر :

واعتبرت عاجزة من جراء طبيعتها القاحلة على إنتاج المواد الزراعية، إنه هو الأول الذي أظهر بأنها تستطيع أن تنتج كل شيء مثل أي منطقة أخرى... كما أن الفضل يرجع إليه في جعل مساحات كبيرة منها تصبح لها أهمية كبرى⁽¹⁾. ويورد بطليموس أن الرومان الذين سيطروا على كامل شمال إفريقيا منذ القرن الأول قبل الميلاد، استخدموا بعض قبائل البدو وعلى رأسها الغرامنت كدليل في الطرق الصحراوية لأغراض تجارية⁽²⁾.

إذا ومن خلال ما جاءت به النصوص القديمة من شهادات جغرافية نخلص إلى أن ظاهرة البداوة، موهلة في القدم بالمنطقة وتعود للألف الرابعة قبل الميلاد، وهي مرحلة سابقة لبداية الزراعة والمجتمعات المستقرة والتي يمكننا الكشف عنها من خلال مجموعة من الرسومات الصخرية الموجودة في مختلف ربوع الصحراء الكبرى، رغم وجود المستقرين الذين مارسوا الزراعة وعاشوا في المدن، غير أن المدى الجغرافي، والاتجاهات، وشدة الترحال أمور ساهمت فيها عوامل طبيعية واقتصادية، وعوامل تاريخية ارتبطت خاصة بالفترة الرومانية المتصفة بالنشاط الزراعي، وعدم التحضر ونبذ أشكال التحرك البشري الذي يصعب عملية السيطرة على البلاد، ويهدد الأمن⁽³⁾.

أما العوامل الطبيعية الاقتصادية نوجزها فيما يلي: الطبيعية منها تكمن في كون المناخ السائد هو المتحكم في هجرات وتحركات الكثير من القبائل البدوية الرعوية وجعلها في رحلة بحث دائمة عن مراعي ومصادر المياه لماشييتهم، لذلك مارسوا الهجرة الموسمية فنجدهم شتاء يتوجهون جنوبا إلى الأطلس الصحراوي ووديان الصحراء الشمالية أين يتوفر مرعى الشتاء. بينما صيفا يتوجهون شمالا صوب بلاد التل (السهول العليا الزراعية) أين يتوفر الغذاء لقطعانهم⁽⁴⁾، في حين العوامل الاقتصادية أو التجارية فتتمثل في تبادل المنتجات المختلفة، حيث يتزود الرحل بحاجاتهم من منتجات التل، كالشعير والقمح والملبوسات والأدوات المختلفة، ويبيعون ما لديهم من بضائع كالتمر التي يجنونها من واحات يمتلكونها أو يشترونها من سكان الواحات المستقرين⁽⁵⁾، وبذلك استطاع البدو تشكيل همزة وصل بين

(1) Polybius, X, 14.1.4.

(2) بطليموس، I، 4.8.

(3) محمد البشير شنييتي، أثر الضغط الديمغرافي، ص 34.

(4) Lassér.J.M. Vbique Populus...Op.cit, p.3 50;59-58 ص ص5، تاريخ إفريقيا الشمالية، ج5،

(5) Ibid, p.350.

مراكز التبادل في الشمال ووحدات الصحراء الكبرى في فترات سبقت الاحتلال الروماني⁽¹⁾، وأشهر هذه القبائل نجد قبائل الجيتول والغرامنت على سبيل المثال لا الحصر⁽²⁾. ورغم أن النصوص القديمة تشير إلى غلبة الطابع الرعوي وظاهرة الترحال والتنقل، على الزراعة والاستقرار، إلا أنه وجدت بالمغرب القديم قبائل مستقرة مارست الزراعة التي ربطت الأهالي بالأرض وعلى الخصوص غراسة الأشجار⁽³⁾، استطاعت تشييد مدن عاشت فيها وهؤلاء هم أهل السهول والهضاب العليا، وخير دليل على ذلك تلك المدن الملكية التي ظهرت في الفترة النوميدية وتجمع الناس فيها: زاما ريجيا (Zama Regia)، بولاريجيا (Bulla Regia)، هيبوريغيوس (Hippo Reguis)، وكيرتا (Cirta)، غير أن الوضع بدأ في التغير ابتداء مع الاحتلال الروماني الاستيطاني الذي احتل المنطقة الساحلية والتلية، ما انجر عنه أثر سلبي في أوساط الأهالي الذين طردوا وانتشروا نحو المناطق الداخلية⁽⁴⁾.

إذا حاولنا رسم الحدود الفاصلة بين المناطق التي تسود بها حياة الترحال، وبين المناطق التي تستوطن بها القبائل المستقرة، فإن الأمر صعب وذلك راجع لكون الترحال والتنقل لم يكن دائما، فهو في مرات يأخذ شكل نصف الترحال أو شكل الانتجاع⁽⁵⁾، ثم إننا في حالات أخرى وبوسط المجالات الخاصة بالرحل نجد مناطق تسود بها حياة الاستقرار⁽⁶⁾. والحد الفاصل بين المستقرين وأنصاف الرحل يتطابق ومناطق زراعة الحبوب، بينما تتجاوز هذا الحد في اتجاه الشمال بموريطانيا الطنجية⁽⁷⁾.

أما في الفترة الرومانية فشككت خطوط الليمس حدا فاصلا بين الرحل والمستقرين⁽⁸⁾، وقد كتب كثيرون كإيمانويل غوتيه عن ذلك الصراع الدائم والأبدي والمفترض بين قبائل

(1) Lassér.J.M. Vbique Populus...Op.cit, pp.350.356.

(2) Trouset.P, Nomadisme (Saharien en Afrique du Nord dans l'antiquité), Ency berb [En ligne], 34, 2012, pp.5586.

(3) ستيفن غزال، تاريخ إفريقيا الشمالية، ج5، ص60.

(4) محمد البشير شنييتي، نظرة على الوضع الديمغرافي والاجتماعي في المغرب أثناء الاحتلال الروماني، المؤتمر الدولي الثاني لحضارة وتاريخ المغرب، وهران، 1982، ص11.

(5) Bénabou .M, Op.cit, pp.70-71.

(6) Lassér.J.M. Vbique Populus...Op.cit, pp.63-64.

(7) Ibid, p.351.

(8) Tite Live, CXXXV-CXXXVII.

السهوب الفسيحة، وساكني الأراضي الزراعية بالشمال، وفي الجبال المتقطعة⁽¹⁾، وفي هذا الصدد يذكر جوليان(ش،أ) بأن العلاقات التي تربط مختلف هذه المجموعات والقبائل من رحل وأنصاف رحل ومستقرين بعضهم ببعض، اتسمت بالمنازعات والصراعات الدائمة، وهي خلافاً يقويها تجزء البلاد، وحسبه دائماً فإن هذه الثنائية التي تعذر القضاء عليها هي التي تفسر تعاقب الأسىاد الأآانب على المنطقة⁽²⁾، لكن الصراع هذا ليس سوى أمر طبيعي نتج عن هذه الثنائية في نمط العيش التي فرضتها الظروف الطبيعية والمناخية⁽³⁾، ذلك أن القبائل المستقرة التي تستوطن السهول أو الهضاب المشرفة على السهول وتمارس الزراعة، تكون مهددة من قبل الرحل الذين يجوبون المناطق وراء قطعانهم بحثاً عن الماء والكأ، كما أنها مهددة من أنصاف الرحل - سكان الجبال - الذين ينزلون شتاء من أعالي الجبال⁽⁴⁾، بحثاً عن متنفس وأسواق يتبادلون فيها منتجاتهم من ماشية ومشتقاتها بمنتجات السهول مثل الحبوب والمنتجات الحرفية⁽⁵⁾.

غير أن شنيطي(م،ب) يذكر أن البدو قبل التوسع الروماني كانوا فئة بشرية متألثة مع المزارعين وسكان الحواضر، لها مكانتها الاقتصادية والسياسية حتى أن كثير من البدو تحولوا إلى مزارعين بصورة طبيعية وطوعية من دون إجبارهم وإكراههم على ذلك، فلا النصوص الأدبية ولا الآثار أشارت إلى اضطرار الدول السابقة للرومان إلى القيام بأعمال عسكرية، وحتى وضع حدوداً بين المناطق الرعوية والمناطق الزراعية أو إجراءات أخرى توحى بخطر البدو، عكس الرومان الساعين لأهداف سياسية واقتصادية ببلاد المغرب⁽⁶⁾.

(1) يفترض بعض من كتب عن تاريخ شعوب المغرب القديم خلال الفترة الرومانية، وجود صراع مستمر بين البدو الرحل والحضر المستقرين، وذلك بسبب السياسة الرومانية التي طردت القبائل البدوية من الأراضي الزراعية في الشمال وأجبروهم على التراجع إلى المناطق الصحراوية الشمالية، وأنشؤوا حدوداً محروسة لمنعهم من الرجوع إلى أراضيهم المسلوبة التي صارت في القرن الأول والثاني الميلادي منطقة للزراعة المستقرة والحياة الحضرية. للمزيد ينظر: Troussset.P, Nomadisme...,op,cit,pp.5578-5587

(2) شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص34.

(3) حفيظة لعباضي، مقومات الوحدة وعوامل التفرقة في تاريخ بلاد المغرب في العصر القديم، أطروحة دكتوراه، إ: محمد الهادي حارش، قسم التاريخ، جامعة الجزائر 2، الجزائر، 2018/2017، ص221.

(4) ستيفن غزال، تاريخ إفريقيا الشمالية، ج5، ص58.

(5) Lassér.J.M. Vbique Populus...Op.cit, p.348-350.

(6) محمد البشير شنيطي، نوميديا وروما، ص289.

فإذا كان لطبيعة المناخ السائد وتضاريس المغرب القديم دور في ثنائية البدو والزراع، إلا أن التواجد الروماني زاد من تركيز واشتداد هذه الثنائية، إن لم نقل أنهم قد ساهموا إلى حد كبير في خلقها وتقاعم أمرها، وذلك باستيلائهم على الأراضي الزراعية وإزاحتهم لسكانها نحو الجنوب، ومنعهم الرعاة من التردد على المناطق الشمالية، عن طريق إنشاء أجهزتها الدفاعية، التي صاحبته قوات عسكرية⁽¹⁾.

وكخلاصة يمكننا القول أنه اجتمعت مجموعة من الظروف والعوامل جعلت من التحركات القبلية في المغرب القديم ظاهرة بارزة في تاريخه منذ القدم، غير أنها ستزداد أكثر خلال الفترة الرومانية نتيجة للسياسات الرومانية التي استهدفت إخضاع ثم تفكيك القبيلة وتهجيرها وهو ما سندرسه في الفصول التالية.

4.2. أنماط عيش القبائل بالمغرب القديم:

- **البدو:** أو الرعاة كانت تربية الماشية واستئناس الحيوان هو النشاط الاقتصادي الثاني الذي عرفه قداماء المغرب القديم، وشهد إزدهارا كبيرا، وبقي هو النشاط الغالب على السكان حتى بعد انتشار الزراعة، وظهر الرعي في العصر النيوليتي، حوالي الألف الرابعة قبل الميلاد، وهو ما تظهره العديد من الرسوم الصخرية الموجودة في الصحراء الكبرى وتشير إلى وجود مرحلة لرعاة الأبقار⁽²⁾، انتشرت القبائل الرعوية في المناطق الداخلية، تشبه حياتهم حياة البدو، دائمو التنقل والترحال، استقرارهم في منطقة قد لا يتجاوز عدة سنوات، كان المناخ هو المتحكم في هجراتهم، كثيرا ما كانت تلك القبائل تدخل في صراعات فيما بينها على المراعي، تعيش على الإنتاج الحيواني في غذائها وملبسها، ومن أشهر القبائل البدوية بالمغرب القديم التي نجد لها ذكرا لدى الكتاب القدماء نذكر الجيتول (Gétules) والغرامنت (Garamantes)⁽³⁾.

(1) محمد البشير شنيقي، أضواء، ص ص 10-11.

(2) عبد الرحمان بن أعطي الله، البدو في الجزائر ودورهم خلال العصور القديمة، أعمال الملتقى الوطني المدينة والريف في الجزائر القديمة، الرشاد للطباعة والنشر، معسكر، 2014، ص 223.

(3) Troussset.P, Nomadisme (Saharien en Afrique du Nord dans l'antiquité), Ency berb [En ligne], 34, 2012, p.5578.

يعتبر البدو لوبيين أصلاء لم يخالطهم عنصر الدخلاء الوافدين إيطالين كانوا أو غيرهم، تميزت حياتهم الاجتماعية والاقتصادية بالمحافظة على مقوماتهم التاريخية والطبيعية التي تحكمت في أساليب عيشهم، ينقسم البدو في بلاد المغرب إلى نوعين:

- **أشباه المستقرين (semi-nomades):** استقرارهم في منطقة قد يدوم لأجيال، غير أنهم إذا تعرضوا لظروف كالجفاف، أو هجوم قبيلة أخرى قوية يضطرون للترحل⁽¹⁾، في بلاد المغرب وطنوا الأقاليم الرعوية الزراعية السهبية، يمتنون الرعي والزراعة معا، كانوا الأكثر تضررا في الفترة الرومانية نتيجة توسيع الخارطة الزراعية على حساب أراضيهم، يستطيع أشباه المستقرين التحول من الرعي والترحال إلى الزراعة والاستقرار، كانت قبائل الجيتول الشمالية تنتمي إلى هذا الصنف⁽²⁾، وقبائل الموزولامي (Musulames) التي حرمت من أراضيها الزراعية⁽³⁾.

- **الرحل:** وهم دائمو الترحال والتنقل بين المراعي الصحراوية، ومناطق الانتجاع في السهوب الشمالية والغربية، بسبب اعتمادهم في عيشهم على الرعي، اتخذ الرومان إجراءات للحد من ترحالهم نحو الشمال الخاضع لسلطتهم⁽⁴⁾.

في عهد الملوك النوميديين جرت محاولات موفقة لتنظيم البدو الرعاة، وتشجيع الرحل على الاستقرار وامتهان الزراعة بدل الرعي، من خلال توسيع الخريطة الزراعية، فالمؤرخون القدامى أجمعوا على الدور الذي لعبه ماسينيسا في هذا المجال، فبوليبوس المعجب بأعمال هذا الملك يعتبر أعماله في المجال الزراعي أعظم الأعمال⁽⁵⁾، ويذكر أن نوميديا قبله كانت عديمة الفائدة، فقد اعتبرت عاجزة بسبب طبيعتها القاحلة⁽⁶⁾، وهو ما نجده أيضا عند سترابون الذي قال: "...أن ماسينيسا هو الذي جعل البدو الرعاة مواطني مدن وفلاحين"⁽⁷⁾.

ولو أن هناك مبالغة من المؤرخين القدماء في الدور المنسوب إلى ماسينيسا في توطين الشعب النوميدي، فالآثار وعلماء ما قبل التاريخ لا سيما كامبس(غ) أظهرت أن النوميدي

(1) ستيفن غزال، المرجع السابق، ص 59.

(2) محمد البشير شنييتي، نوميديا وروما، ص 285.

(3) Troussset.P, Op.cit, p.5583.

(4) محمد البشير شنييتي، نوميديا وروما، ص 285.

(5) Salluste, XVIII, 1-2 ; XVII, 6 ; Pline l'Ancien, V, III, 1 ; Pomponius Méla, I, 42.

(6) Polybius.XXXVI.16,7-8.

(7) Strabon.XVII.3.15.

عرفوا الزراعة والاستقرار من وقت طويل من ظهور ماسينيسا⁽¹⁾، إلا أنه يرجع الفضل له في تلك التحولات الاقتصادية والاجتماعية بنوميديا فقد عمت الزراعة التي لم تتوقف على زراعة الحبوب فقط، بل امتدت لتشمل الزيتون والكروم والأشجار المثمرة، وتمتع عهده بالأمن والاستقرار، كل ذلك يرجع لإقرار (توطين) القبائل بتمليكهم الأراضي وحمايتهم من البدو⁽²⁾، ومن أدلة اهتمام ماسينيسا بالزراعة وتشجيع الاستقرار ضمه؛ لجزء من الأراضي القرطاجية (أراضي السهول الكبرى بأعالي المجردة والوسط التونسي) التي اعتبرها حقا له⁽³⁾، كما يبرز نص للمؤرخ ديودو الصقلي براعته في الأعمال الفلاحية، حتى أنه عند وفاته ترك لكل واحد من أبنائه ملكية أرض تقدر بـ 10000 بليزر (Pléhre) أي ما يقدر بحوالي 875 هكتار مجهزة بكل الأدوات اللازمة لاستغلالها، والحقيقة أننا لا نعرف عدد المستفيدين من هذه الأراضي، كون ماسينيسا له 44 ابن وربما أكثر⁽⁴⁾. واجتمعت القبائل التي شملها التوطين في العهد النوميدي في قرى محصنة، ساهم الازدهار الاقتصادي، وحياء الاستقرار في التوسع العمراني، فنمت بعض المدن وظهرت مدن أخرى، وبذلك ساهم ماسينيسا في تمدين النوميديين⁽⁵⁾.

كما كانت العلاقة بين الإدارة النوميديية وباقي القبائل البدوية حسنة، وهي القبائل التي كانت تمارس تجارة ما وراء الصحراء، فقد شكلوا همزة وصل بين مراكز التبادل في بلاد التل ووحدات الصحراء الكبرى⁽⁶⁾، ما أدى لتحقيق نهضة اقتصادية بالمنطقة في عهد الملوك النوميديين⁽⁷⁾.

إذا فالبدو شكلوا فئة اجتماعية بارزة ضمن سكان المغرب القديم، نظرا للعوامل الجغرافية القاهرة (طبيعة الأرض والمناخ)، ثم في العهد الروماني بقوا خارج الحدود الرومانية

(1) Ait Amara.O, Massinissa et la sédentarisation du peuple numide, Vie et genres de vie au Maghreb : Antiquité et Moyen Age Actes du quatrième colloque international du Laboratoire de Recherche : « Occupation du sol, peuplement et modes de vie dans le Maghreb antique et médiéval », Sousse, 04, 05 et 06 mai 2017, p.24.

(2) شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص 135.

(3) Decret. F et. Fantar .M.H, Op.cit, pp.100-102.

(4) Diodore de sicile, XXX.II.16-17.

(5) شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص 135.

(6) Lassér.J.M. Vbique Populus...Op.cit, p.350.

(7) محمد البشير شنيقي، نوميديا وروما، ص 287.

ولم يخضعوا لهم⁽¹⁾، كما أصبحوا مصدر قلق للإدارة الرومانية المدنية والعسكرية لأنهم شكلوا كماً بشرياً متحركاً، ماعرضهم للمطاردة، منذ فجر الإمبراطورية فأغلب التحصينات العسكرية بالمنطقة موجهة ضدهم هدفها الحد من تنقلاتهم⁽²⁾، وظل البدو يهاجمون هذه التحصينات إلى أن تمكنوا من اختراقها في القرن الثالث الميلادي، ونتج عن ذلك تراجع للحدود الرومانية شمالاً، واستعاد بذلك البدو حريتهم⁽³⁾.

- **القبائل الجبلية:** وهم من سكان الأرياف التي شملتها الحدود الرومانية، كانوا بوضع الأعداء الخاضعين والمحاطين بالمنشآت العسكرية الرومانية كاللّيمس، الحصون، والقلاع، ومستعمرات قدماء الجنود، عمل بعضهم في أراضي المعمرين الرومان⁽⁴⁾. وقطنت بالجبّال قبائل تعذر على الفرق الرومانية الوصول إليها وإخضاعها لحصانتها الطبيعية، وهي المناطق التي اعتبرت منطلقاً للمقاومة ضد الاحتلال الروماني⁽⁵⁾، من هذه القبائل نجد قبائل الحلف الخماسي الذين وطنهم يوليوس هونوريوس غرب الصومام في منطقة قبائل جرجرة شرق روسكور (دلس) وهي منطقة جبلية يتجاوز ارتفاعها 1000م⁽⁶⁾، وقبائل الفراكسينانس⁽⁷⁾، والبوار خاصة فرع البوار الشرقيون اللذين قطنوا جبال البابور وجبال قرقور، وتعتبر قبائل البوار متسلقي جبال ومستقرين. شكلت هذه القبائل في الفترة الرومانية عقبة لهم بين منطقة السهول العليا والبحر، كون غالبية الطرق الرابطة بين هاذين الإقليمين والخاصة بنقل

(1) Troussel.P, Op.cit, p.5584.

(2) تجلت خشية الرومان من ظاهرة البداوة منذ البدايات الأولى للاحتلال، فقاموا بوضع حدود حصينة بين تراب المقاطعة الإفريقية التي خلقوها على تراب أراضي قرطاج، وبين أراضي القبائل المحلية (الموزولامي، الموزوني، الكابستاني... إلخ)، وهي ما عرفت بفوسا ريجيا (Fossa Regia)، الذي يبدو أن الهدف من وراء انشائه هو التصدي للبدو القادمين من المناطق الجنوبية.

(3) محمد البشير شنيّتي، الجزائر في ظل الاحتلال الروماني بحث في منظومة التحكم العسكري (اليمس الموريتاني ومقاومة المور)، ج1، ديوان المطبوعات الجامعية، 1999، ص 220.

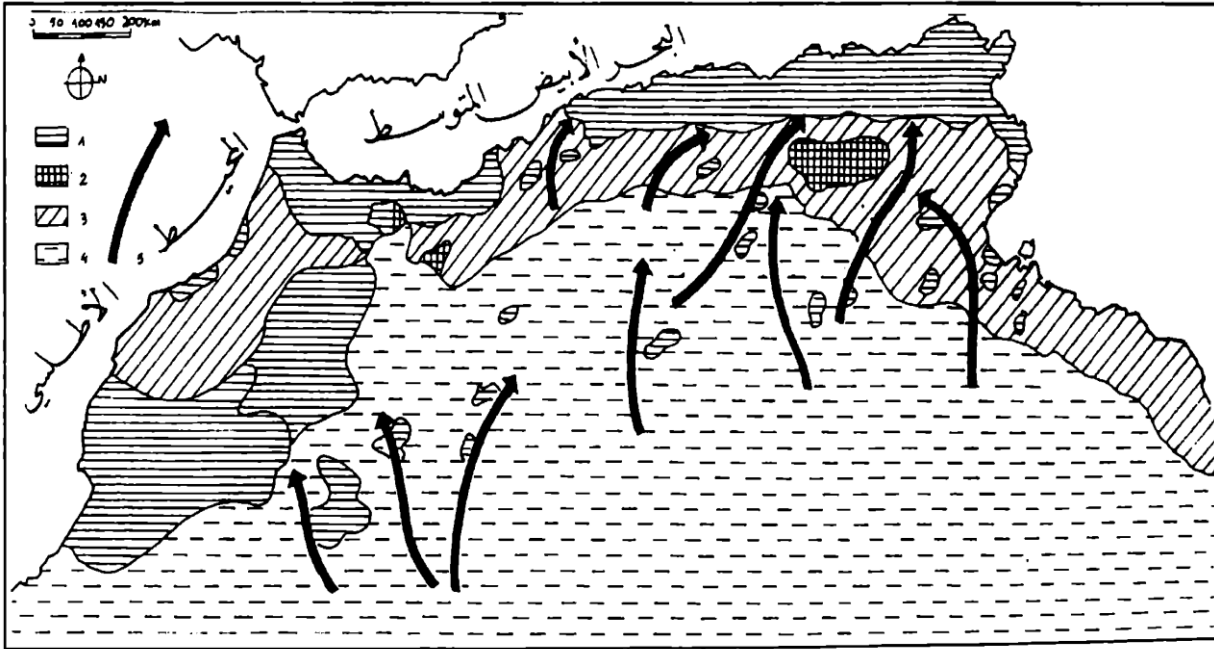
(4) شافية شارن وآخرون، المرجع السابق، ص256.

(5) مقدم بنت النبي وجميلة خالفي، القبائل الجبلية أثناء العهد الروماني، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، مج15، ع2، 2019، ص100.

(6) Laporte J-P, Quinquegentanei (ou quinquegentiani) : Une confédération du Mons Ferratus (Djurdjura) au cours des révoltes berbères du IIIe siècle, Ency berb [En ligne], 39 | 2015, document Q08, mis en ligne le 20 février 2024, consulté le 21 février 2024, pp.6688-6689.

(7) مقدم بنت النبي وجميلة خالفي، المرجع السابق، ص100.

الحبوب كانت تمر بأراضيهم التي يصعب التنقل والتحكم فيها⁽¹⁾، وعديد القبائل المغربية التي وطنت الجبال.



الخريطة رقم 4: أنماط المعيشة في بلاد المغرب القديم

1- المستقرين، 2- الجبليون، 3- أنصاف الرحل، 4- كبار الرحل، 5- اتجاهات تنقل الرحل الكبار، نقلا عن مصطفى الأعشي، نقائش معاهدات السلام...، ص 83

2. الاتحادات القبلية:

يقوم النسيج الاجتماعي والسياسي لبلاد المغرب على الروابط القبلية والمعبر عنها سياسيا بالكنفدراليات والتحالفات وتكون القبيلة نواتها الصلبة⁽²⁾، وهي مجموعة من الشعوب والقبائل يجمع كل منها الإقليم الواحد بالإضافة للغة والتقاليد والعادات والمعتقدات الواحدة⁽³⁾، وقد يتحول بعض من هذه الاتحادات مع مرور الوقت إلى قوة سياسية تؤسس ممالك كما

(1) Christol .M, Laporte. J-P, Teniet-El-Meksen. Un nouveau gouverneur de Maurétanie Césarienne dans les Dernières décennies du III siècle et les luttes entre le pouvoir romain et les Bavares (AE,1907, 157 : ILS,8959), Ant Afr, t.38-39, 2002-2003, p.114.

(2) محمد البشير شنيقي، روما الإمبراطورية، ص 216.

(3) محمد العربي عقون، المجتمع والثقافة في الشمال، ص 21.

وقع في المغرب القديم، مع أن المختصين لا يزالون يجهلون كيفية تشكل هذه التنظيمات الاجتماعية المختلفة الخاصة بالاتحادات القبلية⁽¹⁾، فالعوامل السابقة الذكر هي عوامل أساسية في قيام وحدة سياسية تخضع لسلطة هرمية تعتلي قمتها أسرة ذات عصبية أقوى ممثلة في العائلة المالكة التي يحق لها توارث السلطة وممارسة السيادة على جميع القبائل المنظوية تحت هذا النظام، من خلال بسط سيطرتها على جميع الأراضي التي مثلت موطننا لتلك القبائل، وهو ما يعرف بالمضمون الإقليمي للدولة⁽²⁾.

مع نهاية القرن الثالث وبداية القرن الثاني قبل الميلاد أصبح في بلاد المغرب القديم تكتلات قبلية كبرى⁽³⁾، سعت من خلالها مختلف القبائل المحلية لقيام وحدة سياسية وعسكرية ذات مضمون اتحادي كنفدرالي⁽⁴⁾، فالاحتلال الأجنبي القرطاجي ثم الروماني اقتضى تحالفات سياسية وعسكرية بين القبائل⁽⁵⁾، نتج عنه أولا دويلات إتحادية تكونت للدفاع والهجوم⁽⁶⁾، والذي عرف على إثره المغرب القديم نقلة سياسية مهمة⁽⁷⁾، فتحوّلت القبيلة إلى قوة سياسية ظهرت على إثرها الممالك المحلية النوميدية والمورية التي اعتنى المؤرخون القدامى بذكرها أمثال بلين الأكبر⁽⁸⁾ وسترابون، وفي مقدمتهم الماسيل (Massyles) والمازيسيل (Masasyle) التي فرضت نفسها على الساحة المحلية وأخضعت لسلطتها الكثير من القبائل المجاورة التي سكنت بلاد المغرب القديم⁽⁹⁾، وامتد اسم

(1) محمد الصغير غانم، سيرتا النوميدية، ص 200.

(2) محمد البشير شنييتي، روما الإمبراطورية، ص 216.

(3) مها عيساوي، المجتمع اللوبي في بلاد المغرب القديم من عصور ما قبل التاريخ إلى عشية الفتح الإسلامي، أطروحة دكتوراه، إ: محمد الصغير غانم، جامعة منتوري، قسنطينة، 2010/2009، ص 234.

(4) محمد البشير شنييتي، روما الإمبراطورية، ص 219.

(5) ستيفن غزال، تاريخ إفريقيا الشمالية، ج 5، ص 65.

(6) المرجع نفسه، ص 64.

(7) محمد العربي عقون، الإقتصاد والمجتمع، ص 169.

(8) كتاب التاريخ الطبيعي Histoire Naturelle الذي تحدث فيه عن ليبيا في كثير من فقراته، خاصة الكتاب 5 و13 و19 و22.

(9) محمد الصغير غانم، المملكة النوميدية والحضارة البونية، دار الأمة، الجزائر، 1998، ص 50.

هذه القبائل ليشمل تلك الممالك التي تشكلت فيما بعد، وعليه فالقبائل لم تختف بل ستستمر حية في الممالك⁽¹⁾.

يعتقد جون ماري لاسير (Lassère. J-M) أن الممالك المحلية تحمل أسماء القبائل أو الشعوب ولم تكن لها قيمة عرقية، تسمى نوميدية عندما يحكمها ملك نوميدي، وتعتبر مورية عندما يحكمها ملك موري، فالعائلة التي تعطي رئيسا للقبائل هي التي تسيطر باسمها فكانت هذه الممالك دولا أسرية⁽²⁾. إذا فمع مطلع القرن الثالث قبل الميلاد عرفت بلاد المغرب القديم ظهور مجتمعات محلية فرعية شكلت نسيجاً اجتماعياً سياسياً أساسه مجموعة من القبائل ذات الخصوصية الثقافية والجغرافية الواحدة⁽³⁾.

من أهم المجموعات التي تردد ذكرها في النصوص الأدبية والنقوش الأثرية بالمنطقة نجد النوميد في وسط وشرق بلاد المغرب القديم، وإلى الغرب كانت تكتلات قبائل المور⁽⁴⁾، أما في الجنوب المحاذي للكنفدراليات الكبرى فاستقرت جموع القبائل المعروفة بالجيتول⁽⁵⁾، ثم الفاروزيون في الجنوب الغربي والغرامنتيون في الجنوب الشرقي، وكل مجموعة مما سبق ذكره تضم قبائل كثيرة⁽⁶⁾.

وقد تطرقت المصادر بالذكر لهذه القبائل أثناء كتابة التاريخ الروماني بالمنطقة من خلال اهتمامه بالمقاطعات التي حاول الاستيطان بها، فأشار إلى القبائل التي قاومته أو التي تعيش بجانبه سواء بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، وأجمعوا على تقسيم السكان الأصليين

(1) غابريال كامبس، ماسينيسا أو بداية التاريخ، ص 299.

(2) Lassère. J.M, La tribu et le monarque. In: Anti Afr, 37, 2001. p.151.

(3) محمد البشير شنييتي، روما الإمبراطورية، ص 216.

(4) Lassère. J-M, Op.Cit.p.149.

(5) شكل الجيتول كنفدرالية قبائل وهي جيتول شرقيون (من الغرامنت إلى المارمايد)، وميلانو جيتول (Mélano) في أقصى الجنوب، وجيتول غربيون (بانيور وأوتول وماسات)، للمزيد ينظر، محمد العربي عقون، المجتمع والثقافة، ص 22.

(6) محمد البشير شنييتي، نوميديا وروما، ص 194.

(القبائل المحلية) تقسيما سياسيا أو إداريا معتمدين في ذلك على الأوضاع المترتبة عن التغيرات السياسية الناجمة عن الاحتلال الروماني لبلاد المغرب القديم⁽¹⁾.

ثانيا: المجموعات القبلية الليبية الكبرى الباكرة من خلال المصادر المصرية:

تعد النصوص المصرية أول وأقدم الوثائق التاريخية التي تشكل مصدرا أساسيا يخبرنا عن الملامح العامة للقبائل الليبية القديمة التي كانت على اتصال دائم ومستمر مع المصريين القدماء وقد بدأ ذلك منذ فجر التاريخ أو قبله بكثير، فهذه المصادر وإن كتبت من جانب واحد وهو الجانب غير الليبي وهي لا تخلو من مبالغة وتحيز فهي تناولت هذه القبائل لهدف يخصها⁽²⁾، إلا أن هذه المصادر والوثائق التي قدمها المصريون اعتمدها الباحثون لتغطية أخبار جيرانهم الليبيين فبدلوا الجهد في تصوير الملامح والتقاطيع والأزياء والأخبار الحربية الخاصة، وزودونا بأسماء العديد من الشخصيات الليبية وحتى القبائل التي كانت تعيش هناك⁽³⁾، منها قبائل التحنو والتمحو ثم الليبيو والمشوش على أن أكبر هذه المجموعات هي المعروفة بقبائل (الليبو)، والتي امتد نفوذها حتى شمل معظم شمال إفريقيا، فحملت النقوش الهيروغليفية إلينا معلومات دقيقة ذات أهمية تاريخية، وقد أثبتت هذه المصادر المصرية أن الأقوام التي جابت المغرب القديم من النيل شرقا إلى المحيط غربا وإن اختلفت في الصفات واللامح فإنها من سلالة واحدة كما أورد المصريون القدماء الوحدة العرقية لهذه القبائل⁽⁴⁾.

1. أهم المصادر المصرية:

أصبح لدينا إبتداءً من عصر ما قبل الأسرات في مصر القديمة شواهد أثرية ثابتة يمكن الإعتماد عليها في التعرف إلى القبائل الليبية ومدى اتصالها بسكان وادي النيل، يمكن تقسيم المصادر المصرية القديمة حسب مراحل تاريخ المنطقة في العصور القديمة إلى عدة أقسام وهي:

1.1. وثائق ما قبل الأسرات وبداية الأسرات:

(1) محمد البشير شنيقي، المرجع السابق، ص 194.

(2) أم الخير العقون، من مصادر تاريخ المغرب القديم الرسوم الصخرية والأثار المصرية، مركز البحث في الانثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، CRASC، وهران، 2016، ص 92.

(3) أحمد عبد الحليم دراز، مصر وليبيا فيما بين القرن السابع والقرن الرابع ق.م، ص ص 27-28.

(4) أم الخير العقون، من مصادر، ص 92.

تعتبر أقدم الوثائق وهي عبارة عن مناظر عامة منقوشة ومرسومة على بعض السطوح الحجرية أو الألواح الطينية، أو ما يعرف عند الباحثين بالصلاية، وهي نقوش لا تصحبها نصوص كتابية لأن الكتابة الهيروغليفية في ذلك الوقت لم تكتمل عناصرها بعد، ومع مرور الوقت تطورت لتصبح عبارة عن رموز ترافقها كتابات مصرية قديمة⁽¹⁾، وتبرز المظاهر الجسمانية لليبيين وتميزهم عن السلالات المصرية وندرج منها ما يلي:

1. مقبض سكين جبل العرق⁽²⁾: وهو أول إشارة تدل على وجود علاقة بين الليبيين القدماء مع مصر ويرجع تاريخها إلى منتصف الألف الرابع قبل الميلاد⁽³⁾، متواجد حاليا بمتحف اللوفر بباريس⁽⁴⁾. (أنظر الملحق رقم 1).

2. صلاية صيد الأسود: تحتوي على صور عدد من الرجال يحملون الأقواس والحرب وعصي الرماية ويزينون شعورهم بالريش، ويرتدون جراب العورة ويتدلى خلف كل رجل ذيل ذئب أو ابن آوى، وهي صفات ميزت الليبيين حسب الباحثين والأثريين⁽⁵⁾.

3. صلاية الأسود والعقبان: تظهر أشخاصا يرتدون جراب العورة⁽⁶⁾.

4. لوحة التحنو: وتعتبر أهم الشواهد الأثرية التي تدل على الليبيين القدماء وقد عثر عليها في أبيدوس، وتسمى أيضا صلاية الحصون والغنائم أو لوحة الليبيين، أو صلاية الجزية الليبية⁽⁷⁾، تكمن أهميتها في الكتابة الهيروغليفية التي تدل على التحنو نجد على أحد وجهي هذه اللوحة رسومات تمثل سبع مدن محصنة متحالفة استطاع أن ينتصر عليها الملك. أما

(1) محمد إبراهيمي، سكان المغرب القديم من خلال المصادر الأثرية المصرية، ص 3.

(2) مقبض سكين جبل العرق أو العرك أو العركي: نسبة إلى المنطقة التي وجد بها حوالي 3500 ق.م عثر على هذا المقبض تجاه نجع حمادي بالصحراء الشرقية. تمثل الرسومات التي على هذا المقبض العاجي رجال لهم خصلة من الشعر على شكل ظفيرة ويلبسون جراب العورة، وهي صفات يتخذها الباحثون علامات مميزة لليبيين القدماء في ذلك الوقت. للمزيد ينظر، مصطفى كمال عبد العليم، دراسات في تاريخ ليبيا القديم، المطبعة الأهلية، بنغازي، 1966، ص 10-11.

(3) Gradiner.A, Egybt the Pharaons, Britain, 1961, p.396.

(4) حسين عبد العالي مراجع، العلاقات الليبية الفرعونية منذ عصر ما قبل الأسرات وحتى بداية حكم الليبيين لمصر، مذكرة ماجستير، إ: رجب عبد الحميد الأثرم، جامعة قاريوس، ليبيا، ص 5.

(5) مها عيساوي، المرجع السابق، ص 85، مصطفى كمال عبد العليم، المرجع السابق، ص 11.

(6) مصطفى كمال عبد العليم، المرجع نفسه، ص 11.

(7) أحمد عبد الحليم دراز، مصر وليبيا، ص 31.

على الوجه الآخر فنجد ثلاثة صفوف تمثل ثيرانًا وحميرًا وأغنامًا وأسفلها أشجار زيتون بالقرب منها العلامة الهيروغليفية التي تدل على التحنو⁽¹⁾. (أنظر الملحق رقم 2).

5. لوحة التوحيد: أوصلية نعمر ترجع لفترة حكم الأسرة الأولى 3400-3200 ق.م عهد الملك نعمر، موحد القطرين حيث تظهره وهو يضرب مجموعة من الأسرى الجاثمين نقش فوقهم عبارة تحنو باللغة الهيروغليفية⁽²⁾.

وما يمكننا استخلاصه أن المشاهد التي مثلت في وثائق ما قبل الأسرات دلت على الليبيين التحنو بوصفهم سكان الغرب.

2.1. وثائق الدولة القديمة (2900-1785 ق.م): إبتداءً من الدولة القديمة أصبحت الوثائق تدون عن طريق الكتابة الهيروغليفية ويمكن تصنيفها إلى:

- نص الملك سنفرو: مؤسس الأسرة الرابعة على حجر بالرمو.
- نصوص الملك ساحو رع: من الأسرة الخامسة على جدران معبد الملك ساحو رع⁽³⁾.
- نصوص أونى حاكم الجنوب: يذكر أونى حاكم الجنوب على جدران مقبرته في أبيدوس في عهد الملك بيبى الأول (الأسرة السادسة).
- نصوص حرخوف حاكم وقائد القوافل في الجنوب (الأسرة السادسة)⁽⁴⁾.

3.1. وثائق الدولة الوسطى (2060-1785 ق.م): تنقص الوثائق في هذه الفترة فلم تكن تتحدث كثيرا عن الليبيين، وإن وجدت فيشوبها الغموض ومن الوثائق القليلة لهذه الدولة التي تتعلق بالليبيين نجد:

- حكاية سنوهى (سنوحي): وهو أحد رجال البلاط في عهد الملك منتوحتب الأول (1991-1961 قبل الميلاد)، وذكر سنوهى أن سنوسرت ابن الملك منتوحتب الأول خاض حرباً ضد التمحو⁽⁵⁾.

(1) Gradiner.A, Op.Cit.p.394.

(2) فرج محمود الراشدي، التواجد الليبي في المجتمع المصري القديم، المجلة الليبية العالمية، جامعة بنغازي، ع4، ديسمبر 2015، ص ص6-7.

(3) أحمد عبد الحليم دراز، المرجع السابق، ص32.

(4) مصطفى كمال عبد العليم، المرجع السابق، ص ص12-13؛ مها عيساوي، المرجع السابق، ص ص88-89.

(5) مها عيساوي، المرجع نفسه، ص ص90-91.

- مخلفات المجموعة السكانية التي يطلق عليها المجموعة (ج) (C. Group)⁽¹⁾: فرع جنوبي للتمحو أو لبيبين جنوبيين⁽²⁾.

4.1. وثائق الدولة الحديثة (1580-1085 ق.م): خلفت لنا الدولة الحديثة أكبر قدر من الوثائق التي تتمثل في النقوش والصور، والتي من خلالها تعرفنا على مجموعات كثيرة من الليبيين قبل هيرودوت أى خلال القرنين الثالث عشر والثاني عشر ق.م وذلك بسبب كثرة التنقيبات، فذكرت قبائل ليبية أخرى غير التمحو ومنها الريبو والمشواش وكل أفرادها من ذوي البشرة البيضاء⁽³⁾ وتتمثل هذه المصادر في:

- وثائق مقابر طيبة في عهد الملكة حتشبسوت والملك تحتمس الثالث 1499-1447 ق.م.
- رسومات معبد الكرنك: تعود إلى عهد الملك تسي الأول وتشير إلى هجمات خطيرة قامت بها قبائل التحنو.

- نقوش مسلات رع رمسيس الثاني في مدينة تانيس.
- نقوش معبد الكرنك وعمود القاهرة ولوحة أتريب وأنشودة النصر: والمصادر الأربعة تحدثت عن انتصار الملك مرنبتاح (Merneptah) (الأسرة 19) على التحالف الذي ضم كلاً من الليبو، والقهق والماشواش مع شعوب البحر⁽⁴⁾.

- بردية هاريس الكبرى: يصل طولها أكثر من أربعين مترًا وعرضها حوالي اثنين وأربعين سنتمراً، تحدثت عن هجوم قبائل الليبو على منطقة الدالتا⁽⁵⁾.

- نقوش ولوحات معبد "رع مسيس الثالث" الجنائزي بمدينة هابو الواقعة في طيبة الغربية آخر الوثائق الهامة التي تتحدث عن القبائل الليبية القديمة التي احتكت بمنطقة وادي النيل في العصور القديمة⁽⁶⁾.

2. القبائل الليبية القديمة من خلال المصادر المصرية:

(1) عثر في أواسط بلاد النوبة على مجموعة مقابر عرفت باسم المجموعة (ج) وهي لقوم ليسوا بمصريين، مؤرخ بالفترة ما بين الأسرتين السادسة والثانية عشر، يرجح بيتيس أنهم من أصل ليبي. للمزيد ينظر: Bates.O, Op.cit. p.245.

(2) مصطفى كمال عبد العليم، المرجع السابق، ص 17.

(3) أم الخير العقون، من مصادر، ص 94.

(4) مها عيساوي، المرجع السابق، ص ص 93-94.

(5) زهير بخوشي، المرجع السابق، ص 25.

(6) المرجع نفسه، ص 26.

أشارت المصادر المصرية القديمة إلى القبائل الليبية الكبيرة التي انتشرت بشكل واسع وكان لها دور بارز في تطور الأحداث في ذلك الوقت، فكانت هذه القبائل تقطن إلى الغرب من مصر ونستطيع من خلال سردنا للمصادر المصرية القديمة أن نقسم المجموعات التي وردت بهذه النصوص حسب تسلسلها التاريخي إلى: التحنو والتحمو والليبو والمشوش⁽¹⁾. تعتبر قبائل التحنو هم أول القبائل يعود ذكرها إلى عصر ما قبل الأسرات، والتحمو إلى نصوص الدولة الوسطى، أما الليبو فإلى عهد الدولة الحديثة، والمشوش إلى العهد الإنتقالي الثالث، وتتجاهل المصادر المصرية فيما بعد ذكر سكان بلاد المغرب القديم وتفصيل بنياتهم الاجتماعية منذ منتصف القرن السابع قبل الميلاد الذي يوافق آخر ملوك الأسرة الثالثة والعشرين اللوبية التي حكمت مصر⁽²⁾.

1.2. التحنو Tehenou :

تقع بلاد التحنو إلى الغرب من مجرى وادي النيل لأنها تذكر دائما في النصوص المختلفة عندما تذكر أسماء البلاد التي تقع إلى الغرب من مصر، مثل ما جاء في النقوش التي تعود للملك "سحورع"، و"تحتمس الثالث" و"أمنحوتب الثالث" والفرعون "سيتي الأول". ويرى بعض المؤرخين كالإنجليزي بيتيس (Bates.O) بأن بلاد التحنو كانت تمثل الفيوم والواحات ووادي النطرون وبرقة⁽³⁾، في حين رأى آخرون بأن بلاد التحنو تشمل كل المناطق الواقعة غربى وادي النيل بما فى ذلك الأقاليم الجنوبية. بينما رأى فريق ثالث بتحديد موطن هذه القبائل على أساس اقتصادي، وذلك كون أهم منتجات أرض التحنو كانت زيتا اشتهرت في الدولة القديمة وهي زيت التحنو⁽⁴⁾. ونخلص إلى أن أرض التحنو تقع إلى الغرب من دالتا النيل وتكون منطقة الفيوم أحد المراكز التي استقرت بها هذه القبيلة. ونلاحظ أنه ابتداء من الأسرة الخامسة من الدولة القديمة وحتى الأسرة الثامنة عشرة أصبحت كلمة تحنو لكثرة تداولها تدل على ليبيا والليبيين القدماء عامة⁽⁵⁾.

(1) محمد بيومي مهران، المغرب القديم، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1990، ص75.

(2) وفاء بوغرارة، العلاقات الاجتماعية والثقافية بين المغرب القديم وشعوب البحر الأبيض المتوسط، أطروحة دكتوراه، إ: الطاهر ذراع، قسم العلوم الإنسانية جامعة أدرار، 1018/2017، ص40.

(3) Bates.O, Op.cit. p.49.

(4) أم الخير العقون، الليبيون وتأسيسهم للدولة في مصر الفرعونية، ص69.

(5) محمد بيومي مهران، المرجع السابق، ص76.

اعتبرت علامة التحنو (Thny-Thnw) أولى الدلالات الكتابية في المصادر المصرية القديمة التي أشارت إلى قبائل غرب النيل وارتبطت دائماً بالأجانب أو السكان غير المصريين⁽¹⁾، فورد اسم تحنو في نصوص "رع مسيس الثالث" إلا أن ذكر التحنو أو تحنى (Thny) قد جاء في النقوش المصرية منذ فجر التاريخ المصري، ويعد أقدم أثر سجل عليه اسم شعب التحنو هو "صلاية الأسد والعقبان" والتي ترجع لعصر ما قبل الأسرات، وقد ورد ذكرهم كذلك في "صلاية الحصون والغنائم" التي تعود لفترة الملك العقرب⁽²⁾، وعلى الختم الأسطواني للملك نعرمر مؤسس الأسرة الأولى⁽³⁾. وتتابع ذكرهم على الآثار المصرية كونهم أحد القبائل التي كانت في فترات مختلفة تمثل تهديداً على الحدود الغربية لمصر. فذكرت بلاد تحنو على أثر عهد الملك منتوحتب (الأسرة 11) إلى جانب قومي النوبيين والأسيويين، كما جاء ذكرهم في قصة سنوحي بأنهم ساكنو بلاد تحنو، ومن الأسرة الثانية عشرة يعتقد بأن كلمة تحنو استعملت للدلالة على السكان كذلك⁽⁴⁾.

ظل اسم التحنو يتكرر في الوثائق المصرية عبر كل الفترات التاريخية، وقد سمحت لنا هذه النصوص والنقوش بالتعرف على السمات الفيزيولوجية المميزة للحنو وشكل ملابسهم، فكانوا يتميزون ببشرتهم السمراء، وبالشعر المموج، والأنف الأفتى، وكانت لهم لحى قصيرة⁽⁵⁾. وهي صفات تميزهم عن غيرهم من القبائل الليبية.

2.2. التمحو Temehu⁽⁶⁾:

اختلف الباحثون في تحديد بلاد التمحو والراجح أنها تمتد على الحدود الغربية لمصر حتى طرابلس غرباً والنوبة جنوباً، يرى أحمد فخري بأن التمحو تركزوا في الموطن نفسه

(1) Bates.O, Op.cit. pp.211-212.

(2) الملك العقرب: عاش في أواخر عصر ما قبل الأسرات، أحد ملوك مصر العليا (الصعيد) من أسلاف الملك نعرمر. للمزيد ينظر: صالح عبد العزيز، الشرق الأدنى القديم مصر والعراق، ج1، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 2012، ص105.

(3) الملك نعرمر: أو الملك مينا أول ملوك الأسرة الأولى 3200 ق.م، من ملوك الصعيد استطاع توحيد مصر، خاض حروباً ضد الليبيين. للمزيد ينظر: أحمد فخري، مصر الفرعونية موجز تاريخ مصر منذ أقدم العصور حتى عام 332 ق.م، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط2، ص ص 61-62.

(4) محمد بيومي مهران، المرجع السابق، ص69.

(5) المرجع نفسه، ص73.

(6) Bates.O, Op.cit. p.211.

للتحنو بعد أن سيطروا عليهم بالإضافة إلى سيطرتهم على الواحات ذات الأرض الخصبة المنتشرة إلى الغرب من وادي النيل ويرى أنهم انتشروا جنوباً حتى دار فور بالسودان⁽¹⁾. يعتقد بتيس (Bates.O) أن البلاد التي سكنها التمحو هي واحتى كركر ودنقل معتمداً في ذلك على المسلة التي عثر عليها في معبد رعمسيس الثاني بالنوبة⁽²⁾. والراجح أن أرض التمحو تقع في المناطق الشمالية وأنهم سمو بالتمحو نسبة إلى الأرض التي سكنوها؛ فكلمة تامح تعني أرض الشمال. بينما كلمة تمحو (Tm-hw) تعني سكان غرب النيل أي الأجانب عن المصريين القدامى بوضوح⁽³⁾. وبدراسة أنثروبولوجية يتضح بأنهم سكان ساحل المتوسط.

تشير الدلائل الأثرية أن أولى الإشارات للتمحو كانت في نصوص عصر الدولة القديمة وذلك يعني أنه لم يكن لهذه التسمية وجود في عصر ما قبل الأسرات، احتفظت لنا المصادر المصرية بصورة هؤلاء التمحو منذ فترة أقدم تعود للأسرة الرابعة حوالي (2600-2560 ق.م) ورد ذكر اسمهم لأول مرة في عهد الملك "ببي الأول" (2402-2388 ق.م)، ثالث ملوك الأسرة السادسة في لوحته المشهورة⁽⁴⁾ ببلاد التمحو Ta-tmh التي حصل منها على جنود لجيوشه إذ ذكرها قائد الجيش المدعو "أوني"⁽⁵⁾، كما ورد اسم التمحو في نصوص "رع مسيس الثالث"، وفي نص "حرخوف" الذي ذكر التمحو في حديثه عن رحلته إلى "يام" (أرض تقع في السودان)⁽⁶⁾.

الاختلاف واضح بين التحنو والتمحو من خلال صورهم في مختلف اللوحات، ولذلك تغير مدلول اسم التحنو بظهور سلالة جديدة بصفات مغايرة. يتميز التمحو ببشرتهم البيضاء وشعرهم الأشقر وعيونهم الزرقاء، وقد عثر في مقبرة الملكة "مرسي غنج الثالثة" بالجيزة وهي من الأسرة الرابعة منظرًا يمثلها مع أمها "حوتب حيرس الثانية" ابنة الملك "خوفو"، وتظهران

(1) محمد بيومي مهران، المرجع السابق، ص ص 78-79.

(2) Bates.O, Op.Cit. p.21.

(3) Ibid, p.46.

(4) نص الملك ببيبي الأول والسيرة الذاتية لأوني، وهو عبارة عن نص خلفه أوني على جدران مقبرته في أبيدوس يتحدث عن مهمة أرسله فيها الملك ببيبي الأول لتجنيد مقاتلين من النوبة وليبيا للجيش المصري ضد بدو آسيا. للمزيد ينظر: حسين عبد العالي مراجع، المرجع السابق، ص ص 45-46.

(5) محمد إبراهيم، المرجع السابق، ص ص 11-12.

(6) Bates.O, Op.cit. p.49.

مختلفتين في الصورة فكانت الأم "حوتب حيرس" شقراء ذات عيني زرقاوين، ويتخلل شعرها الأصفر الذهبي خطوطا حمراء دقيقة بينما باقي سيدات المقبرة يظهرن باللون الأسود المعتاد، بينما الإبنة "مرسي غنج" تختلف عن أولادها فظهرت بلون بشرة بيضاء وشعر أشقر وهي تحلي جبينها بخصلة شعر قصيرة مثل التمحو تماما⁽¹⁾.

بدأ التمحو تحركاتهم اتجاه مصر في عهد الدولة الوسطى (2060-1785 ق.م)، أين هاجرون هجرات جماعية للاستقرار والتجارة في مصر كما صورتهم نقوش "ببي الأول" وذلك بسبب الجفاف الذي حل بالصحراء الكبرى.

3.2. الليبو (LBW) أو الريبو (RBW):

وجدت تسمية الليبو (lebu) أو الريبو (rebu) في المصادر المصرية خاصة الأثرية منها للدلالة على شعب ينتمي إلى أحد القبائل التي تعيش في المغرب القديم، أين اعتبرها البعض إشارة واضحة إلى بُعد مواطن هذه القبيلة عن مصر في الكثير من الأحيان، مع وجود آراء تشير إلى تواجد أحد عشائرها في واحة سيوة، أقدم ذكر لهذه المجموعات يرجع لفترة الرعامسة من الأسرة التاسعة عشرة وبالضبط في عهد "رع مسيس الثاني" (1290-1223 ق.م)⁽²⁾، وورد ذكرهم في زمن "مرنبتاح" (1223-1211 ق.م) حيث أنه صد هجوماً شنته تلك القبائل على مصر في العام الرابع والخامس من حكمه. وجاء ذكرهم في عصر الملك "رع مسيس الثالث" (1198-1166 ق.م) من الأسرة العشرين، كما أشير لهم في زمن الملك "شيشنق الرابع" من الأسرة الثالثة والعشرين⁽³⁾. وهي إشارات دلت على ذلك الصراع الطويل بين مصر القديمة والقبائل الليبية.

لقد قدمت لنا المصادر المصرية القديمة وفي مقدمتها الأثرية وصفا دقيقا، والسمات المميزة لقبيلة الليبو فذكرتهم بصفات تشبه التمحو جسميا، فكانوا زرق العيون وجميعهم يلبسون عباءات فضفاضة ويظهر أحد الكتفين عاريا، كان تحت العباءة قميص يعلو الركبة، وشعر الرأس مقسم إلى خصل بعضها ينزل على الجبهة وبعضها ينسدل إلى الخلف، ويزين

(1) أم الخير العقون، من مصادر تاريخ، ص3.

(2) مصطفى كمال عبد العليم، المرجع السابق، ص24.

(3) محمد بيومي مهران، المرجع السابق، ص ص88.

الشعر بريشتين⁽¹⁾، ويظهر إختلاف بسيط بين التلمحو والليبو تمثل في الوشم الذي ميز الليبو وقد طبعوه على أذرعهم وسيقانهم⁽²⁾ (ينظر الشكل رقم 1).

يؤكد أورك بيتس أن الليبو كانوا شعباً واسع الانتشار لدرجة أن أهميتهم قادت الإغريق إلى استعمال المصطلح السلالي الليبيون على سكان الشمال الأفريقي بالكامل⁽³⁾، وأجمع المؤرخون أن الليبو كانوا يسكنون منطقة الجبل الأخضر إلى الغرب من منطقة برقة⁽⁴⁾، كما أنهم شغلوا المناطق الواقعة غرب مصر في جبل العقبة وفي برقة واستقر قسم منهم في منطقة قوريناوية.



الشكل رقم 1: لوحة من قبر سيتي الأول (1290-1279 ق.م) من الأسرة التاسعة عشر تصور أقوام ليبو وتظهر الوشم والشعر المظفر الذي تميزوا به، Bates.O, Op.cit. p.46.

4.2. المشوش (Meshulesh):

يرجح الباحثون أن المشوش سكنوا المناطق الشمالية من الصحراء الليبية ويرى البعض أن ديارهم كانت تمتد غرباً حتى المناطق التي تمثل تونس الحالية، وهم بذلك سكنوا المنطقة الواقعة إلى الغرب من الليبو، ويبدو أنهم اتخذوا الطريق الساحلي في سيرهم من الغرب إلى الشرق⁽⁵⁾، وقد رأى بعض العلماء بأن المشوش هم أنفسهم المكسييس الذين أشار إليهم هيرودوت بأنهم يقيمون إلى الغرب من بحيرة تريتونيس⁽⁶⁾. ولكن مع بداية الأسرة الثامنة

(1) مصطفى كمال عبد العليم، المرجع السابق، ص 32.

(2) مها عيساوي، المرجع السابق، ص 89.

(3) Bates.O, Op.cit. p.46.

(4) Ibid, p.51.

(5) Bates.O, Op.cit. pp.44.51.

(6) Hérodote. IV.191.

عشرة المصرية بدأ المشوش يتجمعون حول حدود مصر الغربية طلباً للإقامة الدائمة حول دلتا وادي النيل، ومن خلال الرجوع إلى الوثائق التي تشير إلى الحروب التي دارت بينهم وبين المصريين يتضح أن المشوش كانوا يرغبون الاستيطان في مصر وقد صرحوا بذلك بأنفسهم⁽¹⁾. فاستطاعوا الاستقرار في الكثير من مناطق مصر سواء في حاميات الحدود أو بانظمامهم إلى الجيش كجنود مرتزقة⁽²⁾، وقد تسلت عناصر منهم إلى مصر واستقرت أسر منهم في الواحات البحرية على الأرجح ومن بين هذه الأسر أسرة "يويو واوا"⁽³⁾، وفي عصر الأسرة الثانية والعشرين استقرت قبائل المشوش في الواحة الداخلية وتقدموا منها إلى مصر. استطاع المشوش تكوين الأسرة الثانية والعشرين التي حكمت مصر قرابة قرنين من الزمان أسسها "شيشنق"⁽⁴⁾.

تعتبر هذه التسمية الأكثر تداولاً في المصادر الأثرية المصرية القديمة خاصة تلك التي ترجع إلى عهد الأسرة الثامنة عشرة⁽⁵⁾، أول ذكر للمشوش في النصوص المصرية كان ضمن نص احتفال الملك أمنحوتب الثالث (1390-1352 ق.م) بعيد الـ(السد) للمرة الثانية في عامه الرابع والثلاثين، والتي أكدت ظهور المصطلح في إشارة إلى قطعان ماشية للمشوش غير معروفة المصدر (غنائم/هدايا/إرادات)⁽⁶⁾، واعتبر منظر المشوش الذي ظهر ضمن مناظر حرب العام الحادي عشر في معبد مدينة "هابو"⁽⁷⁾ هو المنظر الوحيد لظهورهم في الفن المصري القديم⁽⁸⁾.

(1) محمد بيومي مهران، المرجع السابق، ص 85.

(2) Bates.O, Op.cit. p.46.

(3) مصطفى كمال عبد العليم، المرجع السابق، ص 32.

(4) المرجع نفسه، ص 33.

(5) مها عيساوي، المرجع السابق، ص 106.

(6) عصام السعيد، العادات الاجتماعية للمشوش، مجلة حوليات التاريخ والجغرافيا، المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة، ع 9، ديسمبر 2015، ص 51.

(7) معبد مدينة هابو: أو المعبد الجنائزي أو معبد رع مسيس الثالث، من معابد الأسرة المصرية العشرين (الدولة الحديثة). يقع هذا المعبد على الضفة الغربية لنهر النيل في الأقصر.

(8) عصام السعيد، المرجع السابق، ص 52.

وعن أصل كلمة مشوش الذي يظهر في النقوش المصرية (Ms-n-MsWS) فيعني زعيم المشوش، وكلمة (Ms) مرادفة لكلمة (Mess) والتي تعني زعيمًا أو سيدًا⁽¹⁾.

صورت هذه النقوش المشوش كأعداء وأجانب عن مصر هاجموا في العديد من المرات، كما فسر بعض الباحثين هذه النقوش والرسوم على أنها إشارة واضحة لإقامة هذه القبيلة على الضفاف الغربية لنهر النيل. كما أظهرت تلك المخلفات صفاتهم الشبيهة جدا بالتمحو والريبو كونها صورتهم ببشرة بيضاء يرتدون أشرطتهم الجلدية المتقاطعة عند الصدر مع جراب العورة والذيل، لكن الشيء المختلف هنا تتمثل في المعاطف الطويلة التي يرتدونها⁽²⁾. كما أظهرت النصوص المصرية المشوش بلحية مدببة، وزين الرأس بريش النعام التي كانت رمز شرف لليبيين في أوقات السلم والحرب⁽³⁾، ولم تكن تلك الريشة مزدوجة مثلما هو الحال في الماضي وإنما أصبحت ريشة واحدة لطائر النعام⁽⁴⁾.

لقد كانت قبائل التحنو والتمحو والليبو والمشوش من القبائل الليبية الكبيرة، ذات التحرك والانتشار الواسع، التي لعبت دورا بارزا في تطورات الأحداث في ذلك الوقت. ولذلك نجدها ترد في النصوص المصرية القديمة.

5.2. قبائل ليبية أخرى:

أشارت المصادر المصرية القديمة إلى قبائل أخرى صغيرة إشارات بسيطة، وقد يكون ذلك لعدم تأثير هذه القبائل في الأوضاع السائدة بالمنطقة أو لوقوع أراضي هذه القبائل تحت سيطرة القبائل الكبيرة، فمن هذه القبائل الصغيرة الأسبت والكبت والثكن والبقن والكيكش والسبد والقهق⁽⁵⁾.

6. إموقهق (Imukahek): ظهرت في الآثار المصرية لأول مرة في عهد الأسرة الثامنة عشرة، كان يرجح أن أصحابها من الشعوب الشمالية (شعوب البحر)، لكن يعتقد أنهم أنفسهم القهق الذين ينتمون إلى قبائل الريبو.

(1) عصام السعيد، المرجع السابق، ص 53؛ Bates. O, Op. Cit, p.42.

(2) محمد إبراهيمي، المرجع السابق، ص 17؛ أم الخير العقون، من مصادر تاريخ، ص 97.

(3) Bates. O, Op. Cit, p.127.

(4) عصام السعيد، المرجع السابق، ص 53.

(5) علي فرج علي غميص، الأوضاع السياسية في مدينة قوريني وأثرها على القبائل الليبية (631 ق.م-322 ق.م)، رسالة ماجستير، إ: أحمد محمد انديشة، الأكاديمية الليبية طرابلس، ليبيا، 2013، ص 29.

7. القهق (kehek): لم يذكروا في نصوص رمسيس الثالث وإنما ذكروا في نصوص مرنبتاح مع الليبو بوصفهم أسرى كما ذكروا في بردية هاريس تميزوا بعددهم الكبير اشتغل بعضهم كمرتزقة في الجيش المصري، تحالفوا في فترات مختلفة مع الريبو في حربهم ضد المصريين⁽¹⁾.

8. كيكش (Keykesh) من القبائل الليبية الصغيرة يعتقد البعض من المختصين بأنها النطق الخاطئ لاسم قهق، ذكر رجالها ضمن المنهزمين مع الريبو والمشوش الذين أسرهم رمسيس الثالث.

9. السبت (Esbet): ذكروا مرة واحدة في الآثار المصرية، يعتقد أنهم من ذكرهم هيرودوت باسم (Asbystae).

10. أقبت (Akbet): يعتقد أيضا أنه نطق خاطئ لقبيلة أسبت.

11. شاي (Shau): ذكروا مع المنهزمين أمام رمسيس الثالث.

12. هس (Hes) وبكن (Beken) وهما قبيلتان فرعيتان ورد اسمهما مرة واحدة في الآثار المصرية⁽²⁾.

ذكرت المصادر المصرية مناطق تواجد القبائل الليبية التي اعتبرت تاريخيا النسيج الاجتماعي الباكر لسكان المغرب القديم من خلال التطرق لأحوالها السياسية والاجتماعية وعن أصولهم وفروعهم وبذلك وصلتنا الصورة الأولى عن أصل هؤلاء السكان وصفاتهم وعلاقاتهم بمصر⁽³⁾.

كما سجلت لنا هذه المصادر وإن كانت أحادية الجانب تحركات هذه القبائل منذ العصور القديمة والتي كانت في اتجاهين مختلفين، الأول تحركها شرقا عبر المناطق الشمالية إلى الغرب من نهر النيل عن طريق مدينة مريوط وأبسيس وغيرها من مناطق الدالتا

(1) محمد بيومي مهران، المرجع السابق، ص 89-90.

(2) عبد اللطيف محمود البرغوثي، التاريخ الليبي القديم من أقدم العصور حتى الفتح الإسلامي، ج1، تامغناست، ص74؛ Bates.O,op.cit. P.46-47.

(3) وفاء بوغرة، المرجع السابق، ص40.

الأخرى، والثاني في اتجاه الواحات الغربية (سيوة والفراغة والداخلية والخارجة)، وكانت هذه القبائل القديمة قد سيطرت على الواحات الغربية ثم توغلت في بلاد النوبة⁽¹⁾.

يرى الباحث فريدريك كولين في رسالته التي جاءت تحت عنوان "الليبيون بمصر ما بين القرنين 15 ق.م والقرن 2م (دراسة أنوماستية وتاريخية)" في تحليله التاريخي⁽²⁾، أن وصول الموجات البشرية لهجرات القبائل اللوبية الأولى نحو منطقة وادي النيل كان على الأقل خلال القرن الخامس عشر والقرن الرابع عشر قبل الميلاد، ونتج عن هذه الهجرات صراعات كبرى مع الحكام الرعامسة، بينما استقر البعض الآخر ودمج بالريف المصري⁽³⁾.

ومنه تتضح أسباب ذكرنا للقبائل الليبية الواردة في المصادر المصرية وعلاقتها مع مصر في العصر الفرعوني، ذلك أنه في محاولة القبائل الليبية الوصول إلى الأقاليم الساحلية من الصحراء الليبية التي كانت طول ذلك العصر تموج بهجرات وتحركات لكتل بشرية ضخمة، كانت تتحرك في اتجاه مصر، ما أدى بفراغنة مصر لتأمين وتحصين الحدود الغربية لبلادهم، وما يؤكد هذه التحصينات تلك المجموعة من القلاع والحصون الممتدة من غرب الإسكندرية إلى العلمين بل إلى المارماريكا⁽⁴⁾.

كما أن تحركات القبائل الليبية في اتجاه مصر كان بسبب هجمات شعوب البحر الهادفة للاستقرار على السواحل الليبية، ما نتج ضغط على القبائل الليبية ودفعها شرقا باتجاه مصر، أو لوجود شعوب أقوى منها ومقيمة إلى ما وراء مناطق إقامتها، سعت هي الأخرى للوصول إلى المناطق الساحلية، فبعد عشرة قرون تقريبا ستستقر القبائل الليبية في الأقاليم

(1) محمد أحمد سالم، الليبين القدماء ودورهم في تجارة الصحراء، مجلة البحوث التاريخية، العدد 2، مجلد 31، ليبيا، 2009، ص 171.

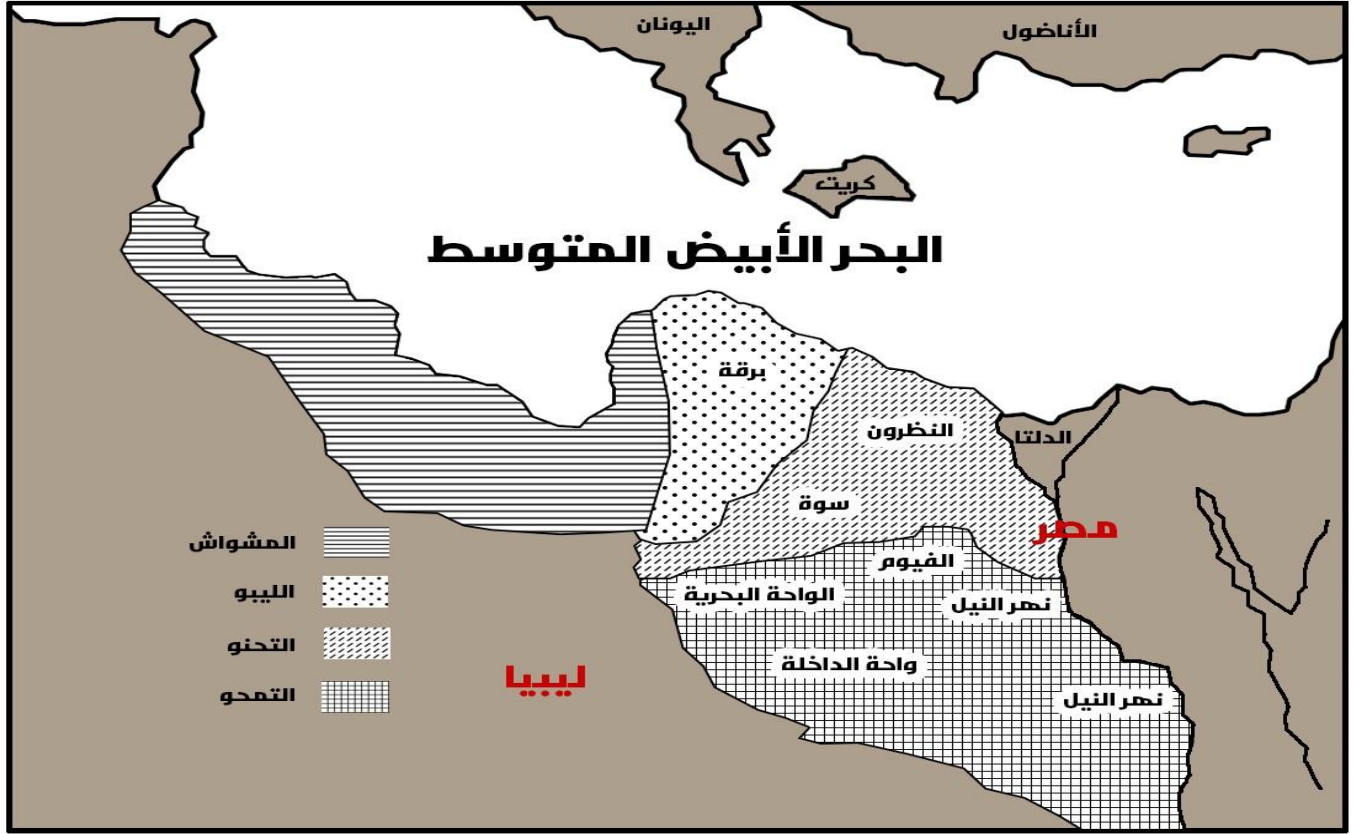
(2) للإطلاع أكثر عن دراسته ينظر:

Fr. Colin, Les Libyens en égypte (XVe siècle a.C.-IIe siècle p.C.). Onomastique et Histoire, vol.1, Thèse de 3e cycle, Université Libre de Bruxelles, Faculté de Philosophie et Lettres, Bruxelles, 1996; id., « Le vieux libyque dans les sources égyptiennes (du Nouvel Empire à l'époque romaine) et l'histoire des peuples libycophones dans le nord de l'Afrique », BACTHS, n. s., Afrique du Nord, fasc. 25, 1996-1998, Paris, 1999, pp. 13-18.

(3) زهير بخوشي، المرجع السابق، ص 31.

(4) مصطفى كمال عبد العليم، المرجع السابق، ص 104.

الساحلية من برقة ومنطقة خليج السيرت وطرابلس، وفزان⁽¹⁾، وهي القبائل التي ستذكرها المصادر الإغريقية بإسهاب.



خريطة رقم 5: مناطق القبائل الليبية الكبرى من خلال المصادر المصرية، من إنجاز الباحثة نقلا عن: الغوري إبراهيم حلمي، أطلس العالم، دار العزة والكرامة للكتاب، سوريا، 2010،

(1) مصطفى كمال عبد العليم، المرجع السابق، ص 104-105.

ثالثاً: القبائل الليبية في المغرب القديم من القرن الخامس إلى القرن الثاني قبل الميلاد

1. توزيع القبائل الليبية من خلال المصادر الكلاسيكية الإغريقية رومانية:

وقبل ذلك نبرز ذلك التغيير الذي طرأ على بيئة بلاد المغرب القديم، وهو ظاهرة التصحر التي تسارعت وتيرتها في الفترة السابقة للعصور التاريخية، ما انجر عليه نزوحات بشرية متعاقبة، اتخذت مسارات مختلفة انطلاقاً من الصحراء الكبرى التي عرفت إزدهارا كبيرا للحياة فيها خلال العصر الحجري الحديث (النيوليتي)، وكانت وجهة النازحين نحو الأقاليم ذات التربة الخصبة والكلأ والماء، وهي العناصر الأساسية لحياة الرعاة والمزارعين على حد سواء، ونتيجة لذلك تزاхمت المجموعات البشرية القادمون من مختلف المناطق على الأنهار في جنوب الصحراء كنهري النيجر والسنغال، واتجه بعضهم إلى ضفاف النيل، كما استقر الكثير منهم حول الواحات المنتشرة في منخفضات الصحراء وبالقرب من منابع المياه، واستطاعت بعض المجموعات عبور الصحراء نحو بلاد التل شمالاً، فاستوطنوا سفوح الجبال وانتشروا عبر الهضاب العليا⁽¹⁾، ونتيجة لذلك برزت الخريطة البشرية لسكان بلاد المغرب القديم، التي رسمتها عديد المصادر الكتابية والأثرية للشعوب التي احتكت بالمنطقة. لقد أمدتنا المصادر الأدبية التي دونت من قبل الكتاب القدامى الإغريق والرومان وحتى البزنطيين. بالكثير من المعلومات حول القبائل الليبية التي عاشت في المنطقة التي سميت قديماً ليبيا بمعناها الواسع، فقد اتفق كل من هيرودوت وبوليبيوس وديودور الصقلي على تسمية المنطقة الممتدة من غرب النيل شرقاً إلى المحيط الأطلسي غرباً، ومن البحر المتوسط شمالاً إنتهاء إلى بلاد الإثيوبيين جنوباً على تسمية ليبيا أو بلاد لوبه، لذلك اعتبر اللوبيون وحدة عرقية حضارية على الرغم من تعدد قبائلهم واختلاف تقاليدهم وعاداتهم⁽²⁾.

حتى وإن كانت معلومات وأخبار هؤلاء الكتاب في معظمها خليطاً بين الحقائق والأساطير فمن خلال هذه المصادر جميعها يمكننا الحديث عن الليبيين القدماء بشئ من التفصيل، وسيكون تركيزنا على أصول وتحركات هذه القبائل منذ بداية العصور التاريخية،

(1) محمد البشير شنيقي، الجزائر قراءة، ص ص 41-42.

(2) محمد حسين فنطر، اللوبين وحدة أم شتات، ص 49.

وحتى الاحتلال الروماني للمنطقة 146 ق.م سنتتبع أسماء أهم القبائل الليبية وتحديدها جغرافيا عند هؤلاء الكتاب منذ أيام (هيرودوت).

في الكتاب الرابع من أحاديثة وتحديد الفقرات من 145 حتى 205⁽¹⁾، أمدا هيرودوت بمعلومات هامة عن القبائل الليبية التي استوطنت منطقة المغرب القديم، شملت أسماءها وعاداتها وتقاليدها وأماكن إقامتها⁽²⁾. جعل هيرودوت بحيرة تريتونيس (Tritonis) ⁽³⁾ (خليج قابس بتونس تقريبا حاليا) حدا فاصلا بين مجموعتين من القبائل الليبية⁽⁴⁾، مجموعة إلى الغرب من هذه البحيرة وأغلبها من الزراع الذين ألفوا حياة الاستقرار، والمجموعة الثانية تعيش إلى الشرق من البحيرة وتتألف من بدو رعاة، وبنى هيرودوت تصوره هذا على اختلاف نمط معيشة كل مجموعة عن الأخرى وليس على أساس الجنس⁽⁵⁾. وقد عرّفنا هذه القبائل إما بروايات شفوية تلقاها من مصدر إغريقي، وإما بواسطة كتاب أقدم منه على الخصوص هيكتي ميلي الذي كتب مؤلفه الجغرافي في نهاية القرن السادس قبل الميلاد⁽⁶⁾ ونذكر منها:

⁽¹⁾ Hérodote. IV.145-205.

⁽²⁾ فاطمة العقيلي، المرجع السابق، ص 364.

⁽³⁾ بحيرة تريتونيس: لم يتفق المؤرخون والجغرافيون القدماء وحتى المحدثين على تحديد مكان هذه البحيرة، وتظهر المصادر القديمة العديد من البحيرات التي أطلق عليها تسمية تريتونيس أو تريتون، يحدد هيرودوت مكان البحيرة على الشريط الساحلي الشمالي من خليج سيرتس (السيرت) الصغير في تونس الحالية عند خليج قابس (Hérodote. IV.179.180.186.188)، والتي من المؤكد أنها تطابق بحيرة شط الجريد، وهو نفس ما ذهب إليه بلين بوضع البحيرة عند خليج السيرت الصغير (Plin l'ancien, V, 4, 26)، أما سترابون فيضع هذه البحيرة على الساحل الشمالي الشرقي لليبيا الحالية عند مدينة يوسبيديس (برنيكي) وهي بنغازي حاليا (Strabon. XVII.3.20).

⁽⁴⁾ Hérodote. IV.168.191.

⁽⁵⁾ مصطفى كمال عبد العليم، المرجع السابق، ص 1؛ عبد الفتاح عبد العزيز، روما وأفريقيا، ط1، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 2007، ص ص 23-24.

⁽⁶⁾ ستيفن غزال، تاريخ إفريقيا الشمالية، ج 5، ص 79.

- قبيلة الأدورماخيداي (adyrmachidae): استهل هيرودوت حديثه عن القبائل الليبية بقبيلة الأدورماخيداي (Ἀδρυμαχίδαι)⁽¹⁾ على الحدود الغربية لمصر يقول "...الأدورماخيداي الذين يمارسون عادات شبيهة بالعادات المصرية لكن ملابسهم هي لباس باقي الليبيين"⁽²⁾، تحتل هذه القبيلة رقعة جغرافية تمتد من دالتا النيل إلى ميناء بلين (Plnes)⁽³⁾.

- الجليجماي (Γηλιγάκα)(Giligamae)⁽⁴⁾: تمتد أراضي هذه القبيلة التي تلي قبيلة الأدورماخيداي مباشرة وتمتد نحو الشرق حتى جزيرة إفروديسياس (Aphrodisias)⁽⁵⁾ (جزيرة كرسة إلى الغرب من مدينة درنة الحالية)، وبين المنطقتين تقع جزيرة بلاتيا (palatial) التي إستقر فيها أهل قورينة وبها أرض السلفيوم الشهير ذي الخصائص العلاجية وتمتد إلى خليج السيرت الكبير عادات هذه القبيلة تشبه عادات الأدورماخيداي⁽⁶⁾. لقد اختفى اسم هذه القبيلة عند كل الكتاب اللاحقين ويبدو أنها لم تكن من القبائل الكبرى لذلك غفل عن ذكرها هؤلاء الكتاب.

- الأسبوستاي (Ἀσβύζηαι)(Asbystae)⁽⁷⁾: تقع أراضيهم إلى الغرب من قبيلة الجليجاماي إلى الداخل من مدينة قورينة إلا أن مواطنهم بعيدة عن المناطق الساحلية التي يسيطر عليها القورنانيون، يتميز الأسبوستاي بركوبهم العربات التي تجرها أربعة خيول وقد تأثروا بعبادات القورينانيين⁽⁹⁾.

- المارماريداي (Μαρκασίδαι)(Marmaridae)⁽¹⁰⁾: قبائل كثيرة العدد أول إشارة

(1) Desanges.J, Catalogues..., Op. cit, pp. 169-170.

(2) Hérodote. IV.168.

(3) Pline l'ancien, V, 1, 3.

(4) Desanges.J.Op. cit. p. 163

(5) Hérodote. IV.169.

(6) Gsell.St, Textes relatifs..., Op.cit, p9.

(7) Desanges.J.Op. cit. pp. 147-148.

(8) Hérodote. IV.170.

(9) Ibid. IV.170.

(10) Desanges.J.Op. cit. pp. 164-165.

لها كانت عند سكيلاكس الذي أشار بأن أراضى الماماريدي تقع إلى الغرب من قبيلة الأدورماخيداي وهي تضم كل الأراضى الداخلية لمدينة برقة وتمتد نحو الغرب حتى خليج سرت، ويبدو أن أراضى هذه القبيلة ازدادت اتساعاً فى العصر الرومانى حيث امتدت نحو الشرق حتى وصلت باراتيوم (مرسى مطروح).⁽¹⁾

- الأوسخيساي (Ausichae)⁽²⁾ (Αύσιχαι): تقع أراضيهـم إلى المناطق الداخلية من برقة، وتتصل بالبحر عند يوسبيريس (بنغازي) ومنتصف أراضى هذه القبيلة تقع أراضى قبيلة البكاليس (bcales) الصغيرة التى تتصل أراضيهـا بالبحر عند مدينة توخيرا (توكرة)⁽³⁾، ولها عادات الأوسخيساي نفسها وهي عادات إغريقية لقربهم من قورينة⁽⁴⁾.

- النسامون (Nasamones)⁽⁵⁾ (Ναζακώλνο): أكد هيرودوت على أنهم قوم كُثُر، تعودوا ترك قطعانهم فى الصيف بجوار البحر وينطلقون نحو أوجلة ليجنوا التمر من النخيل الذي ينمو هناك بكثرة، كما أنهم كانوا يصطادون الجراد ويجففونه بحرارة الشمس ويجعلونه فى اللبن ويشربونه⁽⁶⁾. من تقاليدهم تعدد النساء على أنهم لا يعرفون الاستئثار بالزوجة، فإذا أراد أحدهم الاتصال بامرأة غرس عصا أمام مكان الاتصال، ومن عاداتهم أيضا أن تمر العروس عند زفافها بين يدي جميع المدعوين وتتصل بهم ويقدم لها كل منهم هدية⁽⁷⁾.

لم يتفق المؤرخون القدامى فى تحديد موطن هذه القبيلة فهيرودوت يعتقد أن موطن النسامون يقع إلى الغرب من موطن الأوسخيساي دون أن يحدد إلى أى مدى يمتد موطنهم نحو الغرب⁽⁸⁾، ونجد فى المقابل سكيلاكس يوضح بأن موطن هذه القبيلة يمتد نحو الغرب

(1) على فهمي خشيم، المرجع السابق، ص 120.

(2) Desanges.J.Op. cit. pp. 149.

(3) Hérodote. IV.171.

(4) Gsell.St, Texts relatifs..., Op. cit, pp172-185.

(5) Desanges.J.Op. Cit. pp. 152-154.

(6) Hérodote. IV. 172.

(7) Ibid. IV. 172.

(8) Ibid. IV. 172.

حتى يصل مذبح الأخوين فليينوس⁽¹⁾، أما بلين فقد حددها بمسيرة اثنتي عشرة يوماً من بلاد الغرامنت⁽²⁾، ويرجع الاختلاف هذا ربما لكثرة تحرك القبيلة بين الواحات لأجل جني ثمار النخيل التي تشتهر بها الواحات، وأيضاً البحث عن مناطق أكثر وفرة لمصادر العيش لذلك اشتهروا بحب المغامرة والإستكشاف⁽³⁾.

وعلى ضوء ما جاء يمكن تحديد موطنهم قرب البحر على ضفاف السيرت الكبير شمالاً، ومنطقة أوجلة غرباً في ربوع برقة⁽⁴⁾، هم حضر وبدو في نفس الوقت لهم إقتصاد يستند على الفلاحة في الواحة وتربية الماشية، فكانوا ينتقلون من منطقة السيرت وواحة أوجلة (Augila) وقد عرفوا مسالك الصحراء وطرقها، يذكر هيرودوت إشارات لتحركات النسامونيين والمناطق التي كانوا يترددون عليها منها أوجلة ومملكة الأمونيين بسيوة⁽⁵⁾.

يعتقد رين (Rinn)⁽⁶⁾ أن النسامون هم شعوب (إن Enn) إله المياه، وموطنها الأصلي هو آسيا الصغرى، ومنه انتشرت غرباً عبر السواحل، ويرجح أن اسم النسامون مشتق من الأصل (Nait Amon) أو (Nats Ammon) أي أنهم من شعوب إن، ويمكن إدخالهم في المجموعة الإثنية نفسها مع المصريين للصلة الكبيرة بهم⁽⁷⁾.

ذكرت هذه القبيلة في المصادر الرومانية حتى القرن الثاني الميلادي ضمن القبائل الكبيرة⁽⁸⁾، وكان الرومان يحسبون ألف حساب لقبيلة النسامونيين القوية الذين ضايقوا

(1) Scylax, 109. Pseudo-Skylax's Periplus: The Circumnavigation of the Inhabited World: translated by Graham Shipley (University of Exeter, Bristol Phoenix Press, 2011).

(2) Pline l'ancien, V, 1, 2.

(3) نجلاء عبد الله الزدام، الأحوال الحضارية للقبائل الليبية في المدن الثلاث خلال العصر الروماني، أطروحة دكتوراه، إ: محمد فهمي عبد الباقي والسيد محمد السعيد عبد الله، جامعة قناة السويس (قسم التاريخ)، مصر، 2019، ص37.

(4) محمد حسين فنطر، قبيلتان لوبيتان الجرميون والنسمونيون، مجلة دوماتو، ع5، الرياض، جانفي 2002، ص47.

(5) المرجع نفسه، ص48.

(6) Rinn, Les origines Berberes, pp.48-49.

(7) أم الخير العقون، دولة الأمازيغ، ص ص61-62.

(8) نجلاء عبد الله الزدام، المرجع السابق، ص37.

الرومان بالتعرض لطرق التجارة بالداخل، ومهاجمة السفن وإغراقها عند السواحل⁽¹⁾. في نهاية القرن الأول الميلادي اضطر الرومان إلى توجيه حملة استهدفت القضاء على سيطرة النسامون على المنطقة في محاولة من الرومان لتوسيع حدود المدن الخمسة من جهة، ومن جهة أخرى استهدفت إلزام النسامون بعدم ترك مواطنهم الدائمة بغية حرمانهم من الحركة والهجرة الموسمية لتسهيل مراقبتهم في مكان ثابت من أجل تسهيل عمل جباة الضرائب الرومانيين⁽²⁾.

- **البيسل (Psylles):** يذكر هيرودوت أنهم انقضوا بسبب الجفاف الذي حلَّ بالمنطقة التي قطنوها، والناتج عن هبوب الرياح الجنوبية ليستوطن أراضيهم النسامونيون⁽³⁾، وأول من ذكرهم هيكتي الميليتي الذي وضعهم في السيرت الكبير، بينما هيرودوت وضعهم بين النسامونيين شرقا وأرض الماكاي غربا⁽⁴⁾.

- **الجامفانت (Gamphasantes):** القبيلة الوحيدة التي حددها هيرودوت في المنطقة الوسطى لليبيا أي منطقة الوحوش البرية⁽⁵⁾، كل كتابات هيرودوت خلطت بين تسمية هذه القبيلة، وقبيلة الغرامنت المعروف بكثرة عددها وقوتها، لكن الحقيقة أن ماقصده هيرودوت هو العكس، فهي من القبائل الصغيرة المتناثرة في منطقة فزان⁽⁶⁾.

- **الماكاي (Macai) (Μάκαι):**⁽⁷⁾ حدد هيرودوت موطنهم إلى الغرب من قبيلة النسامون، وتنتهي عند نهر كينيبس (Cinyps) (وادي كعام الذي يجري عبر أراضيها

(1) مصطفى كمال عبد العليم، المرجع السابق، ص 81.

(2) محمد علي عيسى، المرجع السابق، ص 33؛ مصطفى كمال عبد العليم، المرجع نفسه، ص 81.

(3) Hérodote. IV.173.

(4) علي فهمي خشيم، نصوص ليبية من هيرودوتس/سترابو/بلييني الأكبر/ديودور الصقلي/بروكوب القيصري/ليون الأفريقي، تامغناست، 1967، ص 36.

(5) Hérodote. IV. 174.

(6) Desange.J, Gamphasantes, Ency Berb [En ligne], (Vol 19), Ed Peeters Publishers, France, 1998, pp. 2961-2962.

(7) Desanges.J, Cataloug ..., Op.cit, p. 106.

ليصب في البحر⁽¹⁾. أما ديودور الصقلي فيذكر أنهم كانوا يعيشون في المناطق المحاذية لخليج السيرت، ويصفهم بأنهم أكثر القبائل الليبية عددا⁽²⁾، يتميز المكاي بتسريحة شعرهم الغربية إذ يحلقون طرفي الرأس ويتركون عرفاً بالوسط، كما يشتهرون باستعمال دروع مصنوعة من جلد النعام⁽³⁾.

تعد قبيلة المكاي من القبائل الكبيرة التي امتدت وتوسعت بعيدا عن الساحل في الجبل ومنطقة ما قبل الصحراء، ما يؤكد أنهم رعاة يتنقلون من مكان لآخر مع قطعانهم إلى مسافات طويلة صوب الداخل، وهو ما أكدته سيكلاكس بقوله بأن المكاي يهاجرون في موسم الصيف باتجاه منطقة غريان⁽⁴⁾.

- **الجندانييس (Gindanes):** يقطنون غرب قبيلة المكاي، تتفرد نسائهم بوضع حلقة في الكاحل عن كل رجل يعاشره، وكلما ازداد عدد الحلقات ازدادت شهرة المرأة في القبيلة⁽⁵⁾.

- **اللوتوافجي (Lotophages)⁽⁶⁾ (آكلة اللوتس)⁽⁷⁾ (Λωτοφάγοι)⁽⁸⁾:** كان الكتاب القدامى من الإغريق ويتبعهم في ذلك الرومان يسمون الشعوب بما يشتهر أنه طعام لها، فيقولون مثلا الأخثيوفاجي ويعنون أكلة الأسماك، واللوتوافجي أكلة اللوتس⁽⁹⁾، تقع أراضيهم إلى الغرب من قبيلة الجندانييس. يصف هيرودوت ثمار اللوتس اللذيذة بأن مذاقها يذكر

(1) Hérodote. IV. 175.

(2) Diodore de Sicile, III.49.

(3) Hérodote. IV. 175.

(4) Scylax, 109.

(5) Hérodote. IV. 176.

(6) Desanges.J, Cataloug ..., Op.cit, p. 103.

(7) اللوتس: شجرة أوبسات اللوتس نال شهرة وميزت منطقة الساحل من إفريقيا الشمالية وسواء سميت راموس لوتوس Ramnus lotus أو Zyzephus lotus، أو قيل أنها النبق أو الغريق أو الخشخاش أو القنقيد كما سميت أيضا بشجرة السلوان، ذكرها هوميروس في أشعاره، كما أتى بلين بشيء عن هذه الشجرة في كتابه التاريخ الطبيعي. للمزيد ينظر: علي فهمي خشيم، قراءات ليبية، المرجع السابق، ص ص 63-64.

(8) Scylax, 110.

(9) علي فهمي خشيم، قراءات ليبية، دار مكتبة الفكر، ليبيا، ص 59.

بمذاق الرطب، وأن آكلي اللوتس يصنعون أيضاً من ثمار اللوتس الخمر⁽¹⁾، ورد ذكر هذه القبيلة لدى المؤرخين القدامى منهم سترابون الذي وصفهم بأكلة اللوتس (ثمرة النبق) الذي يعد غذاءهم الوحيد، وتنتمي إلى البدو الرحل وأشار إلى تواجدهم في منطقة خليج السيرت الصغير⁽²⁾. بينما جعل بلين موطنهم يبدأ من الشرق؛ أي شرق خليج قابس وينتهي عند القوس، يضعهم سيلاكس ما بين شرق قابس حتى كعام وكذلك بطليموس⁽³⁾، والاختلاف في تحديد موطن اللوتافاجي يبين أنهم كانوا يترددون على كل هذه المناطق ولعلمهم كانوا يتنقلون هنا وهناك على عادة القبيلة في التجول والترحال⁽⁴⁾.

- **الماخيليس (Machlyes):** يقع موطنهم إلى الغرب من الجندانيين ويتغذون على نبات اللوتس، تمتد أراضيهم إلى غاية نهر التريتون الذي يصب في بحيرة التريتون الكبرى، أين توجد جزيرة فلا⁽⁵⁾، يتميزون بإطالة شعر مؤخرة الرأس⁽⁶⁾.

- **الأوسيس (Auses):** يسكنون جوار الماخيليس فكلتا القبيلتين سكنتا على ضفاف البحيرة، ويفصل بينهما نهر تريتون⁽⁷⁾، أي أنهم أقاموا في عمق السيرت الصغير يعبدون الإلهة أثينا فكانوا يقيمون لها الإحتفالات⁽⁸⁾. عاداتهم مختلفة تماماً عن عادات الماخيليس منها إطالة شعر المقدمة⁽⁹⁾، ونساء هذه القبيلة مشاع بين الرجال والأطفال ينسبون للأكثر شبها بهم⁽¹⁰⁾.

(1) Hérodote. IV. 177.

(2) Strabo, XVII. 37.

(3) بطليموس، IV. 6.3.

(4) علي فهمي خشيم، قراءات، ص 59.

(5) Hérodote. IV. 178.

(6) Ibid. IV.180.

(7) Ibid. IV.180.

(8) Desanges.J, Catalogue..., Op. cit, p.81.

(9) Hérodote. IV.180.

(10) علي فهمي خشيم، نصوص ليبية، ص 39.

إلى الغرب من الأوسيس توجد ثلاث قبائل مستقرة، يسكنون المنازل ويزرعون الأراضي ويقومون بتربية الحيوانات والنحل، والقبائل الثلاثة هي:

- **الماكسيس (Maxues):** قطنوا غرب بحيرة التريتون أين تبدأ بلاد اللوبيين المزارعين الذين سكنوا البيوت⁽¹⁾، وتميزت بلادهم وأجزاء لوبة المتبقية بكثافة غطاءها النباتي، فهي جبلية الطابع ثرية بحيواناتها كالأفاعي الضخمة والأسود والفيلة⁽²⁾. ويُعتقد أن الماكسيسيين أحفاد الطرواديين. يليهم باتجاه الغرب الزوواس (Zaueces) الذين تقود نساؤهم العربات الحربية، ثم يليهم غربا الجيزانتس (Gyzantes)⁽³⁾ الذين كانت جبالهم مليئة بالقردة وأراضيهم تنتج عسلا كثيرا⁽⁴⁾. وهاتين القبيلتين الأخيرتين لم يرد ذكرهما بعد نصوص هيروdot، مما دفع غزال للاعتقاد بأن التسمية محرفة، وافترض موطنها في منطقة البيزاسيوم (جنوب غرب قرطاجة)⁽⁵⁾.

هذه هي القبائل والشعوب التي تقطن الساحل وجنوب هذه المناطق تمتد أراضي الوحوش الضارية، ثم يليها شريط رملي يمتد من طيبة في مصر إلى أعمدة هرقل وتنتصب على امتداده تلال من الملح، تقطن هذا الشريط مجموعة من القبائل وهي:

- **الأمونيين (Ammononiens):** وهم الذين يعبدون الإله زيوس الطيبي (أمون) الذي صور على هيئة كبش، وتميزت أراضيهم بينبوع الشمس؛ وهو نبع بارد في النهار ودافئ في الليل⁽⁶⁾.

- **الغرامنت (Garamantes)⁽¹⁾:** وضع هيروdot موطن الغرامنت على مسيرة عشرة أيام إلى الغرب من أوجلة، وعلى مسيرة ثلاثين يوما إلى الجنوب من موطن آكلة اللوتس، هم

(1) Desanges. J, Op.cit, p.111.

(2) مها عيساوي، المرجع السابق، ص ص 164-165.

(3) Hérodote. IV.191.193.196.

(4) Bates.O, Op.cit. p.53.

(5) Gsell.St, Textes relatifs..., Op. Cit, pp.113-114.

(6) Ibid, p.19.

شعب كثير العدد ينثرون التربة على الملح ثم يزرعونها⁽²⁾. وبالرجوع إلى نص هيرودوت عن الغرامنت (الفقرة 183) نجد إشارة إلى وطنهم، أو الربوع التي كانوا يسكنونها، فهم من سكان الداخل الليبي، كما أشار إلى اقتصادهم الزراعي الرعوي⁽³⁾. فالغرامنت هم سكان الصحراء الليبية الحالية اتخذوا من فزان موطنًا لهم، عاصمتهم جرمة (Garama) في داخل الصحراء بوادي الآجال⁽⁴⁾، وهم بذلك قطنوا تخوم المنطقة الصحراوية من إقليم أوجلة إلى موطن الإثيوبيين، مارسوا الزراعة وتربية المواشي خاصة الأبقار، كما أنهم مارسوا التجارة فسيطروا على منافذ الطرق الصحراوية منها طريق القوافل التي تربط الموانئ البحرية الطرابلسية بالداخل⁽⁵⁾، وتميز الغرامنت بقوتهم واستخدام العربات التي تجر بواسطة أربعة من الخيل والتي كانوا يطاردون بها سكان الكهوف الإثيوبيين⁽⁶⁾.

تحتفظ الرسوم والنقوش الصخرية بعدد هام من الصور التي ترجع للغرامنت (صور العربات) التي تظهر تطابقًا لما جاء به هيرودوت بمنطقة فزان، ومناطق أخرى من الصحراء الكبرى، وقد دلت تلك الرسوم على أن الغرامنتيين أصيلون في ربوع فزان وليسوا فيها من الدخلاء⁽⁷⁾. أما عن نمط معيشتهم فسكان جرمة ينقسمون إلى حضر يسكنون المدن والواحات، وبدو ممثلين في الرعاة الذين ينتقلون بماشيتهم من مكان لآخر وعلى العموم فالغرامنت كانوا من أهم قبائل بلاد المغرب القديم الصحراوية التي كونت مجتمعًا مستقرًا، ذا خصائص ثقافية مميزة فكانت لهم لغة وتوصلوا إلى وضع رموز كتابة خاصة بهم في أوباري⁽⁸⁾، وتبقى جرمة تلك العاصمة القديمة في قلب الصحراء تروي مجد وأسس وحضارة

(1) Desanges.J.Op. Cit. pp. 93-96.

(2) Hérodote. IV.182.

(3) محمد حسين فنطر، قبيلتان، ص 46.

(4) Strabon.II .5.33. XVII.3.19 ; Pline l'ancien, V.5.26.36.38

(5) Elmayer.A. F, Tripolitania and the Roman Empire (.B.C47-A.D235) markaz jihad al libyin tripoli 1997.p.51.

(6) محمد حسين فنطر، قبيلتان، ص 46.

(7) نفسه، ص 47.

(8) مها عيساوي، المرجع السابق، ص 167.

الغرامنت، وما خلفه لنا الكتاب من الرومان يلقي الضوء على ما كان لهم من سلطان في هذه البلاد⁽¹⁾.

في الفترة الرومانية انتشر الغرامنت حتى المنطقة الملاصقة لخليج السيرت شمالاً⁽²⁾، يذكر بلين الأكبر أنه دار صراع بين الرومان والغرامنت، وقد استطاع الرومان بقيادة (كورنيليوس بالبوس) سنة 19 ق.م من إخضاع عاصمة الجرامنت جرمة بالإضافة إلى إخضاعهم العديد من المدن الأخرى، التي كانت على الأرجح ضمن ممتلكات الجرامنت⁽³⁾، يرجح أن الحملة التي قادها كورنيليوس لم تسفر عن أي توسع روماني في المنطقة وبذلك بقي الغرامنت خارج حدود السيطرة الرومانية⁽⁴⁾. ويعتقد أنه بسبب بُعد مواطن الغرامنت عن الرومان هو ما جعل منها كيان مستقل له مجال تحرك واسع نسميه حتى مملكة، احتكروا من خلاله تجارة القوافل الصحراوية أين عملوا كوسطاء بين الشعوب السوداء في الجنوب والمدن الساحلية، لجأت إليهم عديد القبائل أثناء ثوراتها على الرومان منها قبائل الموزولامي والجيتول مابين سنوات 5-6م و 17-24م⁽⁵⁾.

- الأترنتس (Atrantis): تقع أرضهم على بعد عشرة أيام من موطن الغرامنت، وهم شعب لا يستخدم الأسماء، ويلعن الشمس، وهي بلاد قاحلة تحرقها الشمس⁽⁶⁾، يدعى كل فرد منهم أترنتس⁽⁷⁾، حاول غزال أن يقرب بين هذا الاسم واسم (Hoissa Atara) أو

(1) علي فهمي خشيم، قراءات، ص ص 57-58.

(2) نجلاء عبد الله الزدام، الجرمنت وعلاقاتهم السياسية والتجارية مع المدن الساحلية خلال العصر الروماني، رسالة ماجستير، إ: أحمد محمد انديشه، جامعة المرقب، زليتين، ليبيا، 2009، ص 25.

(3) Pline l'ancien, V.5.

(4) Elmayer.A. F, Op.cit. p.50.

(5) Ibid, pp.51-52.

(6) Hérodote. IV.184.

(7) علي فهمي خشيم، المرجع السابق، ص 42.

(Touareg Atarem)، حيث حدد ديارهم بمنطقة وسط بين بحيرة تشاد والنيجر، أو بين توارق أزقار والأهغار⁽¹⁾.

– الأطلننتس (Atlantes): على بعد عشرة أيام من أرض الأتترننتس يقطن الأطلننتس⁽²⁾، الذين أخذوا اسمهم من جبل أطلس الذي له شكل دائري، ويبلغ طوله السحاب، عرف بعمود السماء⁽³⁾.

وعن ترتيب القبائل بهذه الطريقة حاول بعض المؤرخين إعطاء تفسيرات فيرى (M. Liverani) أن هيرودوت استخدم خط القوافل التجارية في ترتيب المجموعات القبلية الليبية التي تعيش في ليبيا، بمعنى أنه ليس وصفاً للشعوب التي تسكن تلك المنطقة فقط بل هو أقدم وصف لخطوط القوافل التجارية بالمنطقة، وإذا وضعنا وصف هيرودوت على الخارطة يتضح لنا خط تجاري يمتد من نهر النيل ثم يخترق الصحراء وصولاً إلى المحيط الأطلسي، ومن جانب آخر هيرودوت وضع مسافة موحدة وهي مسيرة عشرة أيام ما بين كل قبيلة ليبية وأخرى⁽⁴⁾. وهي مسافة مناسبة للقوافل المحملة بالبضائع للراحة والتزود بالماء والغذاء، وقد تكرر ذكرها عدة مرات⁽⁵⁾، أي أن هيرودوت وصف المناطق التي تستريح فيها القوافل التجارية وميزها بنبابيع المياه وأشجار النخيل⁽⁶⁾.

كما ذكرت المصادر التاريخية المتأخرة عن عهد هيرودوت أسماء لقبائل لوبية أخرى كالأربيدون (Erebides) والميماكيون (Mimaces) ذكرها فيلسستوس السيراكوزي، وقبيلتي الزوفونيين (Zouphones) يعتقد أنهم سكنوا وسط تونس⁽⁷⁾، والأسفوديلوديين

(1) Gsell.St, textes relatifs...Op.cit.p190.

(2) Hérodote. IV.184.

(3) علي فهمي خشيم، المرجع السابق، ص43.

(4) Liverani.M, the Libyan Caravan Road in Herodotus IV.181-185, Journal of the Economic and Social History of the Orient, Vol.43, 2000, pp. 496-520.

(5) Hérodote. IV.181-185.

(6) Ibid

(7) Desanges.J.Op. Cit. p. 143.

(Asphodelodeis) اللتين ذكرهما ديودور الصقلي⁽¹⁾، بالإضافة إلى الأمانيسس (Hammanieuts) سكان الكهوف التروجليد بمنطقة جنوب ليبيا الحالية⁽²⁾، وقبيلة فزان ومدن أليل (Aléle) وكيلابا (Cillaba)⁽³⁾ وقبائل كثيرة أخرى.

الملاحظ أن المعلومات في المصادر الإغريقية وخاصة هيرودوت حول القبائل التي سكنت إلى الغرب من قرطاجة قليلة، فهو يجهل حتى أسماء تلك القبائل التي تسكن إلى الغرب باتجاه أعمدة هرقل⁽⁴⁾. فهيرودوت في تاريخه لم يتعرض لقرطاجة ولا مدنها ولا موانئها، ولا امتدادها وحتى أنه لم يذكر علاقتها بالسكان المجاورين لها وراء بحيرة تريتون، غير أنه أعطى تفاصيل طويلة حول هجرة الإغريق وتأسيس مستعمراتهم في ليبيا⁽⁵⁾. وهذه الأراضي قطنتها مجموعات قبلية بدأت ملامحها تتضح أكثر خلال القرن الثاني قبل الميلاد، وعرفت تجمعات القبائل بالمنطقة تسميات عديد منها المور والنوميد والجيتول.

ما نستخلصه أن هيرودت قد أشار في كتابه إلى عدد كثير من القبائل التي عاشت في المغرب القديم، فقدم تفصيلا مهما حول عاداتها، ومعتقداتها الدينية، ومختلف ممارساتها، ونظمها الاجتماعية. بل وفصل حتى في طعامها ولباسها، ونشاطاتها المعيشية مؤكدا على وحدة الأرض والسكان، ورغم أن الكثير من المؤرخين يأخذون على هيرودت قضية عدم زيارته إلى المنطقة والاكتفاء بوصفها عن بعد إلا أن هذا المصدر يعد من أهم المصادر الكلاسيكية التي يعتمد عليها في معرفة القبائل التي وطنت المنطقة اللوبية⁽⁶⁾. إلا أن هذه المعلومات تبقى قليلة بالنظر إلى شناعة البلاد اللوبية فإن هذه القبائل لا نعرف عن انتشارها وتوزيعها شيئا. لكن هذا ما سيتغير مع الاحتلال الروماني للمنطقة حيث تكثر المعلومة.

(1) Diodore de Sicile, XX.38.2 ; XX .57.5.

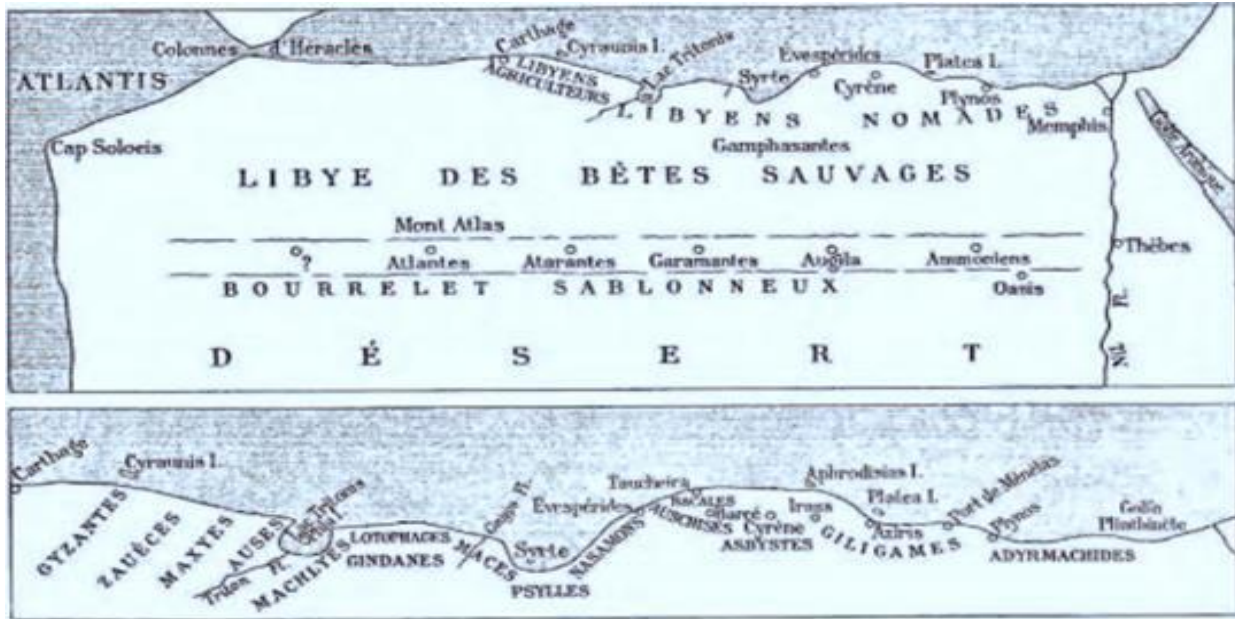
(2) Pline l'ancien, V.4.

(3) Ibid.

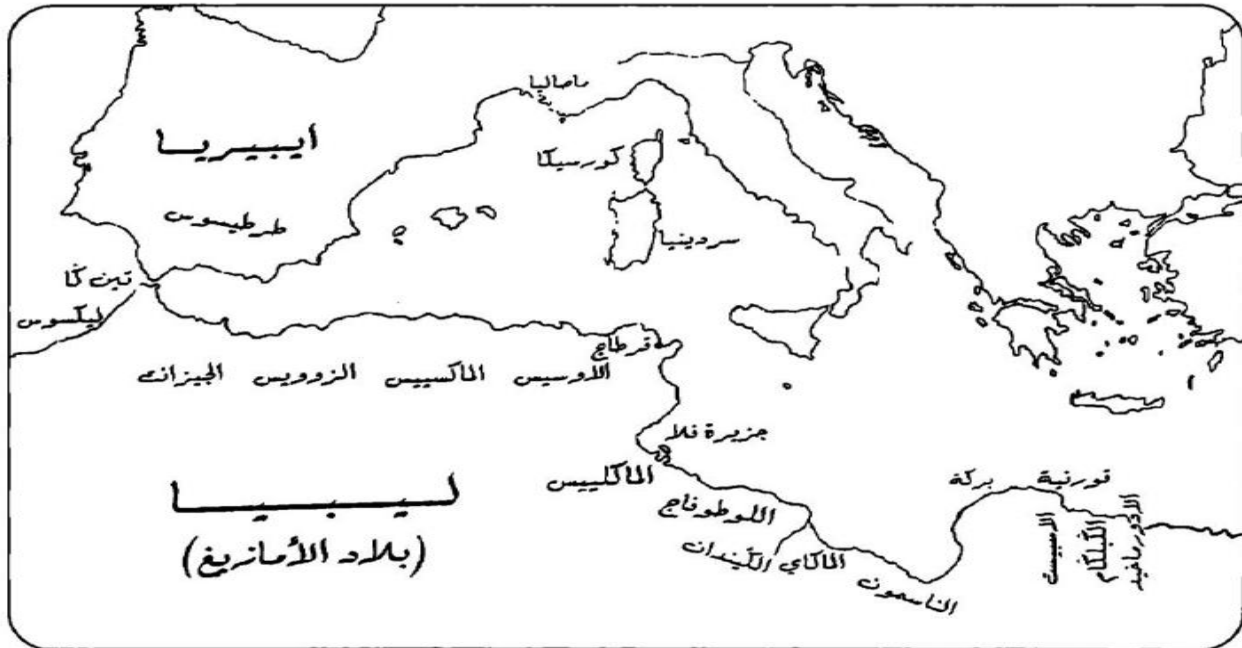
(4) أم الخير العقون، دولة الأمازيغ، ص 63.

(5) Gsell.St, textes relatifs...Op.cit,pp113-114.

(6) ستيفن غزال، تاريخ إفريقيا الشمالية، ج 5، ص 81.



خريطة رقم 6: التوزيع الجغرافي للقبائل اللوبية حسب هيرودوت، Gsell. S, Hérodote...OP.cit, p.255



خريطة رقم 7: القبائل الليبية حسب هيرودوت، مصطفى الأعشي، أحاديث هيرودوت عن الليبيين الأمازيغ، ص 136

2. الاتحادات القبلية الكبرى بالمغرب القديم خلال القرن الثاني قبل الميلاد

مع نهاية القرن الثالث وبداية القرن الثاني قبل الميلاد أصبح في بلاد المغرب القديم تكتلات قبلية كبرى⁽¹⁾، فالاحتلال الأجنبي القرطاجي، ثم الروماني اقتضى تحالفات سياسية بين القبائل، أو ما يسمى بالتحالف القبلي (كنفدرالية قبائل)، والذي عرفت على إثره بلاد المغرب القديم نقلة سياسية هامة مع ظهور هذا الشكل من التحالف⁽²⁾. فتحوّلت القبيلة إلى قوة سياسية ظهرت على إثرها الممالك المحلية التي اعتنى المؤرخون القدامى بذكرها أمثال بلين الأكبر⁽³⁾ وسترابون، وفي مقدمتهم الماسيل والمازيسيل التي فرضت نفسها على الساحة المحلية وأخضعت لسلطتها الكثير من القبائل المجاورة التي سكنت بلاد المغرب القديم⁽⁴⁾. خاصة مع مطلع القرن الثالث قبل الميلاد الذي عرف ظهور مجتمعات محلية فرعية شكلت مجموعة من القبائل ذات الخصوصية الثقافية والجغرافية الواحدة. وإلى الغرب كانت تكتلات قبائل المور والتي لا نعرف عن ظهورها شيئاً، أما في الجنوب المحاذي للكنفدراليات الكبرى استقرت جموع القبائل المعروفة بالجيتول⁽⁵⁾.

تطرقت المصادر لهذه القبائل أثناء كتابة التاريخ الروماني بالمنطقة، ذلك أن الرومان اهتموا بالمقاطعات التي حاولوا الاستيطان بها فأشاروا إلى القبائل التي قاومتهم أو التي تعيش بجانبهم سواء بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، وأجمعوا على تقسيم السكان الأصليين تقسيماً سياسياً أو إدارياً معتمدين في ذلك على الأوضاع المترتبة عن التغيرات السياسية الناجمة عن الاحتلال الروماني لبلاد المغرب القديم⁽⁶⁾. من أهم هذه المجموعات التي ورد ذكرها في النصوص الأدبية والنقوش بالمنطقة نجد الموريين في الغرب والنوميديين في الوسط

(1) مها عيساوي، المجتمع اللوبي، ص 234.

(2) محمد العربي عقون، الإقتصاد والمجتمع، ص 169.

(3) كتاب التاريخ الطبيعي (Histoire Naturelle) الذي تحدث فيه عن ليبيا في كثير من فقراته، خاصة الكتاب 13 و19 و22.

(4) محمد الصغير غانم، المملكة النوميديّة والحضارة البونية، دار الأمة، الجزائر، 1998، ص 50.

(5) مها عيساوي، المرجع السابق، ص 234.

(6) محمد البشير شنييتي، نوميديا وروما، ص 194.

والشرق، والجيتوليين في الداخل بمحاذاة الموريين والنوميد، ثم الفاروزيين في الجنوب الغربي والغرامنتيين في الجنوب الشرقي، وكل مجموعة مما سبق ذكره تضم قبائل كثيرة⁽¹⁾.

يتضح مما سبق أن تلك القبائل لجأت إلى الاتحاد والتكتل فيما بينها بصفة طوعية بعيدا عن أي ضغوطات أو أي مساعي خارجية، فالشعور بالهوية الجماعية وبالمصير الواحد لهذه القبائل فضلا عن التهديدات الخارجية دفعها إلى الاتحاد والتكتل في كنفدراليات قبلية، وقد ساعدها على ذلك وحدة الأسس الثقافية، والاجتماعية، والدينية، والإثنية، وفي الكثير من الأحيان الوحدة الاقتصادية لكن وصول الرومان واتباعهم سياسة قائمة على التفرقة، والتهجير جعل هذه القبائل تتشردم وتتفرق بفك اتحادها وهو ما أضعف قوتها وهدد وجودها

1.2. النوميدون:

اختلف مدلول المصطلح في كتابات المؤرخين والجغرافيين القدماء، ففي المصادر الإغريقية دل المصطلح على نمط معيشة ينطبق على البدو الرحل (Nomades)⁽²⁾، ثم تطورت التسمية وأصبحت تدل على مجموعة من القبائل لها خصائص عرقية مشتركة وذلك من القرن الثالث قبل الميلاد، فدلّت تسمية النوميد على أنه شعب كثير العدد ذي سلطة سياسية مستقلة تبسط نفوذها في مجال جغرافي يمتد من الحدود الغربية لقرطاجة شرقا إلى وادي الملوية (الملوشة) غربا⁽³⁾، ويجمع المؤرخون والجغرافيون القدماء منهم والمحدثون على أن نوميديا كانت تضم تكتلات قبلية، أشهرها قبائل الماسيل (Massyle) والمازيسيل (Masaesyles) والتي أنشأت ممالك، ولم تكن بين القبيلتين حدود معلومة بل كانت تتراوح بين مد وجزر، فتموضع الماسيل في الشرق مشكلين ماسيليا أو ما يعرف بنوميديا الشرقية، وتموضع المازيسيل في الغرب مشكلين ما يعرف بنوميديا الغربية⁽⁴⁾.

(1) المرجع نفسه، ص 194.

(2) Hérodote. IV.191.

(3) مها عيساوي، المرجع السابق، ص 262.

(4) محمد الصغير غانم، المملكة النوميدية والحضارة البونية، ط1، دار الأمة، الجزائر، 1998، ص 38.

أ/ الماسيل (Massyles) :هي ذلك الاتحاد القبلي التي لعب دورا مهما على المسرح السياسي للمغرب القديم، خاصة خلال الحرب البونية الثالثة التي قُضي فيها على قرطاجة 146 ق.م فيرجع لها الفضل في ترجيح كفة الرومان⁽¹⁾، وانبثقت عن هذه القبائل أعرق عائلة ملكية بالمنطقة، فكان أول ملوكها إيلماس (Ailymas) الذي ذكره ديودور الصقلي أثناء حديثه عن تحالف هذا الملك وملك سيراكوزة أجاثوكليس (Agathocles) الذي حاول غزو بلاد المغرب القديم وتدمير قرطاجة عام 319 ق.م⁽²⁾، تكونت هذه المملكة في المنطقة التي عرفت في العهد الروماني باسم نوميديا وتقع فيما يعرف حاليا بالشرق الجزائري، وجزء من غرب تونس(هذا في عهد جايا حتى توحيد نوميديا علي يد ماسينيسا).

حدد ديزانج مناطق تواجد قبائل الماسيل في سيرتا وما حولها شرقا وصولا إلى خليج السيرت بليبيا⁽³⁾، وهي عبارة عن شريط ضيق محصور بين قرطاجة والمملكة المازيسيلية⁽⁴⁾، ويحدها جنوبا قبائل الجيتول التي كانت تحيط بها. أحصى بلين عدد الأمم التي تقطن نوميديا الشرقية من نهر الأمبساغا (Ampasaga) إلى السيرت الكبير والتي تشتمل على ستة وعشرين اسما مختلطا بين مدن وقبائل⁽⁵⁾، وسنأتي على ذكرها وتحديد موطنها في الفصل التالي ما يهمنا هو قبيلة الماسوليون. مع أنه ليس من السهل الجزم بالمنطقة الأصلية للماسيل إلا أن المرجح أن تكون قد شغلت ذلك الإقليم الشاسع الممتد مابين مدن سيرتا ودوقا (Thuga) وتيفست (Thiveste) وضريح مدغاسن⁽⁶⁾.

(1) Ait Amara.O, Op.cit. p37-38.

(2) Diodore de Sicile, XX. 17.1, XVII. 3. 15.

(3) Desanges, Catalogue ...Op.cit, p.237

(4) فتحة فرحاتي، نوميديا من حكم الملك جايا إلى بداية الاحتلال الروماني 46-213 ق.م، منشورات أبيك، الجزائر، 2007، ص47.

(5) Pline l'ancien, V.IV.5.

(6) محمد العربي عقون، مسيلة والماسيل مقارنة موجزة في أصول مدينة مسيلة، دورية كان التاريخية السنة الحادية عشر، ع42، ديسمبر 2018، ص28.

اشتهرت المملكة بتربية المواشي لطبيعة المنطقة الجبلية المكسوة بالغابات، ومرتفعاتها الصالحة لزراعة الحبوب (1).

يبدو أن الحدود الأولى لماسيليا لم تضبط أو تصبح مراقبة إلا بعد تكوين النواة الأولى للمملكة الماسيلية، التي مرت بالدور القبلي الذي تطور فيما بعد إلى التنظيم السياسي في الشكل الملكي، وكان ذلك في نهاية القرن الرابع قبل الميلاد لتتجلى كمملكة واضحة في القرن الثالث قبل الميلاد، أكد المؤرخون أنها أسست من طرف الأسرة الماسيلية التي ينتمي إليها ماسينيسا وأمراء كثيرون (2).

حاول (م.ع) عقون المقاربة بين اسم مدينة المسيلة قاعدة إقليم الحضنة، والماسيل ذلك الاتحاد القبلي من خلال إشارته لذلك التقارب الفوني لحد التطابق بينهما، وقال أن اسم المسيلة استمرار لاسم الماسيل القديم وقال بأن الماسيل كانت لهم عاصمة إسمها ماسيلا (Massila)، مع أن المصادر العربية تقول أنها تأسست سنة 315 هـ / 927-928م من طرف أبي القاسم محمد بن عبيد الله (3)، وهو يعتقد بنزوح وتحرك القبائل الماسيلية القديمة إلى ناحية المسيلة بعدما فقدوا السيادة على مملكتهم إثر الاحتلال الروماني، وهو ما أجبرهم على التراجع إلى الجهات الداخلية، أو أنهم طردوا من طرف قبائل منافسة لهم وأقوى منهم (4).

ب/ المازيسيل (Masaessyles) : ورد اسم هذه القبائل في المصادر منتصف القرن الثالث قبل الميلاد مع بروز ما يصطلح على تسميته بالمملكة النوميدية الغربية (5)، التي ظهرت كقوة خلال الحرب البونية الثانية (218-201 ق.م)، وكان على رأسها الملك صفاقس الذي لقبه تيتيوس ليفيوس بالملك الأقوى في إفريقيا، وإن كان لا يعرف شيئاً تقريباً عن

(1) محمد العربي عقون، المرجع السابق، ص 44.

(2) محمد الصغير غانم: المملكة النوميدية، ص 39.

(3) محمد العربي عقون، مسيلة، ص 27.

(4) المرجع نفسه، ص 28.

(5) Lassère. J.M, Vbique Popvlvs..., Op.cit, p.150.

ظروف تشكل هذه المملكة⁽¹⁾، وعن امتداد حدودها، وضحاها سترابون في أحد النصوص والذي جاء فيه: "...بعد أرض المافروسيين (وهو يقصد الموريين) تكون أرض المازيسيليين، وتأخذ في البداية من نهر مولوخات (ملوشا)، وتنتهي عند الرأس الذي يسمى تريتون، وهو الحد بين أرض المازيسيليين وأرض الماسيليون..."⁽²⁾. وحسب كامبس⁽³⁾ أن رأس تريتون يطابق رأس بوقارون (Bougaron) في شبه جزيرة شولو (Collo) - القل حاليا - وسيصير الحد الفاصل بين نوميديا وموريطانيا القيصرية فيما بعد على مقربة من جزيرة كولو عند الوادي الكبير أمبساقا. بينما بلين الأكبر⁽⁴⁾ لم يوضح حدودها بدقة وإنما جعل من نهر الملوية (الملوشة) الحد الفاصل بين مملكة بوكوس والمازيسيل.

كان المازيسليون قبيلة قبل أن يعطوا اسمهم للمملكة، يقول غزال نقلا عن بلين أن هذه القبيلة فيما مضى كانت تقطن في المنطقة التي أصبحت تعرف بموريطانيا الطنجية، لكنها اندثرت بسبب الحروب وأراضيها استولت عليها قبائل الجيتول⁽⁵⁾، وتبعاً لذلك نجد أن عدداً من المازيسيليين قد خرجوا من أراضيهم بالجهة الغربية وتحركوا شرقاً باتجاه أراضي القبائل المجاورة لهم، وهو ما يظهره ذكر كل من بطليموس وبلين لأسماء بعض القبائل المازوسيلية في موريطانيا القيصرية⁽⁶⁾.

تمتاز المملكة بأراضي خصبة تنتج الكثير من الخضر والفواكه، الجهة الشرقية المجاورة لمملكة الماسيل هي الأكثر ازدهارا من حيث العمران⁽⁷⁾.

(1) محمد الهادي حارش، التاريخ المغربي القديم السياسي والحضاري منذ فجر التاريخ إلى الفتح الإسلامي، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر، 1992، ص 98.

(2) Strabo, XVII.3.9.

(3) قبريال كامبس، البربر ذاكرة وهوية، تر: عبد الرحيم حزل، إفريقيا الشرق، المغرب، 2014، ص 139.

(4) Plin L'ancien, V.19.

(5) غزال، تاريخ إفريقيا الشمالية، ج 5، ص 89.

(6) المرجع نفسه، ص 89.

(7) فتحة فرحاني، المرجع السابق، ص 112.

فالمازيسليون قبل العام 203 ق.م كانوا يقيمون على مساحة شاسعة تقريبا ثلثي الجزائر حاليا وقسما من شرق المغرب⁽¹⁾، أي ما يقابله أثناء الفترة الرومانية مقاطعة موريطانيا القيصرية.

وما نلاحظه هو غياب التحديد الدقيق والمضبوط لحدود هاتين القبيلتين، وذلك بسبب التغيرات التي شهدتها هذه الحدود في مختلف الفترات التاريخية، كالتنقل المستمر للقبائل خاصة البدو الرحل من وإلى مختلف الاتجاهات، ضف إلى ذلك سكوت المصادر القديمة عن الموضوع وإن ذكر فهو مرتبط بأحداث سياسية أو عسكرية، كما لا نغفل عن مختلف الصراعات في تبيان الحدود سواء كانت داخلية (القبائل المحلية)، أو إقليمية كالصراع مع قرطاجة ثم روما، وهو ما جعل الحدود تخضع لمنطق القوة والانتصار⁽²⁾.

وبهذا شكلت هاتين القبيلتين مملكتين، مملكة نوميديا الشرقية وعاصمتها كرتا (سيرتا)، ومملكة نوميديا الغربية وعاصمتها سيغا (Siga)، ثم اتحدتا لاحقا مشكلتين مملكة نوميديا الموحدة التي حكمها "ماسينيسا" وامتدت من طبرقة شرقا حتى نهر الملوية غربا⁽³⁾، وأصبحت البلاد الممتدة بين هذين الحدين تحمل اسم نوميديا وشاع الاسم بهذا المعنى في المصادر اللاتينية التي تعود لهذه الفترة منذ عهد ماسينيسا أي منذ القرن الثاني قبل الميلاد، وهو الاسم الذي أطلق على المنطقة في الفترة الرومانية⁽⁴⁾.

تعتبر القبائل النوميدية حسب الكتابات الرومانية هي استمرار تعايش القبائل السابقة من ماسيل، ومازسيل في نفس المناطق ما عدا بعض التغيرات في الحدود الجغرافية، ولا تذكر الكتابات هجرات لهذه القبائل إلى مواطن أخرى بعد توحيدها تحت اسم نوميديا من قبل ماسينيسا التي استمر وجودها إلى عهد الملك يوبا الأول، وبالنسبة لهذه التسمية نوميد فقد تضاربت الآراء حول الجذور التاريخية لها، وتباينت الفرضيات المتعلقة بمصادر اشتقاقها،

(1) قيريال كامبس، البربر ذاكرة وهوية، ص 140.

(2) محمد الصغير غانم: المملكة النوميدية، ص 39.

(3) المرجع نفسه، ص 53.

(4) Strabon. XVII. 3.15 ; Plin l'ancien, V.11. 1; Polybius, I. 17,1 ; III.32.15.

فأقدم نص ذكرهم يعود لهيرودوت الذي أدرج لفظ نوماد (Nomades) الذي يعني البداوة والترحال الذي أطلقه على سكان غرب تريتون⁽¹⁾، وقد ردد الكتاب الإغريق بعد هيرودوت لفظ البدو (Nomades) في سياق المعنى الذي جاء به هيرودوت، وذلك في القرن الرابع على لسان هيكتاتي (Hecatée) وتيمايوس (Timaius) ودوريس (Doris)⁽²⁾، وقد استعمل ديودور الصقلي⁽³⁾ في القرن الأول على نطاق واسع في موسوعته التاريخية (historiaue Biblitheae) لدى سرده أخبارا عن ليبيا والليبيين عموما دون تحديد مدلول هذا اللفظ (باللاتينية (Nopa6eg)(Nomade) العرقي أو الاجتماعي، بل أدرجه في سياق سياسي، أي أن المعنيين بهذا الاسم كانوا رعايا ممالك وإمارات⁽⁴⁾.

في حين لم يفرق الجغرافي سترابون بين معنى البداوة والمعنى السياسي للفظ نوميد، وقدم شرحا لأسباب تحول هذا الشعب للبداوة⁽⁵⁾. كذلك شأن المؤرخ الإغريقي بوليبيوس (polybuis) الذي كان معاصرا لماسينيوس وله صلة به، اهتم هو الآخر بأوضاع النوميديين السياسية، والاقتصادية، وعلاقتهم بالصراع القائم بين روما، وقرطاجة آنذاك⁽⁶⁾، فهو عمم التسمية على كل سكان الإقليم الواقع بين قرطاجة وموريطانيا، والتي عرفت باسم (Numidie)⁽⁷⁾. فمصطلح نوميديا عند الكتاب الإغريق كان اسما وصفيا وهو نمط معيشة

(1) Hérodote. IV.181.186.187.188.190.191.192.

(2) جريدة مهنتل، النوميديون ضحية للمصادر القديمة، مجلة آراء وأبحاث في التاريخ والأثار القديمة، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع بوزريعة، الجزائر، 2012، ص ص 108-109.

(3) Diodore de Sicile, XII.80.3 ; XX .55.4.

(4) محمد البشير شنيقي، نوميديا وروما، ص ص 203-204.

(5) Strabon. XVII. 3.15.

(6) حدة قادري، بوليبيوس Polybuis مؤرخ الحروب البونية، أوراق المجلة الدولية للدراسات الأدبية والإنسانية، مج2، ع1، باتنة، 2020، ص ص 146، 147.

(7) Polybius, I. 17,1 ; III.32.15.

ينطبق على البدو والرحل، ثم تطورت التسمية وأصبحت تدل على شعوب كانت تعيش في المغرب القديم باستثناء المنطقة القرطاجية⁽¹⁾.

أما الرومان سلطة وكتابا كرسوا هذا اللفظ (Nomade) وأعطوه مدلولاً سياسياً محدداً، وذلك إبتداء من القرن الثالث قبل الميلاد أثناء الحرب البونية الأولى، فبلين أطلق هذه التسمية على سكان ليبيا⁽²⁾. واحتفظت بعض النقوش المزدوجة اللغة (الليبية . بونية) بهذه التسمية التي توحى بأن أصل التسمية محلي أو كنعاني، بينما النقوش اللاتينية نجدها غنية بأسماء لأشخاص منتمين إلى هذا الشعب⁽³⁾.

تساءل غزال (Gsell.S) فيما إذا كان اسم نوميديا محلياً أو خارجي المنشأ، ثم بين أنه دال على كل السكان الأصليين لشمال إفريقيا باستثناء القرطاجيين⁽⁴⁾، ويؤكد كامبس (G.Camps) بأن (النوميديين) كانوا ضحية الكتاب الإغريق الذين خلطوا اسمهم بصفة رحالة أي أناس دون مدن، ودون قوانين ودون زراعة⁽⁵⁾، ولكن بالمقابل هناك آثار مادية تؤكد أن كلمة نوميد لها أصل عرقي وليست صفة، فمثلاً الاسم القديم لمدينة خميسة بالشرق الجزائري دليل على ذلك (Thubursicu Numidarum)، فقد جاءت كلمة (Numidarum) في حالة المضاف إليه ونقرأ توبورسيكو النوميديين⁽⁶⁾، ويؤكد كامبس أن تسمية نوميد من أصل محلي، ودليله في ذلك استمرار وجود قبائل في العصر الروماني ووجود شعب النومادي في موريطانيا⁽⁷⁾، كما نجد في قائمة الأساقفة في محاضرة قرطاج سنة 411م بموريطانيا القيصرية اسم أحد الأساقفة وهو (Numida) وهذا الاسم هو الكنية بالتأكيد، فقد كانت الكنية في الفترة القديمة هي الاسم المعبر عن الشخص باتخاذ صفة عرقية كما هو

(1) Ait Amara.O, Recherches sur Les Numides et Les Maures Face à La Guerre Depuis Les Guerres Puniques Jusqu'à L'époque de Juba 1er, Thèse Pour Le Doctorat, Université Jean Moulin -Lyon, France, P34. Gsell. S, textes relatifs...Op.cit.pp9-17.

(2) Pline l'ancien, V.11.1.

(3) قابريال كامبس، ماسينيما وبداية، ص185.

(4) Ait Amara.O, Op.cit, p34.

(5) Camps. G, Les numides et la civilisation punique, dans Anti. Afr., 1979, p44.

(6) جهيدة مهنتل، النوميدون ضحية للمصادر، ص7.

(7) قابريال كامبس، ماسينيما وبداية، ص185؛ Ait Amara.O, Op.cit.p34.

الحال هنا أو جسدية أو روحية⁽¹⁾. أما الوثائق الأثرية والتي أشارت لأصل تسمية النوميد؛ فنجد النقوش اللاتينية والتي سجلت أسماء لأشخاص منتمين إلى شعب النوميد، وهو ما يظهر في حوالي عشرين موقعاً أثرياً تضمنت نقوشه أسماء نوميدية⁽²⁾.

وأما عن الإقليم الذي شغله النوميد وشكل مجالا لتحركاتهم، وعلى لسان مؤرخي القرن الثاني قبل الميلاد منهم سترابون الذي ذكر النوميديين كشعب كبير شغل رقعة جغرافية واسعة من بلاد المغرب القديم، حيث امتدت حدودهم السياسية من الجوار القرطاجي شرقا إلى نهر الملوية غربا⁽³⁾، وقد وسع ماسينيما من حدودها الشرقية حتى بلغت خليج السيرت الكبير قبل وفاته سنة 148 ق.م، إلا أن تلك الحدود قد تراجعت في عهد الرومان الذين عملوا على تقليصها، وضم أجزائها الغربية إلى مملكة موريطانيا، وإبتداءً من 42 م كَوّن الرومان في الإقليم الممتد من الوادي الكبير أمباسقا شرقا إلى نهر ملوية غربا ما يسمى مقاطعة موريطانيا القيصرية، وأصبح سكان هذا الإقليم يدعون بالمر في مصطلح الإدارة الرومانية⁽⁴⁾، وقد عمل الرومان على تقليص المحتوى السياسي للشعب النوميدي وأزالوا عنه مفهوم الشعب الكبير المتميز، وحصروا عبارة نوميد في قبيلة (النوميداي)، كما سبق الإشارة إليه، ثم في فترات لاحقة احتفظوا بالتسمية الإدارية للإقليم الجغرافي النوميدي، والذي كونوا منه مقاطعة رومانية متغيرة الحدود⁽⁵⁾.

2.2. الجيتول (القبائل الرحل) مسارات ومحطات تنقلها:

ورد اسم الجيتول (Gaetulii) في فترة متأخرة بالمصادر الأدبية الكلاسيكية⁽⁶⁾، أُطلق هذا الاسم على التكتل القبلي الثالث في بلاد المغرب القديم، يعتبر ساليستوس أقدم مؤرخ

(1) جهيذة مهنتل، المرجع السابق، ص ص 7-8.

(2) Lassère. J.M, Vbique Popvlvs..., Op.cit, p. 359, Fig.37. الخريطة

(3) Strabon, XVII. 3. 9.

(4) قابريال كامبس، ماسينيما وبداية، ص 182.

(5) محمد البشير شنيقي، نوميديا وروما، ص 205.

(6) غابريال كامبس، ماسينسا، ص 187.

أشار إلى قبائل الجيتول حيث اعتبرهم من الأوائل الذين سكنوا بلاد المغرب القديم⁽¹⁾، ولهم دور في تكوين الشعب النوميدي⁽²⁾، يقول ساليستوس⁽³⁾: "...سكن إفريقيا في البداية الجيتول والليبيون، قبائل فظة وغير متحضرة يعيشون على لحوم الحيوانات البرية وعلى ما تنتجه الأرض كالبهائم، لا أخلاق، لا قانون ولا قائد يحكمهم، دائموا الترحال متنقلون يجبرهم الليل على التوقف... استوطن الجيتول الأراضي الحارة..."، ثم توالى ذكر هذه المجموعة السكانية فيما بعد لدى معظم الكتاب الكلاسيكيين مثل سترابون الذي شبههم ببدو العرب، ووصف خيولهم وأبقارهم بأنها كثيرة، كما وصفهم بأنهم أقوى الأمم الليبية⁽⁴⁾، وجاء وصف فرع من قبائل الجيتول لدى بلين الأكبر، وهو الفرع القاطن بمقاطعة موريطانيا الطنجية بقوله: "أنهم قوم متحركون يتحينون الفرص لاجتياح أراضي جيرانهم"⁽⁵⁾. في حين تيت ليف (Tit live) فيرجع ذكر هذه القبائل إلى الحرب البونية الثانية (218-202/201 ق.م) بجيوش حنبعل في القرن الثاني قبل الميلاد⁽⁶⁾، كما تم ذكرهم لدى صاحب الحرب الإفريقية "قيصر" (César) عام 46 ق.م في جيش ماريوس (Marius) ضد يوغرطة (Jugrtha) الذي غسولى على سيرتا، ولدى أتباع بومبي في أفريقيا خلال الحرب الأهلية⁽⁷⁾.

تمتد مضاربهم من المحيط الأطلسي غربا إلى فزان شرقا، وهي بهذا الانتشار لم تكن تنتمي إلى إثنية واحدة لأنها قبائل متعددة الأصول جمعها إطار جغرافي متجانس نسبيا⁽⁸⁾، أما فيما يتعلق بتوغلها نحو الجنوب فلم تدل المعطيات التاريخية حول أماكن تواجدها في

(1) Salluste, Jugrtha, LXXX. 1 , Texte établi et traduit par A. Ernout, 10ème tirage, Les Belles lettres, Paris, 1974.

(2) أورد ساليستوس في كتابه حرب يوغرطة رواية عن سكان المغرب القديم جاء فيها "يتمثل السكان الأوائل لإفريقيا في الجيتول والليبيين وهم عمالقة متوحشون يتغذون على لحوم الحيوانات الضارية أو على الأعشاب في شكل مجموعات لا يحكمهم عرف ولا قانون ولا زعيم، يعيشون متجولين ومغامرين لا يتوقعون إلا عندما يداهم الليل. للمزيد ينظر: Salluste, XVIII.

(3) Salluste, Jugrtha, XVIII.

(4) Strabon, II, V, 33.

(5) Plin l'ancien, V, 9.10.

(6) Tit live, XXII.18.1.

(7) César, Bellum Africum, texte établi et traduit par E. Galletier et J. Fontaine, Paris, les belles lettres, 1968, XXV.1.

(8) محمد البشير شنيقي، نوميديا وروما، ص 207.

الصحراء ماعدا بعض الإشارات التي دلت على تواجدهم بجبال الأطلس الصحراوي، وهذا بإعتبار أنهم كانوا كثيري التنقل⁽¹⁾.

تمركز الجيتول غير محدد بدقة لأن النصوص أشارت إلى تواجدهم في مواقع جغرافية مختلفة ومتباعدة وفي الوقت ذاته⁽²⁾، فاحتلوا المرتفعات والهضاب والمناطق الصحراوية في جنوب موريطانيا، ونوميديا وحتى إقليم قرطاجة (إفريقيا الرومانية)⁽³⁾، وقد جمع ستيفان غزال عدداً من الإشارات التي سجلها الكتاب القدامى وتسمح بتحديد مناطق هذه القبائل⁽⁴⁾. فساليستوس وصف موطنهم شمالي الإثيوبيين وأنهم كانوا تحت الشمس بعيدا عن البحر⁽⁵⁾، وكذلك سترابون الذي وصف الجيتوليين بأن بعضهم كانوا جبليين عتاة قطنوا سلسلة الأطلس الصحراوي⁽⁶⁾، بينما أشار إليهم بلين في إقليم موريطانيا الطنجية ووصفهم بأنهم من أشد القبائل بأسا، وهم قبائل متحركة في حروب دائمة مع القبائل التي تجاورهم، وموطنهم جيتوليا التي تصل حتى نهر النيقريس (Flumen Nigris) الذي يفصل إفريقيا عن الإثيوبيين⁽⁷⁾، ويحتمل أن يكون وادي جدي (Djedi)⁽⁸⁾ نفسه الذي يمتد من الأغواط حتى الجنوب الشرقي لبسكرة جنوب الأطلس الصحراوي⁽⁹⁾، أي من الغرب إلى الشرق، بينما

(1) المرجع نفسه، ص 207.

(2) غابريال كامبس، ماسينيسا وبداية، ص 187.

(3) Cagnat. R, L'armée romaine et l'occupation militaire de l'Afrique sous les empereurs, Imprimerie nationale, Paris 1913, p. 4.

(4) ستيفن غزال، تاريخ إفريقيا الشمالية، ج 5، ص 100-101.

(5) Salluste, XVIII.

(6) Strabon, II, V, 33.

(7) Pline l'ancien, V.30.VIII.77.

(8) وادي جدي: من أشهر الأودية في المغرب القديم التي ورد ذكرها في المصادر القديمة، أشار إليه المؤرخ بلين باسم (Flumen Nigris) والذي حسبته يعتبر الحد الفاصل بين قبائل الجيتول وقبائل الإثيوبيين (Flumen Nigris, qui Africam ab Athiopia drimit) (Pline, V. 30, VIII, 77)، وتبقى هذه التسمية دون تأكيد أثري، فلا توجد لحد الساعة أي نقيشة تذكر هذا الوادي بهذه التسمية، يمثل الوادي حدود المقاطعة الإفريقية الرومانية من الجهة الغربية، فهو يحفر أثناء سيره من الغرب للشرق أخدودا طويلا شمال الصحراء، كانت حدود الإمبراطورية الرومانية في هذه الجهة = (الزيبان) تسير مع وادي جدي ثم تتبع الطرف الجنوبي لسلسلة جبال الأوراس، للمزيد ينظر: ستيفن غزال، تاريخ أفريقيا الشمالية، ج 1، ص 33.

(9) Troussset.P, Op.cit, p.5579; 101 ص 5، ج 5، ستيفن غزال.

ذكرهم الجغرافي بطليموس أنهم كانوا منتشرين جنوب المقاطعة الإفريقية، والموريطانية وهو ما ذهبت إليه طاولة بوتنغر التي سجلت تواجدهم بمحاذاة موريطانيا القيصرية ونوميديا⁽¹⁾.

شكلت القبائل الجيتولية كونفدرالية قبائل قسمها عقون (م.ع) إلى جيتول غربيين وشرقيين، فالغربيون ينتشرون في إقليم واسع يمكن تتبع امتداده شمالا إلى جوار المور⁽²⁾، ويفترض كات (Cat.E) أنهم ينقسمون إلى رحل ومزارعين⁽³⁾، لكن كامبس وغزال اعتقدا أن الجيتول من الرحل⁽⁴⁾، وطريقتهم في العيش هذه ناتجة عن عقم تربة الأراضي التي قطنوها⁽⁵⁾، ولعل أهم وأكثر هذه القبائل شهرة تلك القبائل التي وطنت إقليم موريطانيا الطنجية، وهي قبائل الأوتولول (Autoloes) التي لعبت دورا هاما في تاريخ المنطقة، وقد حددت مضاربها بجوار مدينة سلا الرومانية⁽⁶⁾، وبجوار وادي أبي رقرق بين ساحل المحيط والأطلس نفسة⁽⁷⁾، وحسب كاركوبينو فقد طردوا من طرف قبائل البقواط إلى المناطق الجنوبية⁽⁸⁾، كما تواجدت قبائل جيتولية معهم في الإقليم نفسه. ذكرهم بلين وهم البنيور (Baniure) وإبينيورن (Ibeniuren) وحدد موطنهم بجوار باناسا (Banasa) وفيما بعد شغلوا إقليم القبائل المورية وحتى المازوسيلية⁽⁹⁾. وعليه فيمكن تحديد الإقليم الذي تواجد به الجيتول الغربيون ومجال تحركات وترحال هذه القبائل بين وادي أبي رقرق كحد شمالي إلى وادي الدراع جنوبا أين تبدأ أراضي الإثيوبيين⁽¹⁰⁾.

(1) Cat, E, Op.cit, p.58.

(2) محمد العربي عقون، الإقتصاد والمجتمع، ص164.

(3) Cat, E, Op.cit, p.58.

(4) ستيفن غزال، تاريخ افريقيا الشمالية، ج5، ص 101.

(5) Callegarin.L et Moreau. J, Op.cit, p.204.

(6) Desanges. J, *Gétules*, Ency berb, vol,20, 1998, p.3063.

(7) ستيفن غزال، تاريخ افريقيا الشمالية، ج5، ص 100.

(8) جيروم كاركوبينو، المغرب العتيق، تر: محمد النازي سعود، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 2008، ص322.

(9) ستيفن غزال، تاريخ افريقيا الشمالية، ج5، ص 100.

(10) محمد العربي عقون، الإقتصاد والمجتمع، ص165.

في حين الجيتول الشرقيون هم أكثر ذكرا في المصادر خاصة اللاتينية لتواجد إقليمهم بجوار المملكة النوميديّة وغير بعيد عن قرطاجة⁽¹⁾، فهم ينتجعون السهوب التونسية الوسطى والسهوب الجزائرية الشرقية، كجنوب قسنطينة وتواجدوا أيضا بالقرب من مداورس (Madaures) لذلك خاطب أبوليوس (Lucius Apuleius) سليل مدينة مداورس بعبارة " أهلي النوميدي أهلي الجيتول..."⁽²⁾، وهي العبارة التي أكد الباحثون أنها تفيد بأن الجيتول والنوميدي شعب واحد يختلف في نمط المعيشة لا غير⁽³⁾، وما انتشارهم الواسع في بلاد المغرب القديم إنما يرجع إلى كونهم رعاة يغلب عليهم الحل والترحال، وهو الفرق الوحيد الذي ميزهم عن قبائل النوميدي والمور⁽⁴⁾، ويشير سترابون إلى تنقلات فرع من قبائل الجيتول وهم الفاروسيين الذين يعبرون الصحاري حتى مدينة كيرتا⁽⁵⁾.

وعن أصل تسمية الجيتول فيرى بعض المؤرخين أن لفظ غيتولوس (Gaetulus) اللاتيني هو شكل محرف من عبارة أغاديق (Agadig) الليبية التي تجمع إغودالم (Igudalem) وقد شُذبت هذه العبارة في العربية فأصبحت جدالة، يفترض غزال أن المصلح ظهر بداية من القرن الثاني قبل الميلاد وهو يدل على شعب كما هو الحال بالنسبة للماسيل والمازيسيل والمور⁽⁶⁾، وربط المصطلح بالجغرافيا فقال بأن كلمة جيتوليا هي تعبير جغرافي يطلق على سلسلة من السهول الجافة والعارية عموما، وكذلك على سلاسل الجبال التي تحدها من جهة الصحراء، والحدود الجنوبية لهذه المنطقة التي تفصل أراضي البيض عن أراضي السود⁽⁷⁾، ويعتقد أن اسم الجيتوليين قد أطلق على العشائر التي كانت أثناء تأسيس ممالك الموريين والمازيسيليين والماسيليين وبقيت تعيش على حوافي أراضيها⁽⁸⁾. لكن مدلول

(1) لم يرد ذكر الجيتول لدى هيرودوت صاحب أقدم النصوص التي ذكرت القبائل وهذا يدل على أن الإسم ظهر في وقت لاحق.

(2) Apulée.L, Apologie, trad, Tome troisième, C.L.F. Panckoucke, paris.1836.XXV.3

(3) محمد العربي عقون، المرجع السابق، ص164.

(4) محمد البشير شنيّتي، نوميديا الشعب والمملكة، الجزائر النوميديّة، المتحف الوطني_سيرتا، 2007، ص31.

(5) Strabon, XVII.7.

(6) Ait Amara.O, Op.cit. p.45.

(7) ستيفن غزال، تاريخ إفريقيا الشمالية، ج5، ص ص99-100.

(8) Troussset.P, Op.cit. p.5579.

التسمية (جيتول) غير محدد المعنى، وكان يطلق على مجموعة بشرية متشابهة من حيث نمط المعيشة وليس لها مدلول سياسي أو إثني⁽¹⁾.

أما الأصول العرقية والتاريخية للجيتول فيعتقد كامبس أن الجيتول بصفتهم بدوا ممتازين شكلوا حلقة وصل بين مربي الأبقار الذين صورتهم النقوش والرسوم الصخرية الذين عاشوا في العصر الحجري الحديث، والجمالة (مربي الجمال) الذين ظهروا فيما بعد، فهم أحفاد الأولين وأسلاف الآخرين، ويقول بأنهم ألفوا الانتقال نحو الشمال عبر العصور، عندما تحل مواسم الرعي وسيطروا أثناءها على أقاليم الرعي في تجاوييف (وديان) الصحراء الكبرى، ثم أجبرهم الجفاف على النزوح في اتجاهات مختلفة منها بلاد التل⁽²⁾، أين خلفوا لنا آثارهم الجنائزية ذات الطابع الإفريقي والمتمثلة في قبورهم، ويعتقد كامبس أن الجيتوليين يمثلون حدا فاصلا من الناحية الأنثروبولوجية بين الجنس الزنجي الإفريقي والجنس الأبيض المتوسطي في شمال إفريقيا⁽³⁾. لكن (م.ب) شنييتي يذكر بصعوبة الفصل عرقيا بين العناصر البشرية التي تعايشت في عمق الصحراء وفي حوافها الشمالية، كما هو الحال اليوم كان كذلك قبيل فجر التاريخ وعلى امتداده⁽⁴⁾.

رغم تعداد الجيتول الكبير، وأصالتهم بالمنطقة، وشساعة المجال الذي كانوا يتحركون فيه إلا أنهم لم يتمكنوا من تكوين مملكة، وذلك راجع ربما لحياة الترحال والبداءة القاسية التي لم تسمح بذلك⁽⁵⁾، رغم كونهم شعبا محاربا ميالا إلى الحياة العسكرية⁽⁶⁾، أما سياسيا فقد مثل الجيتول شريحة سكانية مندمجة مع الشمال نسبيا من الناحية الإدارية، فهم موريون في الغرب الجنوبي ونوميديون في السهوب والمرتفعات الجنوبية الجزائرية والتونيسية⁽⁷⁾.

(1) Ait Amara.O, Op.cit. p.44.

(2) محمد البشير شنييتي، نوميديا الشعب والمملكة، ص30.

(3) قابريال كامبس، البربر ذاكرة، ص191.

(4) محمد البشير شنييتي، الجزائر قراءة، ص75.

(5) ستيفن غزال، تاريخ أفريقيا الشمالية، ج5، ص99.

(6) Saluste, XVIII.

(7) محمد البشير شنييتي، نوميديا وروما، ص208.

استعان ماسينييسا بالجيتول لاسترجاع عرشه ومملكته كما ناصروا يوغرطة في كفاحه عام 107 ق. م ضد الاحتلال الروماني حيث شكلوا جزءا مهما من جيشه، وبعد الاحتلال الروماني ظلوا من وراء الليمس يشكلون خطرا على الاحتلال الروماني⁽¹⁾، وتعايشوا مع النوميد لا يميزهم إلا نمط عيشهم⁽²⁾.

الجيتول في النقوش الأثرية:

وعن الجيتول في الفترة الرومانية فاسم (Gaetulusj-a) أو (Gaetulious j—a) من أكثر الأسماء العرقية استخداما في إفريقيا الرومانية، حيث ورد في عدة صيغ (Gaetulus (j-a) أو (Getulus/-a)، و (Gaetulicusj-a)، و (Getulieusj-a)، ونادرا ما ورد الاسم بصيغ (Getuleus) التي ورده مرتين⁽³⁾، و (Getulima)⁽⁴⁾، وبصيغة (Gaitulis)⁽⁵⁾، وقد حاول الباحثون دراسة امتداد هذا الاسم برسم خارطة توزيعه في إفريقيا الرومانية من خلال مجموعة من النقوش الإيبغرافية التي عثر عليها، والمقدرة بـ 74 نقيشة أحصاها غاسكو (Gascou.J) وهي موزعة من الشرق إلى الغرب⁽⁶⁾ كالآتي:

المقاطعة	الإقليم	عدد الذكر	نماذج من الصيغ	المراجع
المدن الثلاث (Tripolitaine)	لبتيس ماغنا (Lepcis Magn)	03	- Gaetul [. . .] - Nummius Gaetulicus - M. Pompeius Gaetulicus	- IBT, 707 - IBT, 532 - IBT, 649

(1) حفيفة لعبايطي، المنظومة القبلية بالأوراس من الكيان النوميدي الى مقاومة الإحتلال الرومان، مجلة عصور جديد، ع 24-25، أكتوبر 2016، ص17.

(2) Desanges.J, Gétules..., Op.cit, p3063.

(3) CIL. VIII. 20145.

(4) CIL. VIII. 11480.

(5) CIL. VIII. 23850.

(6) Gascou. J. Le cognomen Gaetulus, Gaetulicus en Afrique Romaine. In: Mélanges d'archéologie et d'histoire, tome 82, n°2, 1970. pp. 723-724.

- CIL, VIII, 24626 - CIL, VIII, 13053	-.] s Gaetu [l. . .] - Getulicus uer(na) Aug(usti)	05	Africa Vêtus	البروقنصلية (Proconsulaire)
- CIL, VIII, 27550 - CIL, VIII, 23314	- Getulicus, uerna Aug(ustorum) Mamonius Getulicus-	30	Fossa Regia	
- CIL, VIII, 18928	- M. Annaeus M.nl. Quir. Ge[tu]lus	20	Numidie cirtéenne	نوميديا (Numidie)
- CIL, VIII, 2208	- M. Pomponius Getulus	06	Numidie militaire	
-CIL, VIII, 8502	[F]lavius Gaetulicus -	05	Sitifiennne	موريطانيا (Maurétanies)
- CIL, VIII, 9107 - CIL, VIII,	- Flavius Getulus - Gaetulicus	04	Césarienne	
- ILM, 96	— Valeria Gaetula	01	Tingitane	

جدول رقم 2: نماذج لصيغ اسم الجيتول بالنقوش الإيبغرافية في أفريقيا الرومانية، Gascou. J. Op.cit, pp.224-228

وعلى العموم ورد ذكر قبائل الجيتول في المصادر الكلاسيكية والإيبغرافية بمواقع جغرافية مختلفة ومتباعدة بحيث يمكن القول أن هذه المجموعة البشرية الهامة كانت تتردد على المنطقة الممتدة من شواطئ المحيط الأطلسي غربا إلى فزان شرقا (مواطن الغرامنت)⁽¹⁾، ضمن إطار جغرافي متشابه، تَمثل في السهوب والمرتفعات الجنوبية وحواف الصحراء الشمالية، أي مناطق الرعي الممتدة ما بين إقليم التل الزراعي والصحراء، وقد كان قسم من قبائل الجيتول يتحرك من مواطن انتشاره عند حواشي الصحراء في إتجاه السهول والهضاب

⁽¹⁾ Callegarin.L et Moreau. J, Op.cit, p.203.

الشمالية، وذلك عبر المسالك التي توفرها الأودية وكمثال وادي الملوية الذي تدفقوا بمحاذاة مجراه في اتجاه الشمال⁽¹⁾.

وفي فترات لاحقة شكلت قبائل الجيتول خطراً كبيراً على الاحتلال الروماني، وتنظيماته الزراعية، بسبب ثوراتهم في الأقاليم التي ألفوا التمرکز بها منها ثورتهم في عهد يوبا الثاني عام 6م⁽²⁾، فبذل الرومان جهوداً كبيرة قصد الحد من تحركاتهم الجماعية وهو الأمر الذي دفع بالسلطات الرومانية إلى الاستعجال في إنشاء خط الليمس وإقامة تحصينات عسكرية⁽³⁾. ولقد استمر تواجد الجيتوليين إلى الفتح الإسلامي وهم الذين ذكروا في المصادر العربية بالجدالة.

3.2. الموريون:

هي مجموعة هائلة من القبائل اللوبية تمتد ربوعها بين وادي ملوية إلى غاية المحيط الأطلسي، لم تفصل المصادر الكتابية في تسميات قبائل المور وأصنافهم بل اعتبروهم وحدة عرقية أكثر عدداً من النوميديين، وعن أصل التسمية فأول من استعمل المصطلح موريزيا المشتق من (Maurusiso) هم الجغرافيون الإغريق القدامى منهم بوليبيوس (Polybe)⁽⁴⁾، حتى أن المصطلح استعمل قبله؛ إذ نجده في النص الإغريقي الذي نقشه حنبعل بلغتين⁽⁵⁾، كما استعمله ديودور الصقلي عند الحديث عن الأحداث التي وقعت في نهاية القرن الخامس قبل الميلاد⁽⁶⁾؛ المؤرخان هذان أعطيا المصطلح مفهوماً سياسياً⁽⁷⁾، بينما بلين اعتبرهم من أهم وأقدم القبائل المحلية⁽⁸⁾، والمصطلح مرتبط بالرقعة الجغرافية، وهي تعني المنطقة الأكثر بعداً بالنسبة لبلادهم والتي تقع في أقصى الغرب، وعن مدلول الاسم "المور" لدى الإغريق

(1) محمد العميم، القبيلة والمجال في تاريخ المغرب القديم نموذج علاقة الرحل بالمستقرين، مجلة كلية الآداب، الجديدة، ع8-9، 2003/2004، ص 100.

(2) Trouset.P, Op.cit, p.5579.

(3) محمد البشير شنييتي، نوميديا وروما، ص209.

(4) Polybius, Histtoir, XV.II.1-XXXVIII.7.9.

(5) ستيفن غزال، تاريخ إفريقيا الشمالية، ج5، ص84.

(6) Diodore de Sicile, XIII. 80.3.

(7) Desanges. J, Catalogue..., Op.cit, p.35.

(8) Plin l'ancien, V.7.11 .

فقد قصدوا به اللون الداكن وهي صفة أطلقوها على السكان المحليين⁽¹⁾، وفي القرن الثالث حُرّف المصطلح لدى الكتاب اللاتين ليظهر باسم موري (Mauri)، يذكر سترابون أنه كانت شائع جدا في عصره ويستعمل من طرف الأهالي والرومان على حد سواء، ويعتقد سترابون خطأ أن المور تشير إلى مجموعة عرقية وهم السكان الأصليون⁽²⁾.

أما جذر تسمية المور يرى بعض المؤرخين أنه ربما تكون من أصل أمازيغي قديم أطلقتها السكان الأصليون على أنفسهم، فعبرة "موري" ربما مشتقة من عبارة لغوية قديمة وهي عبارة "أور" (Aour) التي تعني الجبل في اللغة الليبية القديمة، وإذا أضفنا حرف الميم (M) في بداية مصطلح أور تصبح بمعنى "مور الجبلين" أو "أهل الجبل"⁽³⁾، وهناك رأي لمؤرخين منهم كات (Cat) يقول أن أصل الكلمة سامي فينيقي، مشتق من كلمة (ماهوريم Mahaurim) التي أخذها الإغريق عن القرطاجيين خلال نص رحلة حانون الشهيرة حول إفريقيا الغربية، وهي تعني أهل الغرب أو بلاد الغرب⁽⁴⁾، وقد حافظت عبارة مور على المدلول الجغرافي نفسه لدى الإغريق ثم الرومان. ولعل إقتناع الرومان بدقة مدلول هذا المصطلح هو الذي جعلهم لا يغيرونه وأبقوا على استعماله واحتفوا به عنوانا لمقاطعاتهم⁽⁵⁾. يعتقد بعض المؤرخين أن المصطلح إداري سياسي أوجدته السلطات الرومانية للدلالة على إقليم جغرافي معين، أما بالنسبة لكامبس فاسم موري قصد به غير الرومانيين حتى أنه أصبح مرادفاً للمتمرد⁽⁶⁾.

أصبح اسم المور وموريطانيا في الفترة الإمبراطورية الرومانية يحمل دلالة إدارية، حيث أطلقوا مصطلح المور على القبائل التي كانت تستوطن القسم الغربي من بلاد المغرب

(1) Ait Amara. O, Op.cit. p.39.

(2) Strabon, XVIII, 3, 2.

(3) محمد البشير شنييتي، نوميديا وروما، ص197.

(4) Cat .E, Op.cit.p55.

(5) محمد البشير شنييتي، الجزائر في ظل الاحتلال الروماني (بحث في منظومة التحكم العسكري - الليمس الموريطاني - ومقاومة المور)، ج1، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999، ص14.

(6) قابريال كامبس، البربر ذاكرة، ص148.

القديم، والمسماة مقاطعة موريطانيا القيصرية، وموريطانيا الطنجية، وحتى المقاطعة الثالثة التي استحدثوها فيما بعد على الجزء الشرقي من القيصرية احتفظوا لها بالمصطلح نفسه⁽¹⁾، وما يميزها عن المقاطعتين القديمتين هو اسم عاصمتها الإدارية ستيفيس (Sitifis) فدعوا موريطانيا السطايفية. بعدها أصبح الاسم "مور" يطلق على الأهالي المتمردين والعصاة فانتقل من المفهوم الجغرافي، والإداري إلى صفة تطلق على كل من رفضوا الإذعان لسلطة روما⁽²⁾.

خرج مصطلح المور عن الإطار الجغرافي الذي كان مرتبطاً به سابقاً، وبدأ مدلوله يتوسع ويتطور بتطور التوسع الغربي ممثلاً في مملكة موريطانيا نحو الشرق بداية من عهد بوخوس الأول، إلى أن أصبح مصطلح المور يطلق على كامل سكان بلاد المغرب القديم أواخر القرن الرابع الميلادي، والمقصود به السكان غير المترومين المناهضين للسياسة الرومانية في المقاطعات الإفريقية كما سبق الذكر (القيصرية ونوميديا وموريطانيا)⁽³⁾، وهي تسمية جمعت عدد غير محدود من القبائل المحلية بالمقاطعات الرومانية بما فيها قبائل مقاطعة جنوب أفريقيا والطرابلسية، بمجرد أن يكون لهذه القبائل علاقة مع الرومان⁽⁴⁾، فلا تمييز بين من كان منهم نوميدياً أو بوارياً أو جيتولياً، أو غيره من القبائل العديدة التي كانت معروفة.

انتشر مصطلح المور مع بداية انهيار الإمبراطورية الرومانية في بلاد المغرب القديم، وتطور الاسم أكثر طيلة الفترة الوندالية والبيزنطية حيث تمت الإشارة إليهم عن طريق المؤرخ البيزنطي كوربيوس ذي الأصل الأفريقي، فالمور بالنسبة له هم من كانوا يشنون هجمات على الوندال ثم البيزنطيين في طرابلس والمقاطعات الأفريقية، ونجد تردد لهذا اللفظ "المور"

(1) Atgier.P, *Les Maures d'Afrique, bullins et Mémoires de la société d'anthropologie de paris*, V°, Série.Tome4,1903, p619.

(2) محمد البشير شنيقي، الجزائر في ظل الاحتلال الروماني، ص ص 14-15.

(3) Courtois.c, *Les Vandales et l'Afrique*, arts et métiers graphiques, paris, 1955.p325.

(4) عبد العزيز أكرير، تاريخ المغرب قبل الإسلام الممالك المورية الأمازيغية قبل الاحتلال الروماني (قراءة جديدة)، الدار البيضاء، 2007، ص 35؛ غزال، ج 5، المرجع السابق، ص 88.

في جميع أنحاء قصيدته الجوهانيدي (Johannide)، حيث وردت ثلاثة أسماء تدل على مصطلح المور وهي (Le Maure, le Maurusius, la Massyle)، يضاف إليها كذلك مصطلح (Mazax)⁽¹⁾، حتى أنه أطلق على المور أحيانا اسم لواتة، وقد جعلت هذه القبائل حسبه سبب حالة التدهور والإضطرابات التي عرفت أفريقيا⁽²⁾، لذلك نجد في قصيدة وصفا لهم بالعداء والاحتقار، وبأنهم حلفاء الوندال، ونجد اصطلاح المور في أغلب النقوش الأثرية الرومانية في موريطانيا القيصرية والتي لا يتجاوز عمرها نهاية القرن الرابع الميلادي، دالا على الأقوام التي تمردت على الرومان، وهو ما يؤكد استقلالية قبائل موريطانيا القيصرية والتخلص من الهيمنة الرومانية على القبائل المستقرة فيها⁽³⁾.

إذا فالمور بالنسبة لبروكوب هم تلك القبائل والأقوام التي هاجمت الوندال ثم البيزنطيين في المقاطعة الطرابلسية والمقاطعات الأفريقية، ونوميديا والمرتفعات الموريطانية الوسطى والغربية، وفصل بروكوب بين مصطلحي "المور" و"الأفارقة" عن طريق درجة العلاقة بالسلطة المركزية ممثلة في المدينة، فأطلق تسمية الأفارقة على سكان المدن والمزارعين التابعين لهم، دون تمييز بين أعراقهم وطبقاتهم الاجتماعية وديانتهم، بينما أطلق تسمية المور على جميع الأهالي الجبليين والبدو، الذين لم يتأثروا بالحضارة الرومانية محافظين على تميزهم عن الأقوام الأخرى. ويضيف شنييتي (م. ب) فرقا آخر بين المصطلحين بقوله: المور هم تلك الأقوام اللوبية التي رفضت الاندماج في الحضارة الرومانية والخضوع لها، بل قاوموها ماديا ومعنويا، وحافظوا على بنيتهم الاجتماعية والسياسة، بينما من اندمج مع الرومان وتخلّى عن شخيصة من أهل البلاد فسماه أفريقي⁽⁴⁾، والفرق مبني على مدى القابلية للخضوع للسلطة المركزية الممثلة في الحضارة الرومانية.

ويمكننا القول أن المنطقة الممتدة بين الحدود الغربية لقرطاجة إلى نهر الملوية وفرت مجالا مناسباً لتركز سكاني مهم ساهم في نشوء كيانات سياسية انتظمت في شكل ممالك وطنية محلية، ضمت كثير من القبائل التي انتشرت في جميع أنحاء المغرب القديم.

(1) Corippe.Joh. I, V. 449.

(2) Fevrier P. A. Le Maure..., Op.cit. p.292.

(3) رابح لحسن، أضرحة الملوك المور والنوميدي، دار هومة، الجزائر، 2004، ص 51.

(4) محمد البشير شنييتي، روما الإمبراطورية، ص ص 296-297.

مانستخلصه في ختام فصلنا أن الإنسان المغربي القديم استطاع تكوين منظومة اجتماعية دائمة عبر مراحل تاريخه الطويلة، في المنطقة الممتدة من غرب وادي النيل شرقاً إلى سواحل المحيط الأطلسي غرباً، أساسها القبيلة، التي هي مجموعة من الأسر متحدة تجمعها القرابة بالدم أو المصاهرة، وهو ما أكدته المصادر المادية (المصرية) والكتابية (إغريقية ولاتينية).

فالنصوص المصرية هي أول الوثائق التاريخية التي شكلت مصدراً أساسياً عرفتنا على القبائل الليبية الكبرى الباكراً بالمغرب القديم، فعرفت القبائل في هذه النصوص بتسميات مختلفة التمحو التحنو والليبو والمشوش وقبائل أخرى، وما نستخلصه من هذه النصوص هو إشارتها للنظام القبلي لهذه المجموعات البشرية ذات الخصائص المتشابهة.

تناولت المصادر الكلاسيكية منذ القرن الخامس قبل الميلاد، وفي مقدمتها هيرودوت تاريخ بلاد المغرب القديم، فعرفت المناطق الممتدة بين السيرت الأكبر، والمحيط الأطلسي باسم لوبة وأشير إلى سكانها باسم عرقي هم اللوبيون، فتطرق إلى الطبيعة والسكان والمقدرات الاقتصادية، وذكرت ملوك المنطقة والدول التي نشأت بها وجاءت المعلومات على العموم مقتضبة وغير كافية لكنها تكتسي أهمية بالغة لا يمكن الاستغناء عنها، لأن أصحابها عاصروا الأحداث.

فما جاء به هيرودوت صاحب التواريخ مهم في التعرف على مجتمع المغرب القديم، فالكتاب الرابع من هذا المصنف عرف باسم الكتاب الليبي الذي تحدث فيه عن القبائل الليبية المتواجدة في المنطقة الممتدة من غرب منطقة وادي النيل وحتى سواحل المحيط الأطلسي، فتناولها بشيء من التفصيل خاصة فيما تعلق بصفاتهم وبعض أنواع نشاطاتهم (نمط المعيشة بدو ورعاة) أسمائهم وعاداتهم وتقاليدهم، مجال تحركهم واستيطانهم.

أمّا المؤرخون والجغرافيون إغريقاً كانوا، أو لاتينيين الذين عاشوا بعد هيرودوت، فلقد توفرت لهم معلومات حول شعوب وقبائل عديدة من سكان المنطقة، بدأت في الظهور ابتداءً من أواخر القرن الرابع قبل الميلاد وبداية القرن الثالث الميلادي، منتظمة في شكل مجموعات متحالفة (كونفدراليات قبلية) مكونة تشكيلات سياسية (ممالك محلية) غطى

نفوذها معظم أقاليم المغرب القديم، وهي مجموعة النوميدي في الشرق ومجموعة المور في الغرب، وجنوب هاتين المجموعتين نجد الجيتول بمحاذاة الصحراء.

الفصل الثالث

انتشار وتوزيع القبائل في المغرب القديم أثناء الاحتلال الروماني

أولاً: بلاد المغرب القديم مقاطعة رومانية.

ثانياً: قبائل البروقنصلية وطرابلس

ثالثاً: انتشار القبائل في مقاطعة نوميديا

رابعاً: توزيع قبائل موريطانيا القيصرية

خامساً: انتشار القبائل بموريطانيا الطنجية

أولاً: بلاد المغرب القديم مقاطعة رومانية:

في البداية وقبل أن نستعرض مجموع القبائل والشعوب التي استقرت على أراضي المغرب القديم أثناء الاحتلال الروماني، يجب أولاً تقديم تاريخ المنطقة، منذ سقوط الدولة القرطاجية عام 146 ق.م ودخول الاحتلال الروماني، إلى عام 429م تاريخ الدخول الوندالي⁽¹⁾ لأراضي المغرب القديم.

فبزوال قرطاجة عام 146 ق.م بعد صراع طويل مع الرومان امتد من 264 ق.م- 146 ق.م، والذي عرف بالحروب البونية وبالتحديد الحرب البونية الثالثة (149- 146 ق.م)⁽²⁾. وتحول أراضيها الى مقاطعة رومانية انكشفت نوميديا وبقيّة بلاد المغرب القديم للرومان، وأصبحت في نظرهم منطقة أمنية بالنسبة لمقاطعتهم الأفريقية ومن ثمّ أصبح وقوعها تحت السيطرة المباشرة الرومانية أمراً غير بعيد⁽³⁾. فهذا بوليبيوس يذكر في مقدمة كتابه الأول كم كانت قرطاجة عقبة تقف في وجه التوسعات الرومانية، لذلك كانت الخطوة الكبرى التي اتخذتها روما لوضع يدها على كل العالم هي القضاء عليها⁽⁴⁾.

(1) الوندال: ذكر مصطلح الوندال (Vandale) كل من بلين (Plinie, IV.99) وتاسيت (Tacite. 2.4) واللذين قصدا بهذا المصطلح مجموعة من الشعوب التي كانت تستوطن شمال شرق أوربا وليس شعباً واحداً، وهم بهذا شعب جرمانى من أصول نرويجية، وهناك من يرى بأن أصلهم من إسكندنافيا، ويدعي الوندال غيرهم من الشعوب الجرمانية الأخرى انتسابهم الى أصول مقدسة، هاجروا من موطنهم الأصلي أواخر القرن الأول قبل الميلاد نحو جنوبي بحر البلطيق، وعبر ألمانيا وفرنسا ثم إسبانيا. ومنها الى بلاد المغرب التي غزوها عام 429م، والوندال شعبان وهما الهاسدينك (Hasdingue) والسيلنك (Silingae).

للمزيد ينظر: Courtois. ch, les Vandales et l'Afrique, pp.15-20.

(2) الحروب البونية: أو الحروب البونيقية هي ذلك الصدام والصراع بين قوتين، قرطاجة التي قطعت مرحلة متقدمة من السيطرة على الحوض الغربي للبحر المتوسط، وروما التي استكملت بناء قوتها بعد السيطرة على شبه الجزيرة الإيطالية، وهو ما وضعها في خط الاحتكاك المباشر مع قرطاجة في صقلية، فكان لابد من الصدام بين الطرفين. وكانت سلسلة من ثلاثة حروب نتجت عن تصادم مصالح القوتين: الحرب الأولى 264-241 ق.م والثانية 218-201 ق.م والثالثة 149-146 ق.م. للمزيد ينظر:

Polybius. Histoir générale. Paris: tradiction: M. Félix bouchot, adolphe delahays libraire. 1847.

(3) محمد البشير شنيقي، أضواء على تاريخ، ص 70-71.

(4) Polybius, I, 2,3 .

كان سقوط قرطاجة حطاما بين يدي سكييون إيميليانوس (Scipion Emilien) عام 146 ق.م إيذانا بمصير مشابه لممالك المغرب، نوميديا الحليفة لروما وموريطنيا المملكة الضاربة في جهات الغرب بعيدا عن منطقة الأحداث، ذلك أن تدمير الرومان لقرطاجة لم يكن عملية عسكرية تأديبية ولكنه كان عملا عسكريا هادفا، قصد من ورائه مجلس الشيوخ الروماني وضع اليد على تراب دولة معادية بعد إنهاء وجودها بالقوة، تبعته إجراءات إدارية وعسكرية لترتيب عمليات الاستفادة من ثمرة ذلك الاحتلال⁽¹⁾، تمثل الأول في إعلان تراب الإمبراطورية القرطاجية مقاطعة رومانية لا ذكر للفظ قرطاجة في صيغة اسمها مقاطعة إفريقيا الرومانية (Provincia africa rommana)⁽²⁾ ولعل ذلك كان بقصد محو ذكرى قرطاجة بعد أن أحرقت ودمرت واعتبر موقعها ملعونا⁽³⁾، والعمل الثاني تمثل في إحاطة تراب هذه المقاطعة بحدود ثابتة عرفت بالخندق الملكي (Fossa regia)⁽⁴⁾ أو خندق سكييو (Fossa Scipionis)⁽⁵⁾، للفصل بين ما غنمه الرومان من أعدائهم القرطاجيين وبين تراب مملكة نوميديا التي كان عاقلها ماسينيسا، المتوفى أثناء حصار قرطاجة (148 ق.م)، يسعى لضم أراضي قرطاجة، وتوحيد المغرب تحقيقا لأمله الكبير الذي طالما عبر عنه في قوله: " أفريقيا للأفارقة"، وهو الطموح الذي كان الرومان يحسبون له حسابا خاصا. فكانت مبادرتهم بوضع اليد على تراب قرطاجة وإقامة تحصينات عسكرية بينهم وبين نوميديا يندرج في هذا الحسبان⁽⁶⁾. وقد ضم الإقليم الذي سيطر عليه الرومان مساحة تقدر بحوالي 25 ألف كلم²، تمتد من طبرقة (Tabarca) شرقي القالة غربا، إلى هنشير طينة (Thenae)⁽⁷⁾.

(1) محمد البشير شنيقي، روما الإمبراطورية، ص 7.

(2) Th. Mommsen, Op. Cit, p.255.

(3) محمد البشير شنيقي، روما الإمبراطورية، ص 7.

(4) ينطلق هذا الخندق من مصب الوادي الكبير الى مدينة باجة ودوقة حتى جنوب غرب زغوان جنوب تونس.

(5) شافية شارن وآخرون، الإحتلال الإستيطاني وسياسة الرومنة، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2007، ص 64.

(6) محمد البشير شنيقي، روما الإمبراطورية، ص 7.

(7) شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص 146.

ومن الإجراءات التي اتخذها الرومان بالمنطقة أيضا تدخلهم المباشر في شؤون مملكة نوميديا التي أخذت أطرافها في التآكل، بهدف ترتيب البيت المالكة بعد وفاة ماسينيسا، وهو ما جسد رغبتهم في السيطرة على هذه المملكة من الداخل عملا بخططهم الوقائية الممهدة لخطوات ضم أخرى تأتي فرصها مستقبلا.⁽¹⁾ وقد حرص الرومان طيلة قرن كامل على أن يكونوا بالنسبة لنوميديا جيرانا أوصياء على مصيرها لا مجرد أصدقاء أوفياء، فلم يترددوا في التدخل سياسيا وعسكريا لاستغلال مواردها اقتصاديا. فشككت تلك التقسيمات التي أقرتها روما بين المتنازعين على كرسي الملك من أحفاد ماسينيسا بعد وفاة مكيبسا (148-118 ق.م)⁽²⁾، يوغرطة وابني عمه هيمبسال وأذربعل والذي برز كمتدخل روماني صريح في شؤون المملكة النوميدية⁽³⁾، وهي الترتيبات التي رفضها يوغرطة وقام بثورة ضد روما (112-105 ق.م)⁽⁴⁾ دامت سبع سنوات وانتهت بالقبض عليه بعدما سلمه صهره بوخوس الملك الموريطاني للقائد الروماني سولا (Sulla) ليموت في سجنه بروما، هذه الحرب التي انتهت بترتيبات قامت بها روما حتى، وإن لم تقض بتوسعات إقليمية رومانية نتيجة الأوضاع الداخلية التي كانت تمر بها روما الناجمة عن الصراع الداخلي الاجتماعي، بالإضافة إلى الحروب الخارجية؛ فبمجرد انتهاء حرب يوغرطة ستندلع الحرب في بلاد غالة⁽⁵⁾، أبرزها اقتطاع أجزاء من الجهة الشرقية لنوميديا وضمها لمقاطعة أفريقيا الرومانية، وأسست

(1) محمد البشير شنييتي، نوميديا وروما الإمبراطورية، ص 7.

(2) لم يحض عهد مكيبسا بكتابات المؤرخين القدامى وهو مادفع بعض المؤرخين بوصفه بصورة الملك الخاضع لروما غير أننا لا نستبعد أن يكون هذا الصمت ناتج عن سياسة الاستقرار في نوميديا أثناء عهده الذي امتد طيلة ثلاثين سنة، استطاع خلالها أن يسيطر على كامل نوميديا من السيرت الكبير شرقا إلى وادي الملوية غربا، كما احتفظ بعلاقات الود مع كل من مملكة موريطانيا في الغرب والرومان في الشرق، فلم نسمع بثورات محلية في عهده ولا صراعات خارجية مما سمح له بالبناء الداخلي ومواصلة البناء الخارجي لمملكته الذي بدأه والده، كما أنه اهتم بالعلم والعلماء. للمزيد ينظر: شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص 155.

(3) محمد البشير شنييتي، أضواء على، ص 72.

(4) حول هذه الثورة ينظر: محمد الهادي حارش، يوغرطة الملك في مواجهة روما، موفم للنشر، الجزائر، 2019.

(5) ساليستوس، حرب يوغرطة، ص 114.

مستوطنات جديدة بالأراضي الزراعية للجنود المشاركين في الحرب، بينما مُنح الملك بوخوس الأول الجزء الغربي من مملكة نوميديا جراء المساعدة التي قدمها للرومان، وبذلك تعدت مملكة المور الحدود الطبيعية التاريخية بينها وبين مملكة النوميديا والذي مثله الحاجز المائي نهر الملوية فتوسعت الحدود حتى وصلت وادي الصومام(صلادي)⁽¹⁾، ونصب غودا (Gauda) شقيق يوغرطة على نوميديا الشرقية⁽²⁾.

والملاحظ أن هذه الترتيبات التي أقرها الرومان كان، مردها لسياسة الاحتلال التدريجي التي أملتها ظروف روما الداخلية، فعدم استثمار النصر العسكري الذي أحرزه الجيش الروماني في حربه ضد يوغرطة، إذ كان متيسرا لروما أن تعلن نوميديا المهزومة إقليما رومانيا وتُنصب ولاية لها كما فعلت من قبل في إقليم قرطاجنة، لكن بدلا من ذلك رتبت أوضاع ما بعد الحرب بصورة ضمنت لها قوة النفوذ وزمام المبادرة بالتدخل كلما لزم الأمر صونا لمصالحها⁽³⁾. وبعد هذه الأحداث لانعرف شيئا عن بلاد المغرب أثناء الخمسين سنة الموالية أي أوائل القرن الأول قبل الميلاد ويبدو أن بوخوس ظل وفيا لحلفائه الرومان، ولا نعرف أيضا الفترة والظروف التي انقسمت فيها موريطانيا إلى شرقية ملكها بوخوس الثاني، وغربية يحكمها بوغود(Bogud) فهذا التقسيم كان موجودا عام 49 ق.م أيام الخلاف بين بومبي وقيصر⁽⁴⁾.

1. ضم نوميديا وإنشاء مقاطعة أفريقيا الجديدة (Africa Nova)

ارتبطت سياسة التوسع الروماني في المنطقة بالأحداث السياسية، والعسكرية والاجتماعية التي تدور في روما، وأقحم المغاربة كطرف فيها، من ذلك أن الحرب المدنية الأهلية الثانية التي نشأت في روما بين أنصار بومبي (Pompeius)(106-48ق.م)

(1) محمد البشير شنييتي، نوميديا وروما الإمبراطورية، ص23. Poulle. M. A, A travers la Mauritanie.

Sétifiennne, R.A.S.C, Constantine, 1862. p.89.

(2) ستيفن غزال، تاريخ إفريقيا الشمالية، ج7، ص263.

(3) محمد البشير شنييتي، أضواء على، ص72.

(4) شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص ص 162، 163.

المحافظين، وأنصار يوليوس قيصر (Jules César) (حوالي 100-44 ق.م) العامة أواسط القرن الأول قبل الميلاد، كانت الأرض الأفريقية أحد ميادينها الكبرى ومحطتها النهائية، فانحاز فيها الملك يوبا الأول (Juba I) (85-46 ق.م)⁽¹⁾ ملك نوميديا لحزب بومبي دفاعا عن مملكته ضد أطماع قيصر التوسعية وسعيا منه لاسترجاع مقاطعة أفريقيا إلى الممتلكات النوميدية⁽²⁾، وترتب عن ذلك انتحاره على أبواب مدينة زاما (Zama) وزوال مملكته نهائيا⁽³⁾. لما انتصر يوليوس قيصر على أتباع بومبي في معركة تابسوس (رأس ديماس) (Thapsus) بالشاطئ الشرقي لتونس في 6 فبراير سنة 46 ق.م⁽⁴⁾.

نتج عن انتصار قيصر تغيرات سياسية وترابية مهمة على مملكة نوميديا وحتى على مملكة موريطانيا، أخطرها التقسيم الإداري الجديد الذي استحدثه قيصر، بتجزئة أراضي مملكة نوميديا على من وقف إلى جانبه في صراعه ضد بومبي، فسلم الجزء الغربي منها إلى حليفه بوخوس الثاني، وبذلك امتدت حدود مملكته إلى الوادي الكبير (Ampsaga)⁽⁵⁾، بينما نال جماعة من المرتزقة الرومان تحت قيادة ستيوس (Sittius) الجزء الشمالي الغربي من نوميديا بنواحي سيرتا، كمكافأة نظير مساعدتهم له أين ستظهر بها الكونفدرالية السيرتية فيما بعد، وهي تضم المدن الأربعة قسنطينة (Cirta)، القل (Chullu)، سكيكدة (Rusicade)

(1) في محاولة لتفسير تحالف يوبا الأول مع بومبي ضد قيصر، يرجع بعض الدارسين الخلفيات إلى عهد والد يوبا الأول هيمصال الثاني حوالي 62 ق.م، أين أرسله كمبعوث إلى روما وكلفه بالإحتجاج أمام مجلس الشيوخ ضد ماسينتا (Masintha) أحد المتمردين الذين خرجوا عن طاعة هيمصال الثاني، أين لقي استجابة من مجلس الشيوخ، وفي المقابل وقف يوليوس قيصر ضده وضد قرارات مجلس الشيوخ مدافعا عن ماسينتا، حتى أنه قام بشتن يوبا الأول وكل النوميديين، وهو ما كان سببا في إنحياز يوبا لبومبي أثناء الحرب الأهلية بينهما. للمزيد ينظر: محمد الهادي حارش، التطور السياسي والاقتصادي، ص 79.

(2) عبد القادر صحراوي، التحصينات العسكرية بنوميديا وموريطانيا القيصرية أثناء الاحتلال الروماني، دار الهدى، الجزائر، 2011، ص ص 16، 17.

(3) ستيفن غزال، تاريخ إفريقيا الشمالية، ج 8، ص 133.

(4) César, XXV.2.3.4 ; LXXIX.2.3 ; LXXXV.7.10.45 ; LXXXVI.1

(5) ستيفن غزال، تاريخ إفريقيا الشمالية، ج 8، ص 137.

وميلة (Milev)⁽¹⁾ التي جعلها حدا فاصلا بين مملكة موريطانيا والمقاطعة الرومانية الجديدة (Africa nova) التي أنشأها قيصر في الجزء الشرقي من الأراضي النوميديّة وعين على رأسها صديقه سالستوس بروقنصلا، في حين سميت المقاطعة الرومانية المؤسسة سنة 146 ق.م بأفريقية القديمة (Africa Vetus)⁽²⁾.

وبهذا الترتيب يكون قيصر قد وضع حدا للمملكة النوميديّة سنة 46 ق.م⁽³⁾، وهو المصير نفسه الذي عرفته قرطاجة التي مر على ذكرى تدميرها قرن كامل (146-46 ق.م)، رغم محاولة أرابيون (Arabio) ابن ماسينيسا الثاني ملك نوميديا الغربية إعادة نوميديا (التي امتدت في الإقليم السطايفي الذي ستقام فيه في وقت لاحق مقاطعة موريطانيا السطايفية)⁽⁴⁾، الذي استغل فرصة مقتل قيصر على عتبة مجلس الشيوخ بروما من طرف خصومه عام 44 ق.م، وقد تمكن في السنة نفسها من قتل ستيوس، وأعاد بذلك الحياة مؤقتا لنوميديا، لكن سرعان ما ينهزم بدوره على يد حاكم المقاطعة الرومانية سكستوس (Sextius) سنة 40 ق.م بعد أربع سنوات من حكمه لنوميديا⁽⁵⁾.

2. ضم موريطانيا 40م:

كانت غنيمة مملكة موريطانيا كبيرة عقب القضاء على نوميديا في أعقاب هزيمة يوبا الأول فامتدت حدودها للمرة الثانية شرقا حتى وصلت الوادي الكبير⁽⁶⁾، فبدأ لبخوس الثاني أنه أصبح يتربع على عرش كبير قوامه مملكة واسعة الأرجاء، تربطها علاقات حسن جوار بالمقاطعات الرومانية، وبسبب الأحداث المتسارعة التي كانت تعيشها الجمهورية الرومانية في آخر أيامها لم تدم النعمة الرومانية طويلا على موريطانيا، ولم يعد الجوار عامل أمن،

(1) محمد العربي عقون، الكنفدرالية السيرتية (دراسة في تاريخ وآثار ونظم سيرتا العتيقة)، منشورات نوميديا، قسنطينة، 2019، ص 14.

(2) ستيفن غزال، تاريخ إفريقيا الشمالية، ج 8، ص 138-139.

(3) Thouvenot.R. *L'Afrique romaine aux trois premiers siècles*. (Gilbert Charles Picard. *La Civilisation de l'Afrique romaine*). In: *Journal des savants*, 1960, n° p. 131.

(4) محمد العربي عقون، الكنفدرالية السيرتية، ص 19.

(5) نفسه، ص 26-29.

(6) Decret. F et. Fantar .M.H, Op.cit, p .81.

وذلك بسبب نشوب الصراع بين أعضاء الحكم الثلاثي أنطونيوس (Antonius) وأوكتافيوس (Octavius)، الذي دخلت فيه المقاطعات، والممالك المحلية كطرف في الصراع فوقف بوغود ملك موريطانيا الغربية إلى جانب أنطونيوس بينما بوخوس الثاني ربط مصيره بأوكتافيوس، انتهى هذا الصراع بانتصار أوكتافيوس وعلى إثر ذلك منحت أراضي بوغود إلى بوخوس الثاني ووجد شطري مملكة موريطانيا عام 38 ق.م⁽¹⁾. في عام 33 ق.م توفي بوخوس الثاني فخلت المنطقة من أي حاكم وطني وانعدم الخليفة الشرعي للتاج الموريطاني⁽²⁾، وهو الأمر الذي سيستغله القيصر أكتافيوس فيقرر تعيين قائدين عسكريين⁽³⁾ تابعين لسلطته مباشرة لإدارة شؤون المملكة الموريطانية (القيصرية والطنجية) من 33-25 ق.م⁽⁴⁾، وفتح أوكتافيوس أبواب الاستيطان على مصراعيه للفلاحين الإيطاليين والجنود المسرحين من المستوطنات التي أسست في هذه الفترة مستوطنات إجيليلي (Igiligili)، صالداي (Saldae)، تيكلات (Tubusuptu)، تنس (Cartennae)، مليانة (Zucchabar)، تامنقوست (Rusguniae) وغيرها⁽⁵⁾.

استمر أكتافيوس في تسيير وإدارة موريطانيا طيلة ثماني سنوات قبل أن يتراجع عن هذه السياسة سنة 25 ق.م، وينصب يوبا الثاني (Joba II)⁽⁶⁾ ملكا على المملكة الذي اختار مدينة شرشال (Iol) الساحلية عاصمة له⁽⁷⁾، وسماها القيصرية (Caesaria) نسبة إلى أغسطس قيصر⁽⁸⁾، وهذه التعديلات التي اعتمدها الإمبراطور أغسطس جاءت لتجنيب روما

(1) محمد البشير شنيقي، روما الإمبراطورية، ص 9.

(2) Lassère.J.M, Vbique Populus ... Op.cit, p. 221.

(3) حكم موريطانيا وكيل الإمبراطور (rocurator Augusti) ويعينه الإمبراطور من طبقة الفرسان يتمتع بصلاحيات واسعة في إدارة الشؤون العسكرية، الإدارية، الاقتصادية، والاجتماعية. للمزيد ينظر: Jérôme Carcopino, l'Algérie et son passé, Paris, Ed it, A et J. Picard, 1951, p. 61.

(4) محمد البشير شنيقي، روما الإمبراطورية، ص 9.

(5) Pline l'ancien, V.20.21.

(6) كان قيصر قد نقل يوبا الثاني من بيت أبيه يوبا الأول المتوفى الى روما صبيا عام 46 ق.م، وتم إعداده لمثل هذه المهمات فمن خلال تتبع سيرة حياة يوبا الثاني ندرك أن الرومان لم يكن في نيته إعادة تاج الملك لأمير نوميدي عندما منحته موريطانيا، ولكنها لم تفعل سوى أنها أكلته مهمة يتعذر على موظف روماني القيام بها أفضل منه. للمزيد ينظر: شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص 170-171.

(7) جيروم كركوبينو، المغرب العتيق، المرجع السابق، ص 246.

(8) Pline l'ancien, V.16. 20; Strabon, XVII.3.12.

عناء التسيير المباشر للإقليم المغاربي الثائر، فقط نصبت ملكاً من بني جلدتهم لكنه يحكمهم باسم الرومان⁽¹⁾. تميزت سياسته بالولاء المطلق لروما حيث ساندته في التصدي، والقضاء على الثورات التي هزت أراضي موريطانيا أيام حكمه⁽²⁾، منها ثورة الجيتول (Getules) عام 6 ق.م⁽³⁾، ثم خلفه ابنه بطليموس (Ptolemeé) في سنة 23 أو 24 م الذي حكم لمدة 17 سنة وسار على نهج والده يوبا الثاني من خدمته المصالح الرومانية منها مساعدتهم في القضاء على ثورة تاكفاريناس (17-24 م)⁽⁴⁾، في عام 40 م قام الإمبراطور كاليجولا (Caligula) باغتيال بطليموس⁽⁵⁾، وقرر وضع حد لنظام الحماية الذي وضعته روما في عهد أغسطس⁽⁶⁾، فقام بضم موريطانيا بصفة نهائية للإمبراطورية الرومانية واستكمل بذلك دائرة سيطرتها على حوض المتوسط⁽⁷⁾، وبذلك انتهى حكم الملوك النوميديين في منطقة المغرب القديم.

3. التنظيم الإداري الروماني لبلاد المغرب القديم بعد إخضاعها:

أضحت البلاد المغاربية مقاطعة رومانية. وإذا أردنا إعطاء مفهوم للمقاطعة فهي تلك الأراضي التي استحوذت عليها روما خارج شبه جزيرة إيطاليا في فترات متعاقبة، وكونت منها ولايات أو مقاطعات (Provinciae) خاضعة لها، رسمت حدودها وفقاً لمخططاتها السياسية والاقتصادية والحضارية متبعة سلسلة من الترتيبات⁽⁸⁾، سعت بهذه الترتيبات لمراقبة القبائل الثائرة وكبح مقاومتها من خلال إخضاعها للمراقبة، وتتبع حركاتها تحقيقاً للأمن الروماني⁽⁹⁾، تم تقسيم المنطقة إلى مقاطعات من أجل تسهيل التحكم في الأوضاع السياسية،

(1) محمد البشير شنيقي، الاحتلال الروماني لبلاد المغرب، ص 46.

(2) Dion Cassius, Histoire Romaine, trad. Gros (E.) et Boissée (V.), éd. Fermin Didot, Paris, 1845-1870, I, 5,6, 15,6; III, 26.

(3) Dion Cassius, IV, 28.

(4) Tacite, Les Annales, trad. Goelzer (H), éd. les belles Lettres, paris, 1938, IV, 23, 24,25 ; XI, 52.

(5) Dion Cassius. LIX.25 ; Pline l'ancien, V.1.2.

(6) Cagnat.R., Op.cit, p.28.

(7) Thouvenot. R, Op.cit, p.131.

(8) شافية شارن وآخرون، المرجع السابق، ص 155.

(9) محمد البشير شنيقي، الجزائر في ظل، ص 65.

والعسكرية والاقتصادية، حيث أعلنت روما خلال العهد الامبراطوري الأعلى (27ق.م-284م) تقسيماً إدارياً ضم أربع مقاطعات وبثلاثة أنظمة حكم مطبقة، وهي البروقنصلية (Africa Proconsularis)، نوميديا (Numidia) وهما ولايتان سيناتوريتان، وموريطانيا القيصرية (Mauretania Caesariensis) وموريطانيا الطنجية (Mauretania Tingitana) وهما ولايتان امبراطوريتان، وهو أول تقسيم مقاطعاتي بالمنطقة⁽¹⁾، لكن هذا التقسيم تغير في نهاية القرن الثالث عام 297م أثناء عهد الإمبراطور ديوقليانوس (Dioclitien) (284-305م) حيث استحدثت السلطات الرومانية تقسيماً جديداً نتج عنه تضاعف عدد المقاطعات التي أصبحت سبعة وهي البروقنصلية، زغوان، بزاكينا (المزاق) (Byzacena)، نوميديا سيرتا، ونوميديا ميليسسا، موريطانيا القيصرية وموريطانيا السطايفية (Mauretania Sitifensis.) عاصمتها ستيفيس⁽²⁾ بينما ألحقت موريطانيا الطنجية بدوقية إسبانيا وسيرت من طرف نائبها⁽³⁾.

1.3. مقاطعة أفريقيا البروقنصلية:

البروقنصلية هي المنطقة التي ورثها الرومان عن القرطاجيين عام 146ق.م مشكلين منها أول مقاطعة رومانية في أرض المغرب القديم، وضعوا لها نظاماً إدارياً مدنياً منذ البداية بينما النشاط العسكري في هذه المنطقة كان قليلاً⁽⁴⁾، في سنة 27ق.م أدمجت مقاطعة أفريقيا الجديدة (Africa Nova) بأفريقيا القديمة (Africa Vetus)، الذي قرره أوكتافيوس

(1) عمار المحجوبي، ولاية افريقيا من الاحتلال الروماني إلى نهاية العهد السويبي (146ق.م-235م)، مركز النشر الجامعي، تونس، 2001، ص5.

(2) للمزيد عن مقاطعة موريطانيا السطايفية: تاريخ تأسيسها وحدودها ينظر: قادري حدة وبورني دليلة، قبائل موريطانيا السطايفية ومقاومة الاحتلال الروماني "تورات قبائل البوار والحلف الخماسي أنموذجاً"، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، مج23، ع1، باتنة1، جوان 2022.

(3) Mercier. E, Histoire l'Afrique sptentrional (Barbér Depivisles TEMPS Leusplus Reculée, Tomepremier, Paris ,1888, p147 ; Cagnat. R, Op, Cit, p.706.

(4) بلقاسم رحمانى، روما وسياسة الرومنة في شمال إفريقيا (بلاد المغرب أنموذجاً)، مجلة البحوث والدراسات، ع9، يناير 2010، ص31.

وشكلتا مقاطعة أفريقيا البروقنصلية (Provincia Africa Proconsularis) كما أضيفت لها الأراضي التي كانت تابعة سابقا لسييتيوس، قاعدتها قرطاجة وحكمها بروقنصل، وهدف هذا الإجراء إلى توسيع رقعة الاحتلال الروماني وتحقيق الأمن والاستقرار للرومان ومواجهة الثورات المحلية المتتالية. وتندرج هذه الإجراءات ضمن إعادة تنظيم مقاطعتي أفريقيا القديمة والجديدة سياسيا وعسكريا من طرف أغسطس (Augustus) في الفترة الممتدة بين سنتي 27 و25 ق.م⁽¹⁾. ليعاد تقسيمها من جديد بعد إصلاحات ديوقليديانوس أين قسمت إلى ثلاث ولايات هي ولاية طرابلس، ولاية المزاق، والولاية البروقنصلية أو ولاية زغوان⁽²⁾، ويبقى تاريخ ظهور الولايتين الجدينتين غير معروف، ويعتقد بالاعتماد على المعطيات الأثرية أنهما ظهرت في وقت واحد في الفترة ما بين 294-305م⁽³⁾، وعن مجالها فإنه يصعب ضبطه بسبب تغيره بحسب التوسعات الرومانية، ليستقر في القرن الثالث شاملا إقليم طرابلس، كل تونس الحالية تقريبا، جزءا من الشرق الجزائري (هيون، تبسة، مداورش)⁽⁴⁾.

2.3. مقاطعة نوميديا:

كانت هذه المقاطعة في البداية تابعة للبروقنصلية، شغلت المناطق حول أميدرا ثم حول تبسة، ومع تحول الفرقة الأغسطية إلى لامبيز (Lambese) أصبحت هذه الأخيرة عاصمة المقاطعة، انفصلت عن البروقنصلية بشكل رسمي في عهد سبتيموس سيفيروس ما بين (193-208م) لتظهر باسم (Provincia Numidiae)، وهو ما بينته نقيشة اكتشفت مؤخرا في لامبيز بواسطة لوقلي (M. Marcel Le glay) (نقيشة أنكيوس فاوستوس) عام

(1) عبد القادر صحراوي، المرجع السابق، ص20.

(2) شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص276.

(3) Le Bohec.Y, Histoire de l'Afrique romaine de l'Atlantique à la Tripolitaine 146 av. J-C – 533 ap. J-C, Ed. Armand Colin, Paris, 2005, P18.

(4) شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص146؛ Th. Mommsen, Op. Cit, p.259.

1956، والذي حاول فيها الباحث من خلال قراءته الشخصية للنقيشة تقديم تاريخ دقيق لتأسيس المقاطعة، وجاء فيها (النص رقم 1)⁽¹⁾:

"Disciplinae / Militari / Augustor (um) / aram d {e} d {icaverunt(Q {uinto) Anicio Fausto / cos (ule) / eq (uites) s (ingulares)⁽²⁾

ترجمة النص: من أجل الالتزام العسكري لأغاستتنا قدموا مذبحا لكوينتوس آينكيوس فلوستوس قنصل فارس.

وامتدت حدودها من حدود أفريقيا البروقنصلية شرقا إلى الوادي الكبير (لامباسقا) غربا، أما جنوبا فتشمل الأوراس والزيبان وصولا إلى مسعد، وكانت سيرتا عاصمة لهذه المقاطعة⁽³⁾، ثم مع إصلاحات ديوقليانوس سنة 297م قسمت نوميديا إلى نوميديا السيرية (Numidia Cirtensis) وقاعدتها مدينة سيرتا، ونوميديا العسكرية (Numidia Militiana) وقاعدتها لامبار (تازولت) (Lambese) جنوب قسنطينة⁽⁴⁾. لم تعمر هاتين المقاطعتين تحت هذين الاسمين طويلا ذلك أنه في سنة 310م دمجتا في مقاطعة واحدة عرفت بمقاطعة نوميديا الحامية، أوالمحمية (Praeses Provinciarum Numidarum) وعاصمتها سيرتا⁽⁵⁾.

3.3. مقاطعتي موريطانيا القيصرية والطنجية:

بعد اغتيال بطليموس سنة 40م على يد كاليغولا وإخماد ثورات القبائل المورية بقيادة أيديمون (Aedémon) وسالابوس (Salabus) سنة 42م التي سعت إلى الثأر لمقتل

(1) Pflaum Hans.G. La date de la création de la province de Numidie. In: Bulletin de la Société Nationale des Antiquaires de France, 1958, 1959. p. 25.

(2) للمزيد ينظر: G.Pflaum Hans ,Op.cit,pp.25-28.

(3) Le Glay.M. L'administration centrale de la province de Numidie de Septime Sévère à Gallien. In: Anti afr, 27,1991. pp. 84-85.

(4) عبد الحميد عمران، نوميديا أثناء الاحتلال الروماني، مجلة عصور جديدة، ع10، جويلية 2013، ص15. Cagnat. R, Op, cit, pp.708-709.

(5) شافية شارن، النشاط التجاري في نوميديا وموريطانيا القيصرية أثناء الاحتلال الروماني (العهد الإمبراطوري الأول)، أطروحة دكتوراه، إ: محمد البشير شنيقي، ج1، جامعة الجزائر 2، قسم التاريخ، 2001/2000، ص49.

بطليموس⁽¹⁾، ألحق الإمبراطور كلاوديوس (Claudius) المملكة الموريطانية بالممتلكات الرومانية⁽²⁾، وقسمها إلى مقاطعتين:

أ. موريطانيا القيصرية (Mauretania Caesariensis):

سميت بالقيصرية نسبة لعاصمتها أيول (Iol) (شرشال) التي سماها يوبا الثاني قيصرية عرفانا للإمبراطور الروماني أغسطس (27ق.م - 14م) الذي رباه في بلاطه، أما كلمة موريطانيا فهي مشتقة من كلمة المور التي وصف بها أهالي المغرب القديم الذين سكنوا القسم الغربي من المنطقة. شغلت هذه المقاطعة منذ تأسيسها مساحة واسعة من الولاية الأفريقية⁽³⁾، فامتدت من وادي الملوية غربا إلى الوادي الكبير شرقا⁽⁴⁾، ومن الساحل المتوسطي شمالا إلى جيتوليا جنوبا⁽⁵⁾. وبهذا الامتداد تعتبر موريطانيا القيصرية الأوسع مساحة، ضف إلى ذلك أنها الأطول عمرا فحدودها لم تتغير على مدى ما يقارب مائتين وخمسين سنة، أي منذ إنشائها سنة 42م إلى أن فصل عنها الجزء الشرقي أواخر القرن الثالث الميلادي حوالي (288 - 298م)، وأنشأ عليه مقاطعة موريطانيا السطايفية⁽⁶⁾.

ب. موريطانيا الطنجية (Mauretania Tingitana):

كما سبق الإشارة إليه ألحق الإمبراطور كلاوديوس (Claudius) المملكة الموريطانية بالممتلكات الرومانية وقسمها إلى مقاطعتين قيصرية وموريطانيا الطنجية، التي امتدت أراضيها من وادي الملوية شرقا⁽⁷⁾ إلى المحيط الأطلسي غربا، أخذت اسمها من عاصمتها

(1) Pline l'Ancien, V, 1, 11 ; Euzennat. M. Les troubles de Maurétanie. In: Comptes rendus des séances de l'Académie des Inscriptions et Belles -Lettres, 128^e année, N. 2, 1984. pp. 374-375.

(2) Decret. F et. Fantar .M.H, Op.cit, p .191.

(3) Laporte, J .p, Particularités de la province de Maurétanie césarienne (Algérie centrale et occidentale), Provinces et identités provinciales dans l'Afrique romaine, 2011, p.111.

(4) Pline l'ancien, V.22.

(5) Laporte, J .p, Op. cit, p.111.

(6) محمد البشير شنيقي، الجزائر في ظل الاحتلال، ص21.

(7) Pline l'ancien, V.2 .19.

طنجة (Tingi)⁽¹⁾، كان يحكمها وكيل الإمبراطور (Procorator)، في عهد ديوقليانوس (284-305م) تم إلحاق موريطنيا الطنجية بإسبانيا في سنة 297م على إثر الإصلاحات التي أحدثها هذا الإمبراطور.

(1) نصيرة ساحير، النشاط الزراعي والصناعي في مقاطعتي موريطنيا الطنجية وبيتيكا والحركة التجارية بينهما خلال العهد الامبراطوري الروماني الأعلى، أطروحة دكتوراه في التاريخ القديم، إ: محمد البشير شنيّتي، جامعة الجزائر 2، 2011/2012، ص23.

نستمد معلوماتنا عن القبائل المحلية ببلاد المغرب القديم (ليبية، نوميدية، مورية...) في العصر الروماني، من مصادر التاريخ الروماني التي اهتمت بالقبائل الليبية التي لعبت دورا هاما في الصراع بين روما وقرطاجة، ثم فيما بعد بين هذه القبائل، والرومان خلال فترة الاحتلال الروماني للمنطقة⁽¹⁾، ومن المصادر نذكر كلاً من سترابون، ديودور الصقلي، ساليستوس، وبلين الأكبر، وبطليموس، ضف إلى ذلك ما جاءت به وثائق الفترة الرومانية المتأخرة منها ما كتبه أميان ماركولان، وأيضاً من الوثائق المهمة كتاب (Cosmographia) لصاحبه يوليوس هونوريوس (Julius Honorius)، ويضاف لهذه النصوص الأدبية نصوصاً أخرى تضمنتها النقوش الإيبغرافية المجسدة باللغة اللاتينية في الغالب التي أمدتنا بكم هائل من المعلومات استقدينا منها في معرفة أسماء، وأماكن انتشار القبائل.

كما نستمد معلوماتنا أيضاً عن القبائل الليبية من أشهر الكتاب الإغريق الكلاسيكيين كهيرودوت وسكيلاكس اللذين اهتمتا وسجلا أخبار ساكنة بلاد المغرب القديم، غير أن ما جاءت به كتاباتهما لا تغطي كامل أجزاء المنطقة، أين نجد غياباً لكثير القبائل، والشعوب التي كانت المنطقة عامرة بهم ربما بسبب غياب وندرة المعلومة، ويبقى ما جاء في هذه المصادر هو حصيلة هزيلة، وعديمة القيمة، حيث أننا لا يمكن أن نعرف عن انتشار القبائل، وتوزيعها قبل العهد الروماني، هذه الأخيرة قدمت نصوصاً، ونقوشاً تجعل من الممكن التعرف على عدد كبير من شعوب المنطقة⁽²⁾. ونورد قائمة بأسماء القبائل الليبية عند هيرودوت وسكيلاكس مع مقارنتها بالقبائل التي ذكرتها المصادر الرومانية (الجدول رقم 3):

(1) عبد العزيز عبد الفتاح، روما وأفريقيا من نهاية الحرب البونية الثانية حتى عصر الامبراطور أغسطس، مكتبة الانجلو المصرية، مصر، 2008، ص 35.

(2) ستيفن غزال، تاريخ إفريقيا الشمالية، ج5، ص 83.

هيرودوت	سكيلاكس	بوليبوس	ساليستوس	ديودو الصقلي	سترابون	بلين	تيت ليف	بطليموس
الأدورماخيداي الجليجماي الأسبوستاي	الأدورماخيداي				الأدورماخيداي الأسبوستاي الليبيون الهيسبيراتاي	الأدورماخيداي		الأدورماخيداي الأسبوستاي
الأوسخيساي النسامونيس	المارماريدي النسامونيس	الليبيون الماكاي	المارماريدي الأوسخيساي النسامونيس الليبيون الماكاي الليبو فينقيين	المارماريدي الأوسخيساي النسامونيس الليبيون الماكاي الليبو فينقيين	المارماريدي النسامونيس الليبيون الماكاي الليبو فينقيين	المارماريدي النسامونيس الليبيون الماكاي الليبو فينقيين	الليبيون	المارماريدي النسامونيس الليبو فينقيين
اللوتوفاجي الغرامنت النوميديين	اللوتوفاجي النوميديين	النوميديين المور	النوميديين المور	النوميديين المور	اللوتوفاجي الجيتول الغرامنت النوميديين المور	اللوتوفاجي الجيتول النوميديين المور الفزاني	النوميديين المور	النوميديين المور

جدول رقم 3: مقارنة بين القبائل الليبية لدى كلا من هيرودوت وسكيلاكس والمصادر الرومانية، كمال عبد العليم، المرجع السابق، ص 79

والملاحظ من هذه القوائم استمرار وجود القبائل الليبية الكبرى في مصادر العصر الروماني حتى القرن الثاني الميلادي كالأدورماخيداي، الأوسخيساي، الأسبوستاي، والنسامون، والماكاي، واللوتافاجي، والجرامنت، ويلاحظ بروز أسماء جديدة مثل الليبيون، الجيتول، وقبائل الفزاني⁽¹⁾، وهي جموع القبائل التي سنحاول في فصلنا هذا رسم خارطة

(1) كمال عبد العليم، المرجع السابق، ص 80.

بشرية لها خلال العصر الروماني، بتوضيح أماكن استقرارها، ومواطنها وتحديد المجال الجغرافي الذي كانت تتحرك فيه باعتماد مختلف المصادر الأدبية والأثرية.

ثانيا: القبائل في مقاطتي أفريقيا البروقنصلية وطرابلس:

1. قبائل البروقنصلية:

يظهر الاختلاف واضحا بين المصادر الأدبية والأثرية في تحديد أماكن استيطان كثير من القبائل، وذلك راجع ربما لتحركاتها، وعدم استقرارها بين مختلف مناطق المغرب القديم. ونبدأ بذكر قبائل المنطقة الشمالية من مقاطعة البروقنصلية.

اللييوفينيقيون (Libyphoenices): أطلقت هذه التسمية من طرف الإغريق (ذكرهم أول مرة هيكاتي) ثم قلدهم الرومان على السكان القاطنين في السهول الساحلية الأفريقية⁽¹⁾، درج المؤلفون القدماء على استعمال هذا المصطلح لتحديد تلك العناصر الناتجة عن الزواج المختلط بين العناصر الوافدة من الشرق مع العناصر المحلية⁽²⁾، فيعرفهم تيت ليف بأنهم مزيج من البونيقيين والأفارقة⁽³⁾، واللييوفينيقيون عند بلين وبطليموس لم يسكنوا سوى مناطق ضيقة جدا⁽⁴⁾، ولا يوجد نص يثبت أن هذا الاسم قد أطلق على قبائل سكان الحدود القرطاجية⁽⁵⁾.

قبيلة البيزاكي (Buzakii): من القبائل التي ذكرها سترابون جنوب قرطاج⁽⁶⁾، وبالتحديد الإقليم الذي يسميه بوليبيوس بيزاكينا (Buzakis)⁽⁷⁾، والذي ستأخذ المقاطعة اسمه فيما بعد (مقاطعة المزاق أو البيزاكينا)⁽⁸⁾. وغير بعيد عنها بالجنوب الغربي نجد قبيلة البكويانا

(1) نجلاء عبد الله الزدام، الأحوال الحضارية، ص32.

(2) وفاء بوغرة، مكانة اللييوفينيقيين واسهاماتهم الحضارية في الامبراطورية القرطاجية، مجلة هيرودوت، ع9، 2019، ص49.

(3) Tite Live. XX. VIII.17.

(4) وفاء بوغرة، مكانة اللييوفينيقيين، ص50.

(5) فتحة فرحاتي، المرجع السابق، ص29.

(6) Strabon. II, 5,33.

(7) Polybius.XII. I. I, II.23.2.

(8) Desanges. J, Cataloug ..., Op.cit, p.84.

(Becchuinna)⁽¹⁾، في حين يقطن البغينسس (Begguenses) خليج قرطاجة. وبالقرب منهم تتواجد قبيلة البيتاني (Beitani) وضعها يوليوس هونوريوس بين البيغينيس والكوربيسنسس، ويعتقد أن مضاربها المتواجدة بجبل زريبة (عين بطرية) جنوب شرق زغوان، وتعتبر من القبائل المستقرة⁽²⁾.

قبيلة الأستكوراس (Astakoures): من القبائل الرحل قطنت جنوب قرطاجة بالقرب من خليج قابس. وبقرنها نجد الأستريكس (Astrices) بمدينة مراث (Mareth) التي تبعد عن جنوب شرق قابس بـ 36 كلم⁽³⁾.

قبيلة المامساري (Mampsari) بمكتر (Mactaris) وتعد من القبائل الجبلية، وبجنوبها الغربي تقيم قبيلة الميدي (Miaidii) التي يضعها بطليموس بين طبرقة، ومنطقة قرطاجة، وشمال الموسوني⁽⁴⁾، والميديني التي كانت تنتقل بين قرطاجة ومنطقة قبيلة الإيونتي بنوميديا من القبائل الجبلية والتي امتدت أراضيها إلى طبرقة⁽⁵⁾. وتقيم بالساحل الشرقي لمدينة تونس قبيلة الماكسواس (Maxues) المزارعة والتي سبق وأن تطرقنا لها في الفصل الثاني، وكل من قبيلتي الزواكس (zauekes) والغوزانتس (Guzantes) الجبلية، واشتهرت هذه القبائل بتربية النحل⁽⁶⁾.

قبيلة الكابستاني (Capsitani) التي يضعها بلين ضمن قبائل أفريقية، وهم سكان قفصة (Capsa)⁽⁷⁾. وهناك مجموعة من القبائل كانت منتشرة قرب قرطاجة منها قبيلتي زيفوناس (Zouphones) والأسفوديلوداييس (Asphodelodeis)، وقبيلة الميكاتاني

(1) مقدم بنت النبي، السياسة الرومانية، ص 33.

(2) Desanges. J, Op.cit, p.83.

(3) Ibid, pp.80.81.

(4) بطليموس، IV، 3، 6.

(5) مقدم بنت النبي، السياسة الرومانية، ص 33؛ Desanges. J, Op.cit, p.114.

(6) Desanges. J, Op.cit, p.142.143.

(7) Plin l'ancien, V.30.

(Mikatani)⁽¹⁾، التي أشار لها ديودور الصقلي أثناء حديثه عن حملة أغاتوكليس في أواخر القرن الرابع قبل الميلاد على قرطاجة⁽²⁾، يضاف إليها قبيلة المزاكس (Mazakes)⁽³⁾.

قبيلة أفري (العفري) (Aferi)⁽⁴⁾، أو الأفر (Afer) لم يدرجها ديزانج في مصنفه ولكن ذكرتها النصوص الإيبغرافية⁽⁵⁾ (ينظر النصين المواليين)، وهي قبيلة قطنت شمال تونس وشمال شرق الجزائر الحاليتين، في الأراضي الممتدة ما بين بلدي سواس (Suas) وأوقولا أو أوشولا (Uccula) بهنشير دورات شمال وادي المجردة⁽⁶⁾، وبذلك فالقبيلة تنتج حول أراضي قرطاجة بين وادي التين والمجردة⁽⁷⁾، وحسب القديس أوغسطين مصطلح أفر كان يعني رجل أفريقية، وقد أطلق هذا المصطلح في الفترة الرومانية عن الشعوب الخارجة على الحضارة الرومانية⁽⁸⁾. كما أطلقت تسمية أفريقية على الأراضي القرطاجية التي احتلها الرومان عام 146 ق.م باستثناء إقليم البيزاكينا⁽⁹⁾.

نص بلدة سواس: يؤكد على وجود سكان الأفري أو العفري كشريحة أساسية في التركيب الاجتماعي للمدينة إلى جانب المواطنين الرومان.

C(aio) Iulio Meandro/

Socero/ L(uci) Popili Primi./ **Afri** et Cives/ Romani/

(1) مقدم بنت النبي، السياسة الرومانية، ص 34.

(2) Diodore de Sicile, XX, 38, 2.

(3) مقدم بنت النبي، المرجع السابق، ص 34.

(4) محمد حسين فنطر، اللوبيون وحدة، ص 44.

(5) CIL.VIII, 25850, CIL. VIII, 14864.

(6) Ben Ramdhane .H, Les Afri et leurs territoires à L'époque romaine, Le peuplement du Maghreb et médiéval, Actes du troisième colloque international du Laboratoire de Recherche : « Occupation du sol, peuplement et modes de vie dans le Maghreb antique et médiéval ». Université de Sousse, 2016, pp.103-104.

(7) Ibid, p.104.

(8) مقدم بنت النبي، السياسة الرومانية، ص 35.

(9) ben Ramdhane.H, Op. cit, p113.

Suenses/ ob meritum/d(onum) d(ederunt)⁽¹⁾ .

نص من بلدة أوشولا:

C(aio) Annioleno C(ai) f(ilio)/

Arn(ensi) Karthagi/n(i)ensi Galliano/ flam(ini)/ divi

Titi/ Civitas Uccula/ decreto **Afror(um)**/ Posuit ⁽²⁾ .

قبيلة الماخوني (Makhuni): يضعها بطليموس على الساحل بين الليبوفينقيين، وأطراف السيرت الصغير⁽³⁾. يعتقد أن هذه القبيلة هي القبيلة التي أشار إليها هيرودوت بأنها من قبائل المزارعين غرب نهر تريتون ويسميه ماكسيس⁽⁴⁾. ونجد أيضا قبيلة الفاماكوريس (Vamacures) التي ذكرها بلين من قبائل إفريقيا⁽⁵⁾.

2. قبائل طرابلس:

شكلت منطقة طرابلس مسرحا تنقلت فيه القبائل بين مختلف الأرجاء وفي كل الاتجاهات، وهو الأمر الذي صعب في ضبط مواطن تلك القبائل وحتى تعسر تحديد نمط معيشتها كمزراعة أو رحل، وذلك راجع لانتقال القبيلة المزارعة من مكان لآخر خاصة بعد تعرضها لهجوم من قبيلة أخرى أقوى وأكثر عدداً⁽⁶⁾، في العهد الروماني استوطنت بطرابلس العديد من القبائل ذكرتها المصادر وبخاصة مصادر العهد الإمبراطوري الأسفل، فقد برزت قبائل جديدة نتيجة لتكتل مجموعات قبلية قوية، أو نتيجة لهجرات بعضها من الصحراء الشرقية⁽⁷⁾ ومن القبائل التي وطنت المنطقة نجد:

(1) CIL.VIII, 25850= ILS, 6776.

(2) CIL. VIII, 14864.

(3) بطليموس، IV، 3، 6.

(4) Desanges. J, Cataloug ..., Op.cit, p.109.

(5) Pline l'ancien, V.30.

(6) مقدم بنت النبي، السياسة الرومانية، ص35.

(7) محمد تكيالين، الاحتلال الروماني للبيبا ودوره في التطور الاقتصادي للمنطقة بين القرنين 1ق.م-4م سيرينايا وتريبوليتانيا، أطروحة دكتوراه تاريخ قديم، إ: بلقاسم رحمان، قسم التاريخ، جامعة الجزائر 2، 2014/2015، ص53.

قبيلة الأورزوغس (Arzuges): من قبائل البدو الرحل وتوطن قرب شط فجيح، جزء من هذه القبيلة اندمج مع الرومان بينما ظل جزء آخر خارج حدود الليمس⁽¹⁾، وهي من القبائل التي ورد ذكرها في مصادر القرن الرابع الميلادي تحت تسمية (Regio Arzuges)⁽²⁾، ومن قبائل أواخر العهد الروماني بالمنطقة أيضا قبيلة الأوستورياني (Austoriani) التي ظهرت في خليج السيرت وهي قبائل بدوية من راكبي الجمال، ذكرها أميان ماركولان ويقول بأنها قبيلة معروفة بهجومها المتكرر على كل من لبدة، وطرابلس وصبراتة وأويا خلال القرن الرابع الميلادي⁽³⁾. يعتقد كريستيان كرتوا أن الأوستورياني أخذوا مكان قبائل النسامون الذين فروا من الرومان إلى المناطق الجنوبية خلف الليمس⁽⁴⁾. ونجد أيضا قبيلة الأوستوس (Austus) التي ذكرت عدة مرات من قبل كوربيس والتي يبدو أنها مندمجة مع قبيلة الأوستورياني، وكلا القبيلتين من مستعملي الجمال⁽⁵⁾. وهذه القبائل ستشهد حركة باتجاه المناطق الغربية خلال القرن الرابع وفي العصور التالية.

قبيلة الأناكوتاس (Anacutas) من القبائل التي ذكرها كوربيوس في ملحمة، حاربت عام 547م⁽⁶⁾، والأور (Aor) التي لانعرف إن كانت قبيلة⁽⁷⁾، وقبيلة الأورسلياني (Ursiliani) التي تمتد أراضيها حتى السيرانيك⁽⁸⁾، وقبائل الإيماكلاس (Imaclas) التي وطنت الجهة الغربية لطرابلس، وقبائل تيليباري (Tillibari) بمنطقة الرمادة⁽⁹⁾.

(1) Desanges. J, Cataloug ..., Op.cit, p.79.

(2) محمد تكيالين، المرجع السابق، ص 54.

(3) Ammien Marcellin. XXVI.4.5, XXVII.9 ; Desanges. J, Op.cit, p.82.

(4) Courtois. C. le vandal... Op.cit, p.103.

(5) Corippus, Joh, II .89.209.345, IV-V.8-6, VII.283.

(6) Ibid, Joh, II .89

(7) Ibid, Joh, II .75.

(8) Desanges. J, Op.cit, p.141.

(9) Modéran. Y, Les Maures ..., Op.cit, p.109.

تسكن جنوب طرابلس قبيلة النتابراس (Nathabres) وهم الجيران الشرقيين للإثيوبيين، وتنتقل هذه القبيلة بين شط الجريد وأراضي الغرامنت (Garamantes)، والتي يذكرها بلين⁽¹⁾ من بين الشعوب التي مر بها كورنيليوس بالبوس (C.Balbous) سنة 19م⁽²⁾.

يضاف لذلك قبائل جبلية انتشرت بإقليم طرابلس منها قبيلة الإيفوراس (Ifouraces) التي ذكرها كوربيوس عدة مرات⁽³⁾، يعتقد غزال بوجود هجرات تدرجت على عدة قرون حتى بعد الفتح الإسلامي منها ذكر تشابه أسماء لقبيلة الإيفوراس التي كانت تعيش بطرابلس خلال القرن السادس الميلادي في منطقة أدرار (الصحراء الكبرى) وهي عشيرة إيفراس (Iforass)⁽⁴⁾، ولقوانتان (Laguantans) التي ذكرها كوربيوس تحت أسماء مختلفة (Ilaguas) و (Laguantan)⁽⁵⁾، وتتفرع هذه القبيلة إلى فرعين يعيش أحدهما بإقليم طرابلس، والثاني بخربة الكبيرة (Guruzis)⁽⁶⁾. ونجد جنوب الجريد قبائل بدوية وهي الموكتونياتا (Muctuniana) وبقرها قبيلة الموكتوزي (Moukhtousii)⁽⁷⁾.

قبيلة السلي (Seli) التي وضعتها طاولة بوتنغر شرق وادي بي (Be) تمتد أراضيها حتى معابد الأخوين فيلانوس⁽⁸⁾، ويعتقد أن لهذه القبيلة فروعاً تمثلت في السلكانيت (Silacadenit)، والسلفاكي (Silvacae) والسلفايزن (Silvaizan)، ويضاف لهم حتى قبيلة الإليوناس (Elaeones) الساكنة بنوميديا بهنشير المرقب (Macomades)⁽⁹⁾، ويحتمل أن

(1) Pline l'ancien, V. 30. 37; Desanges. J, Op.cit, pp.122-123.

(2) اختلفت المصادر في تحديد تاريخ هذه الحملة ويتفق معظمها على عام 19م، لكن هناك من يجعلها عام 20م، والراجح أن تاريخ الحملة يرجع لعام 19م لأن بالبوس احتقل بانتصاره في 28 مارس سنة 19م. للمزيد عن هذه الحملة ينظر: نجلاء عبد الله الزدام، الأحوال الحضارية، ص ص 56-57.

(3) Corippus. Joh, II.113.III. 113.IV.6. VIII.490.648.

(4) ستيفن غزال، تاريخ إفريقيا الشمالية، ج5، ص9.

(5) Corippus, Joh, I.467.478, II.96.106, III.294.

(6) Desanges. J, Op.cit, p.102.

(7) مقدم بنت النبي، السياسة الرومانية، ص36.

(8) Bates, O. Op.cit, p.66.

(9) مقدم بنت النبي، المرجع السابق، ص36.

تكون قبائل السلي هي نفسها قبائل البسيلي (Psylli)، استوطنوا بمنطقة ماكوماديس سيلوروم (Macomades Selorum)⁽¹⁾.

قبيلة النيبجيني (Nybgennii): ذكرها بطليموس تحت اسم نيغيتمي في سياق حديثه عن بعض القبائل الساكنة شرقي نهر الكنييس⁽²⁾. ويعتقد أن مجال القبيلة يمتد بين قبيلتي التيدامنسي ببلاد فزان والنكبي سكان منطقة واحة نفطة، وبهذا التحديد يمكن القول أن بلاد نفزاوة مثلت المجال الرئيسي لتوطين هذه القبيلة في القرن الثاني للميلاد⁽³⁾. ومن ناحية أخرى تبين سلسلة من العلامات الميلية التي يعود تاريخها للقرن الثاني الميلادي أن مجال قبيلة النبنجي يمتد إلى حدود بلاد الشارب على الضفة الشمالية لشط الفجيج⁽⁴⁾؛ أي بالقرب من قابس ومنطقة السيرت الكبرى، وهي المنطقة التي كانت تجوبها قبائل الغرامنت (Garamantes) والنسامون (Nasamons)⁽⁵⁾.

3. قبائل السيرت:

الملاحظ أن معظم قبائل هذه المنطقة قد ذكرها هيرودوت في كتابه الرابع وتناولناها بالتفصيل في الفصل الثاني، تقطن جنوب السيرت قبيلة الكينيثيين (Cinithi) التي ذكرها بلين بين شعوب أفريقيا⁽⁶⁾، تنتشر أراضيها على طول الساحل الليبي الذي يمتد من قابس (Tacas) إلى لبدة (Leptis Magna) حسب طاولة بوتنغر⁽⁷⁾. وصفهم تاكيتوس بأنهم شعب ذو أهمية، كان لهم دور في التحالف الذي شكله تاكفاريناس⁽⁸⁾، يضعهم

(1) محمد تكيالين، المرجع السابق، ص 54.

(2) بطليموس، IV، 3، 6.

(3) محمد اللافي، قبيلة النيبجيني وروما في بلاد نفزاوة (الجنوب الغربي التونسي)، مجلة مدارات تاريخية، مج 1، ع 4، ديسمبر، 2019، ص 363.

(4) المرجع نفسه، ص 364.

(5) مباركة قوراري، السلم الرماني في المقاطعات الإفريقية في عهد الأباطرة الأوائل للأسرة الأنتونية، مذكرة ماجستير، إ: محمد الحبيب بشاري، قسم التاريخ جامعة الجزائر 2، 2012/2011، ص 77.

(6) Pline l'ancien, V.30.

(7) La Table de Peutinger, section. CXIV.3.

(8) Tacite, Annales, trad. Bornecque, Paris, 1956, Ann.II.2.

سترابون⁽¹⁾ جنوب البيزاكي (Buzakii) بين النسامون (Nasamons) والجيتول (Getues)⁽²⁾، في حين بطليموس يضعهم جنوب السيرت الصغير⁽³⁾، وعليه يمكن تحديد مواطن انتشار هذه القبيلة جنوب الخندق الملكي (Fossa regia) مع احتمال أن يكونوا هم أنفسهم جيتول الساحل الغربيين من مقاطعة أفريقيا القديمة.

وتقيم بالسيرت قبيلة الموخوني (Makhuni) التي وضعها بطليموس بين الليبوفينقيين والسيرت الصغرى⁽⁴⁾، والماكسياس (Maxyes) المزارعين⁽⁵⁾، وتقيم بالسيرت الصغرى قبيلة الموكثويس (Moukhthousii)⁽⁶⁾ التي ذكرها بطليموس تحت قبيلة الأخيامينياس (Akhaemeneis) و قبيلة الموتورغوراس (Moutourgoures)⁽⁷⁾ وهي قبائل عاشت بصحراء طرابلس⁽⁸⁾.

نجد قبيلة النجيتيم (Nigitim) المستقرة التي ذكرها بطليموس الى الشرق أي جنوب الكينثيين وهم بهذا التحديد سكنوا بالشمال الغربي لسيرت⁽⁹⁾، وفي الجهة الشرقية تتوطن قبيلة المودوكيوف (Moduciuvii) التي تجاور قبيلة الزاموكي (Zamucii)⁽¹⁰⁾.

وبالإضافة لهذه القبائل نجد بإقليم السيرت قبائل أخرى تطرق لها هيرودوت وتناولناها في الفصل الثاني وهي تقطن على الضفة الشرقية للسيرت الكبرى سكن النسامون (Nasamons)، بينما أكلة اللوتس أو اللوتافاجي (Lotophage)⁽¹¹⁾، وقبيلة الأسبت

(1) Strabon. II, 5,33.

(2) Desanges, J. Cinithi. Ency berb, Peeters Publishers. 1994.p.1958.

(3) بطليموس، IV، 3، 6.

(4) نفسه.

(5) ينظر الفصل الثاني

(6) بطليموس، IV، 3، 6.

(7) بطليموس، IV، 3، 6.

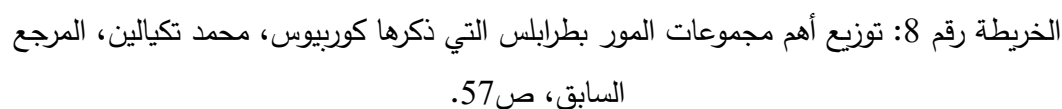
(8) Desanges. J, Cataloug ..., Op.cit, pp.116.75.

(9) Ibid, p.125.

(10) مقدم بنت النبي، السياسة الرومانية، ص38؛ 117.125، Desanges. J, Op.cit, p.

(11) Desanges. J, Op.cit, pp.103-105.

بالنسبة لإقليم فزان نجد عديد القبائل التي وطنت هذا الاقليم، وقد ورد ذكر معظمها لدى هيرودوت، الغرامنت (Garamantes) أكبر وأقوى القبائل القاطنة بهذه المنطقة، وقبيلة الأمانتس (Amantes) التي يعتقد أنها فرع من الغرامنت، الفزانين (Phozanii)، التروغلوديتاس (Troglodytes) الذين يعتقد أنهم إثيوبيون، كما تعيش بهذا الإقليم قبائل أخرى من البدو الأوروبي (Eropaiei) التي تحركت بين غدامس والسيرت الصغرى⁽⁶⁾.



178

ثالثا: انتشار القبائل في مقاطعة نوميديا:

يقطن بالأراضي النوميديّة التي تمتد من الحدود الغربية للبروقنصلية شرقا إلى الحدود الشرقية لموريطنيا القيصرية غربا مجموعات قبلية كثيرة ذكرتها المصادر والنقوش الأثرية تحت مسمى القبائل النوميديّة وهم ينقسمون إلى قبائل نوميديا الشرقية ونوميديا الغربية، وقبل استعراضها سنخصص قبائل الموزولامي بالدراسة كنموذج.

1. القبائل الموزولامية (Musulames) :

1.1. الموزولامي من خلال المصادر الأدبية والأثرية:

من أشهر القبائل في المغرب القديم وأشدّها مقاومة للاحتلال الأجنبي ورد ذكرها بكثرة في النصوص والوثائق الأثرية القديمة⁽¹⁾، أول مصدر كلاسيكي ذكر قبيلة الموزولامي هو المؤرخ والجغرافي الروماني بلين الأكبر في الكتاب الخامس ووضعهم في مقاطعة أفريقيا⁽²⁾، جاء اسمها في أشكال ميزولاني (Misulani)⁽³⁾، موزولامي (Musulami)⁽⁴⁾، وميسولاني (Misoulani) عند بطليموس⁽⁵⁾، أما فلورس⁽⁶⁾ (Florus) فجاءت عنده ميزولام (Musoulami)⁽⁷⁾، وهي حسب كامبس كنفدرالية قبائل⁽⁸⁾ لا نعرف منها سوى ثلاث أو أربع قبائل، وهي قبيلة الغوبول (Gubul) التي تشير لها نقيشة تبسة ونقيشة جبل قورين (Gourine)⁽⁹⁾، إختفى اسم القبيلة ولكن تظهر النقوش أن إقليم القبيلة يحد مداورش⁽¹⁰⁾، وقد ربط غزال بين اسم جبل قوبول واسم القبيلة ويعتقد أن أحدهما أخذ اسمه

(1) Gsell.St, Atlas archeologique de l'Algérie, F. 18, N° 519.

(2) Pline l'ancien, V. 30

(3) Ibid, V. 30.

(4) Tacite, II, 52 ; III, 20, 32, 73 ; IV, 23.

(5) بطليموس، IV، 3، 6.

(6) Florus.II.31.

(7) محمد البشير شنيّتي، نوميديا وروما، ص210.

(8) قبريال كامبس، في أصول البربر ماسينييا، ص308.

(9) CIL.VIII.16721 ; IL Alg.I.3144.

(10) Camps.G, Gubul, Ency berb, 21 | 1999, pp.3222-3223.

عن الآخر، الذي استمر إلى وقتنا الحالي⁽¹⁾، وقبيلة البيغنيس (Beggueses)، وقبيلة (Magarenses)⁽²⁾ وربما أيضا قبيلة مو (Mue) أو قبيلة موي (Mui)⁽³⁾، التي يذكرها نقش جنائزي⁽⁴⁾.

اقترن اسمها بالمقاومة الأولى للاحتلال الروماني وتوسعاته نحو الداخل النوميدي، فقاومته سنتي 5 و6 ميلادي زمن أغسطس، ثم تواصلت انتفاضتها ضد الاحتلال الروماني بمنطقة الأوراس، ولعل أشهرها تلك التي قادها تاكفاريناس في عهد تيبيريوس (Tiberius) (14-37م)، وظلت طيلة فترة الاحتلال الروماني تقاومه⁽⁵⁾، كان تشكلها سابقا لعهد الإمبراطور تيبيريوس فقد كانت موجودة في عهد الملوك النوميدي مع أن اسمها لم يرد لدى سالستوس الذي تحدث فقط عن النوميدي، والجيتول، والمور، ولكن أحداثا كثيرة من ثورة يوغرطة (112-105 ق.م) جرت في إقليم قبيلة الموزولامي⁽⁶⁾.

1.1. موطنهم:

أشار بلين إلى الموزولامي كأحد شعوب أفريقيا، وحددها بطليموس إلى الجنوب من كيرتا ونوميديا الهيونية (Numidie d'hippone)⁽⁷⁾، تضعها طاوله بوتنغر في منطقة مختلفة تماما بالشمال الشرقي، بين الطريق المتجه من تيديس (Sigus) إلى ستيفيس (Sitifis)، وبين الطريق المتجه من ميلاف (Milev) إلى كويكول (Cuicul)، ويظهر أن الرومان ربما وطنوا ونقلوا جزء من القبيلة إلى هذه المناطق في القرن الثالث الميلادي⁽⁸⁾، ويحتمل أنها هاجرت نتيجة الضغط الروماني عليها وتحديد حركاتها بموطنها

(1) Ibid, pp.3222-3223.

(2) M'Charek, Musulames, Ency berb, 32 | 2010, pp.5144-5155.

(3) Desanges.J, Mue / Mui, Ency berb, 32 | 2010, p.5100.

(4) IL Alg.I.2853.

(5) Gsell.St, AAA.F.18 n°519 .

(6) قابريال كامبس، ماسينيما أو بداية، ص308.

(7) Desanges. J, Cataloug ..., Op.cit, p.118.

(8) Gsell.St, AAA.F.18 n°519 .

الأصلي بالهضاب العليا الممتدة بجوار تبسة وقالمة وخميسة شمالاً إلى غاية تالة غرباً⁽¹⁾، بينما تاكيتوس فلم يحدد موقعها بدقة حيث يقول بشكل غامض "... gens solitudinibus Africae propinqua nullo etiam tum urbium Cultu Mauros (accolas in bellum traxit)"⁽²⁾، فمن خلال إشارات النصوص الأدبية القبيلة كانت قبيلة الموزولامي تحاصر سيرتا من الناحية الجنوبية ضاربة في العمق النوميدي إلى جنوبي الأوراس، أراضيها امتدت من جنوب الأوراس إلى وادي المثل (ملاق) (Muthul)⁽³⁾ شرقاً⁽⁴⁾، في حين تبقى حدودهم غير معروفة جنوب شرق تبسة باتجاه بوشبكة وfriانة⁽⁵⁾، كانت مداورس إحدى عواصمها، والتي مثلت نقطة التقاء بين الجيتول والنوميدي أي بين الرحل والمستقرين⁽⁶⁾.

وهناك من المؤرخين من يضع قبيلة الموزولامي ضمن الجيتول معتمدين في ذلك على نص لأبوليوس قال فيه: "أهلي الجيتوليين أهلي النوميديين"⁽⁷⁾، في حين تاكيتوس الذي تحدث مطولا عن ثورة تاكفاريناس فقد اعتبرهم نوميدياً وكانوا يتشبهون بالجيتول في نمط معيشتهم، ومقاومتهم للرومان⁽⁸⁾، وهو ماذهب إليه المؤرخون المحدثون أمثال غبريال كامبس الذي قال بأن المعطيات الأثرية لاتسمح بإظهار فرق في موضوع نمط المعيشة والعادات بين البلاد الواقعة بين مجردة وخليج عنابة من جهة، والبلاد الواقعة بين مجردة وجبل تبسة من جهة أخرى، ولو كان الموزولامي من الجيتول ينبغي القول بأن بعضهم لم يكن أبداً من

(1) حفيظة لعياضي، المنظومة القبلية في الأوراس من الكيان النوميدي إلى مقاومة الاحتلال الروماني، مجلة عصور جديدة، مج6، ع24، 2016، ص18.

(2) Tacite, II,52.

(3) **وادي المثل**: وادي ملاق (Mellegus) حالياً بتونس، وهو أحد روافد وادي مجردة.

(4) Pline l'ancien, V. 30 ; Tacite, II.52.

(5) مقدم بنت النبي، السياسة الرومانية، ص45.

(6) Laporte.J. P et M'Charek. A, Musulames, Peeters Publishers, 2010, pp.4-5.

(7) Apuleius, Apologia, XXV.3.

(8) Tacite, II.52; III,10.32.73; IV.23.

الرحل، ولايكاد يختلف عن النوميدي المستقرين⁽¹⁾، وعليه فالموزولامي تركزوا في منطقة الأوراس من سوق أهراس إلى ما وراء النمامشة جنوبا ولكنهم فقدوا جزءا مهما من أراضيهم بعد ثورة تاكفاريناس. ولم يبق لها الاحتلال الروماني إلا على قسم من أراضيها، تمكن الأثريون من الكشف عن معالمه المساحية مابين ماسكولة(خنشلة) وتيفست⁽²⁾.

3.1. تحرك قبائل الموزولامي:

في محاولتنا لرسم مسارات تحرك قبائل الموزولامي ومواطن استقرارها، نجد في إشارات المصادر الأدبية أن الموطن الأول لهذه القبائل كان خلال القرن الأول ميلادي يحاصر سيرتا من الناحية الجنوبية، ضاربة في العمق النوميدي إلى جنوبي الأوراس، وإقليمها يصل شرقا إلى وادي المثل⁽³⁾، ويستنتج من الإقليم الذي شغلته منذ القديم أن الموزولامي كانوا أشباه رحل في نمط معيشتهم، تمحورت تنقلاتهم على طول مجرى وادي المثل، فكانت هذه القبائل تقضي الشتاء جنوب تبسة ناحية نقرين(Négrine)، وتصد صيفا إلى المثل⁽⁴⁾.

وقد تعرضت أراضي القبيلة لعمليات المسح، وتحديد حدودها مباشرة بعد القضاء على ثورة تاكفاريناس⁽⁵⁾، الذي ثار بداية القرن الأول الميلادي بعد أن حرمت قبيلته من أراضي انتاجها، وخلال الفترة الفلافية (69-96م) وجدت قبيلة الموزولامي نفسها محرومة من أراضيها وطردت نحو الصحراء⁽⁶⁾، أي أن اتجاه جزء من قبائل الموزولامي في هذه الفترة كان من الشمال إلى الجنوب، ونعني بذلك من عمق الأراضي النوميديّة إلى المناطق الصحراوية.

(1) قبريال كامبس، ماسينيسا أو بداية، ص ص 309-310.

(2) محمد العربي عقون، الإقتصاد والمجتمع، ص 179.

(3) محمد البشير شنيّتي، نوميديا وروما، ص 210.

(4) Desanges. J, Cataloug ..., Op.cit, p.119.

(5) Bénabou. M, Op.cit, p.83.

(6) شارل جيلبار بيكار، حضارة شمال إفريقيا تريبولينا البروقنصلية نوميديا وموريتانيا خلال الفترة الرومانية، دار المتقف

للنشر والتوزيع، 2020، ص 68; 54. Elmayer.A. F, Op.cit. p.54 ; 68

وفي القرن الثالث وجدت آثار لقبيلة الموزولامي في المنطقة المنحصرة بين كويكول وسيغ وستفيس⁽¹⁾، وهو دليل على حركة القبيلة باتجاه الغرب، وإن اختلفت أسباب هذا التواجد سواء أنها نقلت من طرف الرومان ووطنت هناك، أو أن حركتها كانت طوعية فهي هاجرت نتيجة للضغط الروماني الممارس عليها، ضف إلى ذلك تحديد حركتها عن طريق سياسة الكنطنة المطبقة عليها⁽²⁾.

2. قبائل نوميديا الشرقية:

أحصى بلين عدد الأمم التي تقطن نوميديا الشرقية من وادي الأمبسغا (الوادي الكبير) إلى السيرت الكبير، والتي تشمل على ستة وعشرين اسما مختلطاً بين مدن وقبائل⁽³⁾ ونبدأ بذكر القبائل الأكثر شهرة في المصادر الكتابية والإيبوغرافية وهي:

- **قبيلة ماسيليا (Massyli)** (راجع الفصل الثاني) فذكرت لأول مرة خلال الحرب البونية الأولى تختلف المصادر حول تمركزها⁽⁴⁾، يجعلها بلين بين لامباسقا وبرقة⁽⁵⁾، يعتقد أنها لم تكن بعيدة عن الأطلس، فانتشرت أراضيها بجبل الفرطاس جنوب سيقو (Sigus) وجنوب غرب عين البرج، يعتقد أنهم قطنت قسنطينة وشمال مدينة تونس وبعد تراجع قوة القبيلة انسحبت جنوباً للحضنة لذلك ربط بعضهم بين اسم مدينة المسيلة وبين القبيلة⁽⁶⁾.

- **قبيلة نوميديا (Numidae)** وتعتبر من أكثر القبائل شهرة بالمنطقة ذكرت هنا وهناك في النقوش بإقليم أفريقيا الرومانية⁽⁷⁾، كانت تعيش بخميسة⁽⁸⁾ (Thubursicu

(1) Gsell.St, AAA.F.18 n°519.

(2) Desanges. J, Cataloug ..., Op.cit, p.118.

(3) Plin l'ancien, V.IV.5.

(4) Strabon.II .5.33 ; Polybius.XVI.7.24.

(5) Plin l'ancien, V.30.

(6) مقدم بنت النبي وجميلة خالفي، المرجع السابق، ص106؛ ستيفن غزال، تاريخ إفريقيا الشمالية، ج5، ص90.

(7) Desanges.J, Numides/Numidae (Note complémentaire), Ency berb, 34 | 2012, p.5668.

(8) تقع هذه المنطقة على بعد 32 كلم جنوب غرب سوق أهراس محيط المدينة كان منطقة انتقال بين القبائل الرعوية من

قبائل الموزولامي النوميديّة، يذكر تاكيتوس أن المنطقة أصبحت قلعة في فترة تاكفاريناس: للمزيد ينظر: Gsell.St, AAA, f. 18, n° 297; R Cagnat, (1904), Inscriptions inedites de Khemissa (Tubursicu-Numidarum) ; in compte rendu des seances de l'academie ,V48 n°5,1904,PP.478-484.

(Numidarum)، وبعين زوارين (Cellae) وهنشير قرقور (Masculula)⁽¹⁾ (2)، وبذلك نجد ذكرًا لها بأعالي المجردة (Gens Numidarum)⁽³⁾ في عهد الإمبراطورية الرومانية⁽⁴⁾، وقد أطلق مصطلح نوميداي (Numidae) على كامل سكان المغرب القديم باستثناء إقليم قرطاجة الذي أصبح مقاطعة رومانية والمنطقة الشمالية من سيرتا⁽⁵⁾، واستعمل بوليبيوس هذا المصطلح للدلالة على كيان سياسي محدد هو الواقع بين قرطاجة وموريطانيا⁽⁶⁾، ويذكر ديزانج فرعا لهذه القبيلة في إقليم موريطانيا القيصرية في عهد هادريان، ويمكن تفسير وجود النوميدي بهذه المنطقة بطريقتين مختلفتين أولاها اعتبار المور فئة من النوميديين، وهذا بالاعتماد على ما جاء به بوليبيوس⁽⁷⁾، فهم عناصر قبلية بدوية قدمت من نوميديا التقليدية، والثاني بسبب القمع الذي كانت تمارسه السلطة الرومانية تجاه القبائل الغربية والجنوبية الغربية وهو ما أدى بها للتحرك نحو المناطق الشرقية (أعالي المجردى) والتي ذكرتها النقوش كما سبق لنا ذكره⁽⁸⁾. وما نلاحظه أن هذه القبائل لم تبق ذات أهمية خلال القرنين الثاني والثالث الميلاديين حيث أصبحت تحت سلطة ضابط روماني، كما أن هذه القبيلة قد وقع تشتتها وتوزيع إقليمها⁽⁹⁾.

- **النتابوتاس (Nattabutes)** ⁽¹⁰⁾: تعرفنا النصوص الأدبية والنقوش الأثرية بوجود هذه القبائل خلال القرن الأول والثاني الميلاديين⁽¹⁾، ذكرت لأول مرة عند بلين الأكبر كأكبر

(1) Desanges. J, Cataloug ..., Op.cit, p.128.

(2) وهذه المواقع الثلاث التي ذكرت موجودة بإقليم البروقنصلية، فقد ذكرت قبيلة نوميديا خارج مقاطعة Numidia التي تم إنشاؤها في عهد Septimius Severus في ثلاثة نقوش مختلفة (عثر عليها في جهات سوق أهراس، بوشقوف وقلعة بوصبع). للمزيد ينظر: J. Desanges, Numides/Numidae (Note complémentaire, pp.5668-5669.

(3) Gsell.St, AAA, f,16, n° 34

(4) غابريال كامبس، ماسينيسا أو بداية التاريخ، ص308.

(5) مقدم بنت النبي، سياسة الرومان، ص44.

(6) Polybius, I. 17,1; III.32.15.XXXVI.4.16.

(7) Ibid, III,33.15.

(8) Desanges.j, Numides/Numidae (Note complémentaire)... , Op. cit.pp.5668-5669.

(9) غابريال كامبس، ماسينيسا أو بداية التاريخ، ص308.

(10) Desanges. J, Cataloug..., Op.cit, p.123-124.

الشعوب في أفريقيا باسم ناتابود (Nattabudes)⁽²⁾، تقع حسب بطليموس جنوبي الموزولامي، وجبل أودوس (Audus)⁽³⁾، امتد مجالها في عهد ماركوس أوريليوس على ضفتي وادي الشارف الذي سمي أيضا بوادي ناتابور نسبة لقبيلة النتابوتاس⁽⁴⁾، مابين ثيبليس شمالا، وغاديوفالة جنوبا، وتوبرسيكو النوميديّة، وهي بذلك تجاور قبيلة الموسولام⁽⁵⁾، وبهذا التحديد توزعت أراضي القبيلة بين الإقليم السيرتي ونوميديا الهيونية⁽⁶⁾ (استقرت بالشرق الجزائري في الحدود مع تونس)، لهذه القبيلة بلدتان هما بوعطفان وأم قرقرش⁽⁷⁾ (8)، وهو ما يؤكد النقشان اللذان عثر عليهما بـ (Tigis) (عين البرج حاليا)⁽⁹⁾، واللذان دلا على تمدن هذه القبيلة التي كان فيها نظام بلدي أهلي معترف به من قبل روما يرأسه حاكم أهلي باسم مقدم قبيلة النتابوت (Princeps gentis Nattabutum)⁽¹⁰⁾.

- قبائل السبوربوراس (Suburbures): ذكرها بلين باسم سبربر (Sabarbares)⁽¹¹⁾، كما يذكرها بطليموس أيضا على شكل (Sabourboures) امتدت أراضيها للجنوب الغربي من سيرتا المجاورة لمستعمرة ميلاف (ميلة) وسهول سطيف⁽¹²⁾،

(1) قابريال كامبس، في أصول بلاد البربر ماسينيسا، ص 311.

(2) Pline l'ancien, V.30.

(3) بطليموس، IV، 3، 6.

(4) Tissot. ch, Exploration Scientifique de La Tunisie Géographie comparée de la province d'Afrique romaine, Paris, Imprimerie nationale, 1888, P.719-720.

(5) محمد العربي عقون، من التاريخ البلدي للجزائر القديمة خلال العهد الإمبراطوري الأول - الكونفدرالية السيرتية - دراسة في تاريخ وآثار ونظم سيرتا العتيقة، منشورات نوميديا، 2019، ص 352.

(6) سميت في أحيان كثيرة بنوميديا البروقنصلية والتي تمثل القسم الشمالي الشرقي من نوميديا الذي كان جزءا من إفريقيا الجديدة عاصمتها مدينة هييون (عنابة حاليا)، للمزيد ينظر: محمد العربي عقون، الكونفدرالية السيرتية، المرجع السابق، ص 352.

(7) محمد العربي عقون، الكونفدرالية السيرتية، ص 352.

(8) Gsell.St, AAA, f. 18, no 135.

(9) CIL, VIII, 4826; CIL, VIII, 4836 = ILAlg, I, 561.

(10) محمد العربي عقون، الكونفدرالية السيرتية، ص 352; Desanges. J, Op.cit, p.123.124

(11) Pline l'ancien, V.30.

(12) Desanges. J, Op.cit, p.135.

وهي بهذا التحديد تحتل إقليم قبيلتي عبد النور وتلازمة الحاليتين⁽¹⁾، تم ترسيم حدود القبيلة الإقليمية، وتحديد مجال تحركها في عهد الإمبراطور تراجان، وهو يتضح من نصبين تم العثور عليهما إلى الشمال من شط البيضاء، واللذين يشيران بوضوح إلى حدود إقليم قبيلة السبوربوراس⁽²⁾. ومن هذا التحديد نجد أن إقليم هذه القبيلة امتد شمالا إلى حدود باغوس أوجل (Uzelis) وتامدة (Zugal)⁽³⁾.

- **قبيلة النسيج (Ncives)** ⁽⁴⁾: يذكرها بلين من بين شعوب أفريقيا⁽⁵⁾، وحدد بطليموس موقع هذه القبيلة بالقرب من النتابود وتحت قبيلة الموزولامي⁽⁶⁾، كانت هذه القبيلة في بداية العهد الإمبراطوري الأول متمركزة في جوار تيجيس (عين البرج) وما يليها جنوبا إلى ناحية نقاوس الحالية⁽⁷⁾، وأخذت القبيلة من مدينة (Ncivibus) نيسيفيس (نقاوس N'Gaous حاليا) مدينتها الأساسية، والراجح أن اسمها (نقصد المدينة) اشتق من اسم القبيلة⁽⁸⁾، تتوضع هذه القبيلة بالمنطقة الواقعة في الجنوب الشرقي من سيرتا، تشير النصوص الأثرية أن ليغاتوس لامبارز أشرف على ترسيم حدود ممتلكاتها في جهة تيديس⁽⁹⁾. وحسب لانسيل (Lancel.S) فيبدو أن إقليم هذه القبيلة امتد حتى عين عبيد في القرن الأول⁽¹⁰⁾، ولم تلبث أن امتدت أراضيها في القرن الرابع الميلادي حتى عين قويقبة (Aïn

(1) محمد العربي عقون، الكونفدرالية السيرتية، ص 349.

(2) Desanges. J, Op.cit, p. 136; 350 ص محمد العربي عقون، المرجع السابق، ص 350.

(3) محمد العربي عقون، نفسه، ص 350.

(4) Desanges. J, Op.cit, p.124.

(5) Plin l'ancien, V.30.

(6) بطليموس، IV، 3، 6.

(7) Desanges. J, Op.cit, p. 124; 351 ص محمد العربي عقون، المرجع السابق، ص 351.

(8) Laporte. J.P, N'Gaous (wilaya de Batna), antique NICIVIBUS (Numidie) : Histoire antique, médiévale et moderne, Ency berb, 34 | 2012, document N53, mis en ligne le 15 décembre 2020, consulté le 23 septembre 2021, p.5538.

(9) محمد العربي عقون، المملكة النوميديّة والحضارة، ص 40.

(10) Desanges. J, Op.cit, p.124-125.

(Guigba) على بعد 30 كلم شمال غرب نفاوس⁽¹⁾. كما نزحت فيما بعد إلى جهة الحضنة لتستقر هناك، وتتخلى عن حياة البداوة، بسبب السياسة الرومانية المطبقة ضدها، وبذلك نلاحظ تحركًا لهذه القبيلة من الأراضي النوميديّة إلى أراضي موريطانيا⁽²⁾.

يمكن اعتبار قبائل النتابوتاس والسبوربوراس والنسيف، والتي كان مجال تحركها يشمل جنوب الإقليم السيرتي وكذا جنوب شرقه، نموذجًا لقبائل السهوب التي كانت تعيش حياة الرعي والانتجاع بقطعانها قبل أن يحد الرومان من تحركاتها ويجبرها على الاستقرار، ويحتمل أن تكون هذه القبائل تنتمي إلى كونفدرالية قبلية كبرى وهي الجيتول التي ثبت وجودها بالقرب من سيرتا منتصف القرن الأول قبل الميلاد⁽³⁾.

- **قبيلة الكابستاني (Capstani):** ذكرهم بلين من شعوب أفريقيا، وهم سكان منطقة كبسة (قفصة) (Capsa) بالجنوب التونسي⁽⁴⁾. بعد حرب يوغرطة تحول سكان هذه المنطقة إلى رحل. قبيلة الكرّزي (Kirtesii): وهي قبيلة مستقرة سكنت بسيرتا (Cirta) التي أخذت ربما اسمها منها، خصص لهم بطليموس المناطق الغربية من أفريقيا إلى حدود الموزولامي⁽⁵⁾، وكانت كل من سيرتا وميلاف وعين زانة مدنا لهم⁽⁶⁾. ومن القبائل التي ذكرت المصادر أنها كانت متمركزة غير بعيد عن سيرتا قبيلة السابو (Saboides)، غير أنه لم يتم تحديد المجال الذي كانت تستقر فيه بدقة⁽⁷⁾.

(1) Gsell.St, AAA, f. 26, no 78.

(2) Desanges. J, Op.cit, p.124-125.

(3) غنية بوقرة، مدينة تيديس والمحيط السيرتي خلال الفترة الرومانية (دراسة إجتماعية وإقتصادية)، أطروحة دكتوراه في التاريخ القديم، إ: عبد العزيز بن لحرش، جامعة قسنطينة 2، قسم التاريخ، 2021/2020، ص189.

(4) Desanges. J, Op.cit, p.85.

(5) بطليموس، IV، 3، 6.

(6) Desanges. J, Op.cit, p.101، ص45، مقدم بنت النبي، السياسة الرومانية،

(7) محمد العربي عقون، الكونفدرالية السيرتية، ص353.

- قبيلة النباطريي(Nabathrae): وضعها بطليموس في الجزء الغربي من أفريقيا بالقرب من قبيلة الكرتيزي(Kirtésii) ناحية الشرق⁽¹⁾، وهذا يدل على أن هذه القبيلة عاشت على حدود إقليم سيرا⁽²⁾. وغير بعيد عنها تعيش قبيلة الإينتي(Iontii) بعنابة (Hippo Regius) تقريبا فأراضيها تمتد بمقاطعة نوميديا إلى غاية طبرقة⁽³⁾، كما تواجدت قبيلة الهاليردي (Haliardis) جنوب السبوربوراس التي ذكرها بطليموس بالقرب من سهل ستيفيس⁽⁴⁾.

- قبيلة الموزوني(Musuni): تتواجد جنوب شرق تبسة⁽⁵⁾، والتي قسمت إلى ثلاثة فروع الموزوني ريجياني (الموزوني الملكية)(Musuni regiani) بين قصرين (Cillium) وفريانة(Thelepte)⁽⁶⁾ يوحى اسمها على أنها كانت موجودة أيام المملكة النوميديّة⁽⁷⁾، والموزوني(Musuni) القاطنين بين سطيف(Sitifis) وجبال الحزنة⁽⁸⁾ حسب لوحة بوتنغر⁽⁹⁾.

كما يمكن الإشارة لقبائل أخرى كانت جزءا من قبائل نوميديا منها قبيلة المارشوبي (Marchoubiens) تحدث بلين عن قبيلة كانت تقطن بسيرا وشبه جزيرة كولو(Collo) في عهد الإمبراطور أغسطس⁽¹⁰⁾، والتي تعتبر بدورها من قبائل موريطانيا القيصرية أيضا. بالإضافة إلى قبائل ذكرتها المصادر سواء الكتابية أو النصوص الإيبغرافية في مجال إقليم

(1) Desanges. J, Op.cit, p.121.

(2) غنية بوقرة، المرجع السابق، ص 188.

(3) Desanges. J, Op.cit. p.100.

(4) Ibid.pp.98-99.

(5) Ibid.p.121.

(6) عثر على نصين أثريين يشيران إلى هذه القبيلة (gens) شمال شرق فريانة، ولكن الملاحظ هو غياب المواد الأثرية التي يمكن الإعتماد عليها في تحديد إقليم هذه القبيلة. للمزيد ينظر: قابريال كامبس، في أصول بلاد البربر...، ص310.

(7) قابريال كامبس، المرجع نفسه، ص310.

(8) بنت النبي مقدم، جميلة خالفي، المرجع السابق، ص107.

(9) La table de Peutinger, Section II.1.2 ; VI.

(10) قابريال كامبس، في أصول بلاد البربر ماسينيسا، ص170.

مقاطعة نوميديا ولكن دون تحديد المجال الذي كانت تستقر فيه بدقة كقبيلة السابوايس (Saboides)⁽¹⁾، والتي على ما يبدو كانت متمركزة غير بعيد عن سيرتا وكانت تحت حكم مقدم (Prenceps)⁽²⁾.

3. قبائل نوميديا الغربية:

تعيش بالجهة الغربية من نوميديا قبائل ورد ذكرها في المصادر وهي قبيلة الباغيانيس (Begguanes) من القبائل المستقرة، امتدت مضاربها بين أميدرا (Ammeadara) وسبيطة (Sbeitla)، وهي المنطقة التي تمركز فيها الموزولامي عهد تراجان وهادريان⁽³⁾، وتنتشر بين سوق أهراس (Thagaste) والتاورة (Thagura) قبائل الفوفريكانسس (Vofricaenses)⁽⁴⁾ والسوبانسس (Suppenses) وعرفت حدود إقليمها بعلامة حدية ترجع لعهد هادريان⁽⁵⁾. ويعتقد ديزانج أن هذه القبائل أقليات سكانية أكثر منها قبائل⁽⁶⁾.

وعلى العموم فمن الملاحظ هو الاختلاف في تحديد مواضع بعض القبائل، والشعوب التي تذكر تارة في مجال مقاطعة موريطانيا القيصرية، وتارة أخرى نجد لها ذكراً ضمن مقاطعة أفريقيا التي اقتطعت منها نوميديا فيما بعد كقبائل المارشوبي وقبائل السلاسي.

(1) غنية بوقرة، المرجع السابق، ص 188.

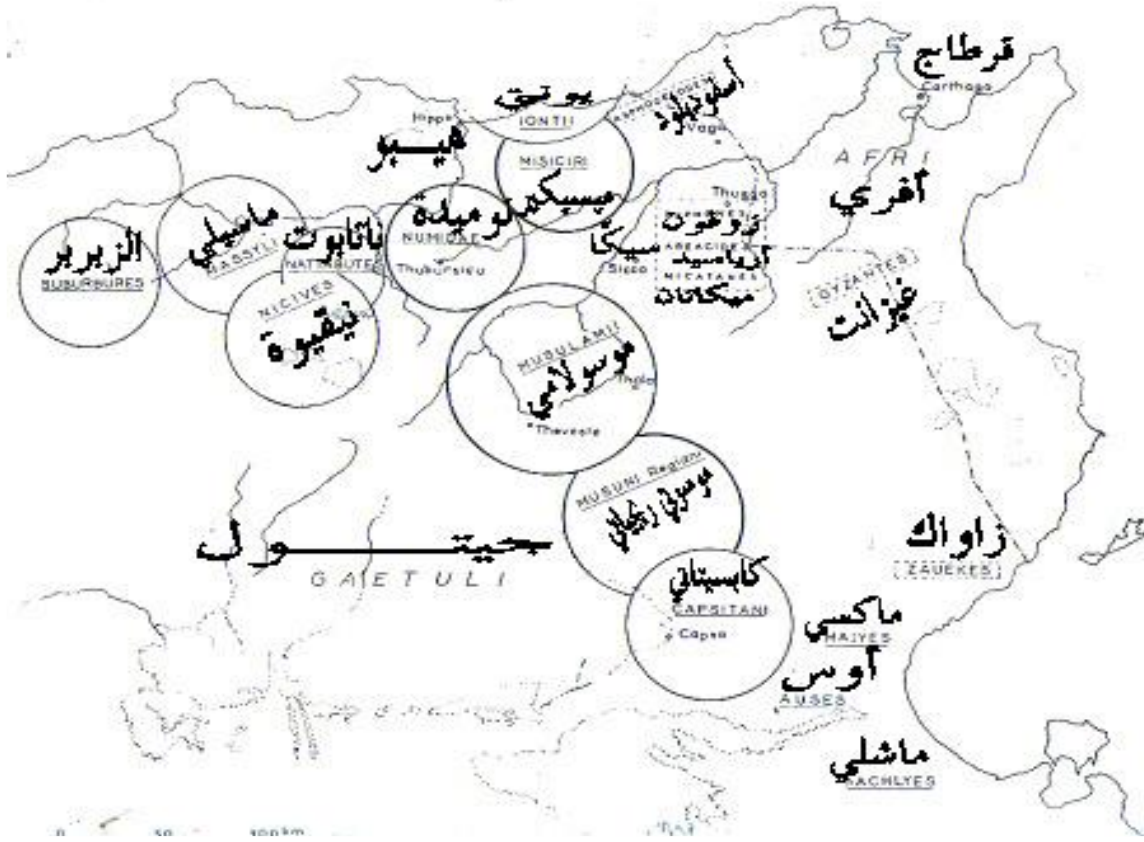
(2) محمد الصغير غانم، الكنفدرالية السيرية، ص 353.

(3) Desanges. J, Op.cit, p.83.

(4) Ibid, p.142.

(5) Desanges. J, Op.cit, p.137.

(6) مقدم بنت النبي، السياسة الرومانية، ص 48.



الخريطة رقم 9: القبائل الكبرى بنوميديا. غابريال كامبس، في أصول البربر...، ص 312

رابعاً: توزيع القبائل في موريطانيا القيصرية:

شغلت هذه المقاطعة منذ تأسيسها مساحة واسعة من الولاية الأفريقية، فامتدت من وادي الملوية غرباً إلى الوادي الكبير شرقاً، ومن الساحل المتوسطي شمالاً إلى جيتوليا جنوباً⁽¹⁾. وبهذا الامتداد تعتبر موريطانيا القيصرية الأوسع مساحة، ضف إلى ذلك أنها الأطول عمراً فحدودها لم تتغير على مدى ما يقارب مائتين وخمسين سنة، أي منذ إنشائها سنة 42م إلى أن فصل عنها الجزء الشرقي سنة 288م وكوّن منه مقاطعة موريطانيا السطايفية⁽²⁾.

نحاول في هذا العنصر تسليط الضوء على تلك القبائل التي كانت أراضي المقاطعة مجالاً مناسباً لاستيطانها؛ وسنركز أكثر على تلك القبائل التي لعبت دوراً كبيراً في تاريخ المقاطعة مثل قبائل البوار والحلف الخماسي وقبائل الفراكسنس، سنسعى لإحصاء جل تلك القبائل ونوزعها حسب مقر إقامتها إلى ثلاث مجموعات (شرقية ووسطى ومجموعة غربية) ذلك باعتمادنا على إشارات مقتضبة وردت في مختلف المصادر المادية والكتابية، فالمادية منها تذكر هذه القبيلة أو تلك في مناسبات معينة، خاصة لما تدخل في صراع مع الاحتلال الروماني، في حين المصادر الكتابية فهي لن تتصف هذه القبائل كونها كتبت من طرف مؤرخين وجغرافيين إغريق ورومان غابت عنهم في أحيان كثيرة الدقة، كما أنه لا يهتم بتاريخ المغرب القديم، وما كان يهم هذه المصادر التأريخ للرومان، وهو الأمر الذي يصعب من التعرف على القبائل، وأماكن استقرارها بسبب التحريف الذي عرفته أسماء القبائل، والشعوب من مؤرخ آخر ومن نقيشة إلى أخرى⁽³⁾. ولكن رغم ذلك سمحت لنا إشارات المؤرخين

(1) Laporte, j p, Particularités de la province de Maurétanie césarienne (Algérie centrale et occidentale), Provinces et identités provinciales dans l'Afrique romaine, 2011, p.111.

(2) محمد البشير شنييتي، الجزائر في ظل الاحتلال، ص 21.

(3) محمد الحبيب بشاري، دراسات تاريخية لمقاطعة موريطانيا السطايفية، مذكرة ماجستير، إ: محمد البشير شنييتي، جامعة الجزائر 2، 1992، ص 10.

والجغرافيين القدماء، والنقوش بالتعرف على هذه المجموعات البشرية التي قطنت بالمنطقة وذكرت في فترات مختلفة نذكر منها:

1. قبائل البوار (Bawares) وحركيتها:

1.1. قبائل البوار في المصادر الأدبية والأثرية:

تعتبر قبائل البوار من أقدم القبائل التي استوطنت الجهة الشرقية من موريطانيا القيصرية عرفت بأسماء مختلفة في النصوص القديمة سواء الكتابية، أو الأثرية بسبب تناقل اسمها من لغة لأخرى ومن لهجة لثانية، توزعت هذه النصوص على فترات مختلفة امتدت من أواخر القرن الثاني الميلادي إلى غاية القرن الخامس الميلادي⁽¹⁾، وما نلاحظه هو غياب ذكرهم لدى الكتاب الرومان أمثال بلين في كتابه.

تورد النصوص الأدبية القديمة ذكراً لقبائل البوار وقد استعصى تقريب مضامينها من حيث الزمان والمكان بالدقة التي يسعى إليها أي باحث⁽²⁾، فقط اختلفت المناطق الجغرافية التي تحدثت فيها المصادر الأدبية عن هذه القبائل زيادة عن اختلاف زمني، وهذا ربما راجع للانتشار الواسع لهذه القبائل شرقاً وغرباً⁽³⁾، وعلى العموم ورد ذكرهم في هذه النصوص بثلاث صيغ أساسية وهي:

- البوار (Bauares أو Bawares)⁽⁴⁾: هي التسمية المرجحة والأكثر استعمالاً في المصادر اللاتينية القديمة وحتى لدى الباحثين المحدثين⁽⁵⁾، ذكرت بهذا الاسم في كتاب الأجيال (Liber Generationis) والذي ألف بعد وفاة الإمبراطور ألكسندر سيفيروس (222

(1) عبد الفتاح خنيش، قبائل البوار ومقاومتها للاحتلال الروماني بمنطقة سطيف خلال القرن الثالث ميلادي، التاريخ الثقافي لمنطقة سطيف (المجال، الإنسان، التاريخ)، ج3، منشورات الوطن اليوم، سطيف، 2021، ص97.

(2) محمد البشير شنيقي، روما الإمبراطورية، ص220.

(3) عبد الفتاح خنيش، المرجع السابق، ص97.

(4) CIL, VIII.21826.2615.9047.21630.

(5) مسعي عبد الحق، دور منطقة سطيف في مقاومة الاحتلال الروماني خلال القرن الرابع الميلادي، الخريطة التاريخية والأثرية لمنطقة سطيف، دار بهاء الدين، 2011، ص148.

-235م⁽¹⁾. يحصي عدد الشعوب القديمة من الشمال إلى الجنوب ومن الشرق نحو الجنوب. وحسب الشرح الذي أعطاه بن عبو (M. Benabou)⁽²⁾ فقد وضع قبائل البوار في الشرق رفقة قبائل المزكاس والغرامنتيين⁽³⁾.

- الدوار (Dauares) : أما أميان ماركولان (Ammien Marcellin) الذي ألف كتابه أواخر القرن الرابع أيضا، فيكتب اسمهم بحرف الدال (Daveres) وهو تحريف للفظ بوار ويذكرهم بجوار قبائل المازكامانس، كما أنه هو الذي ذكر تفاوض القائد الروماني تيودوز (Thuodosius) مع ممثلي البوار قصد ضمان حيادهم في حرب فيرموس⁽⁴⁾. ذكرت بهذا الاسم لدى الفلكي الروماني يوليوس هونوريوس (Julius. Honorius) في كتابه (Cosmographia) الذي يعود إلى القرن الخامس على أرجح تقدير، حيث تحدد فقرة من كتابه هذا تواجدهم مع قبائل البقواط على طرفي نهر الملوية ما يعرفون بالبوار الغربيون، وقد أحصى هذا الكاتب ستة وعشرين اسما إثنيا بموريطانيا الطنجية والتي يمكن تقليلها إلى واحد وعشرين اسما جاءت قبائل البوار في المرتبة الثامنة عشرة⁽⁵⁾.

- البافار (Bavares): وهي التسمية التي انتشرت حديثا لدى الباحثين الغربيين خاصة الفرنسيين منهم للدلالة على هذه القبائل، وأتت من الترجمات الفرنسية للمصادر القديمة⁽⁶⁾.

- البابار (Babares): ورد هذا المصطلح في النصوص والنقوش كذلك، وهو يختلف عن مصطلح (Barbari) الذي اعتاد الرومان إطلاقه على الشعوب، والقبائل الغريبة عنهم وقد

(1) محمد البشير شنيقي، روما الإمبراطورية، ص220.

(2) Bénabou .M, Op.cit. p.196.

(3) جريدة مهنتل، قبائل البوار في المغرب القديم على ضوء المصادر والنقوش اللاتينية، دراسات في آثار الوطن العربي، ع18، ص429.

(4) Ammien Marcellin, Histoire Romaines, edit, M.A. Marie, Paris, 1984 XXIX, V.33

(5) Modéran. Y, De Julius Honorius à Corippus : la réapparition des Maures au Maghreb oriental. In: Comptes rendus des séances de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres, 147^e année, N. 1, 2003. p. 266.

(6) Camps. G, les Bavares Peuple de Mauretania Césarienne, Rev, Afri, volume 99, Imprimeur libraire rue du palais, paris,1955. pp.241-288.

استعاروه من الإغريق⁽¹⁾، تسمية يحتمل أنها انتشرت باللسان المحلي، ومنه تناقلتها المصادر العربية في العصور الوسطى⁽²⁾.

إن هذه النصوص ذات الطابع الأدبي لم يستطع الباحثون والمؤرخون من خلالها توضيح وضع قبائل البوار من حيث الزمان والمكان بدقة لاحتوائها على بعض الاختلافات⁽³⁾، عكس الوثائق الأثرية المتعلقة بأخبار هذا الشعب، والمرتبطة بتواريخ الأحداث العسكرية، فأمكن من خلالها وضع البوار في الإطار الزمني والمكاني بدقة⁽⁴⁾، ذلك أن هذه النقائش تغطي فترة زمنية أطول مما تقدمه المصادر الأدبية الذي إمتد من القرن الثاني إلى القرن الخامس الميلادي.

يعد البوار من أكثر الأقوام شهرة في المصادر الأثرية، حيث ورد ذكرهم في حوالي خمس عشرة نقيشة لاتينية أمكن التأكد منها حوالي عام 1955⁽⁵⁾، نضيف واحدة تم اكتشافها قرب مدينة البيض سنة 2014، بالموقع المسمى "خناق عزيز"، وهو بعد جغرافي لم نكن نتوقع أن الجيش الروماني اصطدم بقبائل البوار هناك⁽⁶⁾، فالنقوش أكدت أن قبائل البوار كانت حركية قطنت مواقع عديدة شملت موريطانيا الطنجية وموريطانيا القيصرية، وموريطانيا السطايفية وحتى في نوميديا (ينظر الخريطة رقم 10)، وقد أظهرت الوثائق الإيبغرافية البواريين مقترنين بأحداث عسكرية في مواجهة الهيمنة الرومانية فهي تذكر انتصارات القوات الرومانية عليهم⁽⁷⁾، ومن أشهر هذه النقوش التي أشارت إليهم في المنطقة، واعتمد عليها في تحديد موطنها نجد:

(1) عبد الفتاح خنيش، المرجع السابق، ص 98.

(2) عبد الحق مسعي، المرجع السابق، ص 149.

(3) محمد البشير شنييتي، روما الإمبراطورية، ص 220.

(4) محمد البشير شنييتي، الجزائر في ظل الاحتلال، ص 341.

(5) Camps. G, Op.cit. P.242.

(6) Drisi. S, Inscription inédite des Bavares d'El Bayadhet les troubles au Maghreb ancien, A, A, S, P, P, A, 2015, p.51.

(7) محمد البشير شنييتي، روما الإمبراطورية، ص 219.

- نقيشة لامباز (Lambaesis)⁽¹⁾ تازولت حاليا حدد تاريخ النقيشة بـ 253 - 256 م جاء فيها أن هذه القبائل قامت بغزو مقاطعة نوميديا (Prosopographie de Numidie) لكنهم هزموا على يد بريطور (pritor) نوميديا كايوس ماكريينوس (C.Macrinus Decianus)⁽²⁾. ونقيشة أوزيا (Auzia)⁽³⁾ (سور الغزلان) المؤرخة بسنة 260م وتقترب هذه الناقشة من حيث سير الأحداث من نقيشة لامباز⁽⁴⁾، ومن المحتمل أنها تشير للحوادث السابقة نفسها⁽⁵⁾.

- نقيشة المهديّة (Mellah): عثر عليها على بعد 15 كلم غرب سطيف وتشير الى انتفاضة البواريين⁽⁶⁾، يعود تاريخها إلى 253م فترة حكم ماركوس كرنيليوس أكتافيوس حاكم موريطانيا القيصرية، الذي شارك في إخماد ثورات البوار المنعوتين بالمتمردين⁽⁷⁾، بالإضافة إلى نقيشة ثنية المكسن (Teniet-el-Meksen)⁽⁸⁾ (نواحي سطيف) والتي تقترب من سابقتها في الزمان والمكان، وتذكر ثلاثة أسماء لملوك البوار هم: مسمول (Masmule) وتغاوين (Taganim) وفاهم (Fa(b)am)⁽⁹⁾، وتشير هذه النقيشة للعدد الكبير للبوار ولعل ذكر أسمائهم وإعطائهم صفة الملوك دليل على وجود كيانات سياسية مستقلة عن الإدارة الرومانية سككت عنها المصادر (ينظر النص رقم 1)⁽¹⁰⁾، والنقيشة تظهر إئتلاف الأمراء الثلاثة ومواجهتهم للجيش الروماني في مضيق ثنية المكسن الرابط بين منطقة البابور وسهل

(1) CIL. VIII, 1863 n 02615.

(2) Poulle. M. A, A travers la Mauritanie Sétifienne, Constantine, 1862. p.119.

(3) CIL. VIII, 09047.

(4) Poulle. M. A, Op.cit. p.120.

(5) جريدة مهنّتل، المرجع السابق، ص 433؛ مسعي عبد الحق، المرجع السابق، ص 148.

(6) Aibeche.Y, Le projet de l'Atlas » Historique et Archéologique de la région de sétif الخريطة .
التاريخية والأثرية لمنطقة سطيف ، الطبعة الأولى. 2011.p.19.

(7) جريدة مهنّتل، المرجع السابق، ص 434.

(8) تم ذكر نص النقيشة من طرف غزال في الأطلس الأركيولوجي: Gsell .St, AAA, 1911, f°16, n° 9.

(9) Christol .M, Laporte. J-P, Op.cit, p.116.

(10) محمد البشير شنيّتي، الجزائر في ظل الاحتلال، ج2، ص347.

سطيف⁽¹⁾، وقد تكون المحاصيل الزراعية هي الدافع الأساسي من وراء زحف هذه القبائل نحو السهول السطافية⁽²⁾.

النص رقم 1:

[Ob victoriam adversus]

....**Bavarum** gentes quorum omnis mul

Titu[do prostrata est,interfectis Taganin Masmule et Fahem reg

Bus adpraehensis etiam afram/fa...vasamen et...inim con

Lectis rega[libus vota diis immortalibus Getulor [persolv]it

sul[pi]

Eius sac...us⁽³⁾

- نقيشة شرشال (Caesarea)⁽⁴⁾ مؤرخة بحوالي 290 - 292م وهي تشير إلى احتفال حاكم موريطانيا القيصرية أوريليوس لتويا (Aurelius Litua) في عهد الإمبراطور ديوقليانوس وماكسيميانوس⁽⁵⁾ (ينظر النص رقم 1)، بعد انتصاره على فرع من قبائل البوار، وهم قبائل ترانستا، وهي قبائل رعوية منتشرة بأراضي جنوب شرشال⁽⁶⁾ (ينظر النص رقم 2). يضاف لما سبق نقيشة البيض⁽⁷⁾ المكتشفة عام 2014 بموقع خناق عزيز الذي يبعد 5 كلم شمال مدينة البيض، التي اعتبرت كأقدم إشارة أثرية لهذه القبائل، والمؤرخة بنهاية القرن الثاني الميلادي فهي تعود لعهد الإمبراطور سبتيموس سيفيروس (193-211 م)، أي فترة السلم

(1) Christol .M, Laporte. J-P, Op.cit, p.113.

(2) Drisi. S, Op.cit, p.57.

(3) جريدة مهنتل، المرجع السابق، ص 8959.434 ILS,

(4) CIL.VIII, 21644. 21630.

(5) Camps. G, Op.cit. pp.262-264.

(6) جريدة مهنتل، المرجع السابق، ص 439.

(7) قام الباحث سليم دريسي بتقديم قراءة وتحليل لها (نقيشة البيض) حيث بين امتداد قطاع القبيلة حتى منطقة الغرب الجزائري، وبين مدى التوسع والاختراق الروماني في الصحراء، كما وضع العلاقة الرومانية مع القبائل المحلية خاصة البوار في فترة عرفت تاريخيا بالسلم حيث سجلت مواجهة السلطات الرومانية للقبائل المتمردة ومنها البوار، ذكرت هذه النقيشة القبائل البوارية قبل القرن الثالث الميلادي وعلى عكس ما جاء به المؤلفون والجغرافيون اللاتين وكذلك النقوش.

للمزيد ينظر : Drisi. S, Op.cit. pp.51-63

المعروفة لدى المؤرخين⁽¹⁾، وما يمكن أن نستشفه من النقيشة حديثة الاكتشاف هو الصورة الجديد لتحركات قبيلة البوار التي وصلت حتى الجهة الغربية للقيصرية (منطقة البيض)، وهي منطقة بعيدة عن خطوط الليمس التي أقامها سبتيموس سيفيروس⁽²⁾، الذي قد تكون موطنها الأول قبل إنتقالها نحو المناطق الشمالية بمرتفعات موريطانيا ونوميديا وهو ما يفسر غيابها في المصادر حتى فترات متأخرة .

النص رقم 2:

Iovi Optimo Maximo ceterisque disimmortalibus gratum referensquod erasis funditus **Babaris** transtagnensibus secunda praeda facta salvus et incolumiscum omnib(us) militibus dd(ominorum)nn(ostrorum) Diocletiani et Maximiani Augg(ustorum)regressus Aurel(ius) Litua v(ir) p(erfectissimus) p(raeses) p(rovinciae) M(auretaniae) nsis) votum libens posvuiC(aesae)⁽³⁾.

تقدم لنا النقائش مادة تاريخية ثرية بعكس المصادر الأدبية التي أشارت فقط لاسم هذه القبائل، فتعطينا تواريخ ومواقع لمواجهات عسكرية دارت بين الاحتلال الروماني وقبائل البوار الثائرة، وكذلك ذكرها لأسماء القادة الرومان، وملوك وزعماء هذه القبائل، وحتى تحالفاتها مع قبائل أخرى⁽⁴⁾، والملاحظ أن هذه النقائش اللاتينية المتعلقة بالبورار منتشرة في مواقع عديدة شملت المقاطعات الطنجية والقيصرية والنوميديّة، وهو الأمر الذي يوحي باتساع المجال الجغرافي الذي تسيطر عليه، وتتحرك فيه هذه القبائل. وهو ما انجر عنه إختلاف في تحديد مناطق التموّج الجغرافي لهذه القبائل وقبائل عديدة أخرى.

(1) جهيدة مهنتل، المرجع نفسه، ص 131.

(2) Drisi. S, Op.cit. p.60.

(3) CIL.VIII ,21644. 21630. نقيشة شرشال.

(4) ستي صدوق، مقاومة البوار الموريطانيين للاحتلال الروماني، مجلة الحقيقة للعلوم الاجتماعية والانسانية، مج 21، عدد 3، 2022، ص 187.

2.1. موطنهم ومجالات تحركاتهم:

تباينت واختلفت آراء المؤرخين حول المجال الجغرافي الذي استوطنت به قبائل البوار، وهذا راجع لتلك الإشارات المتضاربة الواردة في نصوص معاصري الفترة الرومانية من حيث الزمان والمكان، التي خلفت أثرها في افتراضات وتأويلات المحدثين حتى وإن افترضوا لمعطيات تاريخية قوية ودقيقة، فلا نجد نصا واضحا يحدد موقع هذه القبائل⁽¹⁾.

تعرف قبائل البوار بقوتها وكثرة عددها ووصفت في النقوش بالشعب الكبير (Gentis Multas)⁽²⁾، كما وصف ديزانج قبائل البوار بأنها شعب، أو مجموعة من الشعوب تواجدت آثارها بكل من نوميديا وموريطانيا القيصرية والطنجية⁽³⁾. وهو ما أدى ببعض الباحثين لافتراض أنها قبائل بدوية تنتقل في السهول العليا الشرقية والغربية⁽⁴⁾، وهو ما ذهب إليه كل من أوزينا (Euzennat)⁽⁵⁾ وكرتوا (Courtois) الذي افترض أن قبائل البوار قبائل بدوية كانت تقطن المنطقة ما وراء الشط الشرقي وشط الحضنة⁽⁶⁾. بينما حدد بن عبو (Benabou) موطنها في المنطقة الوسطى للهضاب العليا⁽⁷⁾، وافترض روني كانيا بأن الموطن الأصلي للبوار بجبال البابور شمالي سطيف وذلك لتلاؤم اسم هذه المنطقة مع اسم البوار⁽⁸⁾، ويرجح جل المؤرخين أن تكون هذه القبائل من البدو وهي شعب واحد سكنت المنطقة الممتدة من الجزء الأعلى لوادي الملوية إلى غاية جنوب شرق سطيف وهي تنتقل باستمرار بين الهضاب الشرقية والغربية، مارسوا نشاط العشابه وهو التنقل الموسمي للماشية بحثا عن المراعي⁽⁹⁾، وهناك من قال بأنها جماعتان بدو وجبليون⁽¹⁰⁾، بينما يذهب كامبس للقول بأن البوار ينقسمون إلى مجموعتان بوار شرقيون في جبال بابور إلى مشارف كويكول

(1) ستي صدوق، المرجع نفسه، ص ص 220-221.

(2) محمد العربي عقون، الإقتصاد والمجتمع، ص 260.

(3) Desanges. J, Op.cit, p.47.

(4) محمد الحبيب بشاري، دراسات تاريخية، ص 11.

(5) Camps.G, Op.cit, p.244.

(6) Courtois. Ch, Les Vandales..., Op.cit, pp.97-98.

(7) Bénabou M, Op.cit, p.193.

(8) Cagnat. R, Op.cit, pp.62-63.

(9) Drisi. S, Op.cit, p.60.

(10) محمد البشير شنييتي، روما الإمبراطورية، ص 222.

وميلة، وبوار غربيون يقطنون الجنوب الوهراني حتى نهر الملوية، وهو ما أشار إليه يوليوس هونوريوس بأن نهر الملوية يفصل البوار شرقا عن قبائل البقواط غربا⁽¹⁾، ويضاف إليها فرع استوطن جنوب الحضنة يعرف بـ (Babare transtagnenses) أي بابار ما بعد الشطوط⁽²⁾، فهم بهذا التحديد قوم جبليون مزارعون ومربو مواشي⁽³⁾.

وما يمكننا قوله بأن الجزء الشرقي لموريطانيا القيصرية قطن به البوار الشرقيون بالتأكيد في جبال بابور، وينتشرون في المنطقة الممتدة بين وادي الصومام والوادي الكبير الذي يفصل موريطانيا القيصرية عن نوميديا⁽⁴⁾⁽⁵⁾ (ينظر الخريطة رقم 11). انضوت تحتها مجموعة من القبائل قد يصل إلى أربعة خلال القرن الثالث الميلادي، وهو ما أشارت إليه نقيشة لامبيز سالفة الذكر التي تذكر أربعة ملوك من البوار⁽⁶⁾، ولعل إحداها قبيلة الكواداموسي (Koidamousii) التي تقطن جبال بابور⁽⁷⁾.

بينما تواجد الفرع الثاني للبوار والذي نصطاح عليه تسمية البوار الغربيين⁽⁸⁾ بالجهة الغربية للقيصرية، من أقوى القبائل التي تكرر ذكرها في النصوص الأدبية فيوليوس هونوريوس أشار إلى أن نهر الملوية هو الحد الفاصل بين البقواط غربا والبوار شرقا⁽⁹⁾، بينما النقوش اللاتينية التي عثر عليها في مواقع مختلفة منها الجهة الغربية للقيصرية كنقيشة وليلي (Volubilis)⁽¹⁰⁾ التي تشير إلى إجراء محادثات بين زعمي قبيلتي البوار

(1) Camps.G, Op.cit. p.266.

(2) Ibid, p.270.

(3) Benseddik. N, et Laporte J.P, Les Bavares transtagnenses peuple de Maurétanie Césarienne, Actes du sixième congrès de Lyon (23-25 octobre 2014), Les auxiliaires de l'armée romaine, des alliés aux Fédérés, Paris : De Boccard, 2016, p.413.

(4) خنيش عبد الفتاح، المرجع السابق، ص 100.

(5) هناك بعض النقوش المكتشفة تظهر أن هذه القبائل كانت تنتمي إلى مقاطعة موريطانيا السطايفية التي أسست في أواخر القرن الثالث ميلادي في عهد الإمبراطور ديوقديانوسن وهو الأمر الذي دفع ببعض المؤرخين لتوطين قبائل البوار بجبال بابور التي أخذت تسميها منها. للمزيد ينظر: Gsell.St, note sur inscription de la région de Sétif, R.S.A.C, 40ème vol, 1906, p.118

(6) CIL, VIII, 2615.

(7) جهيدة مهنتل، المرجع السابق، ص 438.

(8) Moderan. Y, Op. cit, p. 90.

(9) Iulius Honorius, A48, G.I.m, p53.

(10) Euzennat. M. Les troubles de Maurétanie. In: Comptes rendus des séances de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres, 128^e année, N. 2, 1984. p. 385.

والبقواط وبروليغاتو الطنجية (Procurator polegato) (معاهدة سلم في عهد الإمبراطور ألكسندر سيفيروس)، وهذا الاتفاق بين القبيلتين يدل على تقارب جغرافي بين القبيلتين شجع على التحالف والتجمع⁽¹⁾، كما ذكرنا سابقا كامبس يرى بأن البوار يتكونون من مجموعتين مجموعة شرقية تعيش بمناطق قرقور وجبال البابور، ومجموعة غربية تعيش في التل الوهراني وتمتد حدودها من جبال طرار (الترار)، والظهرة والونشريس، ويحدها وادي الملوية غربا⁽²⁾، وهو ما سجلته الكتابة النقوشية لزوكابار (Zuccabar) (مليانة) (ينظر النص رقم 3)⁽³⁾.

ومنه فإن البوار الغربيين هم الذين تحالفوا مع قبائل البقواط لقرب موطنهم⁽⁴⁾. ويبقى ذكر اسم قبيلة البوار في مواضع مختلفة سواء زمنيا أو مكانيا في الكتابات اللاتينية لخير دليل على دورها في الأحداث التاريخية الناجمة عن تحركاتها الكبيرة في المقاطعة القيصرية شرقها وغربها.

Diis Patriis et Mauris
conservatoribus
Aelius Aelianus v(ir) p(erfectissimus)
praeses provinciae
Mauretaniae Caes(ariensis)
ob prostratam gentem
Bavarum Mesegneitsium
praedasque omnes ac fami
lias eorum abductas
votum solvit

النص رقم 3: وضعت هذه الكتابة لآلهة الوطن والآلهة المورية الحامية لشرف فوز حاكم المقاطعة أليوس أليانوس (Aelius Aelianus) على أحد فروع البوار، وهم قبائل

(1) الأعشي مصطفى، نقائش معاهدات السلام بين الباكوات الأمازيغ والرومان في موريطانيا الطنجية خلال القرنين الثاني والثالث الميلاديين، منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، المغرب، 2004، ص 41.

(2) Camps.G, Op.cit, p.270.

(3) CIL, VIII, 21486.

(4) الأعشي مصطفى، المرجع السابق، ص 43.

الماسقنانتس (Mesegneites)، والنقيشة مؤرخة بفترة الإمبراطور ديوقلديانوس (284-289م⁽¹⁾).

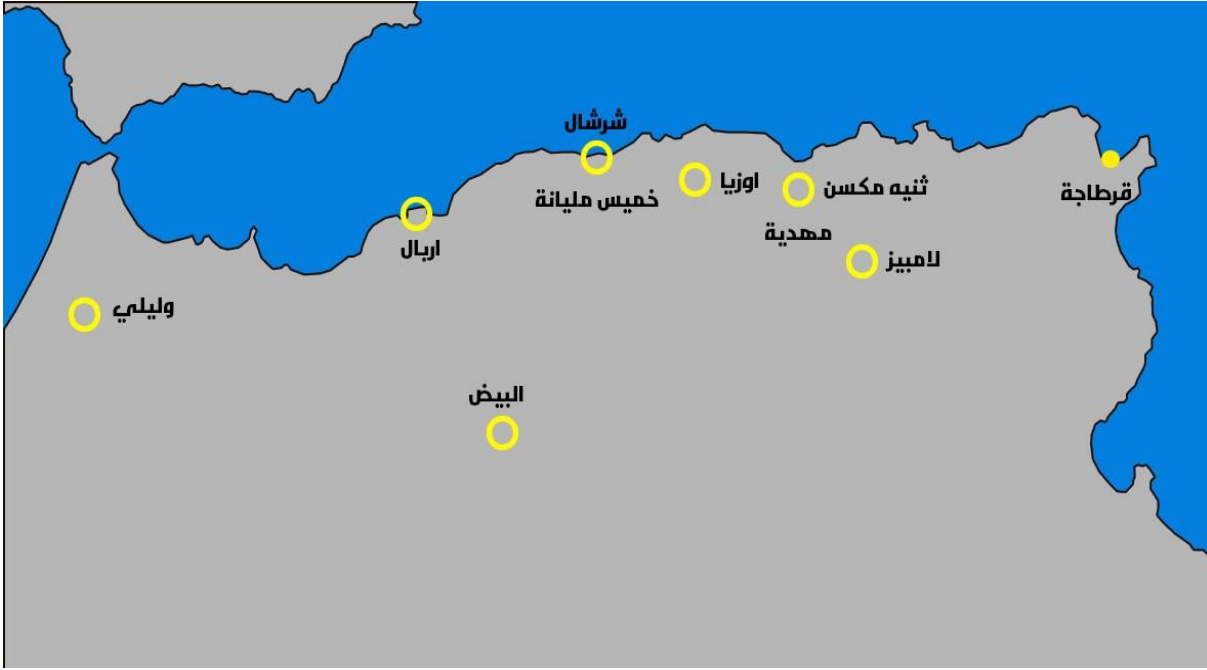
وعن أصلهم فإن الباحثين كورتوا وأوزينا قالوا: أنهم شعوب أتت من الخارج وبالتحديد من الشرق منطقة سيرنيناك (ليبيا حاليا)، واعتمدوا في ذلك على كلمة (Inruptio) في النقوش والتي تشير إلى هجوم أناس أتوا من الخارج⁽²⁾. بينما ذهب آخرون إلى استبعاد هذا الطرح؛ فكلية (Inruptio) لا تشير إلا لتحرك هذه الشعوب داخل المقاطعة، أخرجت من مجالها المعتاد لتدخل في شكل اعتداء على الأراضي الرومانية المجاورة لها ولا يمكن اعتبار هذه الكلمة شهادة على هجرة هذه الشعوب ولا تشير المصادر والنقوش إلى أنهم شعب مهاجر وهو ما يراه معظم الباحثين⁽³⁾.

وعليه فقبائل البوار احتلت مجالا جغرافيا هاما داخل حدود الليمس الروماني في منطقة السيطرة الرومانية، وهذا ما جعل اسمها دائما مرتبط بأحداث عسكرية، فهي من القبائل التي أقلقت السلطات الرومانية بسبب تحصنها بالجبال حتى أنها شكلت إمارات معادية للرومان.

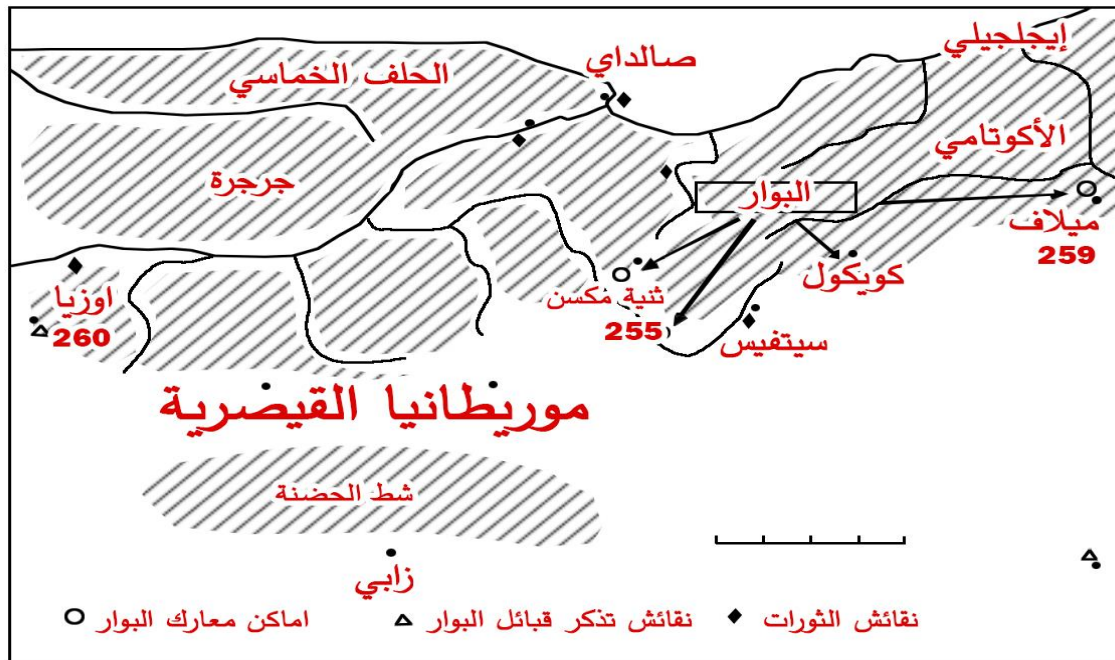
(1) Drisi. S, Op.cit, pp.58-59.

(2) Desanges. J. De la Marmarique à la Maurétanie. Nouvelles données en matière de mouvements de population. In: Antiquités africaines, 37,2001. pp. 88-89 ; المرجع ، مهنتل جهيدة ،
السابق، ص437.

(3) Drisi. S, Op, cit, p64.



الخريطة رقم 10: المناطق التي عرفت تواجد قبائل البوار حسب النقوش، من إنجاز الطالبة نقلا عن
جهيدة مهنتل، المرجع السابق، ص 439



الخريطة رقم 11: البوار الشرقيون وفقا لنقوش القرن الثالث، من إنجاز الطالبة نقلا عن:

Camps. G, les Bavares..., Op.cit, p.1396

2. قبائل شرق القيصرية:

- **قبائل الحلف الخماسي (Quinquegentanei):** من أهم وأكثر وأشهر القبائل الجبلية المنتشرة بالمنطقة الشرقية لمقاطعة موريطانيا القيصرية، تم ذكر اسمهم بهذا الشكل (Quinquegentanei) وبشكل واضح في حوالي خمسة عشر وثيقة، وهو أمر استثنائي بالنسبة للقبائل المحلية⁽¹⁾، والكلمة مركبة من (Quinque) وتعني خمسة في اللغة اللاتينية و(gentanei) التي تعني قبيلة⁽²⁾، يذكر لابورت أن اسم القبيلة يتكون من ثلاثة أجزاء وهي البادئة الخماسية (Quinque) والقبيلة أو العشيرة (gens)، واللاحقة التي تأخذ أيضا شكلين الأول (iani) في جميع النصوص الكتابية باستثناء أوريليوس فيكتور (Aurelius Victor)، والشكل الثاني (anei) في جميع النقوش مع أوريليوس فيكتور⁽³⁾، والاسم يغطي اتحادًا لخمس قبائل مغربية لها أهميتها العسكرية ومشكلة كيانا كبيرا حد القول بأنه كنفدرالية ظهرت في بداية القرن الثالث⁽⁴⁾، وذكرتها المصادر اللاتينية متمركزة في المنطقة الجبلية سكنت بالجهة الشرقية لبلاد القبائل⁽⁵⁾، فتربعت أراضيها على كافة أنحاء منطقة القبائل الكبرى ما بين دلس وبجاية في جبال جرجرة، اشتهرت بمقاومة الاحتلال الروماني خلال القرن الثالث الميلادي بالمرتفعات الشمالية لحوض الصومام⁽⁶⁾.

لقيت قبائل الحلف الخماسي اهتماما من طرف المؤرخين الفرنسيين، فوضعت عدة فرضيات حول القبائل التي شكلت هذا الحلف، وهي حسب الاسم الذي عرفت به خمس قبائل، فكانيا (Cagnat) يعتقد أن الحلف يتكون من الماسنيسانس (Masinissenses)،

(1) Laporte. J-P, Quinquegentanei ..., Op.cit. p.6687.

(2) Pouille. M. A, Op.cit. p.120.

(3) Laporte. J-P, Quinquegentanei ..., Op.cit. p.6687.

(4) Laporte. J-P, Op.cit. p.6687 ; 161، محمد العربي عقون، الإقتصاد والمجتمع، ص

(5) Carcopino.J, L'insurrection de 253 d'après une inscription de Miliana .Rev.Afr ,1919, p.357; Desanges, j, Op. cit. p.61.

(6) Moderan. Y, Les Maures ..., Op.cit, p.90; Cagnat. R, Op. cit. p.62.

والتيندانييس (Tyndenes) ، واليوباليني (Iubaleni)⁽¹⁾، أما كرتوا (Courtois) فقد اكتفى بذكر ثلاث قبائل فقط هي قبيلة النابابس (Nababes)، وقبيلة التيندانييس (Tyndenses) وقبيلة الماسينانسييس (Masinissenses) وذلك استناداً لموقعهم الجغرافي المحتمل⁽²⁾. يضيف إليها ديزانج (Desanges) قبيلتي البانيوري (Baniouri)، والتولونسي (Toulensi)⁽³⁾. وعلى العموم فالقبائل التي كونت هذا الحلف هي: قبيلة الماسينسانس (Masinissenses)⁽⁴⁾ وهي قبيلة مسينا أوإيمسينس (Imsissen) والمتمركزة في الضفة اليمنى لوادي الساحل ذكرها أميان ماركولان (Ammien Marcellin)⁽⁵⁾ أثناء حديثه عن ثورة فيرموس (Firmus) في القرن الرابع⁽⁶⁾. وتجاورها قبيلة التيندانييس (Tundenses) وهما تقيمان بالقرب من تيكلات (Tubsuctu)⁽⁷⁾، وهذه القبيلة متواجدة شرق وادي الصومام قرب حصني بيترا (Petra) ولامفوكتناس (Lamfoctense)⁽⁸⁾، وهي بهذا التعيين تتمركز في إقليم قبيلة فناية الحالية (بني وجليس وأيت عامر)⁽⁹⁾ وكلا القبيلتين جبليتان. ومن القبائل المكونة لهذا الحلف قبيلة الإيسافلاس (Isaflenses)⁽¹⁰⁾ التي ذكرها أميان ماركولان⁽¹¹⁾ عدة مرات دون التمكن من تحديد موقعها، والراجح أنها من القبائل قليلة التحرك يمكن حصر موطنها بسهول مجانة، وهي فليسة اليوم أوإفليس⁽¹²⁾.

(1) Cagnat. R, Op. cit, pp.62-63.

(2) Courtois, p. 120, et n. 1-2, p. 119 et n. 3.

(3) Desanges.J, Op. cit, p.67.

(4) Ibid, p.61.

(5) Ammien Marcellin, Histoire Romaines, edit, M.A. Marie, Paris, 1984 XXIX, V. 11.

(6) Cat. E, Essi sur la province de la Maurétanie Cessarien, Paris, 1891. p.73 ; Desanges.J, Op. cit, p.61.

(7) Cat. E, Op.cit, p.73 ; Desanges. J, Op.cit, p.68.

(8) Gsell. S, Observations géographiques sur la révolte de firmus, RSAC, 36, 1902. pp.34-35.

(9) عبد الحميد بعبطيش، التجمعات القبلية في المملكة النوميديّة ودورها في تكريس نظام الحكم، المدينة والريف في الجزائر القديمة، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر، الجزائر، 2013، ص 346.

(10) Desanges.J, Op.cit, p.62.

(11) Ammien Marcellin, XXIX, V. 40.

(12) محمد العربي عقون، الإقتصاد والمجتمع، ص 162.

قبيلة الجبولوسي (Gebalussi): ذكرت في طاولة بوتنغر على صيغة (Gubausil)، تقع هذه القبيلة بشرق وادي الصومام وجنوب موسليوم (Muslubium) ⁽¹⁾، ذكرها أميان ماركولان باسم قبيلة الأيوبالوني (Lubaleni) وحصرها في المنطقة المجاورة لأوزيا ⁽²⁾، وهو ما ذهب إليه غزال الذي حدد موقعها في المنطقة الممتدة من باب لحديد إلى مذايق الباسترو الأخضرية (Palestro) ⁽³⁾، وقبيلة الجبولاسي قريبة من قبيلة الموسولاني، وهي بهذا التحديد تتمركز في جرجرة وهي زاوية حالياً ⁽⁴⁾. واليوباليني من أقوى قبائل جبال البيان التي تنتمي إليها عائلة نوبل (Nubel) ⁽⁵⁾ التي وصفتها المصادر بالملكية ⁽⁶⁾. ثم نجد آخر قبيلة في تشكيلة الحلف الخماسي، وهي الإيسالانس (Iesalenses) التي ذكرها أميان ماركولان أنها تتموقع في نواحي أوزيا (Auzia) ⁽⁷⁾.

تعددت الآراء في تحديد موطن اتحاد الحلف الخماسي (كونكوينتياني)، وضعه يوليوس هونوريوس بين صلاي (Salda) روسكورو (Rusuccuru) (دلس) ⁽⁸⁾ وهو بذلك يحصره غرب الصومام وفي جبال جرجرة ⁽⁹⁾، ويبقى أحسن مصدر يمكن الاعتماد عليه في تحديد موطنها بدقة النقوش، فنجد لقبائل الحلف الخماسي ذكراً في عدة نقائش منها نقيشة وجدت في صلاي (بجاية) (ينظر النص رقم 4)، وأخرى عثر عليها في تيكلات، وأخرى بالقرب من تيزي وزو ⁽¹⁰⁾، ويتضح من المعلومات التي تضمنتها أن قبائل الحلف سكنت الجهة الشرقية لبلاد القبائل وامتدت أراضيها حتى ضواحي تيزي وزو (Tizi Ouzou) ⁽¹¹⁾. بالرغم من ذكر

(1) LA Table de Peutinger, Section VI.

(2) Ammien Marcellin, XXIX, V. 44.

(3) Gsell. St, Observations..., Op.cit, p.25.

(4) Desanges.J, Op.cit, p53.

(5) عائلة نوبل (Nubel) حول هذه العائلة ينظر الفصل الرابع.

(6) خديجة منصوري، قبائل موريطانيا القيصرية (القرن I / القرن II)، مجلة الدراسات المغاربية، وهران، 1998، ص 184.

(7) Ammien Marcellin, XXIX, V. 44. 47.50.

(8) Iulius Honorius, Cosmographie, A44, G.I.m, p.47.

(9) Laporte. J-P, Op.cit. p.6688.

(10) CIL. VIII, 8924.8836. 9010.

(11) خديجة منصوري، قبائل موريطانيا، ص 182.

قبائل أخرى وهي الفراتنس، الروسيكنس، البازوفيلتياتي والفليومينس، استوطنت عموماً المناطق نفسها⁽¹⁾. وعن نمط معيشتهم يدل موقع توطنهم أن قبائل الحلف الخماسي ليسوا بدواً أو شبه بدو بل كانوا سكان الجبال المستقرين الذين يعيشون على الزراعة والتشجير⁽²⁾. بالنسبة لتاريخ اتحاد هذا الحلف فالنصوص الأثرية لم تحدد بدقة وإنما سجلت انتصارات الرومان ضده، وأول نقش ذكر الحلف الخماسي غير مؤرخ ووجد بلامبيز⁽³⁾، كان لقبائل الحلف الخماسي دور مهم ضد الرومان مابين 259-260 م، وذلك اعتماداً على نقش أوزيا (ينظر الشكل رقم)⁽⁴⁾. ثم في سنة 297م تذكر عديد النقوش⁽⁵⁾ حملة الإمبراطور ماكسميانوس (Maximinien) الذي تدخل لوضع حد لثورة قبائل الحلف الخماسي، حيث أخضعها حتى أنه قام بتوطينها بمقاطعات أخرى، ويستمر ذكرها حتى سنة 328م، بينما النصوص الأدبية التي تذكر الكونكوينتياني كلها تتعلق بفترة ديوقليانوس (284-305م)⁽⁶⁾. وعليه فقبائل الحلف الخماسي ذكرتها المصادر اللاتينية بأنها كونفدرالية قبائل متمركزة في المنطقة الجبلية، كان مجال تحركها مابين دلس وبجاية، اشتهرت بمقاومة الاحتلال الروماني خلال القرنين الثالث والرابع للميلاد.

النص رقم 4:

[I(oui)]

O(ptimo) M(aximo) / [Iunoni ce]terisque diis / [immortal]ibus
gratum / [referens q]uod coaduna/[tis secum mili]tibus dd(ominorum)
nn(ostrorum) / inuictissimorum Aug[g](ustorum) / tam ex parte
Caes(ariensi) quam / etiam de Sitifensi, adgres/sus **Quinquegentaneos**
/rebelles, caesos multos / etiam et uiuos adpre/hensos sed et
praedas / actas repressa despe/ratione eorum uicto/riam reportauerit
/Aurel(ius) Litua u(ir) p(erfectissimus) p(raeses) p(rouinciae)

(1) Desange.J, Op.cit, p.68.

(2) Laporte. J-P, Op.cit. p.6690.

(3) CIL.VIII, 2615.

(4) CIL., VIII, 9047.

(5) CIL.VIII, 8440.8836.21814.

(6) Desange.J, Op.cit, p.68.

M(auretaniae) Caes(ariensis)⁽¹⁾

غير بعيد عن تيكلات باتجاه الساحل تقطن قبيلة البانيوري (Baniouri) التي حدد موقعها بطليموس شرق قبيلة الماكوري (Makkhourebi)⁽²⁾ ، وذكر بلين الأكبر أنها تفصل بين قبيلة الناباب (Nababes)⁽³⁾ ووادي يسر، وقبيلة التالونسي الواقعة حول ديار مامي، وهذا ما جعلنا نحتمل كونها أحد قبائل منطقة القبائل الكبرى الساحلية أو وادي الصومام (شرق بجاية)⁽⁴⁾، وربما تكون إحدى القبائل المشكلة لقبائل الحلف الخماسي⁽⁵⁾.
قارب ابن خلدون بين قبيلة البانيوري وقبيلة ونوغة (Wanuiigha) المتمركزة بين مليانة والبيبان⁽⁶⁾. أما قبيلة الناباب (Nababes) فتضعها طاولة بوتنغر على الضفة اليسرى لوادي الصومام⁽⁷⁾، تشمل مضاربها المنطقة المحصورة بين جبال شمال سيباو الأعلى، والطريق الرابط بين بجاية وتاورقا، وهذا التحديد جاء بالاعتماد على ذكرها في نقishtين الأولى عثر عليها بجماعه صهاريج (Bida)، في حين وجد الثانية بديار مامي (Castellum Tulei)⁽⁸⁾.
يضاف لهذه القبائل المذكورة قبائل أخرى أدرجها يوليوس هونوريوس⁽⁹⁾ ضمن المجموعة الشرقية منها قبيلة البورس (Bures) التي امتدت أراضيها بين قبيلتي المغازيس والحلف الخماسي، أي تواجدت في الإقليم الممتد بين منطقة القبائل الكبرى وزكار⁽¹⁰⁾.
والفيرانتس (feratenses) التي تتموضع بين قبيلة الباغونس (Beggnenses) وقبيلة البارزوفلتياني (Barzifulitain) وهي من سكان الفراتوس (feratus)، ويذكرها أميان

(1) Hamdoune. Ch, *L'expédition de Maximien en Afrique*. In: *Antiquités africaines*, 46-48, 2010. p. 188

(2) بطليموس IV، 2، 5.

(3) Pline l'ancien, XV .4.

(4) خديجة منصوري، قبائل موريطانيا، ص 184.

(5) Desange.J, Op.cit. p.45.

(6) Desange.J, Ibid, p .45.

(7) Cat. E, Op, cit, 73.

(8) خديجة منصوري، قبائل موريطانيا، ص 184.

(9) Iulius Honorius, A48, G.I.m, p.54.

(10) Desanges. J, Op.cit, p.48.

ماركولان أنها تقع في تيكلات، وحسب طاولة بوتنغر⁽¹⁾، حدد موقعها بين صلاي ودلس⁽²⁾. تجاوزها البارزوفلتياني (Barzifulitani)، يعتقد الجغرافي رفا أن اسم هذه القبيلة نسبة إلى قبيلة (Barsumli) الواقعة شرق فولبيمي، بمقاطعة موريطانيا الطنجية (Mauretanie Tingitane) لكن تبقى فرضية غير مؤكدة، كما تطرق ابن خلدون إلى قبيلة بني بزال (Les Beni- Berzal) أما ليون فيقول أن قبيلة البارزوفلتياني إحدى قبائل القبائل الكبرى⁽³⁾. وإلى الجنوب من هذه القبيلة نجد الفلومينانس (fluminenses) من قبائل الحلف الخماسي، بالرغم من أن ابن خلدون ذكرها باسم بنوبرزال (Beni Berzal)⁽⁴⁾.

وبالجهة الشرقية لقبيلة الفيرانتس نجد الروسوكانس (Rusuccenses) بحوض الفراكوس، وهو ما يفهم من كتابة يوليوس هونوريوس (Rusucc(ur)enses) وهذا ما يعني سكان (Rusuccus) أي دلس (Dellys)⁽⁵⁾، إذا ما أخذنا بعين الاعتبار التشابه بين اسم القبيلة مع اسم المدينة⁽⁶⁾.

تقطن بجمال جرجرة قبيلة الفراكسنانس (Fraxinenses)⁽⁷⁾، برزت هذه القبيلة خلال القرن الثالث والتي من المحتمل أنها كانت مستقرة في حوض الصومام⁽⁸⁾، تم التعرف عليها بفضل نقيشة لامبارز (ينظر النص رقم 5)⁽⁹⁾ المؤرخة بين 253-256م والتي تذكر أنها توسعت على حساب مقاطعة نوميديا، كما عثر على نقيشة بأوزيا مؤرخة في 260م (ينظر

(1) La table de Peutinger, Section VI.

(2) Desanges. J, Op.cit, p.51.

(3) Ibid, p.47.

(4) Desanges. J, Op.cit, p.47.

(5) Ibid, p.68.

(6) خديجة منصوري، قبائل موريطانيا، ص 185.

(7) Desanges. J, Op.cit, p.52.

(8) محمد الحبيب بشاري، المرجع السابق، ص 18.

(9) CIL. VIII. 2 615.

النص رقم (6)⁽¹⁾ تدل على وجودها تحت قيادة القائد فراكسن (Fraxen) أحد رجال هذه القبيلة لمواجهة الرومان بعد اتحادهم مع قبائل الحلف الخماسي والبوار لكن تصدى لهم بنجاح القائد الروماني ماكرونيوس (Macrinus)⁽²⁾، وتعتبر القبيلة هذه من قبائل القبائل الكبرى⁽³⁾.

النص رقم 5:

I(ovi)O(ptimo)M(aximo)/ceterisq(ue)diis(!)deabusq(ue)immortal
ib(us /C(aius)MacrinusDcianus v(ir)c(arissimus)
legat(us)/Augg(ustorum) pr(o)pr(aetore)prov(inciarum)Numidae
et No/rici Bavaribus qui adunatisIII/III/regibus in
prov(inciam)Numidiam in/ruperant primum in
regione/Millevitana iterato in confi/nio Mauretaniae et Numidi/ae
tertio Quinquegentaneis/gentilibus Mauretaniae Cae/sariensis
item gentilibus **Fra/xinensibus** qui provinciam/Numidiam
vastabant cap/to famosissimo duce eorum/caesisfugatisque⁽⁴⁾

حدد تاريخ النقيشة بين 253-256م، تتحدث عن إهداء حاكم مقاطعة نوميديا كايوس ماكرونيوس دكيانوس، في عهد الإمبراطورين غالينوس وفالريانوس، حيث قام الحاكم ماكرونيوس بالإهداء إلى الإله جوبيتر وكل الآلهة الأبدية لانتصاره على البوار الذين قامو تحت أربعة ملوك (adunatis IIII regibus) بغزو مقاطعة نوميديا، فهزمهم أولاً في ميله ثم من جديد على حدود المقاطعتين، والكتابة النقوشية تؤكد انهزام قبائل الحلف الخماسي، وثالثاً قبائل الفراكسينانس الذين أسروا قائدهم المشهور⁽⁵⁾.

النص رقم 6:

Q(uinto) Gargilio Q(uinti) f(ilio) Qfuirina tribu Martiali eq(uiti)
r(ornano) praef(ecto) coh(ortis) I Astyrum pr(ovinciae) Britanniae trib(uno)
co(hortis) Hispfanorum)
pr(ovinciae) Mauretaniae Cae (sariensis) a mil(itiis) praep (osito) coh(ortis)
sing (ularium) et vex fillationis)

(1) CIL. VIII. 9047.

(2) Camps. G, Faraxen, Ency berb, 18, 1997, p. 2728.

(3) Desanges. J, Op.cit, p.56.

(4) نقيشة لامباز. CIL.VIII.2615.

(5) جهيدة مهنتل، المرجع السابق، ص ص 431-432.

eq<q> (uitum) Mauror(um) in territorio Auziensi praetendentium dec(urioni) duarum col<l>-

(oniarum) Auziensis et Rusguniensis et pat(rono) prov(inciae) ob insignem in cives amorem et singularem

erga patriam adfectionem et quod eius virtute ac vigilantia **Faraxen** rebellis cum satellitibus suis fuerit captus

et interfectus ordo col(oniae) Auziensis insidiis **Bavarum** decepto p(ecunia) p(ublica) f fecit) dfecreto)

dfecurionum) VIII Kalfendas) Apr filis) anno prfovinciae) CCXXI (= 26 mars 260)⁽¹⁾.

كما نجد أيضا قبيلة الأوكوتامي (Ucutumani) وهي قبيلة جبلية مستقلة دل على ذلك نقيشة⁽²⁾ عثر عليها في جبل فدولس بجيملة (جنوب جيل Igilgili) تعود للعهد البرنطي، وتشير إلى ملك شعب الأوكوتاموروم (Rex Gentis Ukutamorum)⁽³⁾، يعتقد أن هذه القبيلة هي ذاتها القبيلة التي أشار إليها بطليموس باسم الكيداموسي (Koidamousii)⁽⁴⁾، على الضفة اليسرى لوادي أمساغا، حدد كرتوا موقعها على ضفاف وادي بوصالح ووادي الذهب شرق مقاطعة موريطانيا السطايفية⁽⁵⁾، وهذا هو موطن كتامة إلى اليوم⁽⁶⁾.

كما نجد قبيلة الزميري (Zimizes) التي ذكرتها طاولة بوتغر⁽⁷⁾ باسم (Zimises)، وتضع مضاربها بين إجيلي ومصب نهر الأمساغا الوادي الكبير في المنطقة الساحلية⁽⁸⁾، هذا التمرکز توضحه نقيشة⁽⁹⁾ مؤرخة بـ 128م والتي تشير إلى إشراف والي مقاطعة

⁽¹⁾ نقيشة أوزيا، CIL .VIII.9047.

⁽²⁾ CIL. VIII. 8379.

⁽³⁾ محمد الحبيب بشاري، المرجع السابق، ص 15.

⁽⁴⁾ بطليموس، IV، 2، 5.

⁽⁵⁾ Courtois. Ch, Op.cit, pp.121-122.

⁽⁶⁾ محمد العربي عقون، الكنفدرالية السيرتية، ص 353.

⁽⁷⁾ Table de putinger, Sections VI.

⁽⁸⁾ Desanges. J, Op.cit, p.72

⁽⁹⁾ CIL. VIII. 8369.

موريطنيا القيصرية ماركوس فتيوس لاترو (Marcus Vittuis Latro)، على رسم الحدود الفاصلة بين أراضي مستوطنة إيجيلي (Igiligili) وأراضي قبيلة الزميز وتحدد تنقلاتها⁽¹⁾. يعتقد ديزونج أن مدينة زيامة (Ziama) (شوبا) أخذت اسمها من هذه القبيلة⁽²⁾، وهو ما ذهب إليه أيضا الباحث كات (Cat.E) في أواخر القرن التاسع عشر حين أعتقد أن اسم المدينة زيامة مشتق من اسم قبيلة الزميز المشار إليها في نقش 128م، هذه الفرضية لا أساس لها من الصحة حسب رأي خديجة منصوري، طالما موطن هذه القبيلة يقع حسب طاولة بوتنغر كما سبق الإشارة إليه جنوب الطريق الرابط بين إيجيلي وشولو (القل) (Chullu)⁽³⁾.

بعيدا عن الساحل تقيم قبيلة التدوكايي (Todoukae) التي يضعها بطليموس بالقرب من منابع وادي الأمساغا⁽⁴⁾، بينما تضعها طاولة بوتنغر شمال شرق سطيف (Sitifis)⁽⁵⁾، يجاورها قبيلة الموزوني (Musoni)⁽⁶⁾ التي ذكرها يوليوس هونوريوس باسم الموزوني (Musuni) أو الموزوناي (Musunei)⁽⁷⁾، حددت طاولة بوتنغر موقعها بين سطيف وحوض الحضنة أي تقطن بالجهة الجنوبية لسطيف⁽⁸⁾، والملاحظ أننا نجد ذكر للقبيلة ضمن قبائل نوميديا وهذا يدل على تحرك قبلي قديم للقبيلة.

(1) خديجة منصوري، التطورات الاقتصادية لموريطنيا القيصرية أثناء الاحتلال الروماني، أطروحة دكتوراه، إ: محمد البشير شنيبي، جامعة وهران، 1995/1996، ص ص 57-58.

(2) Desanges. J, Op.cit, p.72.

(3) خديجة منصوري، شوبا في الفترة الرومانية، مدينة شوبا مبيتسييوم في عيون الباحثين، جيل، 2005، ص ص 5 - 6.

(4) بطليموس، IV، 2، 5.

(5) La table de Peutinger, Section. II.2.3.

(6) حملت عديد القبائل خلال الفترة الرومانية أسماء متشابهة منها قبائل الموسوني التي أشار إليها بلين (Plin.V.4.5) وبطليموس (V.6.5) حتى وإن اختلف النطق فالأول ذكرها باسم (Mussini) والثاني (Mossouoi)، كما ورد ذكرهم في النصوص الإيبغرافية. للمزيد ينظر: كامبس قابريال، ماسينييا أو بداية التاريخ...، المرجع السابق، ص 310-311.

(7) Gsell.St, Observations Géographiques ..., OP, cit, p. 37.

(8) La table de Peutinger, Section. II.2.3.

- قبيلة سالاس أو إيسالاسن (Salassii): ذكرت الوثائق هذه القبيلة ويرجح أن تكون هي القبيلة التي أشار لها بطليموس في جغرافيته باسم سالاسي (Salassi)⁽¹⁾، امتدت مضاربها بين قبيلة الماخور (Makhourc) والمالكوبي (Malkhoubii) الجبلية، وهو ما يوحي أنها ليست بعيدة عن واد الامساغا (الواد الكبير)⁽²⁾، أي أن أراضيها تواجدت بجوار بلدة هنشير الأبيض (توكة الجبلية) مابين ميليانة وملتيانة⁽³⁾ التابعة إداريا لولاية جيجل والقريبة من ولاية ميلة⁽⁴⁾، بينما يعيش فرع من قبيلة نوميديا (Numidae) بالغيريا علي بعد خمسة كلم غرب مجانة شمال غرب برج بوعريج، حيث استوطنت هذه المنطقة في فترة حكم هادريان (Hadrianus) وتحت سلطة حاكم موريتانيا القيصرية كايوس بيتريوس (Caius petronius) الذي رسم حدود أراضيها⁽⁵⁾. وبجبال الباور استقرت كل من قبيلتي والموكوني (Moukouni) والماكورس (Makhours)⁽⁶⁾، هذه الأخيرة وردت في جغرافية بطليموس أسفل قبيلة البانيوري، وغرب السلاسيين والماخوريين⁽⁷⁾. وبما أن قبيلة البانيوري ربما هي قبيلة ساحلية تقع في الغرب، أو أكثر دقة تقع شرق بجاية وقبيلة السلاسي (Salassu) على ما يبدو قطنت منطقة الميلية (Elmilia)، لذا يمكننا أن نفترض أن قبيلة الماخور هي إحدى قبائل الباور⁽⁸⁾.

وتنتشر بإقليم الحضنة قبائل الكابريانسس (Caprarienses)⁽⁹⁾، القاطنة بجبال الكابري القريبة من أرض قبائل الأباي، وهي الجبال التي شهدت أحداث من ثورة فيرموس

(1) بطليموس، IV، 2، 5.

(2) Desanges. J, Op.cit, p.68.

(3) محمد العربي عقون، الكونفدرالية السيرتية، ص353.

(4) غنية بوقرة، المرجع السابق، ص187.

(5) Gsell.St, A.A.A, F15n°78.

(6) خديجة منصوري، قبائل موريطانيا، ص186.

(7) بطليموس، IV، 2، 5.

(8) Desanges. J, Op.cit, p.55.

(9) Courtois. Ch, Op.cit, p.120; Ammien Marcellin, XXIX.V.35.

وقد تكون بجبال أولاد نايل⁽¹⁾، وقبائل أباني (Abanni)⁽²⁾ التي اشتهرت بالترحال والرعي (بدو رحل)، وتسكن السفوح الشمالية الغربية لمسيلة قرب شط الحضنة⁽³⁾.

3 . قبائل المنطقة الوسطى والغربية للقيصرية:

قبيلة المغازيس (Mazices): عمرت هذه المنطقة قبائل عديدة التي تميزت بالقوة خلال فترة الاحتلال الروماني. اختلف الجغرافيون والكتاب القدامى في تحديد موطنها⁽⁴⁾، ووفقا لبطليموس استخدم مسمى (Mazices) لأول مرة كاسم عرقي محدد، للإشارة إلى عدد قليل من الشعوب المعزولة الموجودة في أماكن بعيدة عن بعضها البعض (نوميديا وموريطانيا القيصرية والطنجية وحتى شمال الصحراء الليبية)⁽⁵⁾، يضعها أثناء وصفه لموريطانيا القيصرية بعد جبل زيلاكون (Zelakon)، جنوب قبيلة الماخوسي (Makhousi) وتجاور قبيلة البانتوراري (Banntourari) ويصفها بالمجتمع المتجانس⁽⁶⁾، أي أن أراضيها امتدت بين زكار والونشريس، بينما يضعها أميان ماركولان في المنطقة القريبة من جبل أنكوراروس (Ancorarius) أثناء حديثه عن ثورة فيرموس ويعتقد أنها جبال الونشريس⁽⁷⁾، في حين تشير لائحة فيرون لهم في نهاية القرن الثالث وتحدد موطنهم بين قبيلة الموريجيناسي (Mauri Gensani) وقبيلة البوار⁽⁸⁾، أما يوليوس هونوريوس⁽⁹⁾ فيحدد موقعهم

(1) Tissot. Op.cit p. 465.

(2) Ammien Marcellin, XXIX.V.37.

(3) سعاد بوسليمان، قراءة في تاريخ الحضنة القديم، مجلة دراسات في العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، مج32، ع2، جويلية 2019، ص40.

(4) Leveau. Ph. L'aile II des Thraces, la tribu des Mazices et les praefecti gentis en Afrique du Nord. In : Anti Afr, 7,1973. p. 171.

(5) Modéran.Y, Mazices, Mazaces, Ency berb, 31. 2010. p.4800.

(6) بطليموس، IV، 2، 5.

(7) Ammien Marcellin. Livre XXIX. V. 17.

(8) Leveau. Ph.Op.cit, p.172.

(9) Iulius Honorius, A48, G.I.m, p54.

في حوالي القرن الخامس الميلادي، بين قبيلة الحلف الخماسي والبواراس (Bures)(البوار) وبين قبيلة الموسوني (Musonii) وقبيلة الأرنتيت (Artennites)⁽¹⁾⁽²⁾.

بينما النصوص الأثرية أوردت ذكر القبيلة في نقيشة واحدة فقط وهي التي عثر عليها في مليانة (Miliana) (Mentionne un prafectus)⁽³⁾، ويمكن أن يكونوا (Moutens) هم المازيكس الذين ذكرتهم نقيشة عثر عليها في لامبار والتي تعود إلى نهاية القرن الثاني والثالث الميلاديين (Mazicum reg(ionis) Montens(is))⁽⁴⁾، وترجمتها المازيس الملكي الجبلي والتي تؤكد وجودهم بالجلال⁽⁵⁾، ويحدد كامبس (Camps.G) مناطق انتشار القبيلة على نطاق واسع بكل من نوميديا والموريطانييتين القيصرية والطنجية⁽⁶⁾، بينما يحصرهم كرتوا بالجهة الجنوبية لجبل زكار⁽⁷⁾، ويقترح موديران وجود قبيلة مازيس واحدة في قيصرية، بالقرب من المجرى الأوسط لنهر الشلف في شماله أو جنوبه وهي قبيلة قوية جعلها الرومان تخضع لرقابة وثيقة⁽⁸⁾، في حين غزال يعتقد أن اسم المازيس يتطابق مع قبائل بني مناصر قرب شرشال حاليا، وقد أسندت هذه التسمية إلى عدة قبائل في شمال أفريقيا فقد عثر على عدة نقوش ليبية تحمل مصطلحات متقاربة مع المازيس مثل: (Mazik)، (Mazix)، (Mazzic)، (Mazic)، (Mazica)⁽⁹⁾، هذه الظاهرة تفسر وجود العديد من القبائل ذات العرقية الواحدة، والمنتشرة بنطاق واسع في المنطقة التي يوحدتها نمط

(1) Desanges. J, Op.cit, p.63.

(2) تقيم قبيلة الموسون (Musones) بين جبل زكار وسيدي بوراس، بينما قبيلة الأرنتيت فتقيم بسيدي بوراس. ويعتقد ديزانج أن للموسون علاقة بالموكوني Moukounii المتواجدة جنوب البابور. للمزيد ينظر: Desanges. J, Op.cit, p.44. 64-65

(3) Leveau. Ph.Op.cit, p.171.

(4) CIL. VIII. 2786.

(5) Modéran.Y, Op.cit. p.4801.

(6) قابريال كامبس، ماسينيسا أو بداية التاريخ، ص ص 38-43؛ Leveau. Ph.Op.cit, p.174

(7) Courtois. Ch, Op.cit, p.12 0; Desanges. J, Op.cit, p.63.

(8) Modéran.Y, Op.cit. p.4801.

(9) Gsell. S, Observations Géographiques ..., OP, cit, p35.

الحياة الذي اتسم بالإقتصاد الرعوي، وشبه الرحل في بيئة صعبة جبلية أو ما قبل صحراوية⁽¹⁾، وهذا التشابه في أسماء القبائل دل على تحرك قبلي قديم بالمنطقة.

وتتواجد بهذه المنطقة أيضا قبيلة البانتوراري (Bantourari) المقيمة جنوب جبل زلاكون⁽²⁾. وكان جبل زكار معقلا لعدة قبائل أخرى بحيث تنتشر بينه وبين الأطلس المتيجي خاصة نواحي مليانة، قبائل الكونتورياني (Contariani)، ويجاورها الكافاو (Cafaves) والأسطوماط (Austomates)⁽³⁾، وتوطن بجمال الونشريس كل من الأكوينسي⁽⁴⁾ (Akouensi) والماكوري (Makkourae)، والموكيني (Mukeni) وغير بعيد عنها جنوبا بنواحي نهر واصل قبيلة الماخوسي غرب وادي مسلمون، وشرق هذه القبيلة نجد الماكوربي (Macurebi) المقيمة بين وادي حميز، ووادي يسر⁽⁵⁾، أما شمال الونشريس فنجد قبيلة الطابياننس (Tabianenses) المتواجدة بين شرشال وعين الدفلى⁽⁶⁾، وقرب منابع نهر أمبساغا تقيم قبيلة التودوكي (Todouke)⁽⁷⁾. بينما تواجدت جنوب مرسى الحجاج (Rusubbicari) ورأس جينات (Cissi) قبيلة الإيكامبانسس (Icampenses)⁽⁸⁾.

ننهي دراستنا لقبائل موريطانيا القيصرية بالتطرق لقبائل الجهة الغربية، أين تعد قبيلة المازيسيل (Massaeslyli) أهمها والأكثر ذكرا في المصادر الكلاسيكية كبلين الأكبر وبطليموس⁽⁹⁾، وإطارها الجغرافي يشمل القسم الشرقي لموريطانيا الطنجية والقسم الغربي

(1) Hamdoune.C, Op.cit, pp3045-3052.

(2) مقدم بنت النبي، السياسة الرومانية، ص 50.

(3) خديجة منصوري، قبائل موريطانيا، ص 181.

(4) Desanges. J, Op.cit. p.48-44-43.

(5) بطليموس. IV، 2، 5.

(6) خديجة منصوري، قبائل موريطانيا، ص 181؛ مقدم بنت النبي، السياسة الرومانية، ص 51.

(7) بطليموس. IV، 2، 5.

(8) Desanges. J, Op.cit, p.55.

(9) Polybius, III.3.15 ; XVI,2.36 ; Strabon, XVII,3.9 ; Tite Live, XXVIII,17.5 ; Pline l'ancien, V. 17.52.XXI,77.

لموريطانيا القيصرية⁽¹⁾. ذكرها بلين مرتين مرة بجوار الموريين بموريطانيا القيصرية، ثم يشير لها مرة أخرى في موريطانيا الطنجية⁽²⁾، ويعتقد أن يكون لهذه القبيلة فرعان أحدهما بموريطانيا القيصرية والآخر بالطنجية، كما يمكن أن تكون قبيلة واحدة لها تحركات بأراضي الموريطانييتين⁽³⁾.

كما يوجد بالمنطقة الغربية من موريطانيا القيصرية قبيلة الهيربيديتاني (Herpeditani) التي لا يستبعد تفرعها إلى فرعين الأول يقيم بالأراضي المحيطة بجبل كبدانة وعلى أطراف مجرى وادي الملوية بالجهة الغربية، بينما الفرع الثاني متمركز بين بني زناسن وتزاره⁽⁴⁾. وشرق هذه القبيلة تقطن قبيلة صورايب (Sorae) بمغنية (Numeru Syrorum)، ثم قبيلة التالادوسي (Taladoussii) شمال جبال تلمسان شمال تسالا، كما نجد قبيلة الرخاينس (Regienses) التي تقيم بأريال (Regiae)⁽⁵⁾.

وتتمثل باقي قبائل الجهة الغربية في قبيلة الإلولي (Eloului) المستقرة بسيدي بلعباس، والدويتايي (Druitae) التي ذكرها بطليموس تحت الماسسيل⁽⁶⁾ وتنتشر أراضيها ببني بوسعيد وبني سنوس وبني هديال وأولاد عوريش وأولاد نهار وبني ورنيد وبني إسماعيل وأولاد بلار، وهي بهذا الامتداد ربما تواجدت شمال جبال سعيدة، ونجد أيضا قبيلة التولوتايي (Tolotae) المقيمة بأراضي أولاد نهار، وأولاد علي بن هامل والحميان الشرقيين والغربيين⁽⁷⁾. أيضا وجدت قبيلة الناكموسي (Nakmousii) التي أنهى بها بطليموس حديثه عن قبائل موريطانيا القيصرية، ويضعها بالمنطقة الواقعة بين قبيلة الإلولي وجبال

(1) Desanges. J, Op.cit, p.63.

(2) Pline l'ancien, V. 17; V.52.

(3) Desanges. J, Op.cit, p.34.

(4) Ibid, Op.cit, p.54 .

(5) خديجة منصوري، قبائل موريطانيا، ص177.

(6) بطليموس، IV، 5.2.

(7) Carthy.O.M, Algeria Romanna, Recherches sur l'occupation et la Colonisation de l'Algérie par les Romains, Rev, Afri,1857, P.356 ; Desanges. J, Op.cit, p. 50.70 ; خديجة منصوري، قبائل

موريطانيا، ص178.

[illegible]

Yann Le Bohec , La guerre en Afrique sous le Haut-Empire :problématique, La guerre dans l'Afrique romaine sous le Haut-Empire, Sous la direction de Michèle Coltelloni-Trannoy et Yann Le Bohec ,2014,p.123.

(3) Moderan. Y, Op. cit, p. 90.

رابعاً: انتشار القبائل بموريطانيا الطنجية:

1. قبائل المنطقة الشمالية:

عرفت هذه المقاطعة عند اليونان باسم ماوروسيا (Maurusia) وهم من سموها هذه المنطقة بهذا الاسم لأول مرة، وأخذه عنهم الرومان فيما بعد وسجلوه بموريطانيا (Mauritania)، وكانت قبيلة بانيوراي (Baniurae) تستوطن شمال المقاطعة الطنجية بين المتوسط شمالاً والمحيط غرباً ونهر سبو جنوباً، بينما كانت قبيلة أوتولولي (Autololes) منتشرة في السهول الساحلية للمحيط الأطلسي، وقبيلة كاناري (Canaru) منتشرة بناحية منطقة الفقيق الحالية⁽¹⁾.

تعرضت العديد من النصوص القديمة الإغريقية واللاتينية وحتى الإيبغرافية إلى القبائل التي استوطنت موريطانيا الطنجية، سواءً المنطقة الخاضعة لروما أو تلك المناطق التي كانت خارج حدودها، سنحاول تحديد مواطن القبائل هذه بالاعتماد على المصادر المتوفرة معتمدين على أقرب النصوص القديمة لهذه الفترة وهو الجغرافي بطليموس، الذي يذكر المجموعات القبلية المورية بالترتيب من الشمال إلى الجنوب ومن الغرب إلى الشرق⁽²⁾، ويورد بطليموس ست عشرة قبيلة أو مجموعة بشرية فقط، وهو أكيد ليس بالعدد الأصلي للشعوب والقبائل التي عمرت إقليم المقاطعة⁽³⁾. ويقدم يوليوس هونوريوس في مؤلفه (Cosmographie) الذي يعود إلى القرن الخامس على أرجح تقدير، قائمة من ستة وعشرين اسماً إثنياً بموريطانيا الطنجية والتي يمكن تقليلها إلى واحد وعشرين اسماً، وذلك بسبب أخطاء في قراءة ثلاثة أسماء، كما أن هناك اسمين من المدن أدرجت مع القبائل

(1) زهير بخوشي، المرجع السابق، ص 64.

(2) مصطفى أعشي، العلاقات بين بعض القبائل المورية والرومان في سهل الغرب خلال القرنين الثاني والثالث الميلاديين

قبيلة الزيكريسيين نموذجاً، مجلة البحث التاريخي، الجمعية المغربية للبحث التاريخي، 2008، ص 54-55.

(3) مصطفى أعشي، العلاقات بين بعض القبائل، ص 55.

خطاً⁽¹⁾. وهذه هي الأسماء الصحيحة لقبائل، وعشائر موريطنيا الطنجية⁽²⁾ نستعرضها كما أوردها بطليموس أي من الشمال إلى الجنوب، ثم من الغرب إلى الشرق.

- قبيلة الميتاغونيتية (Metagonitae) ذكر بطليموس أنها تستقر على شواطئ مضيق أعمدة هرقل⁽³⁾، وهي من قبائل المنطقة الغربية للطنجية امتدت أراضيها بين رأس سبارتل (Cap Spartel) وكوتا (سبتة) (Ceuta)⁽⁴⁾، وتسكن الأجزاء التي تواجه البحر الإيبيري قبيلة السوكوسي (Sokoussi)⁽⁵⁾، التي يحدها من الغرب الميتاغونيتي ومن الجنوب الفيرف (الورويس)، ولذلك ربما تكون مواطن السوكوسي محصورة بين سبتة في الشمال ووادي لاو في الجنوب⁽⁶⁾، أي تقطن غرب مدينة كوتا (Cuta)⁽⁷⁾.

- قبيلة الورويس (Oueroueis) يضعها بطليموس جنوب السوكوسي، ومرة أخرى شمال الولىلين⁽⁸⁾، ربط ديزانج بين كلمة الوريوري ونهر ورغة، وعليه لا يستبعد أن يكون موطنهم على ضفاف هذا النهر⁽⁹⁾. ويجاورها غربا قبيلة الأوربكاوي (Ouerbikae)⁽¹⁰⁾، وليس بعيداً أن يكون لهذه القبيلة علاقة بمدينة فوبريكس (بيريكس)، وموطنهم بحسب تحديد بطليموس في سهل الغرب حول المجرى الأوسط لنهر سبو⁽¹¹⁾.

- قبيلة المازيك (Mazices.Masikes) ذكرها بطليموس أسفل الميتاغونيتية (Metagonitae)⁽¹²⁾، كما ذكرها سابقا من شعوب موريطنيا القيصرية⁽¹⁾، وهي من القبائل

(1) Modéran. Y, De Julius Honorius..., Op.cit, p. 266.

(2) Rebuffat. R, Op.cit, p.24.

(3) بطليموس، 5.I، IV.

(4) Desanges. J, Op.cit, p.36.

(5) بطليموس، 5.I، IV.

(6) مصطفى أعشي، العلاقات بين بعض القبائل، ص 56.

(7) Desanges. J, Op. cit, p.39.

(8) بطليموس، 5.I، IV.

(9) مصطفى أعشي، العلاقات بين بعض القبائل، ص ص 56-57.

(10) Desanges. J, Op.cit, p.37.

(11) مصطفى أعشي، المرجع السابق، ص 58.

(12) بطليموس، 5.I، IV.

التي تنتمي للجذر (MZG)⁽²⁾، يضعها مؤلف الجوهانيد الشاعر كوربيوس⁽³⁾ بعد أربعة قرون من بطليموس على نهر يسمى فادارا (Vadara)⁽⁴⁾ الرافد العلوي على يمين نهر السبو⁽⁵⁾، يعتقد كانيا أن مازيك موريطانيا الطنجية ليسوا إلا امتدادا أو جزءا من قبائل مازيك القيصرية الذين استقروا شرق تيبازة⁽⁶⁾، بالنسبة للطنجية تنتشر أراضي هذه القبيلة بمنطقة الأنجورة (Enjerra) بالقرب من طنجة⁽⁷⁾، وهم بهذا التحديد سكنوا المنطقة الفاصلة بين نهر تمودا (مارتيل) في الشرق والمحيط الأطلسي في الغرب⁽⁸⁾.

2. قبيلتا البانيوراي والزيغرنسي وتنقلتهما في سهل الغرب:

شكل سهل الغرب مجالا طبيعيا تنقلت فيه هاتين القبيلتين، وهو من السهول الساحلية، يقع في شمال المغرب، يتميز بانبساط أراضيها وخصوبتها، بسبب الرواسب التي يحملها وادي سبو وروافده. وقد اكتسب سهل الغرب مكانة متميزة عبر تاريخ المغرب نظرا لموقعه المتميز الذي يجمع بين شمال المغرب وشرقه، شكل هذا السهل مجالا استقرت به العديد من القبائل في الفترة الرومانية منها:

- قبيلة البانيوراي (Baniurae): ذكرهم بلين بأنهم من أقوام موريطانيا الطنجية، وطنهم بين المحيط الأطلسي ونهر سبو جنوبا ويحدد مجالها مباشرة قبل الأوتول⁽⁹⁾ حيث يقول: "...والقوم التالي لهم هم المازيسيل، وهؤلاء أبيدوا واختفوا بالأسلوب نفسه، والآن يشغل

(1) بطليموس، IV، II، 5.

(2) للمزيد عن هذه القبيلة ينظر: Modéran.Y, Mazices, Mazaces, Ency berb, 31. 2010.pp.4799-4810.

(3) Corippus ,11,66 et suiv.

(4) فادارا (Vadara): ورد ذكر هذا النهر لدى كوربيوس غير أنه ليس له ذكر آخر في العصور القديمة، يعتقد أن هذا النهر هو نهر أويرا أو الورقلية حسب النطق العربي، الرافد العلوي لنهر السبو.

(5) De Saint Martin, V, Op.cit, p.408.

(6) Rachet .M, Rome et les Berbères. Un problème militaire d'Auguste à Dioclétien [comptendusem-link Desanges Jehan, Revue belge de Philologie et d'Histoire Année 1972, p. 95 ; Cagnat. R, Op.cit, p. 84.

(7) نصيرة ساحير، موريطانيا الطنجية بحث حول اللميس ومقاومة المور، رسالة ماجستير، إ: محمد البشير شنياتي، جامعة الجزائر 2، 2001/2000، ص108.

(8) مصطفى أعشي، العلاقات بين بعض القبائل، ص 57.

(9) Desanges. J, Catalogue..., Op.cit, p.28.

مكانهم أقوام الجيتول، والبانويوري والأوتول الأقوياء⁽¹⁾. ورد ذكر هذه القبيلة عند بطليموس باسم البانيوباي (Banioubae)، وجعلهم جنوب غرب موريطانيا الطنجية بجوار الزغرني الجهة الشرقية⁽²⁾، والراجح أن البانيوباي قبيلة أخرى تنتشر أراضيها حسب بطليموس جنوب السهل الأحمر⁽³⁾، يضعهم ديزانج بين فاس (وادي تانفاست) وتازة (الأطلس) (البحيرة الحمراء)⁽⁴⁾.

يضع الجغرافي رافينا باسم (Bonioricis) بين ويلي وجيلدا، لكن تم العثور على نقيشة⁽⁵⁾ في باناسا في القرن الحادي عشر الميلادي، يحمل اسم البانيوري وهو ما اعتبر دليلا على استقرار هذه القبيلة جنوب باناسا⁽⁶⁾. إذا يمكن توطين البانيوري في المناطق المجاورة لمدينة باناسا بالجهة الجنوبية إلى الجنوب من قبيلة الزغرني⁽⁷⁾، ومدينة باناسا تشرف على سهل الغرب. وبالقرب من هذه القبيلة نجد الأوالوبيلاني (Oualoubilani) التي تجاورها قبيلة الإينقوكاني (Iangoukani) التي يعتقد أنها كانت تتجمع بين وادي بهت ومنابع نهر أم الربيع⁽⁸⁾، كما يحتمل أن تكون هذه القبيلة فرعا من الكوني (Kauni)⁽⁹⁾.

(1) Pline l'ancien, V.17.

(2) بطليموس، 5.I، IV.

(3) هناك العديد من الافتراضات المتعلقة بالسهل الأحمر فأوزينا يعتقد أنه هو سهل الغرب، أو هو المنطقة المحصورة بين نهر أم الربيع وتانسيفت أو الواقعة غرب مراكش، وبالتالي يكون موطن قبيلة البانيوباي بين ويلي وكيلدا بمعنى من شمال ويلي إلى نهر ورغة، وقد أستوطنت هذه القبائل السفوح الشمالية الغربية للأطلس الكبير الأوسط. للمزيد ينظر: مصطفى أعشي، العلاقات بين بعض القبائل، ص ص 60-61.

(4) Desanges. J, Catalogue..., Op.cit, p.27.

(5) وهي عبارة عن قطعة خزفية وجدت في باناسا بها نقيشة ذكرت اسم البانيوري.

(6) Ibid, p.27.

(7) سيدي محمد العيوض، قبيلتا الزغرنيين والبنويوري وتنقلتهما في سهل الغرب خلال الفترة الرومانية، قطوف من تاريخ شمال إفريقيا القديم أعمال مهداة للأستاذة البضاوية بلكمال، تن: سيدي محمد العيوض والحسن بودرقا، تق: عبد العزيز أكرير، مركز أطلس للطباعة والنشر والتوزيع، 2023، ص 161.

(8) مصطفى أعشي، العلاقات بين بعض القبائل، ص 59.

(9) Desanges. J, Op.cit, p.33.

ينتمي البنيور إلى الجيتول الذين انتقلوا خلال فترة معينة إلى الشمال وحلوا محل الموريين الذين أضعفتهم الحروب المتوالية بحسب إشارة بلين⁽¹⁾، وعلى ما يبدو أن الرومان سمحوا لهذه القبيلة وقبيلة الزغرنيين بالتحرك نحو الشمال، خدمة لمصالحه حيث شكلوا حزاماً أمنياً حول مستوطنتي بابا وبناصا الرومانيتين⁽²⁾.

- **قبيلة الزغرنيين (Zegrénsii):** المصدر الوحيد الذي يذكر هذه القبيلة هو بطليموس ويجعلها من شعوب موريطانيا الطنجية، وحدد مواطنها جنوب السهل الأحمر وراء قبيلة النكتير⁽³⁾، الذي يعرف في المصادر بالكامبوس روفوس (Campus Rufus)، وهي تسمية تخص وصفاً ينطبق على المناطق التي تتميز بالانبساط واحمرار التربة، وطن الباحثون السهل الأحمر المذكور عند بطليموس بإقليم حوز مراكش، بسهل مراكش الذي يجري فيه وادي تانسيفت الذي تميز باحمرار تربته الطينية⁽⁴⁾. وتسمية الزغرنيين تتطابق مع تسمية البحيرة الحمراء التي تطلق على السهل القاحل الأحمر الممتد من جبال الأطلس إلى نهر تانسيفت⁽⁵⁾، وهو الإقليم الذي استقرت به هذه القبيلة أي قطنت الحوض الأعلى لورغة⁽⁶⁾.

عثر بموقع باناسا على مجموعة من الوثائق الأثرية (Tabula de banasa) المهمة، لها علاقة بقبيلة الزغرنيين المتنقلة في سهل الغرب، وهو ما قدم قراءة جديدة لنص بطليموس بالقول أن السهل الأحمر يطابق المجال الأوسط لوادي بهت، وبذلك يمكن توطين الزغرنيين جنوب شرق باناسا وهو ما يفسر ترددهم على المدينة⁽⁷⁾، وهذا يدل على أن

(1) Pline l'ancien, V.17.

(2) سيدي محمد العيوض، المرجع السابق، ص 160.

(3) بطليموس، I، IV، 5.

(4) سيدي محمد العيوض، المرجع السابق، ص 156.

(5) عبد الرحمان اليوبي، علاقات قبائل موريطانيا الطنجية بالسلطة الرومانية، أعمال الندوة الدولية المقاومة المغربية عبر التاريخ أو مغرب المقاومات، المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، الرباط، 2005، ص 43.

(6) Desanges. J, Op.cit, p.40.

(7) سيدي محمد العيوض، المرجع السابق، ص 156.

مجالات تحرك هذه القبيلة كان بعيدا عن الأطلس الكبير⁽¹⁾، فللقبيلة علاقة بمدينة باناسا وما جاورها أين ترددت عليها، حتى أن الرومان سعوا لتوطيئها في هذه المنطقة⁽²⁾. وقد امتد موطنها في المنطقة المحصورة ما بين جبال الريف ومجرى نهر السبو⁽³⁾، وعن نمط معيشتها يشير بطليموس أن الطابع العام للقبيلة تميز بتربية الماشية والأبقار . يعتقد (De Saint Martin, V) أن القبيلة موجودة تحت اسم زغرانة (Zeghrana) في الأجزاء الغربية من الصحراء⁽⁴⁾.

3. قبائل جبال الأطلس:

- قبائل البقواط (Baquates): من القبائل المورية كثيرة العدد (Gentas Malta)⁽⁵⁾، التي كانت لها علاقة مع الرومان على امتداد القرنين الثاني والثالث للميلاد⁽⁶⁾، ذكرتهم النقوش اللاتينية حوالي خمس عشرة نقشا منها تسعة نقوش عثر عليها بوليلي (Volubilis) وحدها مبينة علاقتهم بالسلطة الرومانية، تحركاتهم الإقليمية والأحداث التي كانوا طرفا فيها⁽⁷⁾، وتغطي هذه النقوش الفترة الممتدة من حكم هادريان (117-122م) إلى غاية سنة 280م⁽⁸⁾، كما ذكر البقواط في معظم النصوص الأدبية وكتب الرحلات، من ذلك ما جاء به بطليموس الذي كان يسميهم البقواس أو باكواتي (Baquates)، وهو يضعها شمال الماكينيت (Macénites)⁽⁹⁾. اختلفت الباحثون في ضبط موقعهم، وتحديد علاقاتهم

(1) مصطفى أعشي، العلاقات بين بعض القبائل، ص 62-63.

(2) سيدي محمد العيوض، المرجع السابق، ص 160.

(3) نرجس محمد سويس، السياسة الرومانية تجاه قبيلتي الزيغرنسيس والبكواتيس في ولاية موريتانيا الطنجية خلال القرنين الأول والثاني ميلادي، مجلة القرطاس، ع10، المغرب، سبتمبر 2020، ص388.

(4) De Saint Martin, V, Op.cit, p.409.

(5) Desanges. J, Op.cit, p.28.

(6) محمد اللبار، الباقواط وتاريخ موريتانيا الطنجية، أعمال الندوة الدولية المقاومة المغربية عبر التاريخ أو مغرب المقاومات، المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، الرباط، 2005، ص64.

(7) مصطفى الأعشي، نقائش معاهدات، ص15.

(8) Ferzoul. E, Rome et la Mauritanie Tangitane un constat d'echec ? Ant.Af, 16, 1980, p102.

(9) بطليموس، I، IV، 5.

بالقبائل الأخرى المجاورة لهم، فمنهم من حصر موطنهم فيما وراء ملوية نقلا عن يوليوس هونوريوس، وهو يفصلهم عن قبائل البوار⁽¹⁾، بينما كاركوبينو يجعل موطنهم على كل أراضي، موريطانيا وذلك لامتداد مسرح المعارك التي جرت بين الباقواط والرومان، وهي تشمل مجالا واسعا من مدينة إيجيلي شرقا الى مدينة كارطيناي غربا⁽²⁾، حدد ديزانج موطنهم بين سلا (Sala) والأطلس إضافة لبعض المناطق المحصنة من هذه السلسلة الجبلية⁽³⁾، بينما يذكر البعض الآخر أنهم كانوا متّحدين مع قبائل البوار المنتشرة في منطقة الونشريس والتيطري والبابور وبالتالي موطنهم هو المنطقة الممتدة بين الموريطانيتين القيصرية والطنجية ما بين نهر ملوية غربا، ومدينة كارطيناي (تتس) (Cartennae)⁽⁴⁾، التي عثر فيها على نقيشة (نقيشة كرطيناي تتس)⁽⁵⁾ التي تعتبر أقدم شاهد أثري تحدث عن البقواط⁽⁶⁾، وتذكر هجوم هذه القبائل على كرطيناي في عهد هادريان عام 122م، وكان من نتائج هذا الهجوم البقواطي هو طرد القبائل من موطنها، الذي يعتقد المؤرخون أنه كان يمتد من بلاد الشلف إلى جبال الأطلس الأوسط بالمغرب الأقصى، لكن المطاردة الرومانية أزاقتها غربا إلى المقاطعة الطنجية⁽⁷⁾.

ويظهر حسب الأخبار المتناقلة حول البقواط أنهم كانوا يستوطنون المنطقة الممتدة من حاضرة ويلي (Volubilis)⁽⁸⁾ حتى مرتفعات الأطلس الأوسط إذ كانوا في صراع مع حكام

(1) Julius Honorius. A 47. p. 53.

(2) جيروم كاركوبينو، المرجع السابق، ص ص 379-383.

(3) Desanges. J, Op.cit, pp.30.31.

(4) Ferzoul.E.Op.cit. p.102.

(5) C.I.L. VIII.9663.

(6) محمد اللبار، المرجع السابق، ص ص 70-71.

(7) جيروم كاركوبينو، المجمع السابق، ص ص 385-390.

(8) ويلي (Volubilis): قصر الفرعون حاليا من المدن الداخلية الهامة بموريطانيا الطنجية، تقع على بعد 30 كلم شمال مدينة مكناس، يعود التاريخ الأول لاستقرار الرومان بالمنطقة إلى سنة 44م وهو يوافق تاريخ إنشاء موريطانيا الطنجية، رفعها الإمبراطور كلوديوس إلى منزلة البلدة الرومانية (Municipium volubilitanum) سنة 44م. يبدو أن ويلي كانت تمثل مقرا ثاني لحكام المقاطعة بعد طنجة وذلك بالنظر للكم الهائل من النقوش التي عثر عليها بالمنطقة، لعل أهمها

الرومان في المقاطعة الطنجية من أجل السيطرة على هذا الإقليم، تمكّنوا من التوسع شرقا فيما وراء نهر ملوية بعد تحالفهم مع قبيلة البوار⁽¹⁾، بينما فريق آخر من الباحثين يجعل موقع أراضي قبائل البقواط أو جزءا منها خارج منطقة السيطرة الرومانية وذلك بالاعتماد على الملاحظات الواردة في النقوش، أين يذكر شو (Shaw. B. D) أن الرومان قاموا بعقد اتفاقات مماثلة مع شعوب أخرى عاشت خارج المنطقة الخاضعة لها⁽²⁾. يعتقد أن تكون قبيلة الكواكواتاي (Quakouatae) فرعاً من البقواط نزلوا إلى السهل بين تازة وفاس⁽³⁾.

قبيلة الماكنيت (Macenites): الجبلية تواجدوا جنوب البقواط حسب بطليموس⁽⁴⁾ وهو يجعلهم في عمق موريطانيا الطنجية⁽⁵⁾، وبذلك انتشروا جنوب الأطلس الأوسط وشمال شرق الأطلس الأعلى والريف⁽⁶⁾، يوطن كاركوبينو الماكنيت في الأطلس الأوسط، وعلى المناطق المجاورة، ويعتقد أن ضغطهم هو الذي أدى إلى طرد القبائل الأوطولولية⁽⁷⁾. وتجاورها قبيلة السلماجنيت (Salmaggenites)، وقبيلة السلسناي (Salinsae) على ضفاف نهر بورقراق (Flumen Salat)⁽⁸⁾.

تلك التي تناولت التحالف بين الرومان وقبائل البقواط. للمزيد ينظر: نصيرة ساحير، وليلي (قصر الفرعون) من أهم المدن الرومانية بموريطانيا الطنجية، مجلة حوليات التاريخ والجغرافيا، مج1، ع2، 2008، ص ص17-22.

(1) Cagnat . R, Op.cit. p.55 ; Euzennat. M. Op.cit, p.378.

(2) Shaw, B. D. Autonomy and tribute: mountain and plain in Mauretania Tingitana. In : Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée, n°41-42, 1986. p. 73.

(3) مقدم بنت النبي، السياسة الرومانية، ص55.

(4) بطليموس، 5.I.IV.

(5) جيروم كاركوبينو، المرجع السابق، ص383.

(6) Desanges. J, Op.cit, pp.33.3 4; Euzennat. M. Les troubles de Maurétanie. In: Comptes rendus des séances de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres, 128^e année, N. 2, 1984. p. 378.

(7) جيروم كاركوبينو، المرجع السابق، ص384.

(8) مقدم بنت النبي، السياسة الرومانية، ص55.

يذكر بطليموس⁽¹⁾ أن المنطقة الشرقية كلها من موريطانيا الطنجية قطنت بها قبيلة المورينسي أوالمورنزي (Maurensii)⁽²⁾ ، على حواف وادي الملوية (Mulucha)، وقد ذكرتهم مختلف المصادر الإغريقية واللاتينية⁽³⁾. تجاور هذه القبيلة الفرع الغربي لقبيلة الهيربيديتاني (Herpeditani) بجبل كبدانة وعلى أطراف مجرى وادي الملوية بالجهة الغربية⁽⁴⁾، أما بالناحية الغربية بين رأس سبارتل وكوتا تتواجد قبيلة الميتاغونيتاي (Metagonitae)، وغير بعيد عنها نجد قبيلة المازيكاس (Masikes) بالجهة الجنوبية⁽⁵⁾.

قبائل الجيتول (Gaetules): ذكرتهم المصادر واختلفت في تحديد موطنهم⁽⁶⁾، شكلت القبائل الجيتولية كونفدرالية قبائل قسمها عقون (م.ع) إلى جيتول غربيين وشرقيين، فالغربيون ينتشرون في إقليم واسع يمكن تتبع امتداده شمالا إلى جوار المور⁽⁷⁾، لعل أهم وأكثر هذه القبائل شهرة تلك القبائل التي وطنت إقليم موريطانيا الطنجية، وهي قبائل الأتولول (Autololes) التي لعبت دورا هاما في تاريخ المنطقة⁽⁸⁾، وذلك نظرا لحركاتها المستمرة باتجاه الشمال (أراضي السيطرة الرومانية)⁽⁹⁾، وقد حددت مضاربها بجوار مدينة سلا الرومانية⁽¹⁰⁾، وبجوار وادي أبي رقراق بين ساحل المحيط والأطلس نفسة⁽¹¹⁾. حسبما ذكره

(1) بطليموس، I. IV. 5.

(2) Euzennat. M. Op.cit, p.378.

(3) Polybius, XV.II.1-XXXVIII.7.9. Diodore de Sicile, XIII. 80.3. Plin l'ancien, V.7.11 . Strabon, XVIII, 3 ,2.

(4) مقدم بنت النبي، السياسة الرومانية، ص57.

(5) Desanges. J, Op.cit, pp .32.34.

(6) Plin l'ancien, V.5. Strabon, XVIII, 3 ,2.23. Salluste, XVIII.

(7) محمد العربي عقون، الإقتصاد والمجتمع، ص164.

(8) قبائل الأوتولول تنتمي الى قبائل الجيتول تواجدت أراضيهم بالتخوم الجنوبية لمقاطعة موريطانيا الطنجية أي أنها كانت قبائل خارج حدود السيطرة الرومانية، اعتبرها البعض تنتمي إلى قبائل الرجل التي كانت تستقر في فصل الشتاء بالسهول = الصغيرة المحاذية للمحيط الأطلسي، وفي فصل الصيف تتجه شمالا إلى غاية ضفاف وادي أبورقرق بالقرب من سالا.

للمزيد ينظر: Desanges. J, Op.cit, p.208-209.

(9) Plin l'ancien, V.5.

(10) Desanges. J, Gétules, Ency berb, vol 20, 1998, p.3063.

(11) ستيفن غزال، تاريخ افريقيا الشمالية، ج5، ص 100.

بطليموس على عهد كلوديوس، كما ذكرها بوليبيوس قبل قرنين في موقع أكثر جنوبا بالقرب من الأطلس الكبير⁽¹⁾، يشير كاركوبينو إلى أن الأتولولين كانوا خارج الحدود الرومانية، استولوا على جميع الممرات المؤدية للأطلس الكبير، مرورا بجنوبي ويلي وسلا⁽²⁾. غاب ذكر هذه القبيلة في المصادر منذ 144م، وهو ما أدى لوضع عدة افتراضات لتحديد مصير هذه القبيلة، ففريزل (Frézouls) افترض إبعاد وطرد لها باتجاه الجنوب وذلك خلال عهد أنطونيوس بيوس (143-144م)⁽³⁾، بينما كاركوبينو (Carcopino) رأى أنهم طردوا من طرف قبائل البقواط الذين استعملهم الرومان كحاجز⁽⁴⁾، إلى المناطق الجنوبية بعدما طردوا بدورهم من المنطقة الشرقية⁽⁵⁾، كما تواجدت قبائل جيتولية معهم في الإقليم نفسه وذكرهم بلين وسبق أن تعرضنا لهم وهم البنيوراي (Baniurae) وإبينيورن (Ibeniuren) وحدد موطنهم بجوار باناسا (Banasa) وفيما بعد شغلوا إقليم القبائل المورية وحتى الماسوسيلسة⁽⁶⁾. وعليه فيمكن تحديد الإقليم الذي تواجد به الجيتول الغربيون في مجال تحركات، وترحال هذه القبائل بين وادي أبي رقرق كحد شمالي إلى وادي الدراع جنوبا اين تبدأ أراضي الإثيوبيين⁽⁷⁾.

(1) De Saint Martin, V, Op.cit, p.410.

(2) جيروم كاركوبينو، المرجع السابق، ص 379.

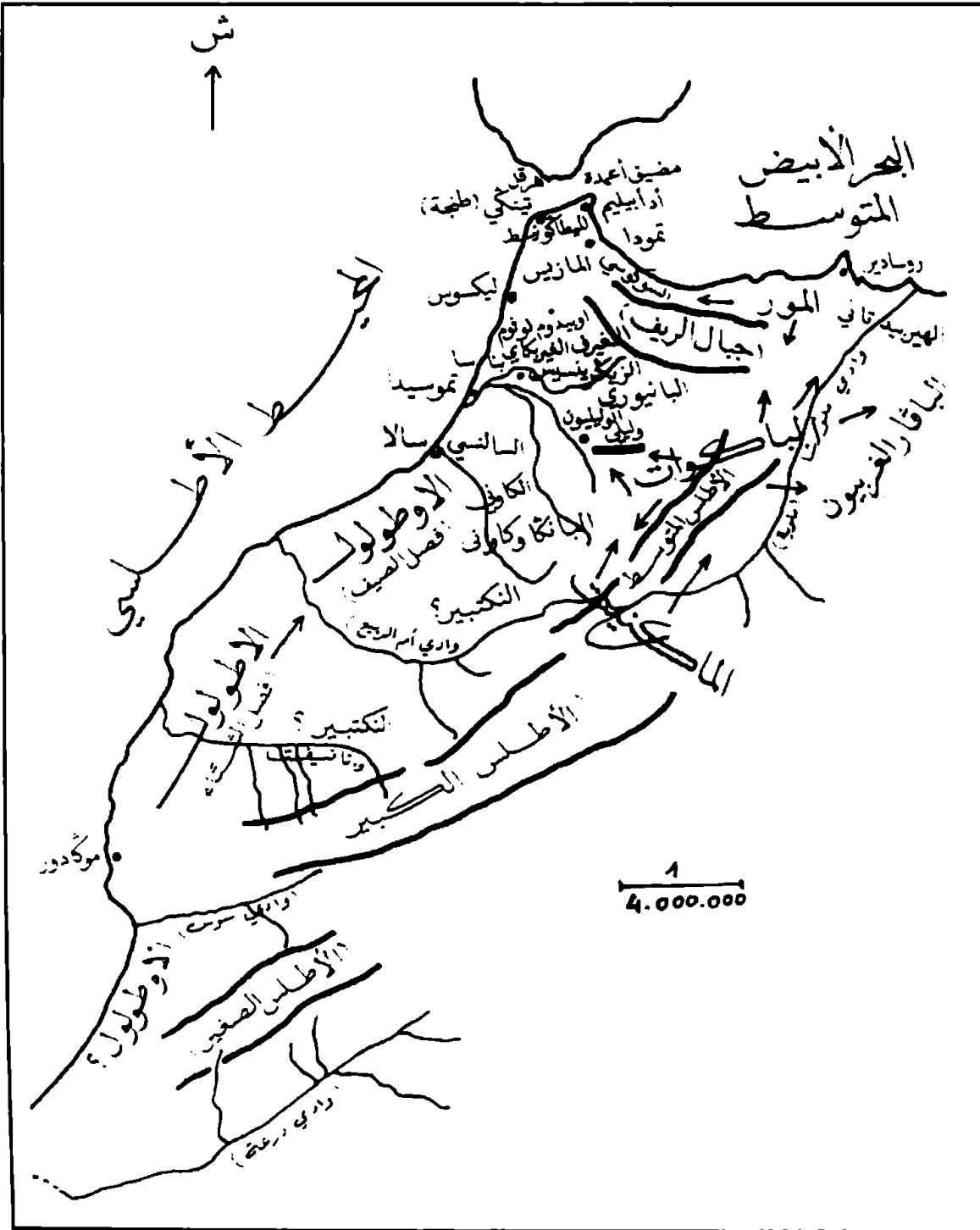
(3) Ferzoul.E.Op.cit. p.101.

(4) جيروم كاركوبينو، المرجع نفسه، 391.

(5) المرجع نفسه.

(6) ستيفن غزال، تاريخ افريقيا الشمالية، ج5، ص 100.

(7) محمد العربي عقون، الإقتصاد والمجتمع، ص 165.



خريطة رقم 13: توزيع قبائل موريطانيا الطنجية خلال القرن الثاني الميلادي، والسهم يبين اتجاه تحركات القبائل، مصطفى الأعشي، نقاش معاهدات السلام....، ص 81.

ارتأينا في الختام التطرق لأمر مهم متعلق بالتسميات التي عرفت بها القبائل المحلية، والتي قمنا باستعراضها كما استقرأها الباحث ديزانج من جميع نصوص المصادر سواء الإغريقية، أو اللاتينية القديمة وحتى الوثائق الإيبغرافية اللاتينية التي ورد ذكرها بها، وهنا نتساءل هل الأسماء التي وصلتنا عن طريق هذه المصادر صحيحة ولم تتعرض للتحريف؟ الجدير بالملاحظة هو أن أسماء هذه القبائل وردت واضحة في تلك المؤلفات الكلاسيكية، رغم الخاصية اللغوية اللاتينية التي كانت تلحق بنهاية الأسماء زوائد إعرابية متغيرة إلا أن معظمها جاءت بهذه الصيغ⁽¹⁾، فأسماء القبائل والعشائر تتوافق مع النسخ اللاتيني للأسماء الليبية، بالرغم من أن المؤرخ اللاتيني بلين ذكر أن أسماء الشعوب والمدن الأفريقية يصعب النطق بهما من طرف الأجانب⁽²⁾، وهو الأمر الذي أدى ربما لاختفاء وتلاشي وتغيير أسماء الكثير من القبائل التي ربما لم يرد ذكرها في المصادر إلا نادرا، في مقابل ذلك نجد أسماء لبعض القبائل لم تتغير منذ عهود سحيقة ولا تزال حتى يومنا هذا وإن ألبست التسمية لباس الأسطورة أو لباس النسب المفتعل⁽³⁾، من ذلك قبيلة الأكوتامي المعروفة في الفترة الوسيطة بكتامة.

ملاحظة أخرى وهي ذلك التشابه لأسماء القبائل المنتشرة من نوميديا إلى المنحدرات الغربية للريف منها قبائل المازيس (Maices) (Mazices) (Maxyes)⁽⁴⁾، وكذلك بالنسبة للبوريين المذكورين في كل من منطقة القبائل الصغرى والونشريس، أو بالنسبة لقبائل الموزيني (Musuni) (Musunei) (Musones)، التي أظهرت الوثائق تواجدها بالجنوب الغربي التونسي وغرب ستيفيس وفي وسط القيصرية⁽⁵⁾، وهذا راجع لانقسام هذه القبائل

(1) زهير بخوشي، المرجع السابق، ص 64.

(2) Pline l'ancien, V.1.17.

(3) علي فهمي خشيم، القبائل الليبية والعربية القديمة: هل من صلة؟، الندوة العلمية حول التحركات البشرية والهجرات اليمانية إلى بلاد الشام وشرق وشمال أفريقيا قبل ظهور الإسلام وبعد ظهوره، المركز العالمي لدراسات وأبحاث الكتاب الأخضر، ط1، ليبيا، 2005، ص 75.

(4) Hamdoune.C, Op.cit, pp.3045-3052.

(5) Modéran.Y, Mazices, Mazaces..., Op.cit. p.4804.

وتغيير لمواطنها نتيجة تحركاتها الممتدة في الزمان وفرضها عليها مختلف الظروف الاقتصادية والسياسية وحتى العسكرية⁽¹⁾. بالرغم من أن المؤرخ اللاتيني بلين ذكر أن أسماء الشعوب والمدن الأفريقية يصعب النطق بهما من طرف الأجانب⁽²⁾، ولنا في تسمية قبائل مازيكس، ماكسيس، ماسوشي، مساختاي، مازيس، مازاسيلا، مزازيك، مازاكس، في المصادر الإغريقية واللاتينية لخير مثال حيث تغير اسم هذه القبيلة من عصر لآخر⁽³⁾.

(1) Hamdoune.C, Op.cit, pp.3045-3052.

(2) Pline l'ancien, V.1.17.

(3) علي فهمي خشيم، القبائل الليبية، ص77.

الفصل الرابع

الإجراءات الرومانية ودورها في تحركات القبائل المحلية بالمغرب القديم

أولاً: الاستيلاء على الأراضي الزراعية وتحويلها إلى أملاك رومانية

ثانياً: الاستحكامات العسكرية الرمانية في مواجهة تحركات قبائل المغرب القديم

ثالثاً: علاقة السلطة الرومانية بالقبائل المحلية

رابعاً: سياسة المهادنة والتحالف الرومانية

نقصد بالتحرك القبلي انتقال قبيلة من مكان إلى مكان آخر، ما خلف صعوبه في تحديد المجالات الجغرافية الأصلية لكثير القبائل، بحكم تحركها الدائم نتيجة مجموعة من الظروف الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والعسكرية، وهو ما ينطبق على جموع قبائل المغرب القديم خلال الفترة الرومانية، أين لعبت العديد من الإجراءات والسياسات الرومانية دوراً مهماً في تحركات قبائله، من ذلك سياسة الاستيطان الرومانية التي طاردت القبائل المحلية واستولت على أراضيهم، وهي سياسة دعمتها إجراءات أخرى تمثلت في: سياسة المنع والحصار الصارمة سواء اقتصادياً، أو عسكرياً، إدارياً، وسياسياً، التي مارسها الإدارة الرومانية ضد القبائل، يضاف لها سياسة الإحتواء والسلم، وكلها عوامل ومسببات كان لها الأثر البارز في تحركات قبائل المغرب القديم طيلة العهد الروماني وحتى في فترات لاحقة.

أولاً: الاستيلاء على الأراضي الزراعية وتحويلها إلى أملاك رومانية:

1. إجراءات نزع الملكية "الكنطرة":

تعود أحد الأسباب التي كانت وراء تحرك وهجرة قبائل المغرب القديم في الفترة الرومانية لتلك الإجراءات التي تبنتها السلطات الرومانية المتمثلة في الإستيلاء على أراضي القبائل المستقرة المزارعة والرعية خدمة لمتطلباتها، وقد توسعت روما في هذه السياسة ابتداءً من أواخر القرن الأول الميلادي، وأوائل القرن الثاني حتى القرن الثالث.

شهدت روما تغيرات ابتداءً من منتصف القرن الثالث قبل الميلاد في مختلف مجالات الحياة (تدهورت الزراعة في إيطاليا نتيجة السياسة المنتهجة من طرف حكام الرومان، والتي خضعت لرغبات الأثرياء الذين كانوا يسعون لتوسيع أملاكهم على حساب المزارعين الصغار، وكذا تغيير المزروعات، كما لا ننسى عملية توزيع الغذاء على العاطلين الرومان، والتي أصبحت تشمل القمح، الخمر، والزيت، وهو ما دفع بالكثير من الرومان إلى التهاون والكسل ورفض العمل مادام الغذاء مضموناً)⁽¹⁾. حتمت على الساسة الرومان إيجاد مصادر

(1) م. روستوفتزنغ، المرجع السابق، ص ص 41-42.

تموين ثابتة لتلبية حاجات المجتمع الروماني (غذاء وترفيه)، إذا ما أرادوا الحفاظ على مناصبهم وربما حياتهم، وقد وجد الساسة في المقاطعات الإفريقية حلاً لمشكلة الغذاء، خاصة وأن روما كانت على علم بقدراتها الطبيعية، فقد مونها ماسينيسا وأبناءؤه من قبل بالقمح أكثر من مرة، أضف إلى ذلك قرب المسافة بين روما، ومختلف مقاطعات المغرب القديم⁽¹⁾، وهو ما عبر عنه شارل أندري جوليان⁽²⁾ بقوله: "...إنها مستعمرة للاستغلال لا للعمران...، وإن التهافت والتكالب على الأراضي هو الذي أدى إلى ضم نوميديا، وموريطانيا وهو أمر لا تبرره أية ضرورة عسكرية".

يعتبر المشرع الروماني الأراضي المحتلة وما عليها من أهالي ومنشآت ملكا للشعب الروماني، ويصفها بأنها أراضي الأعداء المهزومين (Dediticii) الذين سلموا أنفسهم وأراضيهم، وحتى بيوتهم ومعابدهم للشعب الروماني⁽³⁾، لذلك بمجرد سقوط موريطانيا العام 42 م طبقت عليها روما سياستها، فأعلنت جميع الأراضي ملكية عامة للشعب الروماني (Ager publicus populi Romani) كما حدث مع أراضي قرطاجة عام 146م، فصودرت تلك الأراضي ووجهت زراعتها، وبهذا المفهوم فإن جميع السكان الذين تم إخضاعهم بالقوة فقدوا حريتهم، كما فقدوا أراضيهم وممتلكاتهم أمام القانون الروماني⁽⁴⁾.

كما طبقت روما عليها القوانين نفسها التي طبقت في باقي المقاطعات، والمتمثلة في قانون روبريا (Lex Ruburia) لسنة 123 ق.م، وقانون توريوس (Lex Thorus) لسنة 111 ق.م، وقانوني مانكيانا (Lex Mancian) وهادريان (Lex Hadriana)⁽⁵⁾⁽¹⁾. شرعت

(1) محمد الحبيب بشاري، سياسة روما الزراعية في الجزائر (نوميديا وموريطانيا القيصرية)، المدينة والريف في الجزائر القديمة، 2013، ص 260.

(2) شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص ص 205-217.

(3) Titus Livius, I.38, VII.31.

(4) محمد الحبيب بشاري، سياسة روما الزراعية، ص 260.

(5) المرجع نفسه، ص 260.

روما في تطبيق سياستها الزراعية حيث ما إن تستولي على قطعة أرض حتى تهئ كل الظروف لاستغلالها فتقوم أولاً بمسحها، ثم تقوم بتقسيمها إلى وحدات مساحية متساوية⁽²⁾. تعتبر الكنترة (Centuriation) من الأعمال الخاصة بالتهيئة الزراعية التي اشتهر بها الرومان، واختصوا بها دون غيرهم من الشعوب الأخرى، شرعت روما في تطبيقها بالمغرب القديم منذ القرن الثاني قبل الميلاد، وازدادت مساحتها مع توسع رقعة الاحتلال الروماني، واستمرت حتى نهاية عهد الإمبراطورية، والكنترة عملية تقنية يقوم بها عادة المساحون العسكريون على الأراضي الزراعية حتى يتسنى لهم توزيعها، وتحديد ما يفرض عليها من ضرائب، تتمثل هذه العملية في تقسيم الأرض إلى كنتوريا (Centuriae) أي وحدات مساحية مربعة ومتساوية⁽³⁾، ثم توزيعها على المستوطنين المزارعين الرومان وقدماء الجنود قصد استغلالها⁽⁴⁾، وكان المسح يقوم على تخطيط الأرض المراد كنترتها بخطين متعامدين شرق - غرب، يسمى الخط الطولي بخط الديكومانوس (Decumanus Maximus)، والآخر عمودي يشق الخط الأول في وسطه ويسمى خط الكاردو (Cardo Maximus)⁽⁵⁾، وانطلاقاً من هذين الخطين الرئيسيين يمدون عدداً من الخطوط الموازية لهما طولاً، وعرضاً

(1) هذه القوانين ليست قوانين بالمعنى المفهوم للقانون الروماني العام ولكنها قوانين تحفيزية وتنظيمات عملية كان الغرض الأساسي منها هو تقرير حقوق وواجبات الملتزمين (Conductores) الذين أجرت لهم تلك الضياع الإمبراطورية، واستخدموا وكلاء لإدارة هذه الضياع، وقد كان لهذه القوانين والتشريعات أثر واضح في تطوير الزراعة، من خلال اهتمامهم بالأراضي البور والهامشية بغية استصلاحها وزراعتها بالكروم والزيتون، وهو الأمر الذي خلف ازدهاراً للزراعة بالمنطقة بداية من القرن الثاني الميلادي. للمزيد ينظر: رستوقترف. م، تاريخ الإمبراطورية الرومانية الاجتماعي والاقتصادي ج 01، ترجمة ومراجعة زكي وعلى ومحمد سليم سالم، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1957 م، ص 489.

(2) الكنتوريا: هي وحدة قياس مساحية ظهرت منذ العهد الجمهوري وأوائل العهد الإمبراطوري الروماني، تعادل وحدة الكانتوريا 200 يوغوم (أي خمسون هكتار) في بلاد المغرب القديم، شاع استعمال هذه الوحدة بالمنطقة منذ فترة الإخوة غراكوس إلى غاية عهد ديوقليانوس، الذي جعلها مقياساً جبائياً في المساحات الزراعية، رجح بعض المؤرخين انفراد بلاد المغرب بهذه الوحدة، وذلك راجع لتناسبها مع الطبيعة الجغرافية للمنطقة. للمزيد ينظر: دليلة بورني، تطور النظام الضريبي في شمال إفريقيا، رسالة ماجستير، إ: محمد البشير شنييتي، جامعة الجزائر 2، 2000/2001، ص ص 44-45.

(3) ستيفن غزال، تاريخ إفريقيا الشمالية، ج 7، ص 17.

(4) محمد البشير شنييتي، نوميديا وروما، ص 47.

(5) محمد العربي عقون، الإقتصاد والمجتمع، ص 76.

لنحصل على قطع مربعة الشكل طول ضلعها 710م، وتبلغ مساحة كل واحدة منها 50.23 هكتار⁽¹⁾.

شملت العملية شمال وجنوب المقاطعات الرومانية وإلى حواف الصحراء وتخومها، فبعد الاستحواذ على السهول الداخلية، انتقل التوسع تدريجيا إلى عمق الأراضي الداخلية في الهضاب العليا، حتى بلغوا الأراضي الصحراوية خلال القرن الثالث الميلادي⁽²⁾، ومن بين الأراضي التي تم الاستيلاء عليها، وقامت السلطات الرومانية بتحديدتها وبيئته الآثار المكتشفة، نذكر أراضي شط الفجيج التي تحمل رموزا وأعدادا واتجاهات (ينظر الملحق رقم 2)، وقابس (Tacape) جنوب تونس، وأقيمت في عهد تيبيريوس (Tebrius)، وأراضي سوق أهراس وتبسة يضاف لها أراضي قبائل طرابلس⁽³⁾. وتعرف سوماني (Saumagne) على آثار التقسيم الكنتوري شرق مدينة الجم (Thysdrus)⁽⁴⁾، ويظهر أن أغلب الأراضي الأفريقية خاصة في البروقنصلية تعرضت للكنترية حيث كانت مستعمرات زراعية⁽⁵⁾، فالآثار المكتشفة أظهرت أن عمليات الكنترية هذه كانت على الخصوص بالأقاليم الزراعية التونسية، وشرق الجزائر أي البروقنصلية ونوميديا.

أدت هذه السياسة الزراعية الرومانية القائمة على مصادرة الأراضي، وعمليات المسح إلى توسع استعماري بظهور عدة أنواع من الملكية نوجزها في:

(1) أحمد صفر، مدنية المغرب العربي، ج1، دار النشر بوسلامة، تونس، (د، س، ن)، ص296.

(2) شافية شارن، النتائج الاقتصادية للتوسع الروماني في نوميديا وموريطانيا القيصرية، مجلة حولية المؤرخ، العدد1، 2002، ص ص 35-36.

(3) Bénabou .M, Op.cit, p.433.

(4) Saumagne. Ch, Les vestiges d'une centuriation romaine a l'est d'El-Djem, in : C.R.A.I., 73ème Année, N°4, 1929, p307.

(5) ستيفن غزال، تاريخ إفريقيا الشمالية، ج7، ص 19.

- أراضي الإمبراطورية: التي تملكها الدولة الرومانية، والتي أصبحت منذ عهد هادريان تضم اقطاعات في مقاطعتي نوميديا وموريطانيا، بالإضافة إلى تلك التي كانت بحوزتها في البروقنصلية، كان يعين وكيل (Procurator) للإشراف عليها⁽¹⁾.
- الوحدات أو المستثمرات الزراعية الكبرى (Domaines, Latifundia, Fundus)⁽²⁾: وهي أراضي يحصل عليها الأباطرة وأعضاء مجلس الشيوخ، والطبقة الأرستقراطية بعد مصادرتها من الأهالي، وحشدهم في مناطق أقل خصوبة⁽³⁾، وكانت في معظمها تشمل أراضي الضياع والمراعي الواسعة، في كل من البروقنصلية ونوميديا، وموريطانيا وهي تتميز بتوسعها المستمر على حساب المزارع الصغيرة⁽⁴⁾.
- أراضي المستعمرات والبلديات التي كانت بيد سكان الحضر⁽⁵⁾.
- أراضي القبائل المحلية (Gens) وتضم المراعي والأراضي قليلة الخصوبة، وهي تضم الأراضي التي يصعب استغلالها من طرف المزارعين الرومان⁽⁶⁾، تركت لمالكيها القدماء لاستغلالها، وقد اضطر جانب كبير منهم أن يشتغل كفلاح في الأراضي الواسعة⁽⁷⁾. وكانوا يدفعون ضريبة تسمى ضريبة الأرض ستيبونديوم (Stipendium)، أو ضريبة العشر، وهي أراضي قد يتعرض أصحابها للطرد المفاجئ⁽⁸⁾. امتلكت عائلات موريطانية ذات نفوذ مزارع

(1) خديجة منصوري، الدوناتية وثورات القرن الرابع في شمال إفريقيا، مذكرة ماجستير، إ: محمد البشير شنييتي، جامعة وهران، 1986/1987، ص 27؛ شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص 218.

(2) هناك اختلاف في استعمال المصطلح الدال على الضيعات الكبيرة، فنجدها باسم لاتيفونديا (Latifundia) لدى بلين الأكبر، في حين الذين كتبوا عن إفريقية استعملوا عبارة سالتيس (Saltus)، التي تطور مفهومها من الأحراش والمستنقعات والغابات ليدل عن الضيعات الواسعة. للمزيد ينظر: ستيفن غزال، ج 7، المرجع السابق، ص 88.

(3) شارل جيلبار بيكار، شارل جيلبار بيكار، حضارة شمال إفريقيا تريبولينيا البروقنصلية ونوميديا وموريتانيا خلال الفترة الرومانية، دار المثقف للنشر والتوزيع، 2020، ص XIX.

(4) ستيفن غزال، تاريخ إفريقيا الشمالية، ج 7، ص 87-89.

(5) شافية شارن وآخرون، المرجع السابق، ص 63.

(6) خديجة منصوري، الدوناتية وثورات، ص ص 28-29.

(7) شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص 218.

(8) نادية عون، الزراعة الشجرية في بلاد المغرب أثناء الاحتلال الروماني (146ق.م-340م) (الزيتون والكروم)، مذكرة ماجستير، إ: محمد الحادي حارش، جامعة الجزائر 2، 2011.2012، ص ص 114-115.

واسعة منحتها لها السلطات الرومانية مقابل ولائها ومحافظةها على الأمن، والاستقرار مثل عائلة نوبل (Nubel)، أين استفاد أفرادها من ملكيات واسعة عبر التراب الموريطاني⁽¹⁾. بعد أن صادرت روما الأراضي الزراعية بالمناطق الساحلية والقريبة منها في المغرب القديم، وحولت أصحابها الشرعيين إلى عاملين بها لدى المزارعين من قدماء جنودها الذين أسسوا بها مستعمرات، تطلع المسؤولون الرومان إلى الأراضي الداخلية (السهول العليا، والسهوب)، فالتسابق على حيازة المساحات الزراعية بنوميديا على الخصوص كان في تزايد مستمر فجر الإمبراطورية⁽²⁾، وذلك من أجل توزيعها على المواطنين المزارعين الرومان وقدماء المحاربين، الأمر الذي دفع بالإمبراطور تيبيريوس إلى دفع الحدود الرومانية نحو الجنوب، وضم أراضي القبائل النوميديّة الضاربة في شرقي الأوراس، وإقامة خطوط دفاعية عرفت بخط الليمس (Limes) بغرض فرض رقابة شديدة على حركة الأهالي، وخاصة البدو الرحل الذين يعتمدون على تربية الماشية، والتنقل بين المراعي، ومنع تدفقهم من الجنوب إلى الشمال⁽³⁾.

نتيجة لهذه السياسة قامت السلطة الرومانية بانتزاع الأراضي عنوة، فأخضعت القبائل المتنقلة، وأجبرتها على الاستقرار لاستغلال الأراضي الجديدة، وتحويلها إلى أراضي زراعية بعد أن كانت رعوية، وهي السياسة التي ساعدت على رومنة القبائل، بينما قسم آخر من القبائل الضاربة في الأراضي الخصبة، والتي استولى عليها الرومان قاموا بترحيلها إلى أراضي أخرى⁽⁴⁾، وقد ترتب عن سياسة الاستيلاء على الأراضي الزراعية، والرعوية للأهالي حصر القبائل في مناطق سهبية ضيقة، وذلك حتى يتسنى مراقبتها سياسيا واستغلالها إقتصاديا، وتواصلت هذه العملية من سنوات الاحتلال الأولى إلى القرن الثاني بكل من أفريقية البروقنصلية، وجنوب نوميديا، فتم الاستيلاء على المنطقة الممتدة من شط الجريد

(1) Camps. G, Firmus, Provence, Edisud, Vol, no 19, 1998 [En ligne], mis en ligne 2011, encyberb.revues.p.2846.

(2) محمد البشير شنيّتي، نوميديا وروما، ص 68.

(3) محمد الحبيب بشاري، دور المقاطعات، ص ص 267-268.

(4) Cédric Chadburn, Les relations entre tribus berbères et autorités romaines, p.20.

إلى شمال العرق الشرقي التي كانت تابعة لقبائل منطقة الجريد، منها قبيلة النوبتي (Nuptii) التي حدد ديزانج موطنها شمال غرب هذا الشط⁽¹⁾. وهذا ماحدث لقبائل كثيرة في الجنوب النوميدي منها قبيلة الموزولامي (Musulami) التي تعتبر الأكثر تضررا من هذه السياسة، حيث امتدت أراضيها جنوب الأوراس إلى وادي ملاف شرقا⁽²⁾، وفي المقاطعات الأخرى كقبائل الكنثيين، والمازييس، وقبائل السوبوربوراس، وقبائل النيننجي وكثير القبائل الأخرى التي سنوردها في العنصر الموالي.

وصفوة القول أن السلطات الرومانية اعتمدت عملية مسح الأراضي لتثبيت وجودها الاستيطاني. وبعدما استولت على قسم كبير من الأراضي الزراعية التي كانت تخص القبائل المحلية بكل مقاطعات المغرب القديم، وحولت مساحات شاسعة من مراعيها إلى أراضي ألحقت بأراضي الإمبراطور، أو وزعت على الجنود القدماء والمستوطنين الرومان، ثم حددت الأراضي التي تركتها للقبائل للانتفاع بها⁽³⁾. وهي سياسة استمرت العائلة الأنطونية (96-193م) ثم العائلة السيفيرية (193-235م) في تطبيقها والقائمة على ترحيل القبائل وهو الأمر الذي دفع بالبعض إلى الهجرة نحو الصحراء⁽⁴⁾. فسياسة الاستحواذ الرومانية فتحت لروما السيادة الفعلية على مختلف أقاليم المنطقة لاسيما المحاذية للحدود الرومانية بالمناطق الداخلية، وهو الأمر الذي حد من حرية تنقل وتحرك الأهالي الذين حشدوا في مناطق محددة يترددون عليها، وحتى دفع بالبعض الآخر من القبائل نحو المناطق الجنوبية الصحراوية.

2. سياسة الحشد "الكنطنة" (Cantonnement):

سعى المشرع الروماني لإجراءات تمكنه من ترسيخ الاحتلال، والاستيلاء على مصادر الثروة في المغرب القديم، عن طريق إخضاع الأهالي في الأرياف من المزارعين والبدو وأنصاف البدو، بعدما كان سكان المدن وخاصة هؤلاء الذين لم يقاوموا الاحتلال الروماني،

(1) Desanges. J, Catalogus..., Op.cit, p.127 ; Lassère, J. M. Un conflit « routier » : observations sur les causes de la guerre de Tacfarinas. Antiquités africaines, 18, 1982, p.23.

(2) Ibid, pp.123-342.

(3) خديجة منصوري، التطورات الاقتصادية، ص56.

(4) Lassère. J.M, Vbique Populus ...Op.cit. p.159.

قد نالوا المواطنة الرومانية، ومن هذه الإجراءات الكنطنة (Cantonement) وهي عملية أكثر تعسفا واستغلالا من الكنترة وقد واكبت الاحتلال الروماني على امتداده في الزمان والمكان، وتكمن الكنطنة في وضع قبيلة بحيز جغرافي محدود، وفي مناطق شبه صحراوية جافة أو جبلية لأجل التضييق عليها، عملا بما جاء به غايوس⁽¹⁾ في تشريعاته والتي تعتبر الأرض ملكا للشعب الروماني⁽²⁾.

فالكنتنة إذا هي عزل قبيلة وحشدها داخل إقليم محدود بموجب تشريعات قانونية وبناءً على إجراءات مساحية قانونية (Cadastrale et Juridique) ويكون هذا بعد تجريد القبيلة من أراضي انتجاعها والأراضي الخصبة الخصبة، وحتى ينابيع المياه⁽³⁾، وهو الإجراء الذي قاومته قبيلة الموزولامي لأكثر من سبع سنوات، وتُضمّ الأراضي التي انتزعت من القبائل إلى أراضي مستعمرة مجاورة، أو إلى أملاك الإمبراطور أو إلى كبار الملاك⁽⁴⁾، وهو ماحدث بأراضي قبيلة الموزولامي أين وجد الأثريون هذه الحالات الثلاثة (أراضي ضمت إلى أميدرا (Colonia Ammaedara)، وأراضي ضمت لأراضي الإمبراطور (Domaine de L'Empereur) والنوع الثالث أراضي ضمت إلى أحد كبار الملاك⁽⁵⁾ سالتوس ميسيبيانوس (Saltus Missipianus)⁽⁶⁾.

(1) غايوس جراكوس (Caius Cracchus): سياسي وإصلاحي روماني في القرن الثاني قبل الميلاد. اشتهر كمنبر شعبي بين 123 و122 ق.م، حيث اقترح مجموعة واسعة من القوانين، بما في ذلك قوانين إنشاء مُستعمرات خارج شبه الجزيرة الإيطالية، ودعى للإصلاح الزراعي، وإصلاح النظام القضائي، وإنشاء خط ثابت لتزويد روما بالحبوب.

(2) محمد العربي عقون، الكنفدرالية السيرتية، ص356.

(3) محمد العربي عقون، الإقتصاد والمجتمع، ص279.

(4) خديجة منصوري، التطورات الاقتصادية، ص56.

(5) بينت العديد من النقوش (CIL.VIII.27953-CIL.VIII.27943-CIL.VIII.27927) المكتشفة بمجال أراضي قبيلة الموزولامي كثرة الأراضي والضياع الخاصة التي كانت ملك لكبار العائلات الرومانية النبيلة، أو ملاك كبار من عامة الناس وقد مكنتهم السلطات الرومانية من حيازتها باعتبارها من الأراضي العمومية: للمزيد ينظر: فاضل لخضر، تبسة في العصور القديمة، أطروحة دكتوراه، إ: العقون أم الخير، جامعة وهران 1، وهران، 2018/2017، ص ص 125-126،

Gsell.St,A.A.A. F28 n° 269

(6) محمد العربي عقون، الإقتصاد والمجتمع، ص ص 279-280.

تعرضت أراضي القبيلة لعمليات المسح، وتحديد حدودها مباشرة بعد القضاء على ثورة تاكفاريناس⁽¹⁾، الذي ثار بداية القرن الأول الميلادي بعد أن حرمت قبيلته من أراضي انتاجها، وخلال الفترة الفلافية (69-96م) وجدت قبيلة الموزولامي نفسها محرومة من أراضيها وطردت نحو الصحراء⁽²⁾، وتفيدنا النصوص الأثرية التي عثر عليها الأثريون في التعرف عن معالم الإقليم الذي تركه الرومان لقبائل الموزولامي عن طريق العلامات الميلية التي تحدد المجالات التي تبقت لها⁽³⁾، فيشير الموقع النسبي للمعالم والبلدات، ومختلف عقارات الإمبراطورية الرومانية أن الأراضي المتبقية لقبيلة الموزولامي كانت متقطعة⁽⁴⁾.

وتدل هذه الوثائق أن الخطوط الأولى لعمليات المسح والكنترية في إقليم القبيلة كانت بداية القرن الأول الميلادي وهي لا تبعد زمنيا عن فترة ثورات قبائله سواء الجيتول أو المزالمة أي ما بين 6م و29م⁽⁵⁾. فبعد هزيمة تاكفاريناس فقد الموزولاميين جزءا كبيرا ومهما من أراضيهم، أين أقيم فيها معسكر الفيلق الأغسطي الثالث بتيفاست قبل أن ينقل فيما بعد نحو لومبار (Lambaesis) أين سيبقى⁽⁶⁾. وقد تم تخصيص موقع لمستعمرة قدامى المحاربين (Colonia Flavia Augusta Emerita Ammaedara)، في وسط المنطقة التي يستشهد بها (Gromaticus Hygin) كنموذج لتسجيل الأراضي. في الوقت نفسه شكل الجنود المسرحون أيضا على أراضي الموزولامي سكان مستعمرة أخرى في مادور (Colonia Flavia Veteranorum Madauros)⁽⁷⁾.

وخلال بداية القرن الثاني الميلادي خضعت أراضي قبائل الموزولامي لرسم حدودها بمعنى كنطنتها ثلاث مرات وضحتها النصوص الأثرية، عثر على نقش يعود لعهد تراجان

(1) Bénabou. M, Op.cit, p.83.

(2) شارل جيلبار بيكار، المرجع السابق، ص 68؛ Elmayer.A. F, Op.cit. p.54.

(3) المرجع نفسه، XL.

(4) Laporte. J.P et M'Charek. M, Musulames, Peeters Publishers, 31 décembre 2010., p p. 5144-5155.

(5) محمد البشير شنييتي، نوميديا وروما، ص 78.

(6) Elmayer.A. F, Op.cit. p.54.

(7) Duval.N, Ammaedara, Ency berb, 4 | 1986, pp. 593-596.

(Trajan)⁽¹⁾ ما بين سنوات 102-103م، الذي ثبت الحدود الفاصلة بين أراضي القبيلة ومستوطنة أميدرا⁽²⁾، بعد ذلك بعامين 104-105م قام الليغاتوس (L. Minucius Natalis) بحملة ترسيم حدود أراضي الموزولامي⁽³⁾(4) (ينظر النص رقم 7)، ثم حدثت عملية بعد عشر سنوات في عام 116م أين أشرف على عملية رسم الحدود الليغاتوس سترابو (L. Aciluis Strabo)، وتفصل الأولى بين أراضي القبيلة ومستوطنة أميدرا، والثانية بينها وبين أراضي مستوطنة مداورش، في حين الثالثة فصلت بين أراضيها وأراضي الإمبراطور⁽⁵⁾.

النص رقم 7:

Ex auctoritate / Imp(eratoris) Nervae Traiani Caesaris / Augusti
Germanici Dacici pontif(ici)s / maximi trib(unicia) potest(ate) VIII
imp(eratoris) IIII co(n)s(ulis) V p(atris) p(atriciae) / L(ucius) Minicius
Natalis leg(atus) Aug(usti) pr(o) pr(aetore) inter Mu/sulamos et
Valeriam Atticillam / LXXXX a(d) p(roximum) p(assus) CXVI(milia)
CD⁽⁶⁾

ترجمة النص: تم تحديد المجال بعد جدل بين المواطنين و المدينة - Ex auctoritate، الإمبراطور نيرفا تريانوس القيصر المبجل، الجرمانى الداكيكى الراهب الأكبر، ذو السلطة الشعبية للمرة التاسعة، إمبراطور للمرة الرابعة، قنصل للمرة الخامسة، أب الأمة، لوكيوس مينيكوس ناتاليس، قائد أغسطسي - حاكم مقاطعة -، قائد الجيوش، بين الموزولام وفاليريام أتيكولام 90⁽⁷⁾.

(1) CIL, VIII, 10667, cf. 16692 = ILAlg. 2939

(2) Carton. L. Une inscription relative au territoire des Musulamii. In: Comptes rendus des séances de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres, 67^e année, N. 1, 1923. pp. 71-73.

(3) Laporte. J.P et M'Charek. M, Op.cit, p p. 5144-5155.

(4) Gsell.St, AAA.F.18 n°519.

(5) مقدم بنت النبي، السياسة الرومانية، ص 67.

(6) CIL, VIII, 10667, cf. 16692 = ILAlg. 2939

(7) khacha saïd, MCA, Enseignant d'épigraphie latine, Département d'histoire et d'archéologie, université Sétif 2, Mai 2023.

أرخ هذا النص بسنة 105 ويرجع إلى فترة حكم تراجان، وهو يوضح الحدود التي تفصل إقليم الموزولامي عن ملكية فاليريا أتيكيلا (Valerian A. Tticillam) ⁽¹⁾.

استطاع الأثريون من خلال رصد تلك المعالم والنقوش من تحديد معالم الإقليم الذي توطنت به قبائل الموزولامي، فشغلوا الهضاب العليا الممتدة بجوار تبسة من قالمة، وخميسة شمالا إلى تالة غربا ⁽²⁾، وكان الجزء الأكبر من إقليم هذه القبائل إلى غاية القرن الأول الميلادي متمركزا في وادي المثل ⁽³⁾، فامتد بذلك إقليم الموزولامي في منطقة الأوراس من سوق أهراس إلى ماوراء النمامشه جنوبا ⁽⁴⁾.

لكن بداية من القرن الثاني الميلادي ومن خلال تتبع مواقع المعالم، والبلدات ومختلف العقارات الإمبراطورية الرومانية وضحت أن الأرض المتبقية لما تبقى من قبيلة الموزولامي كانت متقطعة ولم يبق منها سوى جزء قليل ⁽⁵⁾. فتم تقليص إقليم القبيلة أين اقتربت من مداورش في الشمال، وامتد غربا إلى عين كمال (Ain Kamellal) تقريبا في منتصف المسافة بين تبسة وخنشلة، ويجاوره من الشمال الشرقي إقليم بلدتي أميدرا وتيفست، وقد عُلِّمت الحدود بين هاتين المدينتين والموزولامي ⁽⁶⁾. أما حدود إقليم الموزولامي باتجاه الجنوب فيبقى غير معروف جنوبي شرقي تبسة، والحدود الممكن تحديدها هي تلك المزودة بنقاط حدودية تم وضعها نهاية القرن الأول وبداية القرن الثاني ⁽⁷⁾.

وجدت آثار هذه القبيلة في القرن الثالث الميلادي في المنطقة المنحصرة بين جميلة وسيغ (Sigus) وسطيف ⁽⁸⁾، وهنا نتساءل هل تواجدتها بهذه المنطقة كان نتيجة لضغط

(1) Carton. L, Op.cit, p.72.

(2) Cagnat. R, Op.cit, p.5.

(3) Desanges. J, Op.cit, p.119.

(4) حفيظة العياضي، المنظومة القبلية في الأوراس من الكيان النوميدي إلى مقاومة الاحتلال الروماني، العدد 24-25، مجلة العصور الجديدة، 2016، ص19.

(5) Laporte. J.p et M'Charek.A, Op.cit, p p. 5144-5155.

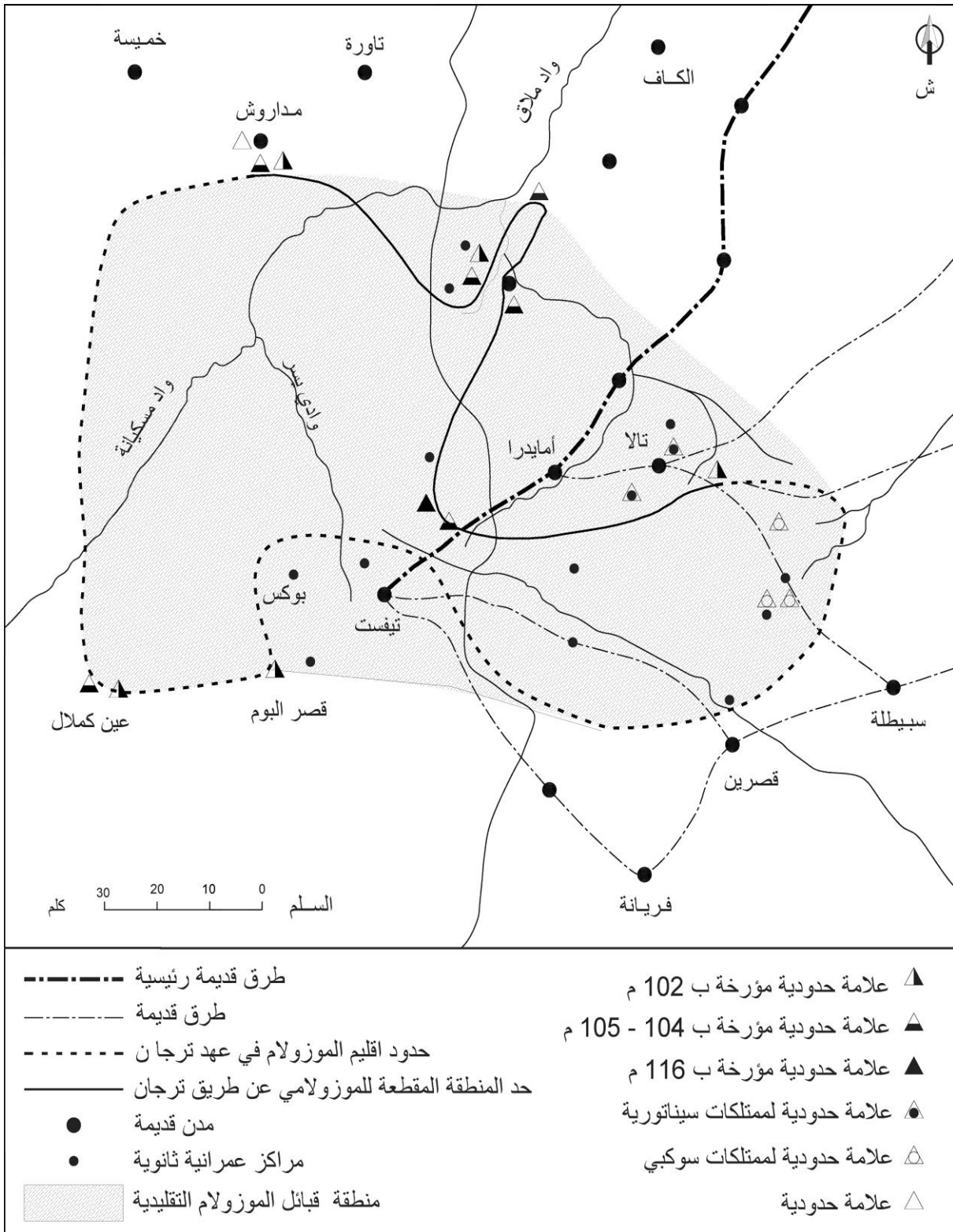
(6) غابريال كامبس، ماسينيما أو بداية التاريخ، ص306.

(7) المرجع نفسه، ص310.

(8) Gsell.Stt, AAA.F.18 n°519 .

الرومان عليها وتحديد حركتها ما اضطرها للهجرة؟، أم أن جزءا من قبائل الموزولامي قد نقلت من طرف الرومان ووطنت هناك (ينظر الخريطة رقم 14)⁽¹⁾.

(1) محمد الحبيب بشاري، دراسات تاريخية، ص 17.



الخريطة رقم 14: توضح حدود المجال الترابي لقبيلة الموزولامي، مع الإشارة إلى تعيين العلامات الحدودية الفاصلة بين أراضيهم وبين أراضي كل من أميدرا، مداروش، وتبسة وعين كمال، و. Neptune, Rex, Khanoussi. M. Pelagicus, dans le municipe de Sufetula (Sbeïtla, Tunisie). In : Comptes rendus des séances de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres, 148^e année, N. 3, 2004. p. 1163 ; Laporte. J.p et M'Charek.A, Op.cit, p p. 5144-5155.

وقبيلة الموزولامي ليست وحدها من تعرضت لهذه السياسة (ينظر الجدول رقم 4) فالكثير من قبائل نوميديا لاقت المصير نفسه، فخلال القرنين الثاني والثالث الميلاديين وقع تشتيت وتوزيع لقبيلة نوميديا (Numidia) الكائنة أراضيها بإقليم مادوروش (Madoros) وأميدرا (Ammaedara)، فنقل جزء من القبيلة لأراضي جديدة جنوبي المقاطعة، وبقي البعض بالقرب من خميسة (Tubursicu Numidarum)⁽¹⁾، كما لفت انتباه غزال إلى نقشين بمنطقة برج بوعريريج (Bordj bou Arreridj) وتذكر شعب نوميداروم (Numidarum)، وقد اعتقد غزال أنها من القبائل المزراعة والتي تم تحديد أراضيها في 137م بقرار من السلطة الرومانية⁽²⁾ ومن ناحية أخرى أصبحت القبيلة تحت سلطة ضابط روماني⁽³⁾.

وقبيلة النيبجيني (Nybgennii) التي كانت تقطن جنوبي الولاية الإفريقية، فشنت شملها وجزئت أراضيها على المزارعين الرومان⁽⁴⁾، وبين ذلك سلسلة من العلامات الميلية التي يعود تاريخها للقرن الثاني الميلادي من ذلك المعلم الذي عثر عليه بهنشير شناح الذي يرجح أنه يعود إلى عهد الإمبراطور تراجان (98-117م)⁽⁵⁾، الذي وضح أن مجال هذه قبيلة يمتد إلى حدود بلاد الشارب على الضفة الشمالية لشط الفجيج؛ أي بالقرب من قابس (Tacapae) ومنطقة السيرت الكبرى⁽⁶⁾. وقد وضحت هذه العلامات حدود قبيلة النيبجيني، وقبائل أخرى كقبيلة الكابيستاني وحتى بينها وبين مقاطعتي البيزاسان والتريبوليتانيا (طرابلس)⁽⁷⁾، فما ترك لهذه القبيلة ماهي إلا أراضي فقيرة بشط الفجيج، وأكد تروسي

(1) شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص 217.

(2) Lassér.J.M. Vbique Populus...Op.cit, p.359.

(3) غابريال كامبس، ماسينيما أو بداية التاريخ، ص 308.

(4) محمد الحبيب بشاري، روما وزراعة المقاطعات الإفريقية بين 146ق.م و285م، دار الهدى، الجزائر، 2015، ص 297، ص 300.

(5) CIL. VIII. 22.787.

(6) محمد اللافي، المرجع السابق، ص 363-364.

(7) المرجع نفسه، ص 364.

(Trousset.P) من خلال دراسته لكنترة المناطق الجنوبية للبروقنصلية أن هذه القبيلة تم تحديد مجالها وتقليصه موازاة مع مد خطوط المسح نحو الجنوب⁽¹⁾.

بالإضافة إلى قبائل أخرى استولت السلطات الرومانية على أراضيها، وقامت بمسحها منها السبوربوراس (Suburbures) التي تم ترسيم حدودها الإقليمية، وتحديد مجال تحركها في عهد الإمبراطور تراجان، ويتضح من نصبين تم العثور عليهما إلى الشمال من شط البيضاء، واللذين يشيران بوضوح إلى حدود إقليم قبيلة السبوربوراس، جاء في العلامة الأولى (Fine Assignati Genti Suburburum) وتعني حدود مخصصة لقبيلة السبوربوراس⁽²⁾، أما العلامة الحدودية الثانية فقد عثر عليها في مزرعة بومجو على بعد كيلو متر واحد من عين السبع (Ain es Seba)⁽³⁾، والليغاتوس الذي قام بترسيم حدود إقليم القبيلة هو سابينوس بارباروس (Sabinus Barbarus)، وتعرضت قبيلة النسيج (Nicives) هي الأخرى لترسيم حدودها فتشير النصوص الأثرية أن ليغاتوس لمبارز أشرف على ترسيم حدود ممتلكاتها في جهة تيديس⁽⁴⁾، ونتيجة لسياسة الحشد التي طبقها الرومان ضدها نزحت إلى جهة الحضنة لتستقر هناك وتتخلى عن حياة البداوة، ونلاحظ تحركًا لهذه القبيلة من الأراضي النوميديّة إلى أراضي موريطانيا⁽⁵⁾.

يضاف لهذه القبائل قبيلة الفوفريكانس (Vofricenses)، والسوبانس (Suppenses)⁽⁶⁾، التي تعرضت لعملية نزع ومسح الأراضي، واستولت السلطات الرومانية على الأراضي الواقعة بينهما، أي ما بين سوق أهراس (thagaste) والتاجورا (thagura). وتعرضت قبيلة ميسيكير (Misicir) هي الأخرى للكنطنة، فحشدت في القسم الذي بقي لها من أراضيها في المنطقة الجبلية ما بين مجردة جنوبًا، ووادي ناموسة (l'oued

(1) Trousset.P. Les bornes du Bled Segui. Nouveaux aperçus sur la centuriation romaine du Sud tunisien. In: Anti afr, 12,1978. p. 169.

(2) Desanges. J, Op.cit, p.136..350، محمد العربي عقون، الكونفدرالية السيرية..، ص

(3) Gsell. St.A.A.A. FeuilleN°16 Sétif, N°472-473.

(4) محمد العربي عقون، المملكة النوميديّة والحضارة، ص40.

(5) Desanges. J, Op.cit, p.124-125.

(6) مقدم بنت النبي، السياسة الرومانية، ص69.

(Namoussa) غربا إلى الجبل الكبير، وسهل التارف شمالا أي منطقة الشافية (Cheffia) التي ظلت محتظة بخصوصيتها المحلية⁽¹⁾.

وإجراءات الكنطنة هذه تعرضت لها على الأغلب؛ القبائل التي قطنت مقاطعة البروقنصلية والمقاطعة النوميدية (ينظر الخريطة رقم 15)، غير أن بعض النصوص الأثرية تشير إلى أن القبائل الجبلية بالقيصرية لم تسلم من هذه السياسة، منها ماجاء في النص⁽²⁾: (Ut sciant zimize non plus usum se labere quam) الذي بين وضع قبيلة الزميز (Zimizes) بين القل وإجيليلي (Igilgili) على ضفتي نهر أمساقا (l'Amsaga)، وقد فصل بروكيراتور موريطانيا القيصرية ماركوس فيتوس لاترو (M.Veltius Latro) نهائيا بين أرض المواطنين الرومان بإجيليلي وهذه القبيلة⁽³⁾، ويعتقد (Bénabou.M)⁽⁴⁾ أن إجراءات الكنطنة في موريطانيا مختلفة عن تلك المطبقة في البروقنصلية ونوميديا، من ذلك الاستنتاج الذي خرج به من النص الأثري المذكور، وقوله بأن قبيلة الزميز لم تتعرض لإجراءات كنطنة شبيهة بما جرى العمل به في نوميديا، وكل ما في الأمر هو تقليص لحدودها الغربية بـ 500 قدم عن قلعة الانتصار (Kastellum Victoriae) التي بنيت على أرض تابعة لمستعمرة إجيليلي.

وإذا اتجهنا إلى الجهة الغربية للمقاطعة الطنجية نجد أيضا أن قبائل البقواط (Baquates) قد تم طردها وتحديد أراضيها في عهد الإمبراطور هادريان، بعد أن هاجمت مدن، ومستوطنات رومانية بمقاطعة موريطانيا القيصرية عام 122م مثل كارطيناي (تنس) (Cartennae)، التي كانت موطنًا لهم، وتم إجبارهم على التراجع غربا إلى ما وراء وادي الملوية فاستوطنت بالمقاطعة الطنجية⁽⁵⁾.

(1) Bénabou .M, Op.cit, p.439 ; Desanges. J, Op.cit, p.271.

(2) CIL. VIII. 8369.

(3) جيروم كركوبينو، المرجع السابق، ص 390.

(4) Bénabou .M, Op.cit, p.439.

(5) جيروم كركوبينو، المجمع السابق، ص ص 385-390-28-31. Op.cit, Catalogue... Desanges. J,

إن الأرض التي احتفظت بها القبائل بعد عملية الكنطة لم تعتبرها التشريعات الرومانية ملكا للقبيلة، فالقانون يكفل لها حق الاستعمال فقط (Droit d'Usus)، وأيضا القانون الخاص يصنف القبيلة المكنطنة في درجة بلدة غارمة (Civitas stipendiaria) الأمر الذي يمكنها من إقامة مركز عمراني قد يتسع إلى بلدة (Municipium)⁽¹⁾، وذلك مانجده لدى قبيلة النتابوت، وسعى الرومان من هذه الإجراءات إلى ربط القبائل والعشائر بمراكز حضارية تحت سياسة تحضير القبائل⁽²⁾، وادخالهم في إطار رسمي يسمح بمراقبتهم، وهي سياسية استهدفت الأقاليم الخاضعة للرومان والتي تعرف تنقلات موسمية للقبائل⁽³⁾.

وهدف عملية الحشد والكنطنة أولا إلى توسيع مجال الاستيطان الروماني الاستغلالي، وثانيا لنتيبت القبائل المحلية عن طريق تحديد مجالها داخل أرض رعوية أو جبلية خالية من أي مدينة، حيث توضع هذه القبائل في كتلة تحت سلطة (Praefectus gentis) دون ترحيل أو نقل لهم، لمنع تحركاتها، وثالثا استهدف الرومان من وراء هذه العملية البنية الاجتماعية المحلية، حيث عمل على تفكيك وتشتيت القبائل وعزلها عن بعضها البعض.

التاريخ	القبائل التي حددت أراضيها	بأمر من ...	المصدر والمرجع
81/80	سوبوربوراس والنسيف	القائد توليوس بومبيانوس كابنو Leg Tullius Pomponianus Capito	أراضي أخذت من الأملاك العامة لسيرتا A.E.1957,175 ; B.A.A,1968, III,293
81/80	الفوفريكانس والسوبانس	القائد Leg	Termini positi inter Vofricenses et suppenses, A.E, 1942/1943,35
87	مودوكيوفي وزموكي	القائد Leg	Terminus positi conventioneutrarumaque nationum, I.R.T,854(Epigraphica,1939, I.P.III

(1) والبلدية: وتكون إما مدينة مغربية قديمة وبالأخص إفريقية احتفظت لفترة زمنية بنظمها المحلية واستقلالها الذاتي، ثم تحصلت على حقوق المواطنة الرومانية أو اللاتينية، وقد تكون البلدية مدن جديدة أنشئت في مواقع ذات أهمية إقتصادية أو جغرافية، والبلديات نوعان، بلديات لاتينية وبلديات رومانية. للمزيد ينظر: شافية شارن وآخرون، المرجع السابق، ص 162-164.

(2) محمد العربي عقون، الكنفدرالية السيرية، ص 374.

(3) Troussset.P. Les bornes du Bled Segui..., Op.cit. p.126.

Terminus inter Tacapitanos et Nybgenios, ILT.69-70	؟	نينجي	Trajan
Inter Madaurenses, Tisibenses, Augustum, Valeriam Atticillam	Leg القائد	موسولامي	/100 103 /104 105 116
Fines adsignati, D,9380-9381, Cagnat.R, Mél.Boissier, pp.99-102	Leg القائد	سبوربور	/116 117
Termini positi inter Igilgilitanos et zimizes, CIL.VIII.8813-8814	بروكراتور موريطانيا القيصرية	زميزي	128
Fines adsignati, CIL, VIII,8813-8814	بروكراتور موريطانيا القيصرية	نوميديا	137
S.C. de nundinis saltus Beguensis :CIL, VIII,23246,11451	؟	موسولامي	138

جدول رقم 4: القبائل التي تعرضت لإجراءات الكنتنة (الحشد)، p.433، Bénabou.M, Op.cit.

إن سياسة الاحتلال الروماني القائمة على الاستيلاء على الأراضي الخصبة، والمهمة وترك ما بقي من الأراضي الجبلية الفقيرة والبعيدة عن مراكز الاستيطان للأهالي للانتفاع والاستيطان بها، وهو الإجراء الذي عبر عنه مارسال بن عبو بالكنتنة من خلال عزل قبيلة وحشدها داخل إقليم تحدده لها السلطات الرومانية⁽¹⁾، خلف اختلالا ديمغرافيا تميز بإكتظاظ الجبال بالسكان وانخفاض الكثافة السكانية في السهول نتيجة لتراجع الأهالي لهذه المناطق، وهي الظاهرة التي استمرت ملازمة لشمال إفريقيا عبر فتراته اللاحقة، وطرح (م.ع) عقون فكرة بقوله أن مركز الثقل السكاني في المقاطعات الأفريقية كان الريف وذلك ناتج عن عمليات الكنتنة⁽²⁾، وعلى العموم فإن وضع الأرض كان من بين عوامل التدهور الاجتماعي الذي سيكون سببا في الإضطراب والثورة⁽³⁾.

⁽¹⁾ Bénabou.M, Op.cit. p.433

⁽²⁾ محمد العربي عقون، الكنفدرالية السيرتية، ص374.

⁽³⁾ المرجع نفسه، ص374.

ثم إن الضغط الذي أحدثه الرومان على القبائل المحلية خاصة قبائل مقاطعتي البروقنصلية ونوميديا، عن طريق عمليات مسح أراضيها وانتزاعها عنوة، وحشد القبائل في مناطق محددة، يضاف لكل هذا إقامة خط الليمس الذي شكل حاجزا في وجهها وطرق عيشها، كل هذه العوامل دفعت بتلك القبائل إلى البحث عن مواطن جديدة للانتجاع ومصادر عيش جديدة، وقد وجدت في المناطق الصحراوية والغربية مكانا مناسباً لها، أين ستشارك قبائل أخرى أرضها ومصدر عيشها، وهو ما سيشكل ضغطا كبيرا، يدفع بها إلى التحرك شمالا والهجوم على المناطق قليلة الرومنة⁽¹⁾. كما لجأ الأباطرة الرومان بالإضافة إلى حشد وعزل القبائل إلى العمل على تفريق صفوف القبائل المحلية بإثارتها ضد بعضها عملاً بمبدأ فرق تسد⁽²⁾.

وخلاصة القول أن الكنطنة من الإجراءات الرومانية التي مكنت الاحتلال الروماني من ترسيخ الاستيطان والاستيلاء على مصادر الثروة، ثم ونتيجة لعمليات إزاحة القبائل، وطردها من أراضيها التي أقامت بها في الغالب الفيالق الرومانية، خلف تغييراً في وجه الخريطة البشرية لسكان كل مقاطعات المغرب القديم.

(1) مباركة قوراري، السلم الروماني في المقاطعات الإفريقية في عهد الأباطرة الأوائل للأسرة الأنتونية، مذكرة ماجستير، إ: محمد الحبيب بشاري، جامعة الجزائر 2، 2012/2011، ص 92.

(2) جيروم كركوبينو، الموضع السابق، ص 385-31390-28. Op.cit. Desanges. J, Catalogue...



الخريطة رقم 15: بعض القبائل المكنطة التي أشارت إليها التصوص الأثرية والأدبية بمقاطعة نوميديا، محمد العربي عقون، الاقتصاد والمجتمع، ص 284.

3. دحر وطرده القبائل للصحراء:

أثرت التوسعات والتوغلات الرومانية في أراضي مختلف مقاطعات المغرب القديم على القبائل المحلية وخاصة البدوية منها، فإجراءات القرن الأول المتخذة ضدها أسفرت على تغيرات جوهرية في بنيتها الاجتماعية والاقتصادية، فأرغموا على النزوح خارج أراضيهم وشتتت أخرى فرقا وعشائر، كما تم القضاء على البعض منها ومحاصرة البعض الآخر في أقاليم محدودة، ولم يأت القرن الثالث واستحكاماته العسكرية المشددة حتى أجبرت القبائل البدوية على الارتقاء خارج الليمس بحثا عن مجال حيوي بديل فانظموا للبدو الرحل⁽¹⁾. وفي

(1) محمد البشير شنيقي، الجزائر في ظل الإحتلال، ص 290.

هذا الصدد يقول غزال (Gsell) بأن احتلال الرومان لأراضي الشمال الإفريقي نتج عنه فتح الصحراء من طرف البربر⁽¹⁾.

اعتبر المؤرخون أن طرد ودحر القبائل المعادية للسلطة الرومانية، والتي تعسر رومنتها جزءاً لا يتجزأ من سياسة الرومان اتجاه القبائل المحلية، وذلك كإجراء ضروري بعد أن تم الاستيلاء على أراضيها وحتى المراعي ومناطق تنقلها التي حولت إلى أراضي زراعية (الزراعة الشجرية)⁽²⁾، فكل توسع تقوم به السلطة الرومانية تبعه تناقص في الأراضي التي تركت للقبائل من أجل استغلالها في الرعي⁽³⁾، وقد شبه شارل بيكار حال القبائل الرافضة للسياسة الرومانية التوسعية بحال الهنود الحمر الأمريكيين، وما حدث لهم خلال القرن التاسع عشر، أمام ضغط الوافدين الأوروبيين عقب اكتشاف أمريكا، أين وجدوا أنفسهم محتجزين في مناطق محدودة (Réserves)⁽⁴⁾.

جاء هذا الفرض من قبل ستيفن غزال، الذي يشتهر بدراسته للوثائق الأثرية وفهمه العميق لها. وقد قدم فرضية حول دفع القبائل المحلية في الصحراء الكبرى خلال فترة الاحتلال الروماني، التي لا تزال أهلة بالزنزج حسب، في أطروحته التي نشرت العام 1962 بالرغم من أنها تحمل تاريخ 1933 تحت عنوان⁽⁵⁾: (La Tripolitaine et le Sahara au IIIe siècle de notre ère)، وقال بأن العديد من البدو اضطروا للذهاب والعيش خارج هذه الحدود في الصحراء الكبرى، "ما خلق منطقة خطر، وهذه السياسة لجأت إليها السلطات الرومانية بداية من القرن الأول إلى القرن الثالث الميلادي⁽⁶⁾، وقصد بذلك أن القبائل المحلية الرافضة للسيطرة الرومانية فتحت الصحراء الكبرى بفعل ضغط الرومان عليهم من

(1) Gsell. St, La Tripolitaine et le Sahara au IIIe siècle de notre ère .In: Mémoires de l'Institut national de France, tome 43, 1^e, C.R.A.I ,partie, 1933, p.163.

(2) Desanges. J, Op.cit, pp.18-24.

(3) Gsell. St, La Tripolitaine..., Op.cit, p.66.

(4) شارل جيلبار بيكار، المرجع السابق، ص 68.

(5) Fevrier. P.A ,Observations sur la tribu dans le Maghreb antique .Publications de l'École française,1996, p.841.

(6) Gsell. St, La Tripolitaine ..., Op.cit. p.154.

جهة الشمال، لذلك لجؤوا للبحث عن مجالات جديدة باتجاه الجنوب والغرب⁽¹⁾، وأنهم منذ ذلك العهد وهم أسياد الجنوب، ويمثلهم في الوقت الحاضر رجال التوارق⁽²⁾.

وهذا الطرح قبله الجميع ووجد السند من إميل قوتيه (Gautier.E. F) الذي تحمس له كثيرا⁽³⁾، وأيده شارل أندري جوليان الذي قال بضرورة طرد البدو من الأراضي التي ما زالوا يملكونها لأجل توسيع رقعة الاحتلال الروماني، فالرومان لم يكتفوا بحشد القبائل الأهلية بل طاردوهم حيثما أمكن استغلال أراضيهم، وما تقدم الليمس في كل من طرابلس ونوميديا وموريطانيا إلا مظهرا عسكريا لهذه السياسة، والتي كان هدفها انتزاع أراضي القبائل بعنف، والرمي بها في الصحراء⁽⁴⁾، وقد توافق زمنيا انتشار الجمل في الصحراء الكبرى، وطرد القبائل الأهلية من التل من طرف الرومان⁽⁵⁾.

كما تقدم لنا الآثار الجنائزية المنتشرة بالمناطق المحاذية لليمس وثائق في غاية الأهمية، عن القبائل البدوية التي جاورت الحدود الرومانية ومارست ضغطا عليها، تمثلت في مقابر تتدرج ضمن ما يعرف بقبور التيملوس (التلال Temulus)⁽⁶⁾، والبازيينات (Bazinas) التي تميز مناطق الرعي⁽⁷⁾، وهي مقابر كثيرة؛ المنتشرة والموزعة بكثافة ملفة على حد تعبير شنييتي (م،ب) وبشكل يتناسب وتوزع الخطوط الدفاعية الرومانية المكونة

(1) Lassér.J.M. Vbique Populus...Op.cit, p.359 ; 69 شارل جيلبار بيكار، المرجع السابق، ص 69

(2) محمد البشير شنييتي، روما الإمبراطورية، ص 196.

(3) شارل جيلبار بيكار، المرجع السابق، ص 69.

(4) شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص 219.

(5) Gsell. St, La Tripolitaine ..., Op.cit. p.154.

(6) قبور التيملوس (التلال Temulus): هي ركام من الحجارة له شكل دائري على وجه العموم، أقطارها متفاوتة الطول، إذ تتراوح ما بين مترين و 150م، تحاط هذه الدائرة بحجارة كبيرة قصد حفظ محتواها الداخلي، وتحتوي البازينات جثة واحدة أو أكثر حسب الحالات، فهي قبور فردية أو جماعية.

(7) أظهرت التنقيبات الأثرية التي جرت في نماذج من مقابر الإقليم الرعوي كثيرا من المعلومات والوثائق الأثرية، منها التنقيبات التي جرت في الجلفة وهي ثلاثة، موقع ورك، وتمدة، وعين الحمارة. للمزيد ينظر: محمد البشير شنييتي، روما الإمبراطورية، ص ص 210-211.

لليس أين تجاوره من الجهة الجنوبية⁽¹⁾، تتدرج المقابر هذه ضمن المدافن المنتشرة بمناطق الرعي، والتتقيبات الأثرية بها تثبت أنها لقبائل رعوية مارسوا حياة الترحال⁽²⁾.

ويرفض مؤرخون آخرون نظرية دحر القبائل؛ حيث تشير مقدم (ب، ن) نقلا عن ألبرتيني إلى أن تلك القبائل التي انتقلت للصحراء هي القبائل التي ظلت مرتبطة بحياة الترحال وبطابعها القبلي، رافضة تغيير نمط حياتها من الترحال إلى الاستقرار، كما أبت الخضوع للسياسة الضريبية الرومانية بعد مسح أراضيها، وأمام موقفها واستحالة مواجهة الرومان فضلت الهجرة والنزوح إلى الصحراء⁽³⁾. الذي ترتب عنه حالة من التحرك البشري اتخذ مسارات عدة، منها الطويلة باتجاه عمق الصحراء الكبرى، ومسارات قصيرة المدى صوب السهول العليا الموريطانية، وشمال الصحراء بما في ذلك الأطلس الصحراوي الذي شكل بيئة مناسبة للرعي الشبه الدائم، وقد كان الموطن الجديد للقبائل المطرودة، أو التي منعت من التردد على مراعي التل مجاورا لمنطقة الليمس في جميع المقاطعات الرومانية بالمغرب القديم⁽⁴⁾.

يعتقد بيكار (ش.ج) أن طرح غزال الذي لقي السند من إيما غوتيه، قوبل بالشكوك وحتى الرفض، ذلك أن قبائل ليبية قوية على غرار النسامون، والغرامنت، والجيتول، والفاروسيين والنيجريت قطنوا وسيطروا على الصحراء منذ الألف الثانية قبل الميلاد. وما ثبات أسمائها الإثنية لفترة طويلة جدا لدليل على عدم وجود حركات كبرى إلى نهاية القرن الثالث الميلادي⁽⁵⁾، والواقع أن الصحراء التي جفت تدريجيا لا تملك القدرة على استيعاب، واستقبال وافدين جدد من القبائل المدحورة، يضاف لهذا كذلك طبيعة القبائل البدوية التي تحتاج لمجال واسع من أجل نمط عيشهم المعتمد على التنقل والارتحال، ويضيف دائما أن

(1) محمد البشير شنيقي، روما الإمبراطورية، ص 210.

(2) المرجع نفسه، ص 210.

(3) مقدم بنت النبي، السياسة الرومانية، ص 90.

(4) محمد البشير شنيقي، المرجع السابق، ص 196.

(5) شارل جيلبار بيكار، المرجع السابق، ص ص 69-70.

الرومان لا حاجة لهم لدحر قبائل كبيرة، وإنما يكفيهم تثبيت بعضها وإجبارها على تغيير نمط حياتها من الرعي إلى النشاط الفلاحي⁽¹⁾.

يذكر لاسير (ج.م) (Lassér.J.M) أن القبائل تم دحرها من أراضيها ولكن ليس باتجاه الصحراء، وإنما وجهت للضيعات والمدن الجديدة التي أنشئت، وهو يعتقد أن القبائل كانت تجوب الصحاري قبل مجيء الرومان، وقبل إنشاء الليمس في عهد الأباطرة الأنطونيين (96-193م) أو السيفريين (193-235م) حتى، وغزال حين بنى تصوره هذا لم يأخذ في عين الاعتبار تلك الثورات التي قامت في القرن الثالث الميلادي بموريطانيا، وهي ثورات قادتها قبائل جبلية وليس قبائل صحراوية⁽²⁾.

حاولت مقدم (ب.ن) التوفيق بين الرأي المؤيد لغزال والطرف الرافض له بقولها، أن السلطات الرومانية بدأت بعد ثورة تاكفاريناس في محاولة لدمج القبائل ورومنتها، وهو الأمر الذي لم ينجح لعدة اعتبارات منها تفاوت قوة القبيلة والأخرى، أين وجدت القوية والضعيفة، الكبيرة والصغيرة، وهو ما أدى بالرومان إلى وضع إجراءات تمكنه من السيطرة عليها، من خلال تحديد أراضي القبائل الصغيرة، ووضع نوع من الإقامة الجبرية عليها هذا من جهة. ومن جهة ثانية عملت على تفكيك وتجزئة القبائل الكبيرة، أما القبائل التي رفضت هذه الإجراءات فكانت تطرد جنوبا، أو تنزح بإرادتها نحو المناطق التي تجد فيها حرية التنقل⁽³⁾.

وعن الطريقة التي استخدمتها السلطات الرومانية في دحر تلك القبائل إلى الصحراء، نجد اعتمادها على الجيش فبعد كل مواجهة تتم بين الطرفين الرومان والقبائل المحلية تطارد جموع القبائل المهزومة صوب المناطق الجنوبية، ولنا في ثورة قبائل النسامون (Nasamons) خلال القرن الأول الميلادي (85-86م) خير مثال على هذه العملية، أين قتل أغلبهم وطرد ماتبقى منهم نحو الجنوب بعد قيامهم بقتل مبعوثي روما القادمين لجمع الضرائب، تعبيرا عن رفضهم دفع الضرائب⁽⁴⁾. وهو ما جعل الرومان يوجهون حملة في نهاية

(1) المرجع نفسه، ص 70.

(2) Lassér.J.M. Vbique Poupulus...Op.cit, p.361.91 نقلا عن مقدم بنت النبي، السياسة الرومانية، ص 91.

(3) مقدم بنت النبي، السياسة الرومانية، ص 91.

(4) Bénabou.M, Op.cit, p .105.

القرن الأول الميلادي بقيادة الليغاتوس سوليوس فلاكوس (Cn Suellellin Flaccus)⁽¹⁾، بهدف القضاء على سيطرة النسامون بالمنطقة، في محاولة من الرومان لتمديد حدود المدن الخمسة من جهة، ومن جهة أخرى استهدفت إلزام النسامون بعدم ترك مواطنهم الدائمة بغية حرمانهم من الحركة، والهجرة الموسمية لتسهيل مراقبتهم في مكان ثابت، ومعروف لأجل تسهيل عمل جباة الضرائب الرومانيين⁽²⁾.

كما تم دحر قبائل كثيرة نحو الجنوب وحتى الغرب كقبيلتي السبوربوراس (Suburbres) والنسيف (Nicives)⁽³⁾، والمصير نفسه لاقته قبائل الموزولامي التي طرد جزء منها إلى مشارف الصحراء بعد القضاء على ثورة تاكفاريناس⁽⁴⁾، والجزء الآخر تعرض لعمليات الحشد والمراقبة، بداية من القرن الثاني الميلادي الذي وضحه تتبع مواقع المعالم والبلدات، ومختلف عقارات الإمبراطورية الرومانية، التي تظهر أن الأرض المتبقية لأجزاء من قبيلة الموزولامي كانت متقطعة ولم يبق منها سوى جزء قليل⁽⁵⁾.

هذه السياسة التي دفعت بغالبية جموع القبائل البدوية، وحتى الجبلية إلى النزوح خارج خط الليمس بعدما تم طردها من أراضيها التي شملها الاستيطان، أدت إلى مقاومتهم وقيامهم بالكثير من العمليات العسكرية والثورات طيلة السنوات اللاحقة، لذلك حظي هذا الإقليم باهتمام كبير من طرف القيادة العسكرية الرومانية فأحكمت تحصيناتها به وأكثرت من العناية بمعابر البدو، كل ذلك لغرض منع البدو من التسلل نحو السهول العليا، وهو ما وضحته كثير من المعطيات الأثرية لشبكة الليمس التي عاصرت تلك الأحداث.

يمكن تحليل حالة القبائل من خلال النقوش التي توفر معلومات عن السياسة التي اتبعتها السلطات الرومانية ضدها منها القمع، حيث تم اكتشاف علامة حدودية على أطراف إقليم موريطانيا القيصرية وضحت عملية قمع القبائل المغاربة، وتوطينها على حدود منطقة

(1) Bénabou.M, Op.cit, p .105.

(2) محمد على عيسى، المرجع السابق، ص33؛ مصطفى كمال عبد العليم، المرجع نفسه، ص81.

(3) مقدم بنت النبي، السياسة الرومانية، ص89.

(4) Bénabou. M, Op.cit, p.83.

(5) Laporte. J.p et M'Charek.A, Op.cit, p p. 5144-5155.

حضرية، فالنقيشة تفصل بين الأراضي الحضرية ذات الكاستيلوم (Castellum) وأراضي القبيلة التي بها القرى، وهو نقش سيدي بوزيد (Sidi Bouzid) ⁽¹⁾.

4. الزيتوننة (Oléiculture):

يجمع مؤرخو العهد الروماني بشمال إفريقيا على أن الإمبراطور سبتيموس سيفيروس قد بلغ بحركة التوسع العسكري والاستيطان الزراعي إلى أقصى الحدود الممكنة ⁽²⁾، وهو ما يظهره نص أورده الأديب المسيحي ترتليانوس يبرز فيه تغليب الحياة الزراعية والعمران بالمغرب القديم خلال الفترة السيفيرية: "...لقد تزاومت المزارع وطمرت أشهر الصحاري، وانتشرت الحقول الزراعية على حساب الغابات، هربت قطعان الحيوانات البرية".

"... De riantes métairies ont effacé les déserts les plus fameux; les champs ont dompté les forêts; les troupeaux ont mis en fuite les animaux sauvages; les sables sont ensemencés; l'arbre croît sur les pierres; les marais sont desséchés; il s'élève plus de villes aujourd'hui qu'autrefois de mesures" ⁽³⁾.

بالنسبة لزراعة الزيتون أشارت المصادر التاريخية إلى وجودها في المغرب القديم منذ القدم ⁽⁴⁾، غير أن التوسع في زراعتها قد عرف تطوراً ملحوظاً خلال الفترة الرومانية؛ وبشكل كبير أواخر القرن الثاني وبدايات القرن الثالث الميلادي ⁽⁵⁾، حيث اتسعت الخريطة الزراعية تدريجياً نحو الداخل، فشملت المنحدرات، والهضاب ووصلت حتى حدود الصحراء في جهات الحضنة، ونتيجة لذلك تم إخلاء الكثير من المناطق الرعوية من البدو، وحتى منع الرعي بها على بدو السهول العليا والأطلس الصحراوي في المنطقة الوهرانية، كل ذلك لضمان أمن الفلاحين المستقرين ⁽⁶⁾.

⁽¹⁾ Leveau. Ph, Un cantonnement de tribu au sud-est de Caesarea de Mauretanie : la borne de Sidi Bouzid, dans REA, t. 76, 1974, p. 293.304.

⁽²⁾ محمد البشير شنييتي، روما الإمبراطورية، ص 157.

⁽³⁾ Tertulienus, De Anima.30.

⁽⁴⁾ Diodore de sicile. III.50 ; Pline l'Ancien.XVIII.I.22.

⁽⁵⁾ حميدة عوادات القماطي، زراعة الزيتون في شمال إفريقيا خلال العصر الروماني، مجلة العلوم الإنسانية والعلمية والاجتماعية، ع2، ديسمبر، 2016، ص 160.

⁽⁶⁾ شارل جيلبار بيكار، المرجع السابق، ص 74.

اهتمت روما بزراعة الزيتون أو الزيتة في المغرب الروماني، وهذه مجموعة من العوامل التي تبرز أهمية انتشارها:

- تراجع إنتاج الزيتون في روما وإيطاليا بسبب الوضع الداخلي المتدهور نتيجة الحروب الأهلية التي انتهت معها الطبقة الفلاحية المتوسطة، وتحولت معها مزارع الزيتون إلى مراعي فقيرة⁽¹⁾، أين تراجعت المساحات المخصصة لها، ماخلف نقصاً في إنتاج الزيت، أدى إلى عجز إيطاليا عن تلبية حاجاتها من الزيت بعد أن كانت تكتفي ذاتياً، وتُصدر الباقي⁽²⁾، في هذا الوقت كان المغرب، أو إفريقيا الجاهزة خير بديل وجدته روما لتعويض ماخسرتة⁽³⁾.

- عمل سبتيموس سيفيروس وخلفائه على توزيع بعض المواد على الرومانيين المعوزين ومن هذه المواد الزيت، لذلك أصبح من الواجب على الإمبراطور توفير هذه المادة لضمان تأييد الشعب، لذلك سهر على تشجيع زراعة الزيتون في مختلف الأقاليم، لجمع الزيت الضروري على شكل ضريبة، وكانت بلاد المغرب القديم من بين الأقاليم التي ساهمت في إنجاز هذه الوظيفة⁽⁴⁾.

- لعبت العوامل الطبيعية والمناخية الملائمة - التربة مناسبة لا رملية كثيراً ولا طينية تماماً⁽⁵⁾، والمناخ المعتدل لا هو حار ولا بارد نسبة التساقط الصغيرة 300 ملم³، ويزرع الزيتون في المناطق التي لا يزيد علوها عن 800م⁽⁶⁾ - دوراً كبيراً في التوجه إلى الزيتة، وهي الظروف التي تتوافق والأقاليم التالية: أراضي السهوب، المنحدرات، والهضاب التي يتعذر

(1) شارل جيلبار بيكار، المرجع نفسه، ص78.

(2) حميدة عوادات القماطي، المرجع السابق، ص161.

(3) نجوى راشي، سياسة الزيتة في منطقة ستيفيس أثناء الفترة الرومانية، التاريخ الثقافي لمنطقة سطيف المجال، الإنسان، التاريخ، ج1، منشورات الوطن اليوم، سطيف، 2019، ص177.

(4) محمد الحبيب بشاري، دراسات تاريخية، ص158.

(5) هنريات كامبس فابري، الزيتون والزيت في إفريقيا الشمالية خلال الفترة الرومانية، تع: محمد العربي عقون، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2014، ص ص22-23.

(6) للمزيد عن شروط وطرق زراعة الزيتون ينظر: هنريات كامبس، المرجع نفسه، ص ص21-26؛ Plin l'ancien, X.

على المحراث شقها، ثم الأراضي المستصلحة حديثا كالمستنقعات والغابات والأحراش، فكلها أراضي تتناسب وزراعة الزيتون لا زراعة الحبوب، وتؤكد المعطيات الأثرية أن الأقاليم: الساحل التونسي الممتد من رأس الطيب إلى غربي طرابلس، والسهوب الممتدة من تبسة إلى سببيلة مرورًا بقفصة وسيدي عقبة، وجزءًا هامًا من هضبة الشطوط السطيفية الممتدة من سطيف إلى شمال الأوراس، كانت تغطيها غابات الزيتون، وتنتشر فيها معاصر الزيتون⁽¹⁾، وفي منطقة فولوبليس (قصر الفرعون) بموريطنيا الطنجية، وهذا غزال (س) يطلق اسم " قرن الزيتون " على القرن الثاني الميلادي⁽²⁾.

- سعي روما لتوسيع الأراضي الزراعية، وتشغيل السكان الأهالي بها لتجنب خطرهم، وضمان للأمن والاستقرار، لذلك سنت مجموعة من القوانين التي شجعت على استصلاح، واستغلال الأراضي المهملة وغير المستغلة، ومن تلك القوانين قانوني مانكيانا (Lex Manciana) وهادريان (Lex Hadrianus)، التي ركزت على زراعة الأشجار ومنها الزيتون⁽³⁾، بالإضافة إلى عوامل أخرى، فزراعة الزيتون تعتبر أقل تكلفة بالمقارنة مع المزروعات الأخرى، فهي لا تحتاج إلى عناية وعمل دائمين⁽⁴⁾.

- من أهم العوامل التي دعت الأباطرة الرومان لزيتنة شمال المغرب القديم الروماني، هي السياسة الاستعمارية الرومانية التوسعية⁽⁵⁾، حيث شكلت الزيتنة سببا رئيسيا في نمو ديمغرافي وتطور حضري مماثل لما فعله التصنيع حديثا في أوربا (mutatis mutandis)⁽⁶⁾، الذي توسع على حساب أراضي السكان الأصليين، ما أدى في كثير من الأحيان إلى قيام ثورات ومقاومات خلدها كثير من النقوش الأثرية والنصوص الأدبية،

(1) محمد البشير شنيقي، نوميديا وروما، ص ص 120-121؛ محمد العربي عقون، الاقتصاد والمجتمع، ص 100.

(2) محمد الحبيب بشاري، روما وزراعة، ص ص 167-196.

(3) محمد الحبيب بشاري، دراسات تاريخية، ص ص 159-160.

(4) محمد العربي عقون، الاقتصاد والمجتمع، ص 102.

(5) محمد البشير شنيقي، نوميديا وروما، ص 123.

(6) شارل جيلبار بيكار، المرجع السابق، ص 78.

وحركة تمرد القبائل مربوطة بحركة توسيع المجال الزراعي الروماني في أراضي القبائل الثائرة، ونتيجة لذلك عمد الأباطرة الرومان الساعين للسيطرة التامة على المناطق المستعصية إلى وسيلة إخضاع أخرى بالإضافة لإجراءات الحشد، والنقل، والطرء، التي تضمن بقاء السيادة الرومانية، وتمثلت في غرسة شجرة الزيتون التي تتطلب استيطاناً عمرانياً دائماً⁽¹⁾، وبالتالي تدخل روما بنفسها لتسيير استغلال هذه الأراضي التي ستخضع للتشريع الروماني، وتمنع القبائل الرعوية مستقرة كانت أو رحلاً المتمردة من التردد على الأراضي المغروسة⁽²⁾.

- لعبت زراعة الزيتون دوراً سياسياً مهماً، فبالإضافة إلى دوره الاقتصادي، كان عاملاً مهماً ساعد على فرض الهدوء والسلم بمناطق عبور البدو الرُّحل بجوار خطوط اللّيمس، حيث ساهمت زراعة الزيتون في جذب هذه القبائل إلى الاستقرار واحتراف الزراعة، فثبت بذلك الرومان المغاربة شيئاً فشيئاً بجذبهم للرفاهية، فتجمعت الأكواخ المتجولة وشكلت قرى، هذه الأخيرة التي يتجمع فيها المربون والتجار بعضها أصبح مدناً، خاصة في المزاك⁽³⁾، وموازة مع هذه السياسة (تشجيع القبائل على احتراف زراعة الزيتون) توسعت زراعة الزيتون تدريجياً باتجاه الأقاليم السهبية الرعوية وحتى الشبه صحراوية⁽⁴⁾، وفي هذا الصدد يقول شنيّتي (م،ب) أن التوسع في زراعة الزيتون كان يعني في مفهوم السياسة الرومانية الاستعمارية توسيع حياة الاستقرار، والحد من تنقل القبائل المقلق⁽⁵⁾، فالرومان استعملوا إلى جانب قوة العسكر سلاحاً سلمياً لإقرار البدو، وهو زراعة الزيتون حسب كامبس (ه،ف)⁽⁶⁾.

(1) محمد البشير شنيّتي، نوميديا وروما، ص 124.

(2) كامبس هنريّات، المرجع السابق، ص 26.

(3) حفيظة لعياضي، مقومات الوحدة، ص 219.

(4) كامبس هنريّات، المرجع السابق، ص ص 26-27.

(5) محمد البشير شنيّتي، نوميديا وروما، ص 125.

(6) كامبس هنريّات، المرجع السابق، ص 31.

أشاد مؤرخو أفريقيا الرومانية بجهود الرومان في زيتنة بلاد المغرب القديم، حتى اعتبرت شجرة الزيتون فتحة جديداً بالنسبة لبلاد البدو المستعصية والمتحركة، وتقول كامبس(ه،ف) أن اجتياح حقول القمح والشعير بالقطعان كان أمراً سهلاً بالنسبة للبدو، غير أنه من الصعب قطع واقتلاع أشجار الزيتون، التي تثمر في الخريف، وهو وقت تراجع البدو نحو الجنوب مما يقلل خطرهم⁽¹⁾، ثم إن التوسع في زراعة الزيتون دليل على إقتصاد صحي، وعلى انتشار السلم الروماني بين المزارعين المستقرين، والبدو الرحل والذي أدارته روما⁽²⁾، كما كان توسع الزيتنة سببا رئيسيا في نمو ديمغرافي وتطور حضاري⁽³⁾.

اعتبرت كامبس(ه، ف) شجرة الزيتون شكلا من أشكال التوطين الإداري الذي يرمز للسلم الروماني، كبديل عن قوة الفيالق الرومانية، وهي سياسة سلمية أقرتها روما في أفريقيا، استطاعت من خلالها التوغل في عمق أراضي المغرب القديم، كاسبة مساحات هامة في الجنوب، والتي بلغت أقصاها في عهد الأباطرة السيفريين الذين نجحوا في مد خط الليمس إلى أقصى نقطة⁽⁴⁾، كما مكنت هذه السياسة روما من تحويل الرحل المعادين للزراعة إلى الاستقرار واحتراف الزراعة، وعلى امتداد خط الليمس هناك خط مواز له من بساتين الزيتون، والذي يبين بوضوح الرحل غير الخاضعين والمستقرين المتحضرين المنخرطين في أسلوب الزراعة والحضارة الرومانية⁽⁵⁾.

غير أنه لا يمكن الجزم بأن الزيتنة فتحت باب الاستقرار أمام جموع البدو الذين تحولوا إلى مزارعين مستقرين بفضل مساعدة الإدارة الرومانية وحماية القانون، ورغم الحقائق التاريخية، وإشادة مؤرخو أفريقيا الرومانية للدور الذي لعبته الزيتنة، إلا أن الواقع التاريخي يظهر جوانب أخرى، فالبدوي ظل على بداوته، بل قد تكون سياسة الزيتنة أرغمته على التطرف أكثر في بداوته، كما أنها زادت في عدد القبائل الرعوية عندما أجبرت أنصاف

(1) المرجع نفسه، ص26.

(2) المرجع نفسه، ص38.

(3) شارل جيلبار بيكار، المرجع السابق، ص78.

(4) محمد العربي عقون، الاقتصاد والمجتمع، ص 103.

(5) كامبس هنريات، المرجع السابق، ص ص47-48.

الرحل منهم على ترك مواطنهم بشكل نهائي في السهوب التي عرفت عملية الاستصلاح والزيتنة، والارتقاء خارج الليمس، والحقيقة أن عملية الزيتنة مدت الخريطة الزراعية نحو الجنوب، واستقطبت يدًا عاملة ريفية وبدوية⁽¹⁾، ونتج عن ذلك ارتفاع في الكثافة البشرية بالمناطق الزراعية⁽²⁾، وتكاثر البدو بدورهم على أبواب الليمس خاصة بالسهوب العليا الغربية (لم تتعرض للتوسع الزراعي) والصحراء مجالا حيويًا مؤقتًا، في انتظار اختراق التحصينات الرومانية والعودة إلى الأقاليم الشمالية الحيوية، ويصف شنييتي (م، ب) شجرة الزيتون أنها كانت أكثر النباتات الزراعية مساهمة في تدعيم الجبهة الرومانية أمام القبائل البدوية، غير أنها لم تشكل جذورًا عميقة لرومنة البدو⁽³⁾.

وهكذا تكون روما قد عرفت ببراعة كيف تحصل على أقاليم كبيرة في داخل المغرب القديم، دافعة بذلك خطوط الليمس إلى أقصى نقطة جنوبًا، خلال العهد السيفيري خاصة نهاية القرن الثاني وبداية القرن الثالث، وسيطر الرومان على معابر البدو التي كانت تمثل محاورًا للتجارة، كما سيطروا على حركة البدو الرعاة، كما أن تشجيع القبائل على احتراف زراعة الزيتون خلف حالة من الأمن والاستقرار على الحدود الجنوبية للمقاطعة الرومانية في المغرب نتيجة ربط الأهالي بالأرض، غير أنه لا يمكن القول بأن الزيتنة ساهمت حقا في توطين البدو واستقرارهم، ذلك أنه بعد انتزاع الأرض من أصحابها تحت مسمى الاستصلاح نزح الأهالي اضطراريا إلى المناطق الجبلية والسهبية والصحراء، مازاد في عدد القبائل الرعوية والبدوية.

(1) محمد البشير شنييتي، نوميديا وروما، ص 129.

(2) شارل جيلبار بيكار، المرجع السابق، ص 78.

(3) محمد البشير شنييتي، نوميديا وروما، ص ص 129-130.

ثانيا: الإستحكامات العسكرية الرومانية في مواجهة تحركات قبائل المغرب القديم:

كان الاحتلال الروماني للمغرب القديم صراعا متواصلا بين حكام المقاطعات وأهل البلاد، فالمنطقة لم تشهد استقرارا وأمنا لفترات طويلة على مدى القرون الستة التي استغرقتها الاحتلال الروماني بهذه البلاد، وهو الأمر الذي تطلب إقامة تحصينات واستحكامات عسكرية على مر تلك القرون لحماية المصالح الرومانية من مقاومات القبائل الجبلية، وتحصين الحدود الجنوبية من هجومات القبائل الرعوية من جهة أخرى⁽¹⁾.

إن عمليات مسح الأراضي التي اتبعتها السلطات الرومانية من أجل كسب أراضي جديدة، وتوزيعها على الرومان وقدماء المحاربين، حدّ من حرية القبائل الرحل، ونصف الرحل، وهو الأمر الذي أدى بها للثورات في كل مرة، ما جعل الإدارة الرومانية تلجأ لاستخدام إجراءات لردع هجومات القبائل الثائرة سواء بالقمع، أو بسياسة التفرقة بين القبائل، أو بتحسين المدن بجلب أعداد كبيرة من القوات العسكرية، ولعل أهم إجراء قامت به السلطات الرومانية لمواجهة القبائل هي التحصينات العسكرية. والغرض من هذه الإجراءات يكمن في حماية الأراضي التي صودرت من الأهالي خوفا من أن يسترجعوها، أو يجتاحوها بمواشيهم، بعد أن سيطروا عليها واستوطنوها ووسعوا بها الخريطة الزراعية⁽²⁾، ضف إلى ذلك تضيق الخناق وفرض رقابة صارمة على الأهالي، والسيطرة عليهم حتى يتسنى للرومان مراقبة تحركاتها، وخاصة البدو الرحل الذين يعتمدون على تربية الماشية والتنقل بين المراعي⁽³⁾، أو إجبار المناهضين لوجودها إما على الخضوع وإما على اللجوء إلى الصحراء⁽⁴⁾.

(1) محمد البشير شنيقي، الجزائر في ظل الاحتلال، ص118.

(2) المرجع نفسه، ص269.

(3) Tite Live, CXXXV-CXXXVII,

(4) محمد الحبيب بشاري، روما وزراعة، ص297.

وإذا حاولنا إعطاء مفهوم لليمس (Limes) نجده لدى شارل أندري جوليان اعتمادا على أعمال براديز (Barades.J)⁽¹⁾، فهو جهاز عسكري معقد ومرن في الوقت نفسه، يتكون من ثلاثة عناصر أساسية أضيفت إلى بعضها بعضا تدريجيا، وهي الخندق (Fossatum) الذي تخللته أبراج (Turres)، وحصون (Burgi)، ومراكز مراقبة، وثانيا أبراج وقلاع محصنة (Castella) منعزلة، وأخيرا شبكة من الطرقات الإستراتيجية⁽²⁾. واعتبر الليمس الحد الفاصل بالجهة الجنوبية بين أراضي الإمبراطورية الرومانية، وأراضي الشعوب المعادية لها⁽³⁾، مهما كانت هذه الحدود طبيعية كالجبال، والأودية، أو مصنوعة كالطرقات، والمراكز العسكرية المجهزة بكل وسائل الدفاع الضرورية لحماية أراضي الإمبراطورية⁽⁴⁾.

ويعرف (م.ب) شنتي الليمس بأنه عبارة عن منطقة ذات عمق جغرافي متباين الاتساع بين جهة، وأخرى تبعا لطبيعة التضاريس والمجال الحيوي، مجهز بمنشآت عسكرية دفاعية، وشبكة طرق تربط تلك المراكز والمدن الواقعة خلفها⁽⁵⁾، تكيف خط الليمس مع المستجدات الداخلية الرومانية، وهو ما يظهر من دوره والغاية من إنشائه فكان في القرنين الأول والثاني هجوميا، وتحول ابتداءً من القرن الثالث إلى خط دفاعي⁽⁶⁾.

إذا فخط الليمس أو الخطوط الدفاعية هي مجموع الهياكل ذات الطابع العسكري، والغرض منه هو فرض رقابة شديدة على حركة الأهالي، خاصة البدو الرحل الذين يعتمدون في حياتهم على الرعي والتنقل بين مراعي الشمال في فصل الصيف، ومراعي الصحراء في

(1) أبرز الدراسات المتعلقة بالحدود الرومانية الجنوبية الولاية الرومانية بالمغرب خاصة تحصينات جنوبي مقاطعات أفريقيا البروقنصلية، ونوميديا وموريطانيا القيصرية، تلك التي قام بها العقيد الطيار جان براديز (Barades.J)، ونشرها تحت عنوان فوساتوم أفريكا (Fossatum Africae). من خلال الصور التي قام بالتقاطها بنفسه خلال الحرب العالمية الثانية،

ثم قام بزيارة ميدانية لمعابنة المواقع الظاهرة في الصور. للمزيد ينظر: Fossatum Africae, Paris, 1949.

(2) Barades.J, Fossatum Africae. Recherches aériennes sur l'organisation des confins sahariens à l'époque romaine, Paris, éditions Arts et Métiers graphiques, 1949, p.134 شارل أندري

جوليان، المرجع السابق، ص 184؛

(3) Albertini.E, L'Afrique Romaine, Presses de l'imprimerie officielle, Alger, S. D, p.19.

(4) Barades.J, Op.cit, p.138.

(5) محمد البشير شنتي، روما الإمبراطورية، ص 72.

(6) Cagnat.R, Op.cit, p69.

فصل الشتاء، ويتم ذلك عن طريق التحكم والسيطرة على الممرات الطبيعية التي يمرون بها، التي تعد شريان الحياة بالنسبة لهم⁽¹⁾.

1. ليمس جنوب البروقنصلية:

اختط الجيش الروماني محاور الليمس جنوب البروقنصلية في مرحلته الأولى بداية من الطريق الذي مهدته وحدة عسكرية من الفيلق الثالث الأغسطي عام 14م، بين ميناء تكابي قابس (Tacapi) ومدينة قفصة (Capsa) وهو طريق نونيوس أسبرناس (L.Nonius Asprenas)⁽²⁾، وإقامة تحصينات مراقبة، ودفاع حوله لتأمين إمدادات الجيش ولأجل فرض السيطرة على القبائل المحلية، ومنع تدفق القبائل الرعوية من الجنوب إلى الشمال، وهو الطريق الذي وصفه براديز بقوله إنه الليمس الذي يجسد الحد بين أراضي الإمبراطورية والبلاد التي لا يمكن للبرابرة تجاوزها⁽³⁾، وبذلك نجحت روما مع بداية القرن الأول الميلادي من إحكام قبضتها على الممر الشرقي، والمتمثل في المنطقة الممتدة من خليج السيرت إلى شط الفجيج.

وتكررت عمليات ترسيم الحدود في المنطقة المفصلية بين الأراضي الزراعية الرومانية وأراضي الرعي في الجنوب التونسي، الذي شهد أعمال طرد وإزاحة للسكان من أراضيهم، وهو ما وقع لقبيلة النيبجيني (Nybggenii) التي كانت تستوطن شمالي الليمس فأبعدت خارجه⁽⁴⁾، ويمكن القول أن بلاد نفزاوة مثلت المجال الرئيسي لتوطين هذه القبيلة في القرن الثاني للميلاد⁽⁵⁾. وهو ما تبينه سلسلة من العلامات الميالية التي يعود تاريخها للقرن الثاني

(1) محمد الحبيب بشاري، روما وزراعة، ص 297.

(2) Pachtère Félix, G. Les camps de la troisième légion en Afrique au premier siècle de l'empire. In: Comptes rendus des séances de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres, 60^e année, N. 3, 1916, 274.

(3) Baradez.J, Op.cit, p.151.

(4) محمد البشير شنيقي، روما الإمبراطورية، ص 74.

(5) محمد اللافي، المرجع السابق، ص 363.

الميلادي، وتظهر أن مجال القبيلة يمتد إلى حدود بلاد الشارب على الضفة الشمالية لشط الفجيج⁽¹⁾.

نقلت المؤسسة العسكرية الرومانية حدود المقاطعة البروقنصلية إلى منطقة الجريد وتوابعه، وهي الأكثر ملاءمة للسيطرة على معابر القبائل البدوية. أشهرها المعبر المار بين جبل تباغة (Tebaga) شمالا ومرتفع ميلاب (Melab) جنوبا، الذي يبلغ امتداده سبعة عشر كليمتراً، حيث أغلقته المؤسسة العسكرية الرومانية وجعلت منه بوابة (Clausura) بارزة لا تزال أثارها ليومنا هذا⁽²⁾. يضاف لها عديد التحصينات التي أقيمت من أجل مواجهة البدو جنوب البروقنصلية كمعسكر توريس تماليني (Turris Tamalleni) المقام على مدخل شط الجريد، معسكر بيزيريوس (Bezereos) (بير غزان)، حصن تيبوبوكي (Tibubuce) الذي يشرف على منطقة شاسعة من بلاد الرعي التي يتعمق فيها للمراقبة والتحكم في منابع المياه وتردها قطعان الماشية، ضف إلى ذلك معسكر تيزافار (Tisavar) (قصر غيلان) الذي يعد من أقدم تحصينات البروقنصلية، وأكثرها توغلا في الصحراء لمواجهة البدو⁽³⁾.

إذا فالتحصينات الرومانية انتشرت على امتداد حدود البروقنصلية جنوبا، من جبل مطاطة شمالا إلى المرتفعات الغربية لجبال نفوسة، والقصد منها هو التحكم في مصادر المياه، ومراقبة تحركات البدو وتجمعاتهم⁽⁴⁾.

2. ليمس تريبوليتانا (طرابلس):

يذكر مسلك أنتونيوس (Antonini Itinerarium) امتداد خط الليمس بطرابلس من مدينة لبتييس ماغنا (Lepcis Magna) (لبدة)، إلى قابس عبر الطريق التجاري القريب من ساحل البحر على ضفة خليج السيرت، مروراً بكل من أويا (Oea)، وقيقتيس (Gigthi)

(1) محمد اللافي، المرجع نفسه، ص 364.

(2) Troussel P., *Recherches sur le limes tripolitanus du Chott El-Djerid à la frontière tuniso-libyenne*. Préface de Maurice Euzennat. Paris : Éditions du Centre National de la Recherche Scientifique, 1974. p.26.

(3) Ibid.p.26 ; 77-76 ص ص روما الإمبراطورية، ص ص 77-76.

(4) المرجع نفسه.

وأقما (Agma)، جنوب صبراتة (Sabratha) ويتواصل إلى جنوب البلاد التونسية إلى نقطة تمااليني (Tamalleni) على المرتفعات الشرقية لشط الجريد وهو الخط الشمالي⁽¹⁾، وهو ما يؤكد النص التالي: "L'Iter quod limilem Tripolitanum per turrem tamalleni a tacapas lepti Magna ducit" ، ويحدد مسلك أنتونيوس ثمانية عشر محطة على طول هذا الخط⁽²⁾، غير أن الباحثين والآثرين المحدثين لم يعثروا إلا على مركز واحد، وهو مركز سيدي محمد بن عيسى (Bezéros)⁽³⁾.

أما بالنسبة لتحصينات جنوبي الطرابلسية فقد تأخرت إلى العهد السيفيري، ويرجع سبب إقامة شبكة التحصينات الدفاعية لمواجهة القبائل الصحراوية، وتأمين حركة القوافل التجارية بين الشمال والجنوب والشرق، الأمر الذي تطلب إقامة حصون في أبعد ما يمكن على طرق القوافل، لعل أهمها حصن غولايا (Gholaia) - غولاص (بونجم) (Bu Ngem) الذي بدأ في بنائه عام 201م ذو الفعالية العسكرية بعمق صحراء السيرت الليبية⁽⁴⁾، وكان دوره يكمن في تأمين القوافل التجارية العابرة للصحراء الشرقية الليبية نحو بلاد النيل. كما يؤمن هذا المعسكر قوافل فزان المتنقلة بين أفريقيا ما وراء الصحراء، والمدن المتوسطة بإقليمي برقة وطرابلس، وهو طريق قبائل الجرامنت من فترات قديمة⁽⁵⁾.

وهدف الرومان من إقامة هذا الخط الدفاعي لمراقبة تحركات القبائل البدو (كالغرامنت والنسامون) الرحل جنوب الولاية ومنع تدفقهم، والتي أخذ خطرهم يتزايد على مناطق الاستقرار في وديان الجنوب الطرابلسي⁽⁶⁾، ومراقبة طرق القوافل التجارية المتجهة إلى فزان وقبائل الغرامنت، كونه يشرف على طريقين رئيسيين، الأول يمتد من تكابي حتى يصل إلى لبتييس (لبدة)، والثاني يمر حول حوض وادي سوفيفين الذي يحوي مراكز أمامية ممثلة في غدامس

(1) عمار المحجوبي، ولاية أفريقيا من الاحتلال الروماني إلى نهاية العهد السويري (146ق.م - 235م)، مركز النشر

الجامعي، تونس، 2001، ص ص 102-103. 104-105. pp. Elmayer.A. F, Op.cit.

(2) Courtois. C, Les Vandales..., Op.cit. p.70.

(3) رمضان تسعديت، المرجع السابق، ص 24.

(4) Elmayer.A. F, Op.cit.p106.

(5) محمد البشير شنيقي، روما الإمبراطورية، ص ص 104-106.

(6) المرجع نفسه، ص 106.

وبونجم⁽¹⁾. يرى الباحث غوتشيلد (Goodchild.R. G) أن هذه المراكز الدفاعية الموجودة في الطرابلية تدخل ضمن هدف الدعاية (Propaganda) للحضارة والسلطة الرومانية، وهي عبارة عن رسالة للبدو والرحل بأن نطاق حريتهم قد انتهى، وأنهم مقبلون على قطاع تابع لروما⁽²⁾.

3. ليس نوميديا:

شهد اللبس النوميدي تطورا ملحوظا خلال العهد الإمبراطوري الأول، وقد ارتبط تطور مساره بتحركات كتائب الفيلق الثالث، وشمل العديد من المحطات⁽³⁾، فهو من حيث الإمتداد شكل خطين مختلفان من حيث فترة إنشائهما، فالخط الأول شيد خلال القرن الأول الميلادي يمتد من الشرق إلى الغرب انطلاقا من معسكر أميدرا مارا بتبسة (Theveste)، إلى عين زوى (Vazaiva)، خنشلة (Mascula)، متجها بعدها إلى الشمال الغربي نحو تيمقاد (Thamugadi) وصولا إلى تازولت-لامبار (Lambaesis)⁽⁴⁾، وهو معسكر يكتسي أهمية بالغة بسبب موقعه المتمركز في عمق الأوراس، وبني خصيصا للتحكم في حركة القبائل الجبلية والبدو⁽⁵⁾، وهذا الجزء أطلق عليه اسم النظام الدفاعي لمنطقة الأوراس، لأن كل محطات اللبس كانت شمال الأوراس⁽⁶⁾.

أما خط اللبس الثاني الذي يعود إنجازاه إلى القرن الثاني الميلادي، فقد عرف توسعا كبيرا جنوب الأوراس شاملا شمال الصحراء وشرقي نوميديا، وحوى هذا الخط عدة مراكز تكمن أهميتها في تطويق مرتفعات الجنوب النوميدي وغلق المنافذ في وجه القبائل الرحل⁽⁷⁾،

(1) السيد محمد عمار علي، النفوذ الروماني في الشمال الأفريقي خط الحدود (اللبس) نموذجا، مجلة كلية الآداب، ع40، جامعة بنها، أفريل 2015، ص31.

(2) عز الدين مجاني، المقاطعة النوميديّة في عهد العائلة السيفيرية من خلال الشواهد الأثرية (196-235م) دراسة أثرية وتاريخية، رسالة دكتوراه، إ: سليم دريسي، معهد الآثار، جامعة الجزائر 2، 2018/2019، ص224.

(3) زهير بخوش، التنظيم العسكري بنوميديا الجنوبية (الإقليم الأوراسي) ودور الجيش الروماني في تكريس الرومنة من الناحية المجالية، المجلة الجزائرية للأمن والتنمية، ع13، جويلية 2018، ص264.

(4) عبد القادر صحراوي، المرجع السابق، ص21.

(5) Lassère, J. M. Un conflit..., Op.cit, p.13.

(6) Bénabou.M, Op.cit, p114.

(7) محمد البشير شنيقي، الجزائر في ظل الاحتلال، ص ص123-124.

والتحكم في تحركاتهم التي يسهل تخيلها⁽¹⁾، وهي مركز بيرياني (Besseriani) الذي بني سنة 105م، وبادس (Badias) الواقع شمال واحة سيدي عقبة⁽²⁾، تهودة (Thabudeos) التي كان سكانها ضمن قبائل الجيتول⁽³⁾، ثم يتجه جنوبا نحو قلعة القصبات (Gemellae) وصولا إلى زراية (Zarai)⁽⁴⁾.

شهد الليمس النوميدي توسعا جديدا في أواخر القرن الثاني، وبداية القرن الثالث في عهد الأمبراطور سبتيموس سيفيروس وأولاده، وكان هذا التوسع في اتجاهين رئيسيين، الأول مس مقاطعة طرابلس المستحدثة بإنشاء مواقع عسكرية في بونجم (Bujem)، وغدامس (Ghadames) وغريات الغربية (Gheriat el-Gharbia)، التي كانت تحمي جهة سيرتا الصغرى والكبرى، والتوسع الثاني بالجنوب الغربي لمقاطعة نوميديا أين تكشف التوسع باتجاه جبال أولاد نايل⁽⁵⁾، فأصبح يمر ببسكرة (Vescera)، القصبات، تهود، دوسن، القهرة، بوملال، عين الريش، مسعد، أين تم تأسيس قلعة ديميدي (Castellum Dimmidi) سنة 198م (على بعد 80 كلم من الجلفة) والتابعة لمسعد حاليا⁽⁶⁾، وهي القلعة التي أقيمت في بلاد الرحل عند بوابة التدفق بين الصحراء والتل لغرض مراقبة تحركات البدو، والتحكم في طريقهم الرابط بين جنوبي المغرب الأقصى، ونوميديا شمالي الصحراء⁽⁷⁾. وبذلك وصل الليمس أقصى حدوده الجنوبية بمقاطعة نوميديا، عند الأطراف الجنوبية للأوراس في المناطق المحاذية لمنطقتي الزيبان بجنوبي غرب بسكرة، والحضنة بجنوب طبنة (Tuben)⁽⁸⁾.

(1) Lassér.J.M. Vbique Populus...Op.cit, p.350.

(2) Gsell. St, AAA, 49, n° 51.

(3) Gsell. St, AAA, 49, n° 1.

(4) Baradez.J, Op.cit, pp.119-150

(5) Faure. p et Leveau .ph, Les marges de la Numidie romaine à la lumière d'une nouvelle inscription des monts des Ouled Naïl, Anti Afr, 51,2015, pp.125-126.

(6) عبد القادر صحراوي، المرجع السابق، ص22؛ pp171-172.3 Bénabou.M, Op.cit,

(7) محمد البشير شنيقي، الجزائر في ظل، ص146.

(8) زهير بخوشي، التنظيم العسكري، ص265.

والهدف من إنشاء هذا الخط الدفاعي هو تطويق الكتلة الأوراسية من الناحية الجنوبية واستغلال تخومها، باحتلال المناطق الموجودة بين شط الحضنة شمالا ووادي جدي جنوبا⁽¹⁾، والتي تعتبر مكانا رعويا بالدرجة الأولى للسكان في الجوار، والذين هم على ثلاثة أشكال، فمنهم المستقرون والبدو والمرتحلون⁽²⁾، فتحصيناته ساهمت في غلق الممرات أمام القبائل الرحل⁽³⁾، وقد شكل بطبنة (Limes Thubunensis) حاجزا أمام القبائل بأقصى شرق الحضنة⁽⁴⁾، والدور نفسه قام به القصبات (Limes Gemellae) جنوب بسكرة، والخط الدفاعي نفسه منع عند قلعة بادس (Limes Badias) تحركات القبائل اتجاه وادي العرب⁽⁵⁾. ويبدو أن السلطة الرومانية لم ترد استعمار هذه المناطق، بل مراقبتها فقط من خلال التحكم في مواقع المياه ونقاط مرور البدو الرحل.

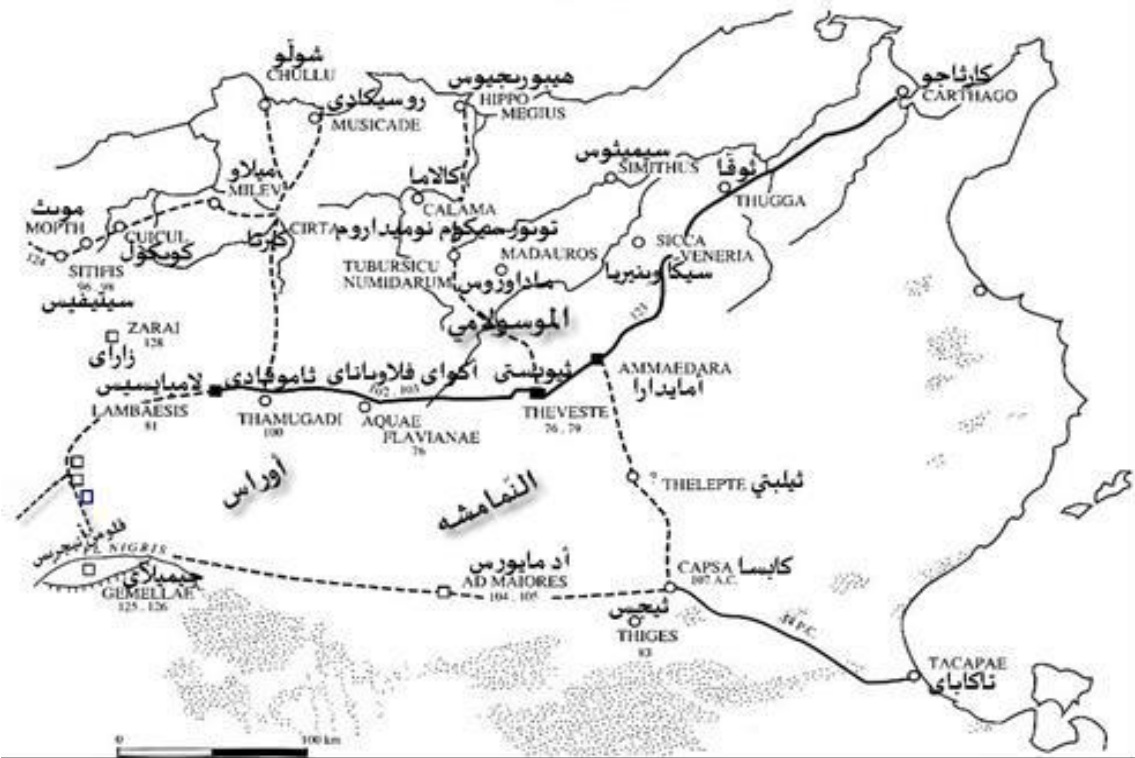
(1) شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص 187.

(2) عز الدين مجاني، المرجع السابق، ص 225.

(3) Lassér.J.M. Vbique Populus...Op.cit, p.350.

(4) Gsell. S, AAA, 37, n° 06 et 10.

(5) زهير بخوشي، التنظيم العسكري، ص 22 ; 71 p. Cagnat. R, L'armée...Op.cit.



خريطة رقم 16: حدود الإمبراطورية الرومانية بالجنوب النوميدي وتطويق إقليم الأوراس خلال القرن الثاني الميلادي. ينظر زهير بخوشي، التنظيم العسكري بنوميديا...، ص 265.

4. ليمس موريطانيا القيصرية:

يظهر من الدراسات التي اهتمت بخط الليمس الموريطاني، أن التوغل الروماني في العمق الموريطاني تميز بالبطء نسبيا والحذر، والتدرج استغرق عشرات السنين، وقد أنجز من أجل تثبيت الاحتلال العسكري، والاستيطان الاقتصادي⁽¹⁾، وعلى العموم انجاز هذا الخط تم على مرحلتين كبيرتين، هدفت إلى توسيع الحدود بالمنطقة، فالخط الدفاعي الأول بدوره اعتمد على خطين، الأول شمالي(ساحلي) إرتبط بـ تراجان (Trajanus) وخلفه هديان (Hadrianus) خلال القرن الثاني، مركزه قيصرية، ربط بين المدن الساحلية، وهدف إلى حماية المستوطنات من أي خطر، وهو ينطلق من السلسلة التالية، امتد من صلاي

(1) Baradez.j, Op.cit ; Benseddik. N, Les Troupes auxiliaires de l'Armée Romaine en Maurétanie césarienne, Sous le Haut Empire, soc.nat. D'édition et de Diffusion, Alger,1982.

(Saladae) إلى غاية بورتس ماجنوس (Potus magnus)⁽¹⁾، أما الخط الداخلي فانطلق من البروقنصلية مرورا بنوميديا لينتهي في موريطانيا، عابرا مجموعة من المحطات⁽²⁾. واخطط الجيش الروماني محاور الليمس في جنوبي المقاطعة القيصرية انطلاقا من الشرق إلى الغرب، مارا بسلسلة من المحطات منقسما إلى شطرين، مركزه معسكر أوزيا (Auzia) التي اعتبرت مركز مراقبة لجبال جرجرة، ونقطة ربط بين الشرق والغرب⁽³⁾: الأول شرقي بالقرب من نوميديا، يمتد من زراية (Zarae) وصولا لأوزيا (Auzia)، والثاني غربي يربط بين أوزيا (Auzia) وألبولي (Albulae) (عين تيموشنت)⁽⁴⁾، وهي تحصينات أقيمت في هذه الفترة التي عرفت اضطرابات قادتها القبائل المورية. كما أن الموقع الاستراتيجي لعدد المعسكرات كمعسكر رابيدوم (Rapidum) (سور لجواب) الذي أسس سنة 122م⁽⁵⁾، والذي أقيم في عمق المقاطعة القيصرية غرب مجانة، كان الغرض منه مراقبة تحركات القبائل في الجنوب، وحتى التي تم تحديد أراضيها، من خلال التحكم في الاتصالات بين مقاطعة نوميديا وموريطانيا القيصرية، ضف إلى ذلك حماية الأراضي الزراعية والمستوطنين الرومان⁽⁶⁾.

والخط الدفاعي الثاني وهو ليمس القرن الثالث الميلادي المقترن بالامبراطور سبتيموس سيفيروس (Septimus Severus) الذي بلغت الحدود الرومانية في عهده أقصى امتدادها

(1) خالد محفوظ، مقاومة القبائل المورية ضد الإحتلال الروماني خلال القرن الثالث -بحث في العلاقات المورية الرومانية- دراسات تراثية -اعمال الملتقى الدولي النظم العسكرية في بلاد المغرب منذ القديم الى نهاية العصر العثماني، العدد 5، الجزء 1، 24-27 نوفمبر 2014، ص 198.

(2) Laporte, J. PARTICULARITÉS DE LA PROVINCE DE MAURÉTANIE CÉSARIENNE (ALGÉRIE CENTRALE ET OCCIDENTALE). (Provinces et identités provinciales dans l'Afrique romaine, 2011. p.122.

(3) Benseddik. N, Op.cit, p.254 ; Gsell.St, A.A.A.F14, n°105.

(4) محمد البشير شنييتي، الجزائر في ظل الاحتلال، ص ص 117-119.

(5) CIL.VIII.20833.

(6) للمزيد عن هذا المعسكر ينظر: عبد القادر صحراوي، المرجع السابق، ص 46.

بالجنوب الموريطاني والنوميدي⁽¹⁾، وقد توغل هذا الخط داخل أراضي القيصرية، وامتد من الحضنة وصولاً لسهول سيغا (Siga) عابراً منطقة التيطري تاركاً جبال الونشريس جنوباً ليواصل لجبال تلمسان (Pomaria) غرباً، لينتهي عند مغنية (Numerus Syrorum)⁽²⁾. والغرض من إقامته هو مواصلة الحصار المفروض على سكان الجبال⁽³⁾ والجنوب؛ بفتح طرق إستراتيجية وإقامة مراكز عسكرية، ونقاط مراقبة، وحصوناً كحصن قلعة ديميدي (Dimmidi) الذي تم إنشاؤه عام 198م، والذي يعتبر معبراً رئيسياً للقبائل البدوية بين الجنوب والشمال والشرق والغرب⁽⁴⁾⁽⁵⁾، وهي سياسة سعى من ورائها الرومان إلى إقامة منطقة عازلة بينهم، وبين مناطق الخطر أين تواجدت مختلف القبائل المحلية المندفعة نحو الصحراء بسبب تلك التحصينات الرومانية⁽⁶⁾، وذلك من خلال مراقبة المنافذ المؤدية إلى المناطق الجنوبية ومراقبة تحركات القبائل القاطنة في ضواحي شط الحضنة⁽⁷⁾.

والهدف من انشاء هذه الخطوط الدفاعية هو محاولة السلطات الرومانية وقف تحركات القبائل الجبلية بتطويق، وحتى اختراق مرتفعات التل-الكتل الجبلية الموريطانية-والسهول المحاذية لها، وحماية مختلف المدن والمستوطنات والأراضي الزراعية الرومانية من هجمات المور الجبليين، الذين اشتدت مقاومتهم خلال القرن الثاني، والثالث الميلاديين كثورة قبائل المازيكاس عام 182م، كما ثارت القبائل الجبلية بالقبائل الكبرى عام 201م بسبب مد ليمس موريطانيا⁽⁸⁾، فهذا كاركوبينو يذكر أن ثورات القرن الثالث مست مجالا واسعا امتد من

(1) عبد القادر صحراوي، المرجع نفسه، ص118.

(2) المرجع نفسه، ص26.

(3) Lassér.J.M. Vbique Poupulus...Op.cit, p356.

(4) معسكر ديميدي قرب مسعد من المعسكرات الهامة والمضادة للبدو، بجنوده السوريين الذين استقدموا من بلاد تدمر مجهزين بعتادهم الملائم لطبيعة البادية والصحراء، فقد استخدموا الجمل كوسيلة للنقل الذي لعب دوراً رئيسياً في تمكين هؤلاء الجنود الهجانة من قهر البدو ومراقبة تحركاتهم. ينظر ك محمد البشير شنييتي، أضواء، ص173.

(5) Troussel.P, Op.cit, p.5583.

(6) Picard.G, Casilium dimmidi, Alger, paris,1947, p.13.

(7) رمضان تسعديت، المرجع السابق، ص34.

(8) مقدم بنت النبي وجميلة خالفي، القبائل الجبلية، ص112.

السرت الكبير شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا⁽¹⁾. تسهيلا للوحدات العسكرية الرومانية من السيطرة على تحركات القبائل الجبلية من جهة، ومراقبة البدو المتعودين على التنقل عبر تلك الكتل الجبلية للانتجاع بالسهول الشمالية بتحسين الحدود الجنوبية من جهة أخرى. من خلال تحكمهم في المعابر، والمسالك التي تربط الشمال بالجنوب عبر تلك المرتفعات الجبلية الموريطانية (كتلة بلزمة الحضنة، ومرتفعات التيطري، الونشريس الضخم، كتلة فرندة وسعيدة وتلمسان)⁽²⁾.

والملاحظ أن التحصينات بالمناطق المحاذية للصحراء (أي بلاد الرعي) بالجنوب النوميدي تميزت بالمتانة والتواصل، وهي غاية في الكثافة والتعقيد، وضعت بها حواجز قوية وسدود، وحصون متقاربة يتعذر تجاوزها، ويعتقد شنيطي (م.ب) أن متانة خط الليمس بالجنوب النوميدي راجع للوظيفة التي أنشئ لأجلها، وهي مراقبة القبائل البدوية التي طردت من مواطنها التي شملها الاستيطان، فهم يعيشون حالة تآهب لاختراق الليمس والعودة لأرضهم، بينما اتصفت تحصينات الجنوب الموريطاني باعتمادها مراكز مراقبة، ورصد وزعت جغرافيا بكيفية تكفل المتابعة، والتحكم وليس منع البدو من التنقل عبر بلاد الرعي السهبية نفسها⁽³⁾.

إن التوسعات والتوغلات الرومانية في أراضي القيصرية أثرت على القبائل المحلية وخاصة البدوية منها، فإجراءات القرن الأول المتخذة ضدها أسفرت على تغيرات جوهرية في بنيتها الاجتماعية والاقتصادية، فأرغموا على النزوح خارج أراضيهم وشتتت أخرى فرقا وعشائر، كما تم القضاء على البعض منها، ومحاصرة البعض الآخر في أقاليم محدودة، ولم يأت القرن الثالث، واستحكاماته العسكرية المشددة حتى أجبرت القبائل البدوية على الارتقاء خارج الليمس بحثا عن مجال حيوي بديل فانظموا للبدو الرحل⁽⁴⁾. وفي هذا الصدد يقول

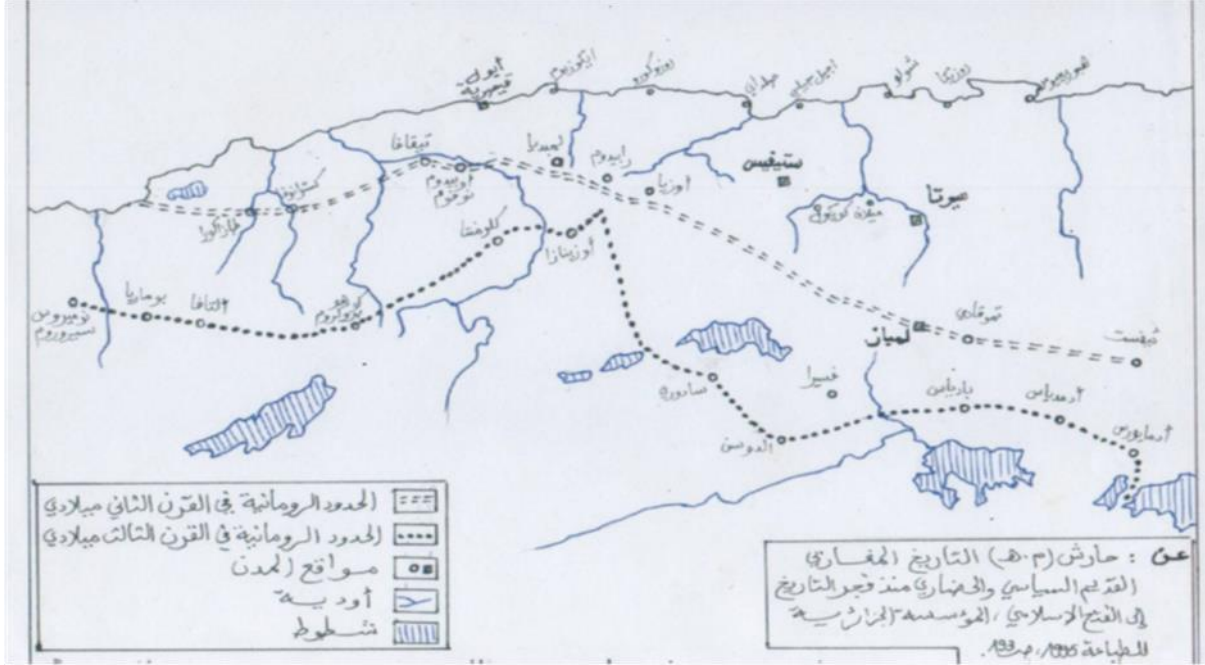
(1) Carcopino.J, L'insurrection de 253 d'après une inscription de Miliana .Rev.Afr, 1919, p.372.

(2) محمد البشير شنيطي، الجزائر في ظل الاحتلال، ص123.

(3) محمد البشير شنيطي، روما الإمبراطورية، ص197.

(4) محمد البشير شنيطي، الجزائر في ظل الاحتلال، ص290.

غزيل (Gsell) بأن احتلال الرومان لأراضي الشمال الإفريقي نتج عنه فتح الصحراء من طرف البربر⁽¹⁾.



الخريطة رقم 17: اللبمس الإفريقي (نوميديا وموريطانيا القيصرية) في أقصى حدوده خلال منتصف القرن الثالث، عبد العزيز أعراب، المرجع السابق، ص 73.

4. لبمس موريطانيا الطنجية:

لم تظهر الدراسات التي اهتمت بلبمس موريطانيا الطنجية نتائج دقيقة بخصوص التاريخ الفعلي لبداية إقامته من طرف المؤسسة العسكرية، والسبب يرجع لغياب الوثائق المساعدة على تأريخ ذلك، كما أن الشواهد الأثرية محدودة إلا تلك الموجودة بمنطقة سالال (Sala) (على الضفة اليسرى لوادي بورقراق (Bouregreg) جنوب مقاطعة موريطانيا الطنجية)، أين عثر بالفعل على آثار لتحصينات رومانية ممثلة في شبكة من المراكز العسكرية وأثار لخندق (Fossa)⁽²⁾، على بضع كليترات جنوب سالال (6 كلم)⁽³⁾، ويمكن تتبع

⁽¹⁾ Gsell. St, La Tripolitaine...Op.cit, p.163.

⁽²⁾ نصيرة ساحير، النشاط الزراعي والصناعي، ص 23; 105, Op. cit, Le Bohec. Y,

⁽³⁾ شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص 190.

آثار الليمس باتجاه شمال شرق سالا بمنطقة الرحارب (سهل الغرب) (Rharb) التي تقع بقلب موريطانيا الطنجية، وذلك إبتداء من مركز تاموسيدا (سيدي علي بن أحمد) (Thamusidi) الذي أسس في القرن الثاني الميلادي⁽¹⁾، مروراً بباناسا (سيدي علي بوجنون)، سوق الأربعاء وسيدي سليمان، وتمتد آثار الليمس إلى غاية منطقة ويلي (Volubilis) باتجاه الجنوب الشرقي من مقاطعة موريطانيا الطنجية⁽²⁾.

ويرجع سبب إقامة التحصينات المحكمة بالنسبة لمنطقة سالا، بغية حمايتها من هجمات قبائل الأوتول (Autololae)، ضد المنشآت الرومانية بأقصى الجنوب، ومنعها من التحرك والتوغل شمالاً أثناء الصيف⁽³⁾، وفي هذا الصدد يذكر بلين أن منطقة سالا متاخمة للصحراء المملوءة بالفيلة، وبها قبائل خطيرة تعرف بالأوتول والتي امتدت أراضيها حتى الأطلس الكبير جنوباً⁽⁴⁾. والأوتول هي قبائل نصف رحل تقضي الشتاء جنوب نهري أم الربيع وتانسيفت بالأقاليم الجافة، وتشد الرحال صيفاً إلى الشمال حيث الكلا⁽⁵⁾.

والسبب نفسه كان وراء إقامة مركز ويلي الذي يقع على وادي البث (Beth) بالمنطقة الجنوبية أيضاً، وذلك من أجل حماية مرتفعات مكناس من هجمات القبائل الضاربة شمالي الأطلس كالمكنيت والبقواط. إلى منخفض تازا ومنطقة الملوية، وتقوم تحصينات الجهات الشمالية في مواجهة القبائل الجبلية بالريف، وكل تلك القبائل كانت تتطلع إلى إقليم ويلي والسهول الخصبة المكونة له⁽⁶⁾، بينما ترجع تحصينات سهل الغرب التي حوت مراكز مهمة كمركز باناسا (Banasa)، الذي يتوسط الطنجية، هو ربط المراكز الرومانية الواقعة بشمال المقاطعة بتلك المراكز الرومانية التي توجد بأقصى الجنوب ونقصد بها سالا وويلي⁽⁷⁾.

(1) Euzennat, M, Le limes de Tingitane. La frontière méridionale. Paris : Éditions du Centre National de la Recherche Scientifique, 1989. P.172.

(2) نصيرة ساحير، الليمس الروماني بمقاطعة موريطانيا الطنجية (المغرب الأقصى) 42-280م، مجلة دراسات في آثار الوطن العربي، ع10، (د، س، ن) ص480.

(3) نصيرة ساحير، النشاط الزراعي والصناعي، ص26.

(4) Pline l'Ancien. V.5.

(5) محمد البشير شنييتي، روما الإمبراطورية، ص111.

(6) المرجع نفسه، ص111.

(7) نصيرة ساحير، النشاط الزراعي والصناعي، ص27.

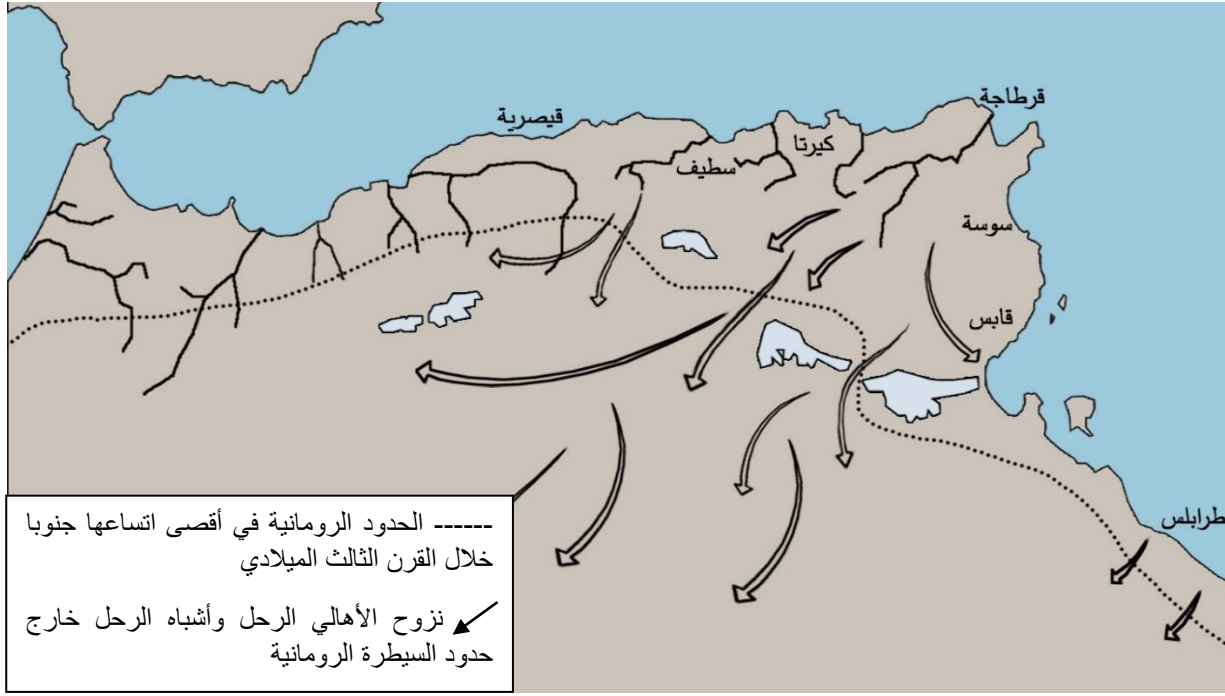
نخلص إلى أن هدف الرومان من إقامة ليمس القرنين الأول والثاني الميلاديين تكمن في المحاصرة، والسيطرة على شؤون القبائل أكثر منه إنشاء خط دفاعي مستمر⁽¹⁾، فبتوغل الرومان في المناطق الداخلية سعوا لحماية الأراضي الزراعية التي سيطروا عليها واستغلوها، بمراقبة المرتفعات الجبلية وطريق قوافل البدو القادمة من وإلى السهول، وهي سياسة هدفت لإتمام الحصار المفروض على سكان الجبال، والجنوب بفتح طرق استراتيجية وإقامة مراكز عسكرية، ونقاط رصد.

عملت روما في إجراءاتها هذه على مراقبة، وسد منافذ ومحاور العبور التقليدية نحو بلاد التل، أو في مناطق الشتاء بالصحراء التي تعود على ارتيادها عديد القبائل الصحراوية، رعاة كانوا أو تجار قوافل، في دورتهم الترحالية منذ زمن ما قبل الرومان⁽²⁾. فأقامت الهندسة العسكرية الرومانية على تلك المعابر بوابات تدعى كلوسورا (Clausura)، وخنادق فوساتوم (Fossatum) وأسوارًا على المعابر التي تتعذر حراستها وغيرها⁽³⁾، وكلها منشآت هدفت للتحكم في الدخول، والخروج مابين المنطقة الخاضعة للرومان، وتلك الخارجة عن سيطرتهم فيما وراء الليمس.

(1) Elmayer.A. F, Tripolitania and the roman..., Op.cit.p117

(2) Trouset.P, Op.cit, p.5582 .

(3) محمد البشير شنيقي، روما الإمبراطورية، ص73.



الخريطة رقم 18: نزوح الأهالي الرحل وأشباه الرحل خارج حدود السيطرة الرومانية، من انجاز الطالبة نقلا عن: محمد البشير شنييتي، روما الإمبراطورية...، ص 372

6. تراجع الليمس الروماني نهاية القرن الثالث الميلادي والحركة العكسية للقبائل:

تكيف خط الليمس مع المستجدات الداخلية الرومانية، وهو ما يظهر من دوره والغاية من إنشائه فكان في القرنين الأول والثاني أو العهد الإمبراطوري الأول (27ق.م-235م) هجوميا⁽¹⁾، فالأباطرة الأنطونيين (96-193م) هم من دفعوا بالاحتلال إلى مشارف السهوب، وأقاموا مراكزًا حدودية هناك، دفعت بالقبائل المحلية الرافضة للسيطرة الرومانية خارج حدود الليمس باتجاه الجنوب أي المناطق السهبية والصحراوية، وهي السياسة نفسها التي طبقها أباطرة الأسرة السيفيرية (193-235م)، وبلغ الإمبراطور سبتيموس سيفيروس (Septimus Severus) (193-211م) بحركة التوسع العسكري، والاستيطان الزراعي، وما رافقه من إجراءات وتحصينات عسكرية ممثلة في مد خط الليمس إلى أقصى الحدود الممكنة في الولاية الرومانية بالمغرب بمختلف مقاطعاتها، وذلك قد ألحق ضررا بالغا بالقبائل المحلية

(1) Cagnat.R, Op.cit, p69.

التي تشتتت ووجهت للصحراء، وحتى أنهم طاردوهم حيثما أمكن استغلال أراضيهم⁽¹⁾. كما أن السيفريين أحكموا السيطرة على المناطق السهبية بالتحكم في معابر البدو، ومساراتهم ما بين الصحراء والتل، وهنا تكمن فعالية الليمس الروماني خاصة النوميدي الموريطني من الناحية الأمنية، أين أصبح بمثابة كاسر أمواج متقدم في وجه البدو على قول (م.ب) شنيطي بمنطقة حوض وادي جدي، وهو ما أدى بهذه القبائل إلى تغيير في نمط عيشها باعتمادها الترحال، والرعي نحو المناطق السهبية التي كانت موطنًا للحيوانات البرية (الأسود، الفهود، والفيلة)، ثم فيما بعد عملت القبائل على ممارسة الضغط على التحصينات العسكرية الرومانية لأجل اختراقها، واسترجاع حرية التنقل⁽²⁾.

خلفت التوسعات، والتوغلات الرومانية ردود فعل محلية على شكل مقاومات بدأت منذ تولي الإمبراطور أنطونيوس التقي الحكم (138-161م)، واشتدت في فترة حكم سبتيموس سيفيروس (193-211م) وابنه كركلا (212-217م) اللذين انتهجا سياسة دفاعية⁽³⁾، ويظهر ذلك من خلال المنشآت العسكرية الدفاعية، وبذلك تحول الليمس ابتداءً من القرن الثالث إلى خط دفاعي⁽⁴⁾. نتيجة الحركة الكثيفة، والواسعة للقبائل المحلية على التخوم الرومانية، وهي التحركات التي ستنتهي بثورات زعزعة أمن، واستقرار الرومان في المنطقة بداية من القرن الثاني لتشتد في القرنين الثالث والرابع الميلاديين، دفعت بالحدود الرومانية إلى الشمال متراجعة عن مناطق كثيرة كانت قد سيطرت عليها في وقت سابق.

ومن هنا يمكننا القول بأن الرومان انتقلوا من سياسة الهجوم إلى سياسة الثبات والاستقرار، بل والتراجع ما أدى إلى تقليص في المراكز المتقدمة؛ وهو ما يفسر مثلاً إخلاء قلعة مسعد عام 238م⁽⁵⁾، وذلك راجع للثورات التي لم تهدأ طيلة القرن الثالث والرابع الميلاديين بمعظم المقاطعات الرومانية الأفريقية. أين شكلت القبائل المحاذية لخط الليمس

(1) شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص 219.

(2) محمد البشير شنيطي، أثر الضغط، ص 35-36.

(3) خالد محفوظ، مقاومة القبائل المورية، ص 199.

(4) Cagnat.R, Op.cit, p.69.

(5) Bénabou.M.Op.cit. p.211.

الروماني خطرا كبيرا على المدن الرومانية في الداخل، وهو ما تظهره الرسائل الكثيرة التي كانت ترسلها السلطة الرومانية من قرطاج إلى روما، المتمثلة في طلب الإمدادات العسكرية وزيادة عدد الجيوش الرومانية بالمنطقة⁽¹⁾. وصاحب ذلك بعد سنوات قليلة تراجع الليمس بمعظم المقاطعات الرومانية بالمنطقة، وقد بدأ بمقاطعة موريطانيا الطنجية.

يظهر تراجع خط الليمس الروماني جليا بمقاطعة موريطانيا الطنجية الجهة الجنوبية، أين تبرز الشواهد الأثرية كالمسكوكات والنقائش، وبقايا البنايات المدنية والدينية والعسكرية تراجعاً وحتى جلاء للرومان من مدن ويلي وباناسا وتموسيدا باستثناء مدينتي سالال(شالة الحالية) وموغادور ولكنه لم يحدث في الوقت نفسه بل حدث على مراحل، كان أسبقها التخلي عن موقع تموسيدا، ثم التخلي عن باناسا وأخيرا ويلي وسلا⁽²⁾، وتم ذلك نهاية القرن الثالث الميلادي أي بداية عهد الإمبراطور ديوقلديانوس (Diocletienus)⁽³⁾ الذي قام بعدة تغييرات منها إلحاق إدارة المقاطعة الطنجية إداريا وعسكريا بأبرشية إسبانيا (Diocese des Espagnes)، وهو القرار الذي أدى لفك الروابط التي كانت توحد موريطانيا الطنجية بالمقاطعة المجاورة لها موريطانيا القيصرية، وتقليص النفوذ الروماني بالمنطقة بمقدار النصف⁽⁴⁾.

تضاربت الآراء حول تحديد أسباب هذا الجلاء، منها أن الأمر يتعلق بإصلاحات ديوقلديانوس، الذي أصدر أمرا بإخلاء المراكز الرومانية جنوب المقاطعة باستثناء سالال، أو أنه كان نتيجة للأزمات التي عرفتتها روما⁽⁵⁾، والراجح أن سبب التراجع الروماني بالمنطقة

(1) le Bohec.Y, l'Afrique à la fin du bas empire, trad. Julia walter, grand exposition du land de bade-wurtemberg 2009, du 24 octobre 2009 au 21 février 2010, éd badenwurttembreg, p.23.

(2) جبروم كاركوبينو، نهاية الوجود الروماني بالمغرب، تر: مصطفى أعشي، مجلة أمل، مج8، عدد24، المغرب، 2000، ص116.

(3) ب. هـ. رومنتن، تاريخ ولايات شمال افريقيا من دقلديانوس إلى الاحتلال الوندالي، تر: عبد الحفيظ فضيل الميار، ط1، (د.د.ن)، طرابلس، 1994، ص ص 109-110.

(4) جبروم كاركوبينو، تاريخ ولايات، ص ص 117-118.

(5) سيدي محمد العيوض، الجلاء الروماني عن جنوبي موريطانيا الطنجية، مجلة كلية الآداب والعلوم الانسانية، ع 29، الرباط، 2009، ص ص 124-125.

يرجع لضغط القبائل المحلية، وخاصة البقواط التي أرغمت الرومان على الانسحاب إلى الشمال، شمال وادي اللوكس (Loukos) وغرب جبال الريف وهو ما ذهب إليه كاركوبينو⁽¹⁾. وهو ما يفسر حسبنا بقاء أراضي ومناطق واسعة خالية من السيطرة الرومانية الأمر الذي سمح بانتشار القبائل المورية بتلك المناطق مشكلة وحدات سياسية مستقلة.

والتراجع نفسه شهدته ليمس موريطانيا القيصرية في عهد ديوقليانوس، الذي قسم المقاطعة إلى قسمين أحدهما غربي احتفظ باسم موريطانيا القيصرية، الآخر شرقي وسمي بموريطانيا السطايفية⁽²⁾، بغية إيقاف التوترات والثورات القائمة في المنطقة، فقد عرفت كل من نوميديا وموريطانيا عدة هجمات من القبائل المحلية، ولعل أهمها ثورة الحلف الخماسي، والفاراكسينينس، البوار، وهي الأوضاع التي لخصها أرتوب (Eutropius) بقوله: Ita cum per omnem orbem terrarum res turbatae essent,..., Africam Quinquegentiani infestarent,..., Maximianus quoque Augustus bellum in Africa profligavit domitis Quinquegentianis et ad pacem redactis (Eutrope, Lib. IX, XV-XVI)، "كل الكون مضطرب بثورات فكاروسيوس (Carausius) ثار في بريطانيا وأخيلوس (Achillus) في مصر، والحلف الخماسي يخرب في إفريقيا والنارسس (Narses) يحارب في الشرق"⁽³⁾. وقد استطاعت القبائل الثائرة، والمتحالفة فيما بينها من فرض سيطرتها على العديد من المدن الواقعة خارج خط الليمس المتراجع، مشكلة بذلك حاجزاً إقليمياً قطع الاتصال بين موريطانيا القيصرية والطنجية⁽⁴⁾، وهو ما يظهر في كلام أميان ماركولان حين أشار خلال حديثه عن ثورة فيرموس إلى تلك الكثافة السكانية العالية في المناطق الجبلية لموريطانيا⁽⁵⁾.

(1) جيروم كاركوبينو، المغرب العتيق، ص 342.

(2) Gagnat.R ,OP, Cit.p.70.

(3) محمد الحبيب بشاري، مدينة ستيفيس، ص 31.

(4) محمد البشير شنييتي، سياسة الرومنة في بلاد المغرب من سقوط الدولة القرطاجية إلى سقوط موريطانيا (146-40م)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1982، ص 352.

(5) Ammien Marcellin, XXIX.V.

وقد اتضح جليا تراجع نفوذ الرومان مقابل زحف القبائل المحلية من الجنوب نحو الشمال، سعيًا منها للعودة إلى أراضيها ومجالاتها الحيوية التي صودرت منها سابقًا في إطار ما عرف بالكنطنة كما سبق وأن تعرضنا له⁽¹⁾، يذكر لاسير (ج.م) حركة سكانية قبلية سجلت في القرن الثالث الميلادي وتواصلت بعده بمسار جنوب شمال، نحو أقاليم الحضنة والزيبان، وجنوب متليلي في موريطانيا القيصرية⁽²⁾، من خلال منافذ كانت في الغالب مراكز جمركية ولعل خير مثال عن تلك المنافذ، التعرف الجمركية بزراري (Zari)⁽³⁾، والشيء نفسه نجده في الجنوب الشرقي لمقاطعة نوميديا أين نسجل عودة للقبائل إلى الأوراس والناماشة⁽⁴⁾.

ومن أمثلة تلك الحركة الجنوبية الشمالية ما قامت به قبائل الفراكسنانس (Fraxinenses)⁽⁵⁾، التي برزت خلال القرن الثالث الميلادي ومن المحتمل أنها كانت مستقرة في حوض الصومام⁽⁶⁾، وقد تم التعرف عليها بفضل نقيشة لمباز⁽⁷⁾ المؤرخة بين 253-256م والتي تذكر أن القبيلة توسعت على حساب مقاطعة نوميديا متجهة شمالا نحو جبال جرجرة، قادمة من جنوب نوميديا، متجاوزة الدفاعات التي أسسها السيفيريون، مستغلة ضعف الدفاعات الرومانية⁽⁸⁾.

والأمر نفسه شهدته ليمس طرابلس والبروقنصلية المتراجع، والذي ترجم تراجع السيطرة الرومانية في المناطق الجنوبية لطرابلس، نتيجة ضغط لقبائل رحل شبه صحراويين خلال نهاية القرن الثالث، وبداية القرن الرابع الميلادييين من الجنوب الشرقي باتجاه الشمال⁽⁹⁾،

(1) محمد العربي عقون، الإقتصاد والمجتمع، ص 279.

(2) Lassér.J.M, Vbiquulus Populus..., Op.cit, p.597.

(3) Trouset.P, Nomadisme...Op.cit, p.5586.

(4) Bénabou.M, Op.cit. p.212.

(5) Desanges. J, Op.cit, p.52.

(6) محمد الحبيب بشاري، دراسة تاريخية، ص 18.

(7) CIL. VIII. 2 615.

(8) خالد محفوظ، المقاطعات الإفريقية، ص 207.

(9) يوسف عيش، الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية لبلاد المغرب أثناء الاحتلال البيزنطي، أطروحة دكتوراه، إ: محمد

البشير شنييتي، جامعة منتوري، قسنطينة، 2006/2007، ص 249.

الذي رصده المؤرخون في العهد الروماني المتأخر وما بعده (الخريطة رقم 19)⁽¹⁾، فتعرضت الحدود على خط الليمس من برقة لهجمات من القبائل الجدد الذين يتميزون بأنهم رحل أصحاب جمال⁽²⁾، كانت وجهتهم الأولية برقة (قورينة Cyrénaiqu) غير أن أنظارهم وجهت صوب الجهات الغربية⁽³⁾، نذكر منها قبائل الأوسترياني (Austoriani) أو الأرسيلاني (Ursiliani)⁽⁴⁾، التي تعيش في الصحراء بالقرب من السيرت الكبير، أين توغلوا إلى داخل المدن الرومانية⁽⁵⁾. حيث خاض الإمبراطور مكسيميانوس (Maximian) (286-310م) معركة ضدهم⁽⁶⁾، وقد ذكرها أميان ماكولان بأنها قبائل معروفة بهجومها المتكرر على كل من لبدة، وطرابلس وصبراتة وأويا خلال القرن الرابع الميلادي⁽⁷⁾. واستطاعت هذه القبائل في ذروة هجماتها على المدن ببرقة من قطع الطريق الساحلي بين قرطاجة، والإسكندرية بداية من عام 363م⁽⁸⁾، مستغلة ضعف الإدارة الرومانية وتدهور نفوذها في المناطق الداخلية⁽⁹⁾. ومن تلك القبائل الزاحفة نحو الغرب المُشتد ضغطها على الليمس في القرن الرابع إضافة إلى الأوسترياني؛ نجد مجموعة قَبَلية سيكون لها شأن كبير في العصور التالية وهي قبيلة لواته التي ذكرها ابن خلدون بقوله: "...كان لواته ظواعن في مواطنهم بنواحي برقة"⁽¹⁰⁾، وقد جاءت بصيغ مختلفة إيلاغواس (Ilaguas)، ولغواطن (Laguatan) ولواتي (Levatae)، القاطنة جنوب برقة حسب النصوص اللاتينية القديمة، ثم زحفت غربا فسيطرت على الجنوب النوميدي وربما كذلك جنوبي المقاطعة القيصرية⁽¹¹⁾، واعتبر كرتوا أن تقدم هذه

(1) محمد البشير شنييتي، روما الإمبراطورية، ص 207

(2) Courtois.C. le vandal... Op.cit, pp.103-104.

(3) Modéran Yves. De Julius Honorius..., Op.cit. p. 270.

(4) الأوسترياني (Austoriani) التي ستعرف في الفترة الإسلامية بقبائل هواره.

(5) السيد محمد عمار علي، المرجع السابق، ص 37.

(6) Ammien Marcellin.XXVI.12 ; Courtois.C. le vandal... Op.cit, p.103.

(7) Ibid.XXVI.4,5, XXVII.9 ; Desanges. J, Op.cit, p.82.

(8) السيد محمد عمار علي، المرجع السابق، ص 37.

(9) يوسف عبيش، المرجع السابق، ص 251.

(10) عبد الرحمان ابن خلدون، مج 6، المرجع السابق، ص 235.

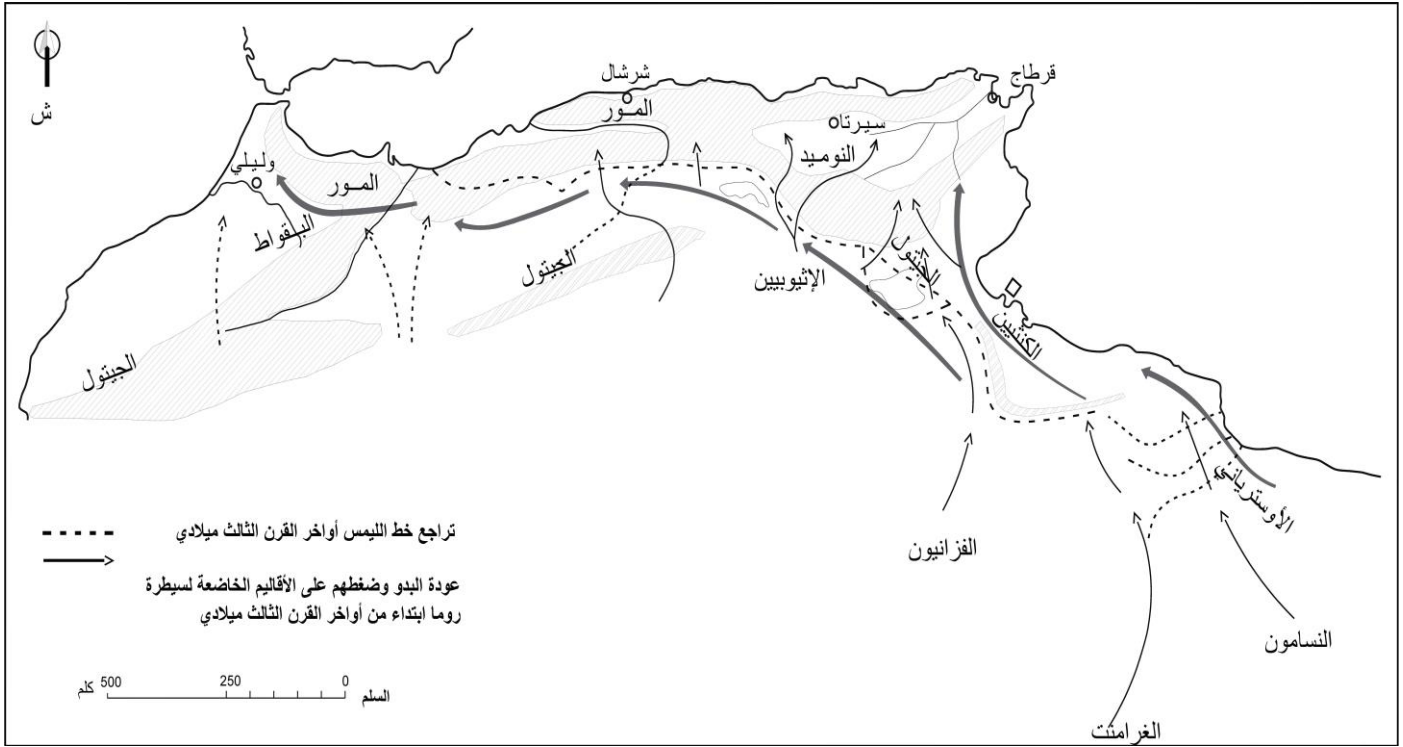
(11) محمد البشير شنييتي، روما الإمبراطورية، ص 208.

القبائل القادمة من الشرق نحو الغرب كان بطيئاً وعلى مراحل، مقدراً الفترة التي كانت تفصل بين مرحلة، وأخرى حوالي 60 سنة إلى أن شغلوا المغرب كله في العصور الوسطى⁽¹⁾. وكننتيجة يمكننا القول أن ضغط الرومان الزراعي والعمرائ المنطلق من الشمال، المصحوب بالخط الدفاعي أجبر العديد من القبائل البدوية وحتى الجبلية على الارتقاء خارج الليمس، ما ترتب عنه تكاثر في أعداد القبائل البدوية فيما وراء التحصينات الرومانية، مشكلة ضغطاً ديمغرافياً حول الليمس ما فتئ يتكثف وتثقل وطأته على التحصينات الرومانية إلى أن تحطمت على حد قول (م.ب) شنييتي⁽²⁾، ثم إن أحداث، وثورات أواخر القرن الثالث والقرن الرابع الميلاديين أدت إلى ظهور إمارات تزعمتها قبائل محلية قوية، مثل قبائل البوار، البقواط والحلف الخماسي وغيرها، عملت على استرجاع الأراضي التي سلبها منها الرومان في وقت سابق.

وعليه ونتيجة لهذه الثورات نلاحظ حركة عكسية للقبائل بداية من أواخر القرن الثالث الميلادي؛ من الجنوب نحو الشمال نتيجة تراجع القوة الرومانية من خلال تراجع تحصيناتها، وانسحاب خطوط الليمس شمالاً تاركة أجزاء كثيرة من الأراضي حرة، وهو ما استغلته القبائل المحلية بالسيطرة عليها، وهذه التحركات القبلية ما هي إلا عودة للقبائل إلى موطنها، ومجالاتها الحيوية التي صودرت منها خلال العهد الإمبراطوري الأول. فبعدما كانت في القرون الأولى وحتى بدايات القرن الثالث الميلادي من الاحتلال الروماني حركة من الشمال إلى الجنوب نتيجة سياسة الطرد، والمراقبة التي فرضها الرومان على مختلف القبائل المحلية، تحولت بداية من أواخر القرن الثالث إلى حركة جنوب شمال على خلفية تراجع خطوط الليمس.

(1) Courtois.C. le vandal... Op.cit, p.103.

(2) محمد البشير شنييتي، نوميديا وربما الإمبراطورية...، ص ص 292-293.



الخريطة رقم 19: تراجع الليمس الروماني نهاية القرن الثالث الميلادي والحركة العكسية للقبائل، من إنجاز الطالبة نقلا عن، Troussel.P, Nomadisme..., op, cit, p.5579

ثالثا: علاقة السلطة الرومانية بالقبائل المحلية

1. إدارة القبائل في العهد الروماني:

سعت الإدارة الرومانية دائما لتنفيذ تشريعاته التي تهدف إلى الاستيلاء على مصادر الثروة في المقاطعات ودمج الأهالي وبذلك تحقق نظرية السيطرة المزدوجة على الأرض والإنسان، فإذا كانت المدن مركزا لسياسة الرومنة، والدمج منذ البداية فعلى العكس من ذلك فإن العشائر والقبائل أو ما يعرف بالجماعات الأهلية في الأرياف والجبال، كانت عصية وصعب إختراق نظامها وأعرافها القبلية من طرف القانون الروماني الذي قاومته وسعت للحد من توسعه الزاحف من الساحل نحو الداخل، فالنظام القبلي كان الدرع الأخير الذي إحتمت به القبائل المغاربية القديمة من التسلط الروماني المباشر⁽¹⁾.

(1) محمد العربي عقون، الكنفدرالية السيرية، ص 355.

صنفت القبائل في فترة الاحتلال الروماني إلى ثلاثة أنواع، اقتضتها التطورات والتحولات العسكرية والسياسية دون أن تُغفل العوامل الجغرافية⁽¹⁾، النوع الأول قبائل تحت سيطرة الرومان المباشرة، وقد أندمجوا معهم اندماجا كاملا مباشرا، وهم القبائل الذين كانوا ضمن حدود الولاية الرومانية، والنوع الثاني القبائل التي لم يحكمها الرومان، وهم من سكان الأرياف التي تشملها الحدود الرومانية تميزت وضعيتهم بكونهم في وضع الأعداء للرومان، ومن أجل ذلك وضع المشرع الروماني إجراءات مكنته من محاصرتها والاستيلاء على أراضيها وهو ما عرف باسم الكنطنة، والنوع الثالث هي تلك القبائل التي خضعت لحكم الرومان مباشرة ممثلة في القبائل الجنوبية، وقبائل السهول الداخلية والجبال التي تركها الرومان تمارس نظامها القبلي التقليدي⁽²⁾.

أشارت المصادر إلى القبائل المحلية وقادتها ووضعها القانوني والموظفين الذين يقومون بدور مراقبة وتسيير شؤونها⁽³⁾، وما نقصده بالقبائل الأهلية المشار لها بالجانس (Gens) هي تلك المنظومة الاجتماعية المعترف بها كما هي بحسب نظامها القبلي وأعرافها⁽⁴⁾، ولها في الوقت نفسه شخصية قانونية استقلالية دينية محمية من طرف الإمبراطورية الرومانية⁽⁵⁾، ويمكن أن نسميه بالتحالف المصلحي من باب الاعتراف الذي سعى من خلاله الرومان إلى استمالة القبائل المحلية في إطار سلام مصلحي خدم مصالحها⁽⁶⁾.

(1) خالد محفوظ، قبائل نوميديا وموريطانيا القيصرية وأزمة الإمبراطورية خلال القرن الثالث للميلاد (قراءة جديدة في ثورات القرن الثالث)، مؤلف جماعي النظم القبلية في تاريخ بلاد المغرب (تاريخها، أدوارها وتأثيراتها السياسية والثقافية)، مخبر الدراسات التاريخية المتوسطية عبر العصور، جامعة يحيى فارس المدية، ديسمبر 2021، ص 84.

(2) أبو بكر سرحان، القرى والتجمعات القبلية في المغرب القديم (تونس الجزائر المغرب الأقصى) فترة الاحتلال الروماني (27ق.م - 235م)، وقائع تاريخية، مركز البحوث والدراسات التاريخية، ج 1، القاهرة، 2014، ص ص 33-34.

(3) محمد العربي عقون، الكنفدرالية السيرتية...، المرجع السابق، ص 355.

(4) Hamdoune. Ch. Les points de ralliement des gentes. In: Antiquités africaines, 37, 2001. p. 93.

(5) Bénabou M, Op.cit, p.447.

(6) خالد محفوظ، قبائل نوميديا وموريطانيا، ص 84.

تعتبر لوحة باناسا أو بانازا (Banasa)⁽¹⁾ نموذجًا لجانب من السياسة الرومانية لاحتواء القبائل الكبيرة من خلال سياسة الإغراء ومنحها امتيازات كحق المواطنة بمختلف صيغها⁽²⁾، وتمنح لأعيان وأمراء القبائل، وأشار نص هذه الوثيقة إلى القانون الخاص بالقبيلة الأهلية بعبارة (Salvo Jure gentis) كما تكتب (saluo iure iure gentis)⁽³⁾، ومن عبارة (Jus=Jure) نستنتج وجود قانون القبيلة الأهلية الذي يمكن أن يبقى حتى بعد الحصول على المواطنة الرومانية⁽⁴⁾، وبالرجوع إلى نص الوثيقة هذه فهي تخص أحد أمراء قبيلة هامة وهي قبيلة⁽⁵⁾ الزيغرنسيس (Zagrenses)، من قبائل موريطانيا الطنجية استقرت بالإقليم الممتد من جبال الأطلس إلى نهر تانسيفت، وقد استفادت القبيلة من المواطنة الرومانية⁽⁶⁾، وعلى العموم يبقى اندماج القبائل المحلية في القانون الروماني نسبيًا فهو لم ينفذ إلى عمق التقاليد القبلية التي حافظت على تنظيمها الداخلي الممثل في العشيرة، العائلة، القبيلة⁽⁷⁾.

2. حاكم القبائل (Praefectus Gentis):

ينبغي في البداية الفصل بين وظائف كل من البرايفكتوس جانتييس (Praefectus Gentis) وهو مندوب السلطة ويعتمد على أعلى سلطة، والبرايفكتوس كاستيلي (praefætus castelli) الذي ليس سوى قاضيا في البلدية، فقط يكون في إقليم القبيلة عدة كاستلات، ولكن الاثنين لا يجمعهما قانون واحد⁽⁸⁾، ويطلق لقب البرايفكتوس (Praefectus)

(1) لوحة برونزية تحوي نقش لوثيقة عثر عليه بمدينة بانازا - سيدي على بوجنون الواقعة ضواحي الشمال الغربي للمغرب - تعود لسنة 177م، تضم ثلاثة نصوص لاتينية تفيد بمنح المواطنة لزعماء قبيلة الزيغرنسيس وزوجاتهم وأبنائهم. للمزيد ينظر: محمد البشير شنييتي، نوميديا وروما ...، ص220.

(2) شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص221.

(3) Sestom. W et Euzennat .M, un dossier de chancelierie romaine : la Tabula Banasitana, Étude de diplomatie. In: Comptes rendus des séances de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres, 115^e année, N. 3, 1971. pp.439. 468-490.

(4) محمد العربي عقون، الكنفدرالية السيرتية، ص355.

(5) محمد البشير شنييتي، نوميديا وروما، ص220.

(6) Desanges. J, Op.cit, p.40.

(7) محمد العربي عقون، الكنفدرالية السيرتية، ص355.

(8) Bénabou .M, Op.cit, p.449.

في القانون الروماني على موظف تنتدبه سلطة عليا للقيام بمسؤوليات معينة على رأس مصلحة أو مقاطعة، فروما خلال العهد الجمهوري وفي غياب قناصلها كانت تحكم من قبل برايفكتوس (Praefectus Urbi)، أما في أفريقيا (البروقنصلية ونوميديا) فقد انتدب للمستعمرات التابعة لسيرتا، وللباقي والجماعات الأهلية برايفاكتي بصلاحيات محددة⁽¹⁾.

عملت السلطة الرومانية على مراقبة قبائل المغرب القديم بإجراءات إدارية شديدة، سعت من خلالها إلى شل تحركات القبائل، وإلزامها بدفع المستلزمات المالية المتمثلة في الضرائب المفروضة عليها، وتقديم أبنائها للتجنيد⁽²⁾، كما أنها وصفتها بالقبائل المهزومة ولذلك أمرت بإخضاعها لمراقبة صارمة ذلك أنها عينت على رأس القبائل الراضية للسيطرة الرومانية قائداً أو ضابطاً يحمل اسم (Praefecti Gentis) يتمتع بسلطة غير محددة بأي مكان على القبائل، ومعين من سلطة عليا⁽³⁾، ثبت وجوده في قالمة (كالاما) وفي موريطانيا القيصرية⁽⁴⁾، وهو مفوض من قبل السلطة الإقليمية العسكرية في الغالب، أو من قبل السلطة المركزية الإمبراطورية ليكون واليا مكلفا بمراقبة قبيلة⁽⁵⁾، حرصت في القرون الأولى من عصر الإمبراطورية أن يكون من القادة الرومان ضابط أو قائد كتيبة أي روماني الأصل⁽⁶⁾، ثم في أواخر عصر الإمبراطورية أُختير من بين الشخصيات المحلية التي تعرف المنطقة، أو من أبناء القبيلة الذين أخذوا يتأقلمون تدريجيا مع الحضارة الرومانية (من الأهالي المترنين)⁽⁷⁾، وهو ما دلت عليه نصوص نقوشية عثر عليها في خميسة (Thubursicu) جنوب غرب الأوراس، وعند قبائل البقواط، يجمع حاكم القبيلة أو البرايفكتي بين السلطات المدنية، والعسكرية بالقبيلة حيث يراقبها في أداء التزاماتها كتسديد الضرائب، وتجنيد الجند

(1) محمد العربي عقون، الكنفدرالية السيرتية، ص 357، الهامش رقم 813.

(2) شافية شارن وآخرون، المرجع السابق، ص 130.

(3) Cagnat .R, Op.cit, p.265.

(4) Bénabou. M, Op.cit, p.430.

(5) محمد العربي عقون، الكنفدرالية السيرتية، ص 357.

(6) Cagnat .R, Op.cit, p.265.

(7) Bénabou. M, Op.cit, p.456.

وحفظ الأمن، ولم تكن مهمة هذا المسؤول عسكرية كما يبدو بل إدارية تتمثل في تسيير شؤون القبيلة خدمة لمصالح روما⁽¹⁾.

أما المهام العسكرية لحاكم القبيلة فتمثلت في التصدي للقبائل الثائرة بكل الوسائل المتوفرة لديه، دون اللجوء إلى الإدارة الإقليمية أو المركزية إلا في حالة الضرورة القصوى، ففي حالة تدهور الوضع الأمني تتحول مهمته إلى عسكرية، كانت ترافقه دائما وحدات عسكرية⁽²⁾، هذا ولجأت في حالة رضوخ القبيلة لسيطرتها إلى اختيار أمير من القبيلة نفسها لتسييرها وفق النظام القبلي ويقوم بدور الوسيط بين القبيلة والإدارة الرومانية⁽³⁾، كانت الأراضي المحكومة من قبل هؤلاء الولاة تقع داخل المقاطعات الرومانية؛ أي الأراضي الخاضعة لها⁽⁴⁾.

نجد في المصادر الأدبية إشارة إلى بداية تطبيق نظام البرافكتور جانتيس أين تحتفظ الجماعة الأهلية بأعرافها⁽⁵⁾، وقد ذكرت هذه النصوص أيضا أنه في وقت لاحق أصبح لهم لباس خاص⁽⁶⁾، ففي عهد بروكوب (القرن السادس الميلادي) كانوا يحصلون على تاج وصولجان من فضة، ومعطف، وسترة أبيضين وحذاء مذهب⁽⁷⁾، ظهر البرافكتور جانتيس في أفريقيا؛ أين تم تعيين حاكم لتولي شؤون قبائل الموزولامي في عهد تيبيريوس (14-37م)⁽⁸⁾، وتظهر نقيشة تعود لعهد هادريان أول قاضي موزولامي (Praefectus gentis Musulamiorum) في بلدية أميدرا (CIL.5351)⁽⁹⁾، ونذكر الحاكم فورينوس دوناتوس (Furinus Donatus) الذي عين لإدارة قبيلة المزاتي (Masath) بالقرب من سور

(1) Bénabou. M, Op.cit, p.451.

(2) شافية شارن وآخرون، المرجع السابق، ص 131.

(3) Shaw, B. D, Op.cit, p. 76.

(4) قابريال كامبس، البربر ذاكرة وهوية، ص 155.

(5) محمد العربي عقون، الكنفدرالية السيرية، ص 358.

(6) Ammien Marcellin, XXIX,5.21.

(7) قابريال كامبس، البربر ذاكرة وهوية، ص 155.

(8) Tacite, II.52 ; III, 20-21 ; IV, 23.

(9) Gsell.St, AAA.F.18 n°519.

لجواب (Rapidum)⁽¹⁾، ويرأسه حاكم محلي باسم مقدم قبيلة النتابوت (Princeps gentis Nattabutum)⁽²⁾. حيث في القرن الأول الميلادي عين على رأس هذه القبيلة الحاكم كاليورنيوس فباتيوس (Calpurnius Fabatus)⁽³⁾.

يسند منصب حاكم القبيلة في الغالب إلى ضابط روماني من سلك الفرسان⁽⁴⁾، والملاحظ أن أغلب حكام القرن الأول والثاني⁽⁵⁾ وجدوا في البروقنصلية بأقاليمها المختلفة في أفريقيا القديمة (Africa Vetustas) وأفريقيا الجديدة (Africa Nova)، ونوميديا العسكرية (Numidia Militiana) والكونفدرالية السيرتية (Confédération Cirtéenne) ومع توسع الرومنة في القرن الثالث وجد البرايفكتي في الموريطانييتين القيصرية والطنجية أيضا⁽⁶⁾. وكانوا ممثلين للسلطة الرومانية بالمنطقة، تمثلت مهمتهم في رومنة القبائل الرافضة للاندماج شيئا فشيئا⁽⁷⁾، غير أن النقوش لا تبرز مدى نجاح هذه السياسة خاصة إذا ما أخذنا بعين الاعتبار كثرة القبائل الرافضة للسيطرة الرومانية مقارنة بعدد الشخصيات التي تولت هذه المهمة⁽⁸⁾.

تميز العهد الإمبراطوري الأول في بداياته بالمقاومة الشعبية التي أبداهها السكان المحليون بعد فشل المقاومة الرسمية (يوبيا وأرابيون)، وهو الأمر الذي تطلب من سلطة الاحتلال الروماني وضع القبائل التي تم السيطرة عليها حديثا لسلطة حاكم القبائل⁽⁹⁾. وكان هذا المنصب يلغى في حالة ما يتم توطين القبيلة، وترقية المدينة التي تعيش فيها إلى

(1) محمد سنوسي ومحمد كاكي، السياسة الإدارية الرومانية بموريطانيا القيصرية خلال العهد الإمبراطوري الأعلى، مجلة دراسات إنسانية واجتماعية، مج10، ع3، وهران، 2021، ص448.

(2) محمد العربي عقون، الكونفدرالية السيرتية، ص352؛ Desanges. J, Op.cit, p.123.124

(3) مقدم بنت النبي، السياسة الرومانية، ص146.

(4) Cagnat .R, Op.cit, p.265.

(5) Cédric Chadburn, Op.cit, p.20.

(6) محمد العربي عقون، الكونفدرالية السيرتية، ص358.

(7) مقدم بنت النبي، السياسة الرومانية، ص107.

(8) خديجة منصوري، التطورات الاقتصادية، صص60-61.

(9) المرجع نفسه، ص362.

مصاف البلدية، وهو ما حدث مع قبيلة الكنيثيين (Cinithii) وقبيلة نوميديا (Numidae)، بينما إن لم يتم ذلك يستمر تعيين هؤلاء الحكام على رأس القبيلة لأجل التسيير الإداري غير المباشر، وهو ما نجده مع قبيلة المغازيس (Mazices) التي إستمرت بهذا التسيير إلى غاية الغزو الوندالي لبلاد المغرب القديم عام 429م⁽¹⁾.

حافظت قيادة المقاطعة القيصرية مثلاً على المنظور السياسي في معاملتها لسكان المقاطعة، سواء كانوا داخل الحدود أو على التخوم، وذلك باعترافها للقبائل بالاستقلال الذاتي من حيث النظم الداخلية والقوانين والأعراف، التي درجت على التعامل بها داخل القبيلة، أو فيما بين القبائل والامارات، واكتفت السلطة الرومانية بالسيطرة على قادة القبائل وأمرائها فجعلتهم خاضعين لإرادتها مقابل اعترافها بسلطتهم على أقوامهم ومنحها إياهم شارات الإمارة أو القيادة، وألقابا سلطوية رومانية منها⁽²⁾، حاكم القبيلة (Praefecti gentis)⁽³⁾ أو أمير القبيلة (Princeps gentis)⁽⁴⁾.

3. أمير القبائل (Princeps Gentis):

البرينكيبيس جانتييس أو أمير القبيلة وهو القائد الأول للقبيلة المحلية⁽⁵⁾، تنضوي تحت سلطته القبيلة التي تسكن داخل المقاطعات الرومانية وخضعت للسلطات الرومانية مع الإبقاء على جزء معتبر من استقلاليتها⁽⁶⁾. يحاول السيد (Kotul .T) تحديد الفرق بين (Praefecti gentis) و (Princeps gentis)، فحاكم القبيلة كما سبق القول هو مواطن روماني، غالبا ما يكون من الفرسان يعين على رأس قبيلة لاتزال ضعيفة، بينما أمير القبيلة

(1) مقدم بنت النبي، السياسة الرومانية، ص 107.

(2) محمد البشير شنيقي، روما الإمبراطورية، ص 216.

(3) قابريال كامبس، البربر ذاكرة وهوية، ص 155.

(4) Bénabou. M, Op.cit, p.458.

(5) محمد العربي عقون، الكنفدرالية السيرتية، ص 360.

(6) Bénabou. M, Op.cit, p.458.

فهو زعيم محلي تعينه روما على رأس القبائل التي لا تزال شبه رحل، والتي غالبا ما تمنح شخصية المدينة الرومانية يتم منحهم في أحيان كثيرة المواطنة الرومانية⁽¹⁾.

خلفت لنا النصوص والنقوش سلسلة من الإتفاقيات بينت علاقة أمير القبيلة بالسلطة الرومانية منها:

- يعين على القبيلة الواحدة أو كنفدرالية قبائل التي تتمركز داخل إقليم مقاطعة رومانية أمير برينكييس⁽²⁾، والذي يعمل تحت إشراف حاكم القبيلة كل ذلك من أجل مراقبة القبائل المحلية التي تحتفظ بجزء من استقلاليتها عسكريا⁽³⁾.

- يعمل أمير القبيلة كوسيط بين السلطة الرومانية والقبائل المحلية، من ذلك مناقشة بعض القوانين لصالح قبائلهم⁽⁴⁾.

- حمل أعيان القبيلة لقب ملك (REX) كما هو الحال بالنسبة لقبيلة البقواط، التي عاشت تحت سلطة ملوكها في استقلال ذاتي⁽⁵⁾، وخلدت لنا النصوص النقوشية أسماء لبعض الأمراء منهم برينكييس قبيلة السابويين (Saboides) المجاورة لسيرتا فلوروس لبيونيس (Florus Labeonis) (ينظر الجدول رقم 5)⁽⁶⁾.

واستنادا لما سبق نخلص أن السلطة الرومانية عملت على مراقبة قبائل المغرب القديم الثائرة في كثير من الأحيان، إداريا وذلك بتنصيب مسؤول عسكري عليها يحمل اسم حاكم القبيلة، تمثلت مهمته في تسيير شؤون القبيلة وتطبيق القوانين الرومانية على الأهالي كل ذلك خدمة لمصالح روما، وإبقاء السلطة المدنية لأمير القبيلة.

⁽¹⁾ Kotula. T, Les Principes Gentis et les Principes Civitatis en Afrique romaine (Eos, LV, 1965.). In :Revue des Études Anciennes. Tome 70, 1968, n°3-4. p. 525

⁽²⁾ Bénabou. M, Op.cit, p.458.

⁽³⁾ محمد العربي عقون، الكنفدرالية السيرية، ص 360.

⁽⁴⁾ المرجع نفسه، ص 361.

⁽⁵⁾ Hamdoune.C, Op.cit, pp3045-3052.

⁽⁶⁾ محمد العربي عقون، المرجع السابق، ص 361.

أمير القبيلة	القبيلة	التاريخ	المنطقة	المصدر
فلورس كانارييس (الابن)	نوميديا	غير مؤرخ	أفريقيا البروقنصلية	CIL. VIII. 4884=ILg.I.1341 .
أ.لركيوس ماكريوس	نوميديا	تراجان	أفريقيا البروقنصلية	ILg.I.1297.
ل. مميوس باكاتوس	الكنثيين	بعد 138م	/	CIL.VIII.22729
فليكس نيبيليس	سبوروراس الملكية	غير مؤرخ	ناحية تيجيس في الإقليم السيرتي	A.E,1917-1918,41; Libyca,1955, III, pp.294-295
فلوروس لابيونيس (الابن)	السابو	195	ناحية سيرتا	IL. Alg.II.626.
فلامينيا ليس ساتور	النتابوت	غير مؤرخ	أم قرش بوعطفان	IL. Alg. II. 561=CIL.VIII.16911.
أوليوس توكيدا	البقواط	140	/	AE.1931.65=BAM.1957, p.67, n°2.
مجهول	البقواط والبوار	232- 234	/	BAM.1957, p.69, n°7.
أوليوريوس أوليانيس	الزغرنييس	177	/	CRAI.1961. p.317.

جدول رقم 5: نماذج لأمرأ القبائل في مقاطعات نوميديا وموريطانيا القيصرية والطنجية من خلال المصادر الأثرية، Bénabou. M, Op.cit, pp.459-490.

رابعاً: سياسة المهادنة والتحالف الرومانية:

بلغت الرومنة أوج توسعها في عهد السيفريين (الثلاث الأول من القرن الثالث الميلادي)، ورغم ذلك بقيت أقاليم عديدة بالمغرب القديم خارج السيطرة الرومانية، ففي موريطانيا القيصرية بقيت السهول العليا في الوسط، والغرب وحتى وراء سلسلة الأطلس خارج السيطرة الرومانية، فهي مجالات لتحرك قبائل البوار والحلف الخماسي، كما كانت مناطق بموريطانيا الطنجية هي الأخرى خارجة عن سلطة روما، ونادراً ما تصل إليها الفياق الرومانية⁽¹⁾، وذلك بسبب موقعها الجغرافي المعزول، لذلك هربت القبائل بهذه

(1) بيكار شارل جيلبار، المرجع السابق، ص2.

المنطقة من التبعية المباشرة لروما، وبقيت بعيدة عن مراكز فعالة للسلطة الرومانية مثل قبائل البقواط القوية⁽¹⁾.

فالسطح الجغرافي، والتطورات والتحولات العسكرية، والسياسية التي تسبب فيها الرومان في مقاطعات المغرب القديم الروماني ترك أثره على القبائل المحلية التي اتخذت مواقف مختلفة تجاه الاحتلال الروماني⁽²⁾، ويمكن أن نعطي صورة لهؤلاء المغاربة أثناء هذه الفترة على الشكل التالي: من الراضين للوجود الروماني، وهم سكان الأرياف التي تشملها الحدود الرومانية تميزت وضعيتهم بكونهم في وضع الأعداء الخاضعين، والمحاطين بمنشآت عسكرية رومانية تمثلت في الليمس بمختلف مكوناته من قلاع، حصون وطرق و...، ومستعمرات الجنود، عمل بعضهم في أراضي المعمرين الرومان، في حين انعزل غالبية جموع القبائل عن المؤسسات الرومانية في المناطق الجبلية راضين الاندماج في المجتمع الروماني، معنيين بذلك رفضهم سياسة الرومنة، واعتبرت تلك المناطق معاقل للمقاومة ضد الرومان⁽³⁾.

المتحالفة (Foederati- Focii) أو القبائل المهادنة، وهم السكان الذين كانوا ضمن حدود الولايات الرومانية أو على تخومها، ارتبطوا بمعاهدات سلم أو تحالف مع الرومان، ولجأت القبائل المحلية لهذه السياسة نتيجة قوة الرومان عسكريا⁽⁴⁾، ومنحتهم شروط التحالف حق الاحتفاظ بنوع من الاستقلال في تصريف شؤونهم، والتصرف في ممتلكاتهم والعمل بنظمهم الخاصة، ولكن صيغة التحالف كانت تتضمن ما يفيد الاعتراف بالسيادة الرومانية، باشتراط روما إدخال الصيغة التالية في نص المعاهدة " (Magestatem popvli romani cometer conservato) التي تعني معترفة عن إخلاص بهيمة الشعب الروماني"⁽⁵⁾.

(1) Hamdoune.C, Op.cit, pp3045-3052.

(2) خالد محفوظ، قبائل نوميديا، ص84.

(3) شافية شارن وآخرون، المرجع السابق، ص256.

(4) المرجع نفسه، ص256.

(5) محمد البشير شنيقي، نوميديا وروما، ص214.

1. عقد معاهدات السلام:

من القبائل التي كانت حليفة للرومان، وورد ذكرها في النقوش نجد قبائل البقواط بموريطانيا الطنجية، فعلى أبواب فولبيليس (Volubilis) يبدأ إقليم شعب الباقواط (Baquates) الخاضع لنوع من الحماية الرومانية في نهاية القرن الثاني⁽¹⁾، والمنطقة معروفة بسلسلة من النقوش التي تؤكد اتفاقيات السلام بين النيابات الرومانية، وزعماء ورؤساء قبائل البقواط الطنجية⁽²⁾، تغطي هذه النقوش الفترة الممتدة من حكم هادريان (117-122م) إلى غاية سنة 280م ما يقرب قرن ونصف⁽³⁾، أي القرنين الثاني والثالث الميلاديين⁽⁴⁾. فالوثائق الرومانية أشارت إلى زعماء الشعوب (Princeps gentis) كما استعملت لفظ أمير أو ملك شعب (Rex gentis) للدلالة على بعض زعماء البقواطيين الذين تم منحهم أحيانا الجنسية الرومانية⁽⁵⁾.

خلفت الأبحاث الأركيولوجية بموريطانيا الطنجية اكتشاف مجموعة من النقائش التي تذكر قبائل، وشعوب المنطقة التي كانت في علاقة مهادنة مع الرومان منها السالانسيين (Salenses) والزغرنسيين (Zegrenses) والبانويين (Baniures) والمكنيتيين (Macenites) والباقواط⁽⁶⁾، والنقوش اللاتينية التي ذكرت البقواط حوالي خمسة عشر نقشا⁽⁷⁾⁽⁸⁾ منها تسعة نقوش بوليلي (Volubilis) وحدها تداولها كثير من الباحثين لیبونا

(1) بيكار شارل جيلبار، المرجع السابق، ص2.

(2) Hamdoune.C, Op.cit, pp3045-3052.

(3) Ferzoul. E, Rome et la Mauritanie Tangitane un constat d'echec ? Anti.Afr, 16, 1980, p102.

(4) الأعشي مصطفى، نقائش معاهدات السلام بين الباكوات، ص15.

(5) عبد الرحمان اليوبي، المرجع السابق، ص45.

(6) محمد اللبار، المرجع السابق، ص81.

(7) وهي النقائش رقم: 2-3-4-5-6-7-8-9-10-11-12-13-14-15. للمزيد ينظر: Frezouls E., Les

.Baquates et la province romaine de Tingitane, Bull. Arch. Maroc., II, 1957, p. 65-116

(8) أقدم النقائش التي تحدثت عن قبائل البقواط تعود لموقع كارتينايا (Cartennae) (تنبس) (CIL.VIII.9663)

وقد تحدثت عن البقواط في مقاطعة موريطانيا القيصرية، دراسة هذه النقيشة يظهر تطور العلاقات بين قبائل البقواط، والرومان التي يظهر أنها كانت في بدايتها عسكرية، فالنقيشة تذكر هجوم هذه القبائل على كرتينايا في عهد هادريان عام 122م، وكان من نتائج هذا الهجوم البقواطي هو طرد القبائل من موطنها، الذي يعتقد المؤرخون أنه كان يمتد من بلاد

طبيعة علاقتهم بالسلطة الرومانية، تحركاتهم الإقليمية، والأحداث التي كانوا طرفا فيها⁽¹⁾، واعتقد فريزول (Ferzoul. E) أن الدافع الأساسي وراء وضع هذه الإهداءات بوليلي، كون أن المدينة كانت أهم مركز إداري في المنطقة⁽²⁾، فشكّلت نقطة مراقبة إدارية، وعسكرية إستراتيجية ماجعلها نقطة اتصالات⁽³⁾. بينما خلّص (م.ب) شنيّتي أن تجديد نصوص اتفاقيات السلام بين قبائل المور، وحكام الطنجية يرجع لمستجدات العلاقة بين القبائل الحليفة فيما بينها من جهة وبين حكام موريطانيا الطنجية من جهة أخرى، وهو مايفسر كثرة تلك الاتفاقيات في مدينة فولوبيليس⁽⁴⁾.

ولفهم طبيعة العلاقة بين الرومان والقبائل المورية بالمنطقة نأخذ كنماذج نصين، أو ثلاثة من مجموع النصوص المكتشفة، من ذلك نص إهدائي يعود لسنة 140م أمر بنقشه زعيم قبيلة البقواط الذي يدعى إيليوس توكوداس (Aelius Tuccdas) على شرف الإمبراطور هادريانوس عرفانا له لمنحه حق المواطنة الرومانية، أين أصبح هذا الزعيم البقواطى يحمل أحد أسماء الإمبراطور، وهو أيليوس وهو اسم روماني، الذي أهله سياسيا كي يلقب بالأمير (Princeps) لشعب البقواط جينتيس بقواتيوم (gentis Baquatium)⁽⁵⁾(ينظر النص رقم 8).

الشلف إلى جبال الأطلس الأوسط بالمغرب الأقصى، لكن المطاردة الرومانية أزاحتها غربا إلى المقاطعة الطنجية. للمزيد ينظر: جيروم كركوبينو، المغرب العتيق، ص ص 385-390.

Ferzoul. E, Op.cit, pp.30-103; Cagnat.R, Op.cit.p48.

(1) مصطفى الأعشي، نقائش معاهدات السلام بين الباكوات، ص 15.

(2) Ferzoul. E, Op.cit, p.102.

(3) Shaw, B. D, Op.cit, p. 71.

(4) محمد البشير شنيّتي، نوميديا وروما الامبراطورية، ص 119.

(5) جيروم كركوبينو، المرجع السابق، ص ص 391-392.

النص اللاتيني :

Imp (eratori) Caaes (ari), Divi Hadriani fil (io), Divi
Trai / ani Parthici nep(oti), Divi Nervae Pronep (oti), t
(ito) Aelio/Hadriano Antonino Aug(usto), Pio
Pont(ifici) max(imo), /trib(unicia pot(estate) III co (n) s (uli) III, P (atri)
princeps gentis Baquatium. P(atriae) Aelius Tuccudas

ترجمة النص رقم 8: الإمبراطور قيصر المؤله هادريانوس. ابن المؤله تراجانوس البارثي، والمؤله نيرفا، تيتوس هادريانوس أغسطس الورع، الكاهن الأعظم والتريبون للمرة الثالثة، القنصل للمرة الثالثة، ابن الوطن (يرفع إليه هذه المقدمة). إليوس تكوداس زعيم البقواط⁽¹⁾.

ويظهر أن سبب عقد هذا الإتفاق بين رئيس قبائل البقواط، والإدارة الرومانية كان الهدف منه كسب القبيلة إلى صف الرومان، وعزلها وضمان عدم مشاركتها في أي ثورة ضد الرومان، خاصة أن منطقة سالا عرفت عام 140م هجمات، واضطرابات بسبب قبائل الأوتول، وحسب كاركوبينو فإن هادريانوس وطن البقواط بعد هجوماتهم على كرطناي (تتس) في هذه المنطقة ليدفع بهم قبائل الأوتول التي كانت قريبة من مدينة سالا⁽²⁾، وهي بذلك استخدمت كدرع بشري للدفاع عن ويلي، وكذا مراقبة تحركات القبائل الجنوبية بين وادي كير والهضاب العليا لحوض ملوية بحثا عن المراعي.

تظهر النقوش أن البقواط استطاعوا تكوين تحالفات مع القبائل المحلية القوية، أحيانا مع البوار (Bavares) جارتها الشرقية وأحيانا مع قبائل المكنيت الطنجية (Macénites) جارتها الجنوبية⁽³⁾، هذه الأخيرة هي التي تهمنا كونها هدفت إلى تعزيز السلم والأمان الروماني وهاتين القبيلتين⁽⁴⁾، نص النقيشة التالية يتضمن اتفاق السلطات الرومانية ممثلة في حاكم الطنجية البروكوراتور ايبيديوس كوادراتوس (Epidius Quadratus)، ورئيس قبيلتي

(1) عن مصطفى الأعشي، نقاش معاهدات السلام، ص ص19-20.

(2) جيروم كركوبينو، المغرب العتيق، ص ص391-392. Ferzoul. E, Op.cit, p.99.

(3) Bénabou .M, Op.cit, p.464.

(4) Desanges. J, Op.cit, pp.30.31

البقواط والمكنيت معا، الذي يُدعى أوكميتيو (oUcmeti)، وهي تعود إلى عهد ماركوس أوريليوس⁽¹⁾ (ينظر النص رقم 9).

النص اللاتيني:

Pro Salute imperatoris Caesaris Marci Aureli(i) Antonini
Aug(usti) Armeniaci Medici Parthici Germanici max(imi) Epidius
Quadratus proc(urator) eius conlocut(us) cum Ucmetio Principe
gentium Maccnnitum et Baquatium

ترجمة النص رقم 9: السلام على الامبراطور قيصر ماركوس أوريليوس انطونينوس أغسطس الأرمني. الميدي. الجرمانى العظيم. بعد أن تحدث البروكوراطور أيبديوس كوادراتوس. مع أوكميتيو زعيم قبائل الماكنيت والباكواط⁽²⁾.

استمرت الأسرة السيفيرية (193-235م) في تطبيق هذه السياسة معتمدة على أسلوب التحالف مع أمراء أصحاب نفوذ موريين في المناطق المجاورة لليمس، الذين أسمتهم التعليمات الرومانية بقبائل الحدود جنتيس ليميتاني (Gentis Limitanii)⁽³⁾، وهدفت من وراء هذه السياسة لتوفير الأمن لأجل الاستيطان بتلك الأقاليم أثناء العهد الامبراطوري المتأخر، هذه السياسة نقرؤها في نص اتفاقية أخرى على نقاش وليلي، أين تم إبرام اتفاق سلام. بين حاكم موريطانيا الطنجية ك. سرتوريوس كاتيانوس (C. Sertorius Cattianus) وأمير شعب البقواط (Baquates) المدعو إيلاس بن أوريت (Ilelasan f. Uret) عام 200م⁽⁴⁾.

ونقرؤها أيضا في نص نقيشة أخرى تضمنت إبرام اتفاق سلام مع ممثل قبيلتي البوار، والبقواط وحاكم عسكري في عهد ألكندر سيفيروس (222-235م) لا يظهر اسمه، أين قام

⁽¹⁾ Bénabou M, Op.cit, p.147.

⁽²⁾ مصطفى الأعشي، نقاش معاهدة السلام، ص22.

⁽³⁾ سخر الرومان منذ عهد ألكندر سيفيروس وحدات عسكرية غير دائمة متكونة من أهالي الولايات بعد قضاء مدة من الخدمة العسكرية في حراسة الأراضي الواقعة جنوب خط اليمس الصحراوي، وقسموهم إلى فئتين حماة الحصون (Castriani)، وحماة المعسكرات (Castellani)، وزعت عليهم الأراضي الزراعية قصد تعميرها واستغلالها وقت السلم، والدفاع عنها وقت الحرب. للمزيد ينظر: شافية شارن وآخرون، المرجع السابق، ص ص 116-117.

⁽⁴⁾ محمد البشير شنيقي، نوميديا وروما، ص269.

أحد النبلاء كوينتوس ارينوس (Quintus Herrenius) بإقامة وإهداء مذبج بهذه المناسبة. النقيشة مؤرخة بين عامي 226 و 229م وهي الفترة التي ثارت بها قبائل البوار⁽¹⁾ بمرتفعات البيان حسب نقيشة أوزيا عام 227م⁽²⁾ (ينظر النص رقم 10 نقيشة وليلي).

النص رقم 10:

I(ovi)[O(ptimo)M(aximo)] /ceterisq(ue)diis(!)d[eabus(que)immor
Talibus pro salute et incolumit(ate)]/et victoria
imp(eratoris)C(aesaris) [M(arci) Aureli
Severi Alexandri(?)PiiFelicis/[A]ug(usti)Q(uintus)Herreni[us3]/v
(ir)e(gregius)pro(urator)eius colloquiiu[m]/[cu]m[
Au]relio(?)[3]princ(ipe) gentis Bavarum et Baqua]/tium pa]cis
firmand[ae gratia habuit aram(que) posuit et
dedicavit]/[idib(us)sep]tembribus i[m]peratore)Alexandro
Aug(usto)IIAufidio Marcello II co(n)s(ulibus ?)]⁽³⁾.

ترجمة النص: تتحدث الكتابة عن معاهدة سلم بين حاكم عسكري لا يظهر اسمه وبين قائد قبيلة البوار والبقواط، وقام أحد النبلاء ويدعى كوينتوسأرينوس بإقامة وإهداء مذبج بهذه المناسبة للاله الأعظم جوبيتر وكل الآلهة الأبدية وإلى سلام وانتصار الإمبراطور ألكسندر سيفيروس النقي والسعيد أغسطس⁽⁴⁾.

تبين نصوص هذه المعاهدات طبيعة العلاقات التي اتسمت بالدبلوماسية بين السلطات الرومانية والبقواط، وهي السياسة التي تضمن لها وضع القبائل تحت حمايتها، وإبعادها عن القبائل المجاورة لها، فروما حاولت قدر المستطاع حتى مع تغير الشخصيات المتمثلة في الأباطرة وحكام الولايات، وشيوخ القبائل أيضا(أحد عشر حاكما إقليميا ورئيس قبيلة) وعلى امتداد قرن من الزمان⁽⁵⁾، من خلال سياستها السلمية إن صح التعبير السيطرة على تحركات قبائل البقواط الثائرة في بعض الأحيان، بغية عزلها ومحاولة ضمان ولائها خاصة أن

⁽¹⁾ يفهم من نص الكتابة النقوشية أن قبائل البوار والبقواط كانت شعب واحد لأن كلمة gens جاءت في حالة المفرد.

⁽²⁾ Bénabou M, Op.cit, p.193.

⁽³⁾ IAM-02-02,00356.

⁽⁴⁾ جريدة مهنتل، المرجع السابق، ص 431.

⁽⁵⁾ Shaw, B. D, Op.cit, p. 71.

المنطقة والمقاطعات الرومانية الأفريقية عرفت ثورات، منها هجمات قبائل الأوتول القريبة من مدينة سالا عام 140م⁽¹⁾، من خلال إبرام اتفاقيات سلام مع شيوخ أو زعماء هذه القبائل، وحتى قبائل حليفة أخرى (الماكنيت والبور)، واستمرت في تجديد هذه المعاهدات كلما اقتضت الحاجة⁽²⁾.

كانت سياسة استمالة القبائل المورية القوية، والتحالف معها من أعمال الاحتلال، والاختصاص التي تبناها الرومان، أين كلف زعماء هذه القبائل والعشائر بمهمة المحافظة على السلم، وحماية الحدود الرومانية من الغزو الذي كانت تمارسه القبائل المعادية⁽³⁾. لضمان السلم والأمن من جهة هذه القبائل مقابل الاعتراف باستقلالها الذاتي. وأيضا استخدامها كدرع بشري للدفاع عن مناطق التواجد الروماني، وكذا مراقبة تحركات القبائل الجنوبية.

2. عائلة نوبل إمارة مورية حليفة للرومان:

اتخذت روما تدابير خاصة لأجل ضمان سيطرتها على بلاد المغرب بأقل تكلفة فرضتها عليها البنية الاجتماعية السياسة والاقتصادية، وحتى الدينية للمنطقة التي كانت قائمة على القبلية المعبر عنها بالكونفدراليات، التي ترأسها أسرة ذات عصبية قوية (العائلة المالكة)، تمارس السيادة على جميع القبائل، والإمارات المنضوية تحت هذا النظام، وذلك ببسط سيطرتها على جميع الأراضي التي تمثل موطنًا لتلك القبائل، فاعترفت السلطة الرومانية لهذه القبائل باستقلال ذاتي من حيث النظم الداخلية والقوانين والأعراف، لكن في المقابل خضع قادة وأمراء القبائل تلك لإرادتها مقابل اعترافهم بسلطتهم على أقوامهم بمعنى أن هؤلاء الأمراء يمارسون نفوذهم على رعاياهم بشكل لا يتعارض مع سيادة روما بل يخدم أغراضها من حيث توفير الأمن، والاستقرار وضمان خضوع أتباع تلك الإمارات⁽⁴⁾. تعطينا أحداث الثلث الأخير من القرن الرابع التي سجلتها المصادر الكتابية والإيبغرافية نموذجًا عن

⁽¹⁾ Frézouls E., Les Baquates..., Op.cit.p99.

⁽²⁾ عبد الرحمان اليوبي، المرجع السابق، ص 46.

⁽³⁾ Euzennat.M. Les troubles de Maurétanie. In: Comptes rendus des séances de l'Académie des Inscriptions et BellesLettres, 128^e année, N. 2, 1984. P.393.

⁽⁴⁾ Camps.G, Firmus, Filage – Gastel, Aix-en- Provence, Edisud, Vol, 19, Ency berb, 1998, p.1.

أولئك الأمراء الأتباع ذائعي الصيت في المقاطعة القيصرية الذين ينتمون إلى عائلة عريقة⁽¹⁾، وهي عائلة نوبل التي وصفها المصادر بالملكية (Regulis)⁽²⁾.

إن المصدر الأساسي لمعلوماتنا عن عائلة نوبل (Nubel) التي عُرفت بثورة لأفراد من هذه العائلة، وهما الأخوان "فيرموس وجيلدون" خلال القرن الرابع الميلادي بموريطانيا القيصرية والسطايفية، وصلتا عن طريق المؤلف الروماني أميان ماركولان (Ammien Marcellin) الذي زار المنطقة وعاش بعضاً من أحداث ثورة فيرموس وتحدث عنها في كتابه "تاريخ روما" في الكتاب "التاسع والعشرين"، الفصل "الخامس" الموسوم بـ: "حرب فيرموس"⁽³⁾، فيذكر ماركولان أن الحكم الروماني في المنطقة كان يعتمد على مجموعة من الزعماء، والرؤساء المحليين المتعاونين مع السلطة الرومانية، أين تظهر عائلة نوبل كواحدة من أهم، وأشهر من تحالف مع الرومان بموريطانيا القيصرية⁽⁴⁾.

عرفت العائلة باسم "عائلة نوبل" نسبة للأب فلافيوس نوبل (Flavius Nubel) الذي لا يعرف عنه إلا الشيء القليل، فكل ماتقيدنا به الدراسات أنه كان قائدًا لوحدة عسكرية من المساعدين من صنف مئتين (Centuriae)⁽⁵⁾، عينته السلطات الرومانية رئيساً على قبيلته ومنحته لقب ملك (REX) وأنه كان من أقوى زعماء قبائل موريطانيا آنذاك⁽⁶⁾، يظهر توثيق هذا الاسم عدة مرات في نقوش ليبية وبونيقية ولاتينية منها نقيشة تيغيسي (Tigisi)⁽⁷⁾،

(1) ربيع عولمي، قبائل موريطانيا القيصرية ودورها العسكري إبان ثورة فيرموس 372-375م، مؤلف جماعي النظم القبلية في تاريخ بلاد المغرب: تاريخها، أدوارها، وتأثيراتها السياسية والثقافية، ط1، منشورات مخبر الدراسات التاريخية المتوسطية عبر العصور، جامعة يحيى فارس، المدينة، 2021، ص107.

(2) Courtois.C. le vandal... Op.cit, pp.144-145.

(3) Ammien Marcellin, XXIX.V.

(4) Ibid, XXIX.V.2.

(5) يذكر شنييتي (م. ب) نقلاً عن ستيفن غزال أن روما كانت تمنح قيادة وحدات الجيش لأمراء محليين مثلما كانوا يقودون وحدات من رجال القبائل الخاضعة لهم، وهي الوظيفة التي يُجهل أمر انتقالها إلى أحد أبنائه، ولقب كثير من الأمراء بفلافيوس خلال القرن الرابع، الذي كان اسم عائلة إمبراطورية معروفة منحتم إياه في إطار امتيازات حق المواطنة الرومانية. للمزيد ينظر: Gsell.St, Observations geographies..., Op.cit. pp.4-5.

(6) خديجة منصوري، الدوناتية وثورات، ص246.

(7) Laporte. J.P, Nubel, Sammac, Firmus et les autres Une famille berbère dans l'Empire romain, L'Africa romana XIX, Sassari, Roma 2012, p.981.

ونقيشة روسغونيا (Rusguniae) (برج البحري) التي تعود للقرن الرابع حيث كتب عليها اسم نوبل بمناسبة بناء بازيليك مسيحية⁽¹⁾، ووفق أميان ماركولان⁽²⁾ ينتمي نوبل إلى عائلة اليوباليني (Iubaleni) التي تمت مضاربها قريبا من أوزيا بجمال البيبان⁽³⁾، وهي من العائلات الأرستقراطية المترومنة بموريطانيا القيصرية، يعطينا أميان ماركولان أسماء سبعة من أبناء عائلة نوبل الملكية الحليفة للرومان منذ أجيال، منهم فيرموس (Firmus) وصماك (Samac) ومزوكا (Mazuca) وماكزيزيل (Maczezil) وديوس (Dius)، وكذا جيلدون (Gildo) وأختهم سيريا أوكيريا (Cyria) التي كانت ثرية ولعبت دوراً مهماً في ثورة أخيها فيرموس⁽⁴⁾.

يظهر من النصوص والوثائق التي تعود لأفراد هذه العائلة الملكية من توزيعها المتباعد في المقاطعة القيصرية شساعة الإقليم الذي كان تحت نفوذها، بالإضافة إلى انضواء العديد من القبائل تحت سلطتها⁽⁵⁾، يذكر فنطر (م.ح) أن فيرموس واستعدادا لمواجهة جيوش رومانوس جمع تعزيزات ومقاتلين من خمس عشرة قبيلة⁽⁶⁾، كقبيلة التيندانييس (Tyndenses) وقبيلة الماسينانسييس (Masinissenses)، وقبيلة المازيس (Mazices)، وقبيلة الإيسافلاس (Isaflenses) التي ذكرها أميان ماركولان⁽⁷⁾، وقبيلة آيت عبان (Abennae) التي تسكن السفوح الشمالية الغربية لمسيلة قرب شط الحضنة، والعديد من القبائل الأخرى⁽⁸⁾.

من تلك الوثائق نجد نقيشة روسغونيا (Rusguniae)⁽⁹⁾ السابقة الذكر، ونقيشة أخرى كانت معلقة على أحد قصور عائلة فيرموس بالقرب من ممر بني عائشة (Beni Aïcha)

(1) CIL, VIII. 9255

(2) Ammien Marcellin, XXIX.V.44.

(3) Yves Moredan, *Gildon les maures et l'Afrique*, M.E.F.R., 1989, n° 101,2, p, 828

(4) Laporte. J-P, Nubel, Sammac, Firmus... Op.cit. pp.982-985.

(5) ربيع عولمي، قبائل موريطانيا، ص 111.

(6) Decret. F et Fantar .M, Op.cit. p.335.

(7) Ammien Marcellin, XXIX, V. 40.

(8) محمد الهادي حارش، دراسات ونصوص، ص ص 61-64.

(9) CIL, VIII. 9255

بموقع يدعى الصومعة⁽¹⁾ شرقي مدينة الجزائر، يظهر من الموقع الإستراتيجي لهذا الحصن أنه كان مقرا لنوبل، وابنه فيرموس كما أنه كان مركز مراقبة هام⁽²⁾، حيث كان يحرس بعض الطرق المهمة بالنسبة للسلطة الرومانية القريبة من حصنه هذا⁽³⁾، ونقيشة ملاكو (M'lakou) التي تضمنت معلومات عن حصن هام يدعى بيترا (Petra) (ينظر الشكل رقم 2)، وهو موقع يحتضن أملاكًا عقارية لسماك على الجانب الأيمن من وادي الساحل (الصومام)⁽⁴⁾، الذي يبعد عن تيكلات بحوالي 25 كلم⁽⁵⁾، وصف أميان ماركولان الحصن بالاتساع بحجم بلدة وهو الآخر كان مركزًا للمراقبة⁽⁶⁾. شقيق آخر لفيرموس يدعى "مزوكا" يمتلك عقارات بعيدا في وادي شلف، وهو ما تظهره نقيشة عثر عليها بمليانة⁽⁷⁾، وهو المكان الذي هاجم من خلاله مدينة قيسرية عاصمة المقاطعة⁽⁸⁾. بالإضافة إلى نقيشة أخرى أخرى عثر عليها بوادي الشلف بموقع حصن تيغافا كاسترا (Tigava Castra) التي نصت على سيطرة ثورة فيرموس على المنطقة⁽⁹⁾.

يمكننا أن نستشف من هذه النقوش أن الإخوة نوبل لم يكونوا مجتمعين بمقر واحد، بل كانوا متفرقين على قصور وأملاك منتشرة في مناطق مختلفة من المقاطعة القيسرية، فصماك كان يقيم ببلاد الصومام بقصر مالاكو، ومزوكا أقام ببلاد الشلف أو ما جاورها، بينما احتل فيرموس موقعا وسطا بين أخويه وهو الصومعة⁽¹⁰⁾، فالعائلة سيطرت على منطقة واسعة من موريطانيا القيسرية، تبدأ من جبال البيان إلى نهر الشلف، وتحوز ضياعا

(1) CIL, VIII. 9011.

(2) Laporte. J-P, Nubel, Sammac, Firmus...Op.cit. pp.994-995.

(3) Gsell.St, Observations geographies..., Op.cit. pp.29-30.

(4) Camps. G, Firmus, Op.cit, p.2846.

(5) خديجة منصوري، الدوناتية وثورات، ص 246.

(6) Ammien Marcellin, XXIX.V.12.

(7) CIL, VIII. 9613.

(8) Camps.G, Firmus...Op.cit. p.2846.

(9) CIL, VIII. 10946.

(10) محمد البشير شنييتي، روما الإمبراطورية، ص 231.

شاسعة وتراقب منافذ وادي الصومام ويسر وأوزيا ووادي الشلف⁽¹⁾، ما اقتضى إقامة هؤلاء الأمراء بمناطق متباعدة للحفاظ على الأمن، وضمان ولاء القبائل المتواجدة بهذه المنطقة⁽²⁾، فلا يستبعد أن تكون روما قد كلفت العائلة بمراقبة المنطقة حتى تضمن سيطرتها على القبائل الثائرة المنتشرة بها⁽³⁾.

وجدير بالذكر أن بعض الأقاليم في المغرب القديم ظلت خارج حدود السيطرة الرومانية، ولكنها تدار بواسطة أمراء وقادة محليين مشكلة وحدات مستقلة نسبيا خاصة في الجبال، التي مثلت مصدر تهديد للوجود الروماني لذلك سعى هذا الأخير لربط تحالفات مع بعض زعماء القبائل بهدف الحفاظ على مصالحه من جهة، ومن جهة أخرى مراقبة تحركات تلك القبائل واتحاداتهم، عائلة نوبل كما أشرنا إليه كانت من بين العوائل التي استعان بها الرومان خلال القرن الرابع الميلادي فهي وجدت في المجال الجغرافي المستعصي الذي يتمتع بنوع من الإستقلالية⁽⁴⁾. وهنا نتساءل هل تمكنت روما بسياساتها هذه من بسط سيطرتها على المنطقة، ونجحت في القضاء على النزعة الإستقلالية للأهالي؟ ثم هل هذا التوافق بين الرومان وعائلة نوبل استمر أم أنه انتهى؟.

ذلك ما يظهر من تذبذب في مواقف أفرادها من الإدارة الرومانية، فبعضهم كان حليفا ومواليا للسلطات الرومانية والبعض الآخر معارضا لها، ثم سرعان ما يتحول المعارض إلى موالي والموالي إلى معارض، وهو ما بينته أحداث الثورة التي قادها فيرموس وجموع القبائل المورية التي تحالفت معه في حرب دامت أربع سنوات (372-375م)⁽⁵⁾، حيث ساند أخوه ماكزيزيل في الوقت الذي انضم جيلدون الأخ الثالث لصفوف الجيش الروماني وحارب أخاه،

⁽¹⁾ Decret. F et Fantar .M, Op.cit. p.334.

⁽²⁾ محمد البشير شنيقي، روما الإمبراطورية، ص232.

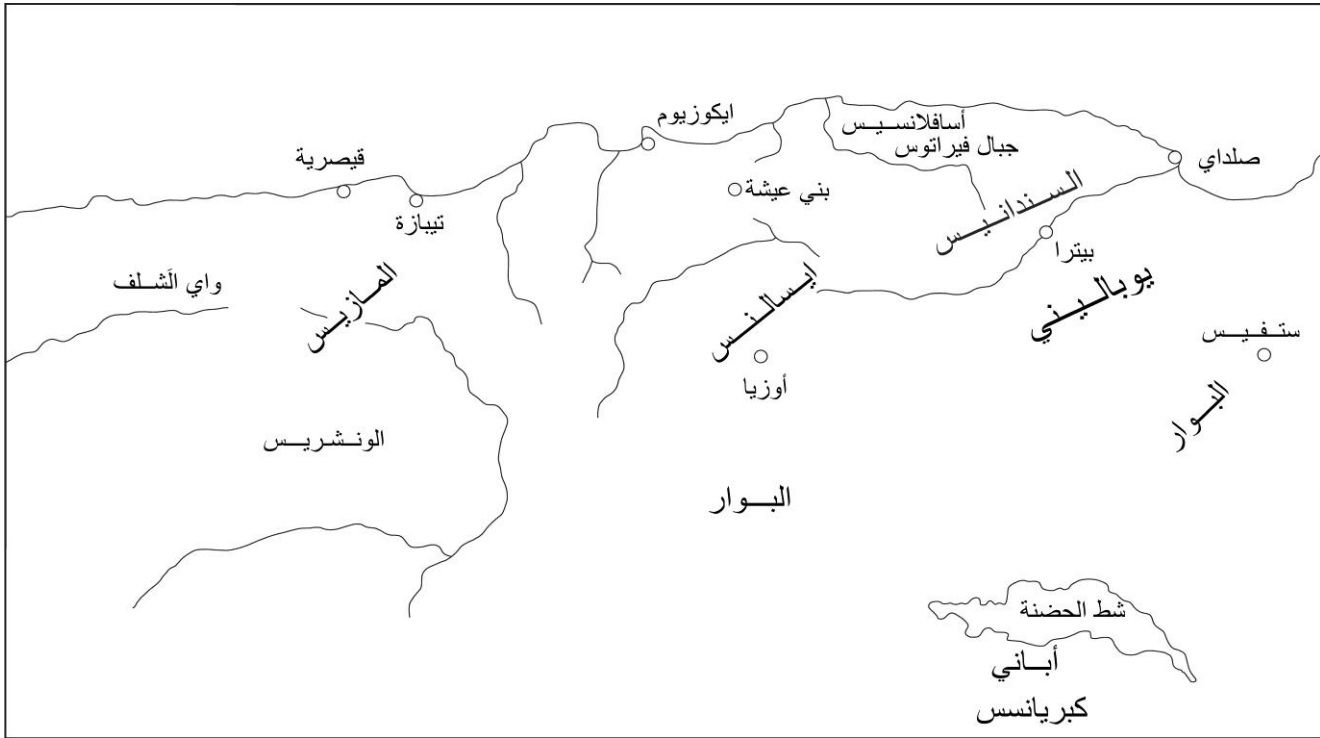
⁽³⁾ خديجة منصوري، الدوناتية وثورات، ص 251.

⁽⁴⁾ المرجع نفسه، ص 252.

⁽⁵⁾ سنتطرق لثورة فيرموس في الفصل الموالي.

ثم فيما بعد نجد تغييراً في المواقف بقيام جيلدون بثورة هو الآخر (394-398م) ضد السلطات الرومانية، التي استعانت بأخيه ماكزيزيل للقبض عليه⁽¹⁾.

وما يمكننا أن نخلص إليه أن الرومان اتبعوا سياسة مغايرة مع القبائل الثائرة بغية إخضاعها، وضمان السيطرة عليها بعد فشل سياسة القوة، فنجدها ومنذ العهد الإمبراطوري المتأخر لجأت لاتباع طرق دبلوماسية معها، بحيث سمحت لتلك القبائل بالاحتفاظ بنظامها القبلي القديم، مع تعيين السلطات الرومانية لحاكم تختاره بنفسها، توكل له مهمة الدفاع عن المصالح الرومانية بالمنطقة، فكان نوبل وعائلته من بين الشخصيات التي اسندت لها هذه الوظيفة، أين كلف بمراقبة المنطقة الواقعة بين وادي الصومام، ووادي الساحل ووادي يسر، بالإضافة إلى المنطقة الواقعة بين سور الغزلان ووادي الشلف⁽²⁾.



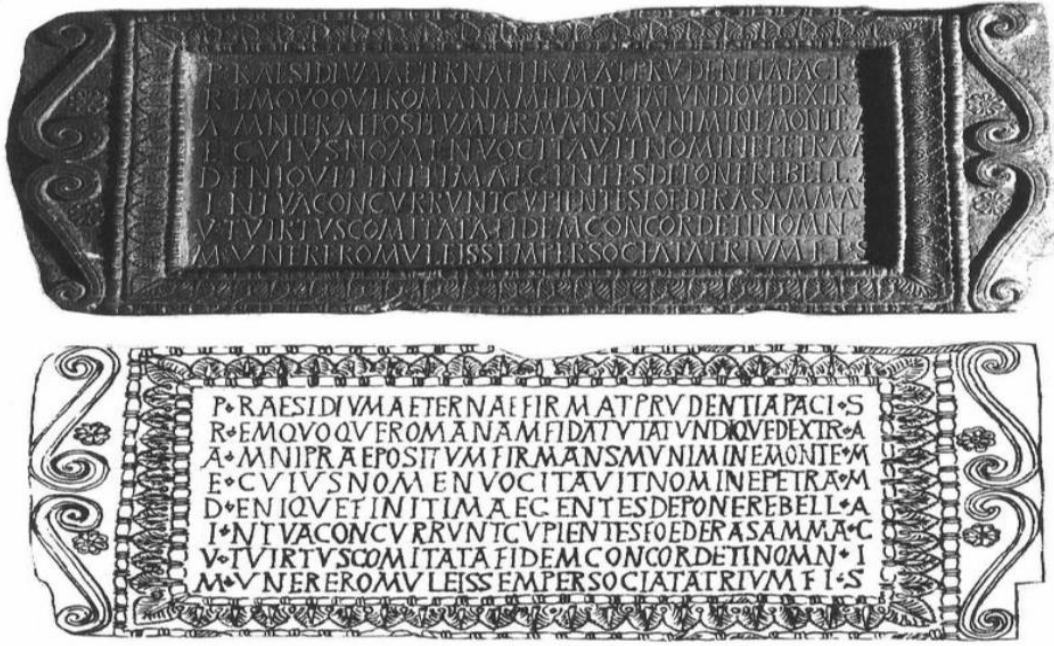
خريطة رقم 20: منطقة نفوذ نوبل وعائلته، الأسماء المكتوبة بخط مائل هي تلك الخاصة بالمواقع والقبائل التي

مارس عليها فيرموس وإخوته بعض السلطة، من إنجاز الطالبة نقلا عن:

Camps.G, Firmus...Op.cit. p.2846.

(1) خديجة منصوري، قبائل موريطانيا، ص 184.

(2) المرجع نفسه، ص 251.



الشكل رقم 2: نقش بريديوم (praedium/praesidium) سماسيس في بيترا
مالاكو (M'lakou). صورته وأعاد رسمه (J.-P. Laporte)، Laporte. J-P, Nubel, (J.-P. Laporte)،
Sammac, Firmus et les autres Une famille berbère dans l'Empire romain,
L'Africa romana, Atti del xix convegno di studio Sassari, 2010, p.1000

من خلال مقارنة ما جاء في النصوص الإيبغرافية يتضح بأن السياسة الرومانية السلمية مع القبائل المورية اتخذت سبيلين، الأول تمثل في سياسة إبرام معاهدات سلام بين شيوخ القبائل القوية، والسلطات الرومانية وهو ما وضحته نصوص فوليبيليس، أما السبيل الثاني فتمثل في منح المواطنة الرومانية لشيوخ القبائل، كل هذا لأجل كسب ولاء هؤلاء الشيوخ ومن بعد ذلك ولاء قبائلهم التابعة لسلطتهم.

3. منح المواطنة الرومانية:

منح المواطنة متعلق بسياسة الرومنة (Romanisation) والتي تعني منح الأفراد، والجماعات حقوق المواطنة الرومانية، وعرف (م.ب) شنيطي سياسة الرومنة بأنها تحويل الأنظمة الإدارية التي وجدوا عليها بلاد المغرب إلى أنظمة رومانية محضة⁽¹⁾، عن طريق إلغاء الرومان لكل مقومات الشعوب المهزومة التي ضمت إلى الإمبراطورية، منها شعوب

(1) محمد البشير شنيطي، سياسة الرومنة، ص 75.

بلاد المغرب القديم، وتعويضها بنظم رومانية سياسية إقتصادية وعسكرية وحضارية، وبمعنى أدق نقل الحضارة الرومانية إلى المقاطعات المستولى عليها⁽¹⁾.

من ذلك رومنة أفراد أو جماعات بمعنى منح المواطنة الرومانية الذي يقصد به من الناحية القانونية ربط الأفراد بالإمبراطورية، ونقصد بالمواطنة الرومانية (Jus Civitatis.Civitas) مجموع الحقوق والإمتيازات السياسية والاقتصادية، والإجتماعية التي تمنح للفرد الروماني، وبصفة تدريجية للآخرين مقابل شروط معينة⁽²⁾. وقضية المواطنة الرومانية في بلاد المغرب معقدة، فهي مربوطة بين سياسة توسيع رقعة البلديات جغرافيا، وبين سياسة الدمج والاستيعاب بمنح المواطنة للأهالي، ما يعني أن تاريخ إنشاء بلدة (Municipe) ما، أو إصدار قانون بمنح حق المستعمرة الرومانية (Colonia)⁽³⁾ لمدينة ما يعني أن سكان هذه المدينة أصبحوا يتمتعون بالمواطنة الرومانية رغم اختلاف أصولهم وأوضاعهم الإجتماعية⁽⁴⁾، الواقع أن من يتحصل على المواطنة هي نخب هذه البلدة⁽⁵⁾، بينما وإلى غاية إصدار الإمبراطور كركلا (Caracalla) (211-217م) دستوره سنة 212م، الذي يمنح حق المدينة لكل رعايا الإمبراطورية الأحرار وبالتالي أصبحوا مواطنين رومان⁽⁶⁾، كانت المواطنة بالنسبة للأهالي المغاربة أمرا يصعب التفكير فيه باستثناء بعض أمراء

(1) شافية شارن وآخرون، المرجع السابق، ص 103.

(2) Cossette.G, La romanisation de l'Afrique ! romaine à! travers la diffusion et l'évolution de la citoyenneté romaine, della République à Caracalla:les cas de Thugga et Lepcis Magna. de Maîtres en histoire. Université de Montréal. Département d'histoire.2012 pp.22-33.

(3) منذ بدايات القرن الثاني الميلادي سعت روما لتوسيع نظام البلديات فكانت مواني البيزاكينا وطرابلس (تريبوليتانيا) وحضرموت (هادروميث) ولبدة (لبتيس ماغنا) أول من نال ترقية كولنيالية درجة المدينة الرومانية، ثم في عهد الإمبراطور هادريان توسعت الإستفادة من القانون البلدي إلى المدن الرئيسية في نوميديا، وحتى القبائل نصف المرتحلة في التخوم الصحراوية مثل السينيثي (Chinitii) والنبنجي (Nybgenii) في السيرت ارتقى أعيانها من الرتب البلدية إلى سلك الفرسان. للمزيد ينظر: شارل جيلبار بيكار، المرجع السابق، ص 26.

(4) محمد البشير شنيثي، نوميديا وروما، ص 218.

(5) شارل جيلبار بيكار، المرجع السابق، ص 26.

(6) شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص 220؛ شارل جيلبار بيكار، المرجع السابق، ص 26.

وأعيان⁽¹⁾ القبائل التي منحت لهم مقابل شروط معقدة، وطويلة كالثقافة اللاتينية والثروة والولاء لروما⁽²⁾.

السلطات الرومانية تقطنت لأهمية استمالة القبائل المحلية في إطار سلام مصلي خدم الرومان دائما، حيث تعطينا موريطانيا الطنجية وثيقة أثرية نادرة الأهمية تبين الإجراءات القانونية التي يجب القيام بها من طالب المواطنة الرومانية قصد الحصول عليها⁽³⁾، حيث تعتبر لوحة بانازا أو باناسا (Tabula Banasa) التي عثر عليها بمدينة باناسا (سيدي بوجنون ضواحي الشمال الغربي للمغرب) سنة 1957م، وهي لوحة برونزية طولها 64 سم وعرضها 42,2 سم تحوي ثلاثة نصوص مختلفة⁽⁴⁾ (ينظر الملحق رقم 5)، نموذجًا لجانب من السياسة الرومانية لاحتواء القبائل الكبيرة من خلال سياسة الإغراء، ومنحها امتيازات كحق المواطنة بمختلف صيغها⁽⁵⁾، وتمنح لأعيان وأمراء القبائل، والوثيقة هذه تخص بعض أمراء قبيلة هامة وهي قبيلة الزغرنييس (Zagrenses) من قبائل موريطانيا الطنجية استقرت بالإقليم الممتد من جبال الأطلس إلى نهر تانسيفت⁽⁶⁾، والحاكم في موريطانيا الطنجية بين عامي 168-177م، وهو يسلط الضوء على بعض الجوانب السياسية كما يعطينا صورة تقريبية لتركيب الأسرة المغاربية⁽⁷⁾. وجاءت في النصوص الثلاث مايلي:

في النص الأول: رسالة من الإمبراطورين ماركوس أوريليوس (Marc Aurèle) وليكيوس فيروس (Lucius Verus) موجهة إلى حاكم الطنجية كويديوس ماكسيموس

(1) محمد البشير شنيقي، نوميديا وروما، ص 218.

(2) للإطلاع على إجراءات الحصول على المواطنة الرومانية ينظر: رستوفتزف م، تاريخ الامبراطورية الرومانية الاجتماعي والاقتصادي، ترجمة ومراجعة: زكي علي، محمد سليم سالم، منشورات مكتبة النهضة المصرية، 1962، ص ص 495-498.

(3) Cossette.G, Op.cit.pp137-142.

(4) Seston. W, Euzennat. M. Un dossier de la chancellerie romaine : La Tabula Banasitana. Étude de diplomatique In: Comptes rendus des séances de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres, 115^e année, N. 3, persee. 1971. p. 469.

(5) شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص 221.

(6) Desanges. J, Op.cit, p.40.

(7) Shaw, B. D, Op.cit, pp. 74-75.

(Coiiadius Aurelius) مؤرخة بنهاية العقد السابع من القرن الثاني الميلادي 168-169م⁽¹⁾، وتمنح هذه الرسالة حق المواطنة الرومانية لأحد أعيان قبيلة الزغرنايس وهو المدعو جوليان (Aurelius Iulianus, prihceps dæ Zegenses) ولزوجته زيدوتينا (Zidotina) ولأبنائهما⁽²⁾.

النص الثاني: رسالة من الأمبراطورين ماركوس أوريليوس وكومودوس إلى الحاكم فاليريوس مكسميانوس (Valius Maximianu) يؤرخ لها بـ 177م، يوافقان فيها على طلب أوريليوي يوليانوس أمير قبيلة الزغرنايس، بمنح حق المواطنة الرومانية لزوجته أوريليوس يوليانوس⁽³⁾. أما النص الثالث والأخير فهو عبارة عن نسخة من القرار الإمبراطوري الذي منح بموجبه حق المواطنة الرومانية لفاكورا (Faggura) زوجة أوريليوس يوليانوس وأبنائهما، يضم إثنا عشر إمضاء⁽⁴⁾. ومن القبائل التي خضعت للرومان أيضا نجد قبيلة البنيوبي (Baniubae) التي تجاور قبيلة الزغرنايس من الناحية الجنوبية⁽⁵⁾.

يظهر من نصوص هذه الوثيقة أن المواطنة الرومانية منحت لبعض العناصر البارزة من أعيان القبائل الذين حققوا مكسبا سياسيا للرومان، من خلال كسب ولاء تلك القبيلة التي كانت تشكل خطرا عليهم، وهدف روما بهذه السياسة إلى عزل القبائل الثائرة خلال القرن الثاني، لأنهم عانوا من نقص في قواتهم العسكرية لشساعة الإمبراطورية⁽⁶⁾. وسعت السلطات الرومانية بمنحها المواطنة الرومانية لشيوخ القبائل، وأمرائهم وأعيانهم أي رومنتهم لإيجاد أشخاص موالين لها ويصبحون رسل روما الأوفياء بين قومهم، ودعاة حضارتها في مجتمعاتهم مع تمسكهم بحقوقهم، وواجباتهم داخل العشائر التي ينتمون إليها⁽⁷⁾، وهو شكل من أشكال ضرب النظام القبلي المحلي الذي اعتمده الرومان بالمنطقة. تظهر وثيقة بانسا أن

(1) Bénabou. M, Op.cit, p.466.

(2) Seston. W, Euzennat. M, Op.cit, pp.478-479.

(3) Ibid.p. 479.

(4) Ibid.p. 480.

(5) Rebuffat.R, Les Baniurac, Melanges offert A Roget Dion, paris, 1974, pp.452-463.

(6) Seston. W, Euzennat. M, Op.cit. p. 479.

(7) محمد البشير شنيقي، نوميديا وروما الإمبراطورية، ص 221.

المنتفع بالمواطنة الرومانية لا يحق له التخلي عن اسمه العرقي القبلي، فهو يحتفظ باسم القبيلة مع ألقابه الجديدة⁽¹⁾.

وقبائل موريطانيا الطنجية ليست فقط من سعت السلطات الرومانية لاستمالتها بأساليب سلمية ودبلوماسية، عن طريق منح المواطنة الرومانية التي بينت وثيقة باناسا أن الراغب في الحصول عليها من كبار الشأن في القبيلة يطلبها من السلطات الرومانية، أو يحصل عليها بالانخراط في الجندية عن طريق صفوف الفرق المساعدة فبعد تسريح الجندي يتم تشريفه بمنحه المواطنة الرومانية⁽²⁾، ويظهر بأن الكثير من الجيتوليين حصلوا على المواطنة الرومانية مع احتفاظهم بهويتهم الإفريقية، فظلوا يحملون أسماء محلية مثل جايتولوس (Gaetulus) وجايتوكليوس (Gaetulicus) بالمناطق التي تم توطينهم بها جنوبي البروقنصلية، وفي إقليم نوميديا كأמידرا (حميدة) وتالة وبسيرتا ولامبيز (تازولت) وحتى في موريطانيا القيصرية⁽³⁾، أين احتفظت لنا الوثائق الأثرية اللاتينية بنماذج لأسماء أفراد جيتوليين خدموا في الجيش الروماني، أو كانت لهم علاقة بالسلطة والإدارة الرومانية⁽⁴⁾.

تعود الرومان على انخراط السكان المحليين في الجيوش الرومانية منذ عهد ماريوس، ثم بعده يوليوس قيصر، غير أن ما يهمنا هو انخراط بعض القبائل في الجيش الروماني على غرار الجيتول، وقبائل الموزولامي التي واجهت مع بداية القرن الأول الميلادي (17-24م) مقاومة للرومان دفاعا عن مجالها الحيوي، وتمسكا بنمط عيشها التقليدي⁽⁵⁾، فالرومان أخذوا يتوغلون في الحدود الرومانية جنوبا بضم معظم أراضي القبيلة، وحدد للموزولامي منطقة لتوطينهم بها ضبطت حدوده خلال فترة حكم تراجان، بينما أفراد هذه القبيلة ألحقوا بتشكيلات الفرق العسكرية المساعدة (Auxilia) وكتبت أسماءهم بالحروف اللاتينية⁽⁶⁾، أين

(1) Seston. W, Euzennat. M, Op.cit, p. 479.

(2) Shaw, B. D, Op.cit, p. 76.

(3) Lassère.J.M. Vbique Populus...Op.cit, p. 358.

(4) مقدم بنت النبي، السياسة الرومانية، ص192.

(5) Lassère.J.M, Un conflit « routier : observations sur les causes de la guerre de Tacfarinas », AA, T. 18 (n°1),1982, pp. 11-25.

(6) Desanges. J, Catalogue ..., Op.cit, p.119.

شكلوا في عهد الأباطرة الفلافيين الكتيبة الأولى الفلافية للجند الموزولاميين (Cohors I flavia Musulamiorum)⁽¹⁾، حيث عين على رأسها الحاكم كالبورينوس فباتيوس (Calpurnius Fabatus)⁽²⁾، التي يشير لها الدبلوم العسكري لعام 107م بين قوات موريطانيا القيصرية، والاسم فلافيا (flavia) يظهر أن هذه الكتيبة تشكلت تحت حكم فيسباسيان أو أحد أبنائه⁽³⁾، كما تظهر نقيشة⁽⁴⁾ من القرن الثاني أو القرن الثالث الميلادي كتيبة الموزولامي بالقيصرية (Cohors Musulam)⁽⁵⁾.

وتوجد أيضا مجموعات قبلية عرقية أخرى كونت الوحدات المساعدة الرومانية مثل الأفري والمور والنوميديين، وهي فرق انتشرت في المقاطعات الرومانية بالمغرب فكانت بكثرة في البروقنصلية وأقل في نوميديا والقيصرية⁽⁶⁾، إلا أنه بموريطانيا الطنجية لم تسجل النصوص إشارة لوجود مثل هذه الوحدات العرقية⁽⁷⁾، وهذه الفرق بجنده الأفارقة إزداد عددها بداية من النصف الثاني من القرن الثاني وخلال القرن الثالث⁽⁸⁾. وكان تجنيد الأفارقة بخلفية سياسية وببعد اجتماعي، حيث تضمن التقارب والمهادنة بين السلطة الرومانية الممثلة في الإدارة الرومانية والقبائل المحلية بهدف تجنب خطرهما، وامتصاص غضبها بمجموعة من الإجراءات كالإتفاقيات، وتعيين ضباط وإداريين عسكريين محليين كرؤساء قبائل⁽⁹⁾.

وقام الرومان بتوطين أولئك العناصر المحلية المجندين بالمناطق الحدودية، ووزعت عليهم الأراضي الزراعية، وأدرج أبنائهم في صفوف الجيش، وخطة الدفاع المحلي على الحدود الجنوبية الرومانية قامت على هؤلاء الذين أطلق عليهم اسم الليميتاني

(1) Gsell.St, AAA.F.18 n°519 .

(2) Bénabou. M, Op.cit, p.569.

(3) Gsell.St, AAA.F.18 n°519 .

(4) CIL.VIII.4879.

(5) Gsell.St, AAA.F.18 n°519 .

(6) Lassère.J.M, Vbique Populus..., Op.cit, p. 642.

(7) Shaw, B. D, Op.cit, p. 76.

(8) Lassère.J.M, Vbique Populus..., Op.cit, p. 642.

(9) خالد محفوظ، واقع الأفارقة في الجيش الروماني خلال العهد الإمبراطوري الثاني (235م-476م) " تأملات في المكانة

والأدوار"، مجلة الدراسات التاريخية العسكرية، مج3، عدد2، 2021، ص4.

(Limitanei)⁽¹⁾ أو المزارعين الجنود، وتعني باللاتينية قوات حدود نظامية⁽²⁾. وهو ما خلف استقرار عدد كبير من القبائل الموالية للرومان بمناطق الحدود بالقرب من الحصون والمراكز العسكرية الرومانية، عملت السلطات الرومانية على رومنتها بعقد بعض الإتفاقيات مع زعمائها، بالإضافة إلى منحهم بعض الرتب العسكرية، والألقاب التشريفية⁽³⁾. وحصلت نخب المدن الكبرى على المواطنة الرومانية، ومع ذلك لم يفقدوا شعور الانتماء المحلي، فنجد شخصيات كبيرة من عهد الأنطونيين مترومنة تماما لكنها استمرت بالتباهي بانتماءاتها القبلية الإفريقية، من ذلك فرننون السيرتي (Marcus Fronton Cornelius) (95-166م) معلم الإمبراطورين ماركوس أورليوس ولوكيوس فيروس ابني أنطونان التقي (Antonin le pieux) الذي يفخر بأصوله الليبية من خلال قوله في الرسائل الإغريقية بأنه: "ليبي من بين الليبيين النوميدي (Libyen d'entre les libyens numides) (Epistulae Graecae.I.5)⁽⁴⁾، ومثله كذلك أبوليوس (Lucius Apuleius) (125-170م) الذي كان يعتز بموطنه يقول عن نفسه أهلي النوميدي أهلي

(1) الليميتاني (Limitanei) المزارعون الجنود: لجأت روما بعدما عجزت الأجهزة الدفاعية التي وضعتها من وضع حد لخطر الأهالي إلى تدعيم جيوشها النظامية بعدد من المدافعين عن الحدود الجنوبية، وهم فلاحون استفادوا من أراض لاستغلالها مقابل الدفاع عن حدود الامبراطورية، بالإضافة إلى لاستغلال الأرض المصادرة أو المستصلحة، كما أوكلت لهم مهمة انجاز المشاريع الكبرى كأعمال الري، اختلفت الآراء حول تاريخ ظهور هذا التنظيم، فهناك من يرجعه إلى عهد الإمبراطور ألكسندر سيفيروس، بينما يرى البعض الآخر أنه يعود إلى ما قبل ذلك في مقاطعتي نوميديا وموريطانيا بسبب الظروف الطبيعية السائدة جنوبهما ولأجل التحكم فيها لجأ الرومان على توطين معمرين في أراضي مستصلحة يتولون الدفاع عنها عند الضرورة، تطور هذا الجهاز الدفاعي في عهد الإمبراطور ديوقليانوس، حيث أصبح يشبه في تنظيمه الجيش النظامي مع إختلاف في العناصر المكونة له، وتم توزيع أفرادها على القطاعات الواجب الدفاع عنها تحت إمرة ضابط الحدود (Praepositus Limitum)، وقد حقق هذا الجهاز الأهداف التي أقيم من أجلها. للمزيد ينظر: محمد الحبيب بشاري، دراسات تاريخية، ص ص 109-112.

(2) شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص 192.

(3) السيد محمد عمار علي، المرجع السابق، ص 33.

(4) شارل جيلبار بيكار، المرجع السابق، 110.

الجيتول⁽¹⁾، ومثله كذلك ترتليان، والإمبراطور سبتيموس سيفيروس⁽²⁾، كما ذكر مينكيوس فليكس في أكثر من موقع من مؤلفاته بلاد المغرب وماضيها وآلهتها⁽³⁾.

يفهم من بعض المصادر أن هذه القبائل تعاملت مع السلطات الرومانية مرغبة في كثير الأحيان، هذا ما يتضح من خلال وجود تجمعات سكانية لقبائل محلية داخل أقاليم احتلها الرومان، لكنها بقيت مستقلة ذاتيا عن الإدارة الرومانية مثلما هو الحال مع قبيلة سبيل (Sabal)⁽⁴⁾، وكذا قبيلة المازيس (Mazice) التي خضعت لاحتلال نسبي، وتعاملت الإدارة الرومانية معها بحذر لكنها التحقت بثورة فيرموس 372م، ويظهر هذا الحذر في التعامل أيضا مع قبائل الزميز (Zimizes)، وهي فرع من قبائل الموزولامي، استقرت بجبال البابور، وقد حددت السلطات الرومانية مناطق نفوذها. هذه السياسة الرومانية مع القبائل هدفت إلى الحد من تحركاتها ودفعها للاستقرار، كما سعت للفصل بين القبائل المحلية وتشيتها⁽⁵⁾.

وما يمكننا قوله في ختام عنصرنا هذا أن الرومان اعتمدوا هذه السياسة القائمة على " فرق تسد" بين مختلف القبائل المحلية، فالاتفاقات المبرمة بين الطرف الروماني، وزعماء القبائل المورية، يمكن قراءتها من زاويتين الأولى بينت الاعتراف الصريح للسلطات الرومانية بهذه القبائل، والثانية كانت بغية عزل هذه القبائل عن تلك الثائرة في موريطانيا القيصرية (44-280م) والتفرغ للقضاء عليها⁽⁶⁾.

كما لجأت السلطات الرومانية إلى مهادنة القبائل القوية، والحفاظ على علاقات سلمية معها، وذلك دون استخدام (إمكانات كبيرة باستثناء الوسائل السياسية، والدبلوماسية وبالطبع

(1) Apulée.L, Apologie.XXV.3;33، لوكيوس أبوليوس، المرافعة، تر: عمار الجلاصي، ص 33.

(2) شارل جيلبار بيكار، المرجع السابق، 110.

(3) محمد الحبيب بشاري، الحياة الأدبية الرومانية ومساهمة الأفارقة في إنعاشها، مجلة عصور، ع20، جامعة وهران، الجزائر، جانفي-جوان 2013، 42.

(4) محمد البشير شنييتي، الجزائر في ظل الاحتلال، ص 61.

(5) خالد محفوظ، مقاومة القبائل المورية، ص 203.

(6) المرجع نفسه، ص 202.

الدسائس والمال)، باستمالة شيوخ القبائل ورومنتهم الأمر الذي يعتبر بالنسبة للسلطات الرومانية مصدراً للمعلومات لمعرفة ما يجري وما يتهاى داخل القبائل⁽¹⁾، كما أن منح المواطنة الرومانية إما عن طريق طلبها من السلطات الرومانية، أو بالانخراط في باب الجندي يعد مظهرًا من مظاهر ضرب النظام القبلي الذي لجأت إليه السلطات الرومانية.

وكنتيجة خالصنا إليها بعد استعراضنا مختلف عناصر فصلنا هذا، أن الرومان ومنذ وطأت أقدامهم أرض المغرب القديم تبنا سياسة توسعية، سعوا من خلالها وبكل الطرق لتثبيت وجودهم، وذلك لن يتأتى لهم إلا عن طريق التخلص من جموع القبائل الأهلية، المالكين الأصليين للأراضي الخصبة والمتوزعين في كل بقاع المغرب؛ فعمد الرومان إلى عديد الإجراءات والسياسات لتمكينه من فرض، وبسط سيطرته على البلاد والعباد، ولعل أهمها تلك الموجهة خصوصا للقبائل بغية إضعافها، والحد من حركيتها وحريتها ومراقبتها، فكان من السياسات الرومانية حصار القبائل إقتصاديا وعسكريا، وسياسيا وإداريا. بالاستيلاء على أراضيها، وتحديد حدود مواطن عديد القبائل، وحتى طردها خارج مواطن استقرارها الأصلية، بالإضافة إلى ضرب حصار عسكري عن طريق خطوط الليمس التي كانت تتقدم بالاحتلال الروماني في عمق أراضي المغرب القديم، التي وقفت كحاجز حد من تحركات القبائل البدوية، وراقبت عن كثب مختلف القبائل الجبلية الثائرة المعتصمة بالجبال.

السلطات الرومانية ولضمان أمنها واستقرارها بالمنطقة تبنت إجراءات أخرى سياسية وإدارية، أين ربطتها علاقات تحالف مع زعماء قبائل محلية، باستمالتها في إطار سلام مصلحي خدم الرومان دائما، لاحتوائها بترغيبها في امتيازات تمنحها لها كحق المواطنة، أو منحها أراضي، وعقد إتفاقيات مقابل اعتراف الرومان بسلطتها. زيادة على ذلك ومواصلة لسياسة الضغط على القبائل اتخذت الإدارة الرومانية إجراءً سياسيا، سعت من خلاله إلى شل تحركات القبائل وإخضاعها لمراقبة صارمة ذلك، أنها عينت على رأس القبائل الرافضة للسيطرة الرومانية قائدا يحمل اسم (Praefecti Gentis). وهي إجراءات هدف من خلالها

(1) مصطفى الأعشي، العلاقات السياسية والعسكرية بين موريطانيا الطنجية والرومان ما بين (140-285)، مجلة كلية الأداب، 1980، ص 67.

الرومان لإحكام سيطرتهم على كل مقاطعات المغرب القديم، وهدفها الأول هو الحد من تحركات القبائل المحلية التي أزعجتهم.

ونتيجة لهذه الإجراءات وخاصة عمليات الاستيطان الكبيرة، وطرد السكان المحليين من أراضيهم الزراعية والرعوية ومصادر قوتهم اليومي، حدث تدمير بين السكان الذين ضاقوا ذرعا بأساليب الاحتلال، مما أدى إلى قيام العديد من الثورات التي كادت أحيانا أن تعصف بالاحتلال الروماني في المنطقة، والتي كان من نتائجها إضعاف القدرات العسكرية الرومانية، وكذلك خلخلة النظام الإقتصادي في روما.

الفصل الخامس

أثر تحركات القبائل المحلية على بلاد المغرب القديم في ظل

الاحتلال الروماني

أولاً: القبائل المحلية في مواجهة السياسة الرومانية

ثانياً: التأثيرات الاجتماعية

ثالثاً: أثر تحركات القبائل المحلية على البيئة في المغرب القديم

رابعاً: انحطاط الامبراطورية الرومانية وظهور إمارات مورية محلية خلال القرن

الخامس ميلادي

حاول الرومان تكريس الاحتلال والسيادة على شعوب وقبائل بلاد المغرب القديم، لذلك لجأ إلى مجموعة من الإجراءات السياسية، والعسكرية والاقتصادية والإدارية، والتي كان من نتائجها دفع الاحتلال الروماني نحو الأقاليم الداخلية وصولاً إلى مشارف الصحراء عبر مراحل، وهي إجراءات هدفت لمراقبة وتوجيه تحركات وتنقلات، ونشاطات جموع القبائل المحلية.

إلا أن تلك الإجراءات كان لها الأثر العكسي على الرومان، من ذلك الاتساع في مجالات تحركات القبائل غير الخاضعة للرومان التي أخذت تضغط على الحدود الرومانية من الخارج، وحتى القبائل من داخل الحدود الرومانية، في محاولة لاسترجاع ما سلب منها، مبينة العلاقة الوطيدة بين السكان المحليين والأرض، وهو ما ساهم في بروز مقاومة للاحتلال الروماني، التي ربطت بالعامل البشري وقدرة السكان المحليين على تغيير الأحداث.

كانت هذه المقاومات والثورات متتالية ومتسلسلة، وقد وضحت تلك المحاولات المستمرة للاستقلال ورفض الاحتلال، كما أن أبرز ما بينته المقاومات هي اتساع نطاق الثورات جغرافياً، التي وضحت قدرة القبائل المحلية على التحرك والتنقل عبر أقاليم المغرب القديم على اتساعها شمالاً وجنوباً، شرقاً وغرباً، ولنا في قبائل الموزولامي، والجيتول، والبوار، والبقواط خير مثال. كما كان لتحركات القبائل القادمة من الجنوب أواخر العهد الروماني، ساهمت وبشكل كبير في تراجع السيطرة الرومانية وانكماشها نحو الشمال.

أولاً: القبائل المحلية في مواجهة السياسة الرومانية

عرف المغرب القديم مقاومات عديدة لم تنقطع منذ أن وُطئت أقدام الاحتلال الروماني أراضيّه، سعياً لاسترجاع الخيرات التي سلبها، ووقوفاً في وجه التحصينات التي منعت السكان المحليين من ممارسة الحياة التي اعتادوها قبل الاحتلال الروماني، كما سعوا للوقوف ضد سياسة الرومنة، مقاومة تزعمتها قبائل محلية وإن اختلفت أنماط معيشتها فإن نظرتها الموحدة للأجنبي جعلتها تتور لصدّه، فمزارعون أو رحل، رعاة أو جيليون - كل منهم ثار لاسترداد ولو جزء من حقه، وما يلفت انتباهنا هو اشتداد هذه الثورات خلال القرن الثالث الميلادي وكان ذلك متزامناً وأصعب فترات الإمبراطورية الرومانية، أين زادت المحاولات

الفصل الخامس أثر تحركات القبائل المحلية على بلاد المغرب القديم في ظل الاحتلال الروماني

الإنفصالية التي تزعمتها بعض المقاطعات، واشتدت الهجمات التي كان يشنها الفرس والجرمان والقوط على حدود الإمبراطورية، بالإضافة إلى ذلك الصراع بين قادة الجيش وظهور الثورات في هذه الفترة بالذات إن دل على شيء فإنما يدل على ضعف وفشل سلطات الاحتلال الروماني في فرض سيطرتها المطلقة على المغرب القديم بالإضافة إلى فشلها في كسب ولاء سكانه، الذين كانوا يتربصون الفرصة لإعلان ثورتهم والتعبير عن سخطهم على النظام الروماني ورغبتهم في التخلص منه.

في مبحثنا هذا سنكتفي بعرض بعض من نماذج الثورات الشعبية التي قادتها مجموعة من التكتلات القبلية، سعيا منها للوقوف في وجه الاحتلال الروماني وتطبيق سياسة الرومنة التي سلكها الأباطرة الرومان، ومست القبائل المحلية على الخصوص، وتبدأ تقريبا منذ اعتلاء يوبا الثاني عرش المملكة الموريطانية عام 25 ق.م. والجدول التالي يوضح مجموع الثورات التي عرفتها مقاطعات المغرب القديم من القرن الأول قبل الميلاد إلى القرن الرابع ميلادي:

التاريخ	الإمبراطور	القبائل الثائرة	مواقع الثورات
20-6 ق.م	أغسطس	الجيتول، الغرامنت، المور	جنوب تونس، فزان، منطقة خميسة، وتالة، موريطانيا
17-24م	تيبيريوس	الموزولامي، الكنيثي، المور	الأوراس، السيرت الصغرى وجنوب قسنطينة
40-45م	كلوديوس نيرون	المور، النوميدي، الموزولامي	جبال الأطلس الغربية وجنوب نويميدا
68-75م	غالبا وفسباسيانوس	الغرامنت	طرابلس، وموريطانيا
80-86م	دومسيانوس	النسامون، والمور	السيرت الكبرى وموريطانيا
98-117م	تراجان	الموريون الغربيون	موريطانيا الطنجية
118-122م	هادريان	الموريون والبقواط	موريطانيا القيصرية والطنجية
144-152م	أنطونيوس التقي	قبائل المور (الأوتول)	موريطانيا الطنجية
174م	مارك أنطونيوس	المور والبقواط	موريطانيا القيصرية
188م	كومودوس	المور	موريطانيا القيصرية
209-211م	سبتموس سيفيروس	المور، البقواط، وقبائل غير محددة	طرابلس، جبال الأطلس بموريطانيا

الفصل الخامس أثر تحركات القبائل المحلية على بلاد المغرب القديم في ظل الاحتلال الروماني

الطنجية والقيصرية، نوميديا			
سطيف، موريطانيا الطنجية	البوار، الحلف الخماسي	ألكسندر سيفيروس	227-226م
البابور وجرجرة	البوار، الحلف الخماسي، الفراكسناس	غاليان	262-253م
كل المغرب القديم	البوار، الحلف الخماسي	ديوقليانوس	298-289م
موريطانيا السطايفية، والقيصرية	حوالي 13 قبيلة مورية، الدوناتيين	375-372م	ثورة فيرموس
كل المغرب القديم	المور، النوميدي، الغرامنت، الجيتول، النسامون، والنوبيين ⁽¹⁾	398م	ثورة جيلدون

الجدول رقم 5: جدول ثورات القبائل الأهلية، شافية شارن وآخرون، المرجع السابق، ص91.

1. انتفاضة قبائل الغرامنت والجيتول 22-21 ق.م:

يذكر ديون كاسيوس أن قبائل الجيتول قد سخطوا على الملك يوبا الثاني ورفضوا السيطرة الرومانية فتمردوا عليه⁽²⁾، بعد ثلاث سنوات من تنصيبه، غير أن الإشارات المقتضبة في النصوص الأدبية لا تورد الكثير عن هذه الانتفاضة إلا أسماء بعض القادة الرومان المنتصرين، مثل البروقنصل ل.سميرونيس أترانتيس (L.Sempronius Atratinus)، والي مقاطعة أفريقيا البروقنصلية الذي كان في الوقت نفسه قائدا للفيلق الثالث الأغسطي المعسكر بقرطاجة والمكلف بحماية الإقليم، الذي يبدو أنه شن حملة عسكرية بعد أن أوكل له أغسطس (Augustus) مهمة القضاء على القبائل المنتفضة جنوبي مقاطعة أفريقيا وبمنطقة الأوراس الغربية المحاذية لمملكة موريطانيا ، حيث كان الجيتول وعديد القبائل المنضمة إليهم يقاتلون بقوة دفاعا عن موطنهم ورفضاً لحكم الملك

⁽¹⁾ وتعداد القبائل المنظم إلى جيلدون ذكرها الشاعر الروماني كلوديان لتضخيم جيشه، كل ذلك بهدف الرفع من شأن القائد

ستيلكون وإعطاء انتصاره وزنا كبيرا. للمزيد ينظر: Claudian, Eloge de Stilicon, I.254/ 259-263

⁽²⁾ Dion Cassius.LV.28.

الموريطناني يوبا الثاني (Juba II)، وكان ذلك سنة 22 ق.م أين حقق هذا القائد بعض الانتصارات المؤقتة⁽¹⁾.

والانتصارات هذه لم توقف حركة المقاومة التي يظهر أنها توسعت أكثر سنة 21 ق.م لتشمل قبائل الجيتول وتشهد انضمام قبائل الغرامنت الصحراوية، كل ذلك لمواجهة الخطر الروماني بعد احتلال الجنوب النوميدي والموريطناني⁽²⁾، فكلف الرومان البروقنصل لوكيوس كورنيليوس بالبوس (L.Cornelilus Balbous) لقيادة حملة⁽³⁾ عسكرية في سنة 19 ق.م لمواجهة المقاومين بعمق الصحراء الكبرى نحو جرمة عاصمة الغرامنتيين⁽⁴⁾، المتعاونين مع قبائل الجيتول الثائرة⁽⁵⁾، وقد نقل لنا بلين وبشيء من المبالغة أخبار هذه الحملة، حيث اعتبرها فتحا كبيرا حققه الرومان في تلك المنطقة المقفرة⁽⁶⁾، وهو العمل العسكري الذي يحتمل أنه شارك فيه جيش آخر بقيادة بروقنصل برقة المدعو سولبيكيوس كورينيوس (P.Sulpicius Quirinius)⁽⁷⁾، ووثق النصر الذي حققته الحملة على قوس الإمبراطور أغسطس في روما⁽⁸⁾. يصعب تتبع طريق حملة بالبوس لأن بلين لم يقدم معلومات دقيقة وكافية، وذلك راجع ربما لفهمه الخاطئ لجغرافية المكان، أو لصعوبة نطق أسماء تلك المدن والقبائل التي ذكرها⁽⁹⁾.

(1) Bénabou.M. Op.cit. pp.57-59.

(2) عبد العزيز أكير، تاريخ المغرب القديم من مجيء الملك يوبا الثاني إلى مجيء الاسلام، ص35.

(3) للمزيد عن حملة كورنيليوس بالبوس ينظر: نجلاء عبد الله الصدام الأحوال الحضارية، ص ص 56-60.

(4) محمد سليمان أيوب، جرمة من تاريخ الحضارة الليبية، ط1، دار المصراطي للطباعة والنشر، طرابلس-ليبيا، 1969، ص140.

(5) Elmayer, A.F, Op, cit P. 52.

(6) Plin l'ancien, V, 1-40 ; Cagnat.R, Op.cit, p.4.

(7) محمد البشير شنيقي، روما الإمبراطورية، ص16.

(8) تشارلز داينلز، أعمال الحفر والتنقيب في مواقع الجرامانت، تر: مصطفى عبد الله، مجلة آثار العرب، ع2، مارس 1991، ص36.

(9) Elmayer, A.F, Op, cit P. 53.

يظهر أن الكتاب الرومان قد امتدحوا هذه الحملة وما حققته من نتائج، فهذا بلين يشيد بالحملة وبقيادتها، وما يهمنها فيما أورده هو أسماء المدن، والشعوب التي صادفها بالبوس في حملته، وقال بأن هذا القائد تغلب عليها⁽¹⁾، ورغم صعوبة التحقق من أسماء القبائل والمناطق المذكورة بسبب عدم وجودها في مصدر آخر نقارنها به، إلا أننا نذكر وبالترتيب قائمة أسماء القبائل التي جاءت في نص بلين⁽²⁾، وهي قبيلة نيترس، شعب تبوديوم، قبيلة أنيني، قبيلة فسيرة، قبيلة تامباجي⁽³⁾، بالإضافة إلى قبائل الجيتول التي يوردها تحت اسم ننتشروم⁽⁴⁾.

يبدو أن حملة بالبوس ضد الغرامنت كانت حملة صغيرة محدودة النتائج حتى وإن حقق الرومان بعضا من أهدافهم بغزو الصحراء، فصحیح أن الحرب بين الرومان والغرامنت بدأت سنة 19ق.م بحملة بالبوس إلا أنها استمرت حتى عهد فاسباسيان (Vespasianus) (69-79م) رغم فترات الهدوء التي شهدتها المنطقة⁽⁵⁾.

2. مقاومة قبائل الجيتول (3-6 م):

تجددت المقاومة في بداية القرن الأول الميلادي، حيث كانت البداية في السنة الثالثة ميلادية وتنتهي في سنة السادسة ميلادية، وقد سجلت المصادر انتفاضة أخرى قادتها مجموعة قبائل تمثلت في الموزولامي النوميديين، والمور، والجيتول المجاورين للسيرت كما جاء في نص فلوروس (Florus)⁽⁶⁾، الجيتول الذين يتحركون في المناطق الجنوبية لتونس الحالية⁽⁷⁾، الرافضون للخضوع للرومان والغازبون من يوبا الثاني، فخربوا الأراضي

(1) Pline l'ancien, V.36.37.38.

(2) نجلاء عبد الله الزدام، المرجع السابق، ص58.

(3) Pline l'ancien, V.5.56.

(4) Elmayer, A.F, Op, cit P. 53.

(5) محمد سليمان أيوب، المرجع السابق، ص141.

(6) Florus, II.31.

(7) ستيفن غزال، تاريخ إفريقيا الشمالية، ج8، ص197.

المجاورة، وقتلوا عددا مهما من القادة الرومان الذين واجهوهم، وتزايدت قوتهم على حد قول ديون كاسيوس⁽¹⁾، وهي إشارة وإن كانت مقتضبة دلت على رفض سكان موريطانيا للاحتلال المقنع الذي مثله يوبا الثاني الذي عمل كمثل عن السلطة الرومانية بالمنطقة، والوقوف في وجه تغلغل النفوذ الروماني بالمناطق الداخلية.

امتدت مقاومة الجيتول في المنطقة من موريطانيا نحو الشرق والجنوب الشرقي، أين بين نص ديون كاسيوس⁽²⁾ مناطق مقاومة القبائل هذه في مناطق الاحتكاك بين مواطن قبائل الجيتول، والبلاد التي احتلها الرومان، وتلك المناطق التي تخضع لنفوذ يوبا الثاني في الجنوب الغربي من نوميديا وبلاد الحضنة وجنوبي موريطانيا⁽³⁾، وهي أقاليم رعي تتردد عليها القبائل نصف الرحل للانتجاع، وبذلك مست المقاومة مجالا واسعا، حيث تطلب أمر إخمادها مجهودا عسكريا كبيرا من قبل فرق الجيش الروماني المتحالف مع قوات يوبا الثاني.

أوكلت مهمة القضاء على هذه المقاومة إلى القائد الروماني كورنيليوس لنتولوس كوسوس (C. Cossus lentalus) بروقنصل أفريقيا، الذي تمكن من إحراز النصر على المقاومين الجيتوليين وأجبرهم على الاستسلام سنة 6م، ليحصل على أوسمة النصر ولقب بالجيتولي- قيتوليكوس (Gaetulicus)⁽⁴⁾، وخلد هذا النصر في نقيشة لاتينية عثر عليها في موقع لبدة جاء فيها: "...حرر مقاطعة أفريقيا بعد حرب جيتولية.."، غير أن ذلك البروقنصل أغتيل على أيدي ثوار قبائل النسامون بعد ذلك بحوالي عامين⁽⁵⁾. وتخليدا لهذا الانتصار صك يوبا الثاني نقودا خاصة بالمناسبة مؤرخة بسنة 6م، وتظهر بها ربة النصر

(1) Dion Cassius, LV.28.4; Bénabou.M.Op.cit. p.62.

(2) Dion Cassius, LV.28.4.

(3) Cagnat.R. Op.cit. p.3.

(4) Dion Cassius, LV.28.4; Bénabou.M.Op.cit. p.62.

(5) محمد البشير شنيقي، روما الإمبراطورية، ص18.

(Victoire) وهي تمسك بسعفة وتاج وتحت قدميها رأس فيل، وهي إشارات الانتصار على القبائل المتاخمة لحدود مملكته⁽¹⁾.

شكلت قبائل الجيتول المتحالفة مع قبائل الموزولامي خطراً كبيراً على الاحتلال الروماني وتنظيماته الزراعية، بسبب ثوراتهم في الأقاليم التي ألفوا التمرکز بها، فبذل الرومان جهوداً كبيرة قصد الحد من تحركاتهم الجماعية ومراقبتهم بغية تفكيك التحالف الجيتولي الموزولامي، وهو الأمر الذي دفع بالسلطات الرومانية إلى الاستعجال في بناء خط الليمس وإقامة تحصينات عسكرية، ونشر الفرق العسكرية.

بعد هذه المقاومة نجد فترة من الهدوء، أواخر عهد الإمبراطور أغسطس أكتافيوس، وهو ما شجعه على مد مجال الاحتلال والسيطرة العسكرية الرومانية أكثر نحو الجنوب، فقرر سنة 14م نقل المعسكر الدائم للفيلق الثالث الأغسطي من مدينة قرطاجة إلى أميدرا (Ammaedarae) الواقعة بقلب بلاد الموزولامي هذا من جهة، ومن جهة ثانية تم انجاز طريق استراتيجي يربط بين مقر هذا الفيلق بمدينة قابس مروراً بقفصة⁽²⁾، وهو الأمر الذي جعل مجال الاحتلال الروماني يتقدم صوب الجنوب، دافعاً بذلك مختلف القبائل المحلية خارج حدود السيطرة الرومانية أو حصرها في مناطق محددة، وهي العوامل التي أدت إلى اندلاع إحدى أعنف وأطول الحروب ضد الرومان تزعمها القائد النوميدي تاكفاريناس، وانضوت تحت مجموعة قبائل أخرى مورية وجيتولية.

3. المقاومة المشتركة الموزولامية المورية الجيتولية:

اندلعت سنة 17 م ثورة شرسة قاومت الاحتلال الروماني التوسعي نحو نوميديا الداخلية، والتي أشار إليها المؤرخ تاكيتوس في حوارياته لمدة تزيد عن سبع سنوات (17-

(1) ستيفن غزال، تاريخ إفريقيا الشمالية، ج8، ص198.

(2) Bénabou.M.Op.cit. p.65.

24م) ضد القبائل الموزولامية والمورية تحت قيادة تاكفاريناس⁽¹⁾ (تاكفارين بعد إزالة اللاحقة اللاتينية (as)⁽²⁾)، واعتبر تاكيتوس ما قام به هذا القائد حربا وليس ثورة⁽³⁾، كما أنه وصف الثوار بأقبح الصفات مثل العصابات، قطاع الطرق والمتشردين، قائد العصابة⁽⁴⁾.

إلا أنه لم يذكر الأسباب التي دفعت تاكفاريناس إلى الفرار من الجيش الروماني، ولا الدوافع التي جعلت عددا كبيرا من القبائل الضاربة في بلاد التل والسهوب والصحراء بما في ذلك مملكة الجرميين⁽⁵⁾، تتحالف مع قبائل الموزولامي بزعامة تاكفاريناس وتثور ضد الرومان وحليفهم يوبا الثاني، فلا شك أن الأسباب والدوافع التي أدت لهذه الثورة كانت قوية⁽⁶⁾، اقتصر تاكيتوس على ذكر الأحداث العسكرية التي وقعت في فترة حكم الإمبراطور تيبيريوس وغيره دون تحليل أو تحليل. في حين المصادر الأخرى كبلين الأكبر وديون كاسيوس فتجاهلت التطرق لسبب هذا الصدام أيضا⁽⁷⁾. أدت ندرة المعلومات في تلك المصادر بالمؤرخين المعاصرين للبحث عن الأسباب فكتبوا مواقف مختلفة⁽⁸⁾، فروني كانيا (Cagnat) اعتمد على ما جاء به تاكيتوس ووافقه في ما ذهب إليه وقال أن سبب هذه الثورة راجع إلى طبيعة الإنسان المغربي القديم في هذه المناطق البعيدة عن التأثيرات الخارجية وتمسكها

(1) Tacite, II.52; III, 10.32.73; IV.23.

(2) محمد العربي عقون، الكونفدرالية السيرتية، الهامش رقم 230، ص 81.

(3) إبراهيم فداي، مقاومة تاكفاريناس الأمازيغي من خلال كتابات تاكيتوس الروماني، المقاومة المغربية عبر التاريخ أو مغرب المقاومة، أعمال ندوة دولية، المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، الرباط، 2005، ص ص 46-47.

(4) Tacite, II.52 .

(5) محمد البشير شنيقي، روما الإمبراطورية، ص 19.

(6) جمال مسرحي، أوضاع الشرق الجزائري القديم من زوال المملكة النوميديّة حتى الغزوات الوندالية 46ق.م - 429م (دراسة تحليلية حول الواقع السياسي والإقتصادي في ظل الاحتلال الروماني) أطروحة دكتوراه، محمد شباحي، جامعة باتنة، 2017/2018، ص 149.

(7) Lassère J-M .Un conflit routier : bservations sur les causes de la guerre de Tacfarinas . In : Anti Afr .18,1982 ,P11.

(8) Le Bohec.Y. Histoire de L'Afrique Romaine 146 avant J-C -439 après J-C, éditions A. et J. Picard, Paris, 2005, p.57.

بالحرية⁽¹⁾، في حين صمت ألبرتيني ولم يعط رأيه عن أسباب ذلك الصراع، أما أندري جوليان فقد اقتصر على دلالات سطحية⁽²⁾، ويعتقد يان لوبوك أن ما قام به تاكفاريناس لا يمكن مقارنته بتلك الحركة القومية الرافضة للمحتل التي تولدت في المنطقة خلال القرن التاسع عشر، غير أنها رغبت في مغادرة الرومان والشعب الروماني أراضيها التي احتلوها واستوطنوا بها⁽³⁾.

وتكمن الأسباب السياسية في تلك الظروف التي مرّ بها المغرب القديم، كدمج المقاطعتين الإفريقيتين (القديمة والجديدة)، وإنشاء المقاطعة البروقنصلية، وما تلى ذلك من محاولات للاستيطان وتكريس الهيمنة الرومانية، لاسيما أثناء فترتي حكم الإمبراطورين أوكتافوس (27ق.م-14م) وتيبيريوس (تيبار) (Tiberius) (14-37م) من بعده، واعتبر هذا أحد العوامل التي جاءت الثورة على إثره⁽⁴⁾.

كانت سياسة روما اتجاه الأهالي هي السبب الرئيسي في إعلان تاكفاريناس الثورة ضد التواجد الروماني؛ الذي بالغ في مصادرة أراضي السكان الأصليين، يذكر شارل بيكار أن هذه الثورة في بداية القرن الأول الميلادي كانت ذروة الاعتراض على الطرد الجائر للسكان نحو الصحراء، حيث وجدت قبيلة الموزولامي الكبرى نفسها محرومة من أراضي انتاجها⁽⁵⁾، وعليه فمن أهم الدواعي التي دفعت بتاكفاريناس لإعلان الثورة هي هذه السياسة الرومانية القائمة على سلب الأراضي وتهجير السكان.

يرجع المؤرخون أسباب ثورة تاكفاريناس إلى بدايه إقامة وشق الرومان الطريق المحصنة (الليمس الأول (Les Limes) قابس (Capsa) (خليج السيرت شرقا) - أميدرا

(1) Cagnat.R, L'armée ... Op. cit, p9.

(2) Lassère J-M, Un conflit routier... ; Op. cit, pp11-12 .

(3) Le Bohec. Y, Op. cit, p.57.

(4) Bénabou.M, Op. cit, p.76.

(5) جيلبار شارل بيكار، المرجع السابق، ص68.

(Ammaedara) بالقرب من تبسة غربا والذي ربط بينهما مرورا بقفصة، على يد جنود للفرقة الأغسطية الثالثة التي تعسكر في أميدرا (Ammaedra) والمعروف بالمعسكر الشتوي منذ قضائها على ثورة قبائل الجيتول سنة 6 ميلادي⁽¹⁾⁽²⁾، وهدف انشاء هذا الطريق الذي يتوسط أراضي قبائل الموزولامي الرعوية هو مراقبتها والحد من تحركاتها⁽³⁾، وحتى قمعها إلى المناطق الصحراوية⁽⁴⁾.

أما السبب الثاني لاندلاع هذه الثورة اقتصادي وتمثل في مواجهة مشاريع الاستيطان القائمة على انتزاع الأراضي من ملاكها الأصليين وتوزيعها على الجاليات الإيطالية (المعمرين) والجنود المتقاعدين⁽⁵⁾، لاسيما في أثناء حكم الإمبراطور أوكتافيوس أغسطس والإمبراطور تيبيريوس الذي حذا حذو سابقه في عمليات كبرى لمصادرة أراضي النوميديين وتوزيعها على الرومان⁽⁶⁾، وبذلك تمكن الرومان من الهيمنة على الواردات الاقتصادية في المناطق الداخلية.

وظهرت سياسة الرفض هذه في ذلك الإمتداد الروماني على حساب أراضي المحليين في النداء الذي وجهه تاكفاريناس إلى هذا الإمبراطور، المتمثل في ضرورة إعادة الأراضي إلى أصحابها مقابل إيقاف الثورة، وبذلك تكون المشاريع الإستيطانية الرومانية من بين الأسباب التي أدت إلى اندلاع الثورة⁽⁷⁾.

⁽¹⁾ Duval.N, Ammaedara, Encyc berb, 4 | 1986, 593-596.

⁽²⁾ اختلف الباحثون عن السنة التي شيدت فيها المدينة، لكنهم أسندوا ذلك لفترة حكم الإمبراطور فيسبازيانوس (69-79م) للمزيد ينظر:

MOLL .M, Etude Historique et Archéologique sur Tébessa et ses environs, dans Rec. de Const, T. II, 1860-61, P.190.

⁽³⁾ Lassère. J-M, Op. Cit, p.13.

⁽⁴⁾ Le Bohec. Y, Op. Cit, p.57.

⁽⁵⁾ محمد العربي عقون، مقالات وآراء في تاريخ، ص 249.

⁽⁶⁾ جمال مسرحي، المرجع السابق، ص 152.

⁽⁷⁾ محمد الهادي حارش، دراسات ونصوص، ص ص 53-54.

بالإضافة لأسباب أخرى كسوء معاملة واحتقار الرومان للأهالي، فقد كانوا يرونهم طبقة دنيا خلقت من أجل خدمة الرومان⁽¹⁾. وعلى العموم تمثلت دوافع قيام هذه الثورة في مجابهة إجراءات الإمبرطور الروماني الإستيطانية الموجهة نحو الداخل النوميدي، وإنشاء المستعمرات العسكرية بالمناطق الجبلية، وتمهيد الطرق ومصادرة الأراضي الزراعية الخصبة، وطرد أصحابها. تم توافر جميع الظروف التي أدت إلى رغبة الأهالي في استعادة ما فقدوه.

يظهر من الفقرات التي خصها المؤرخ تاكيتوس في حولياته للحرب التي خاضها الرومان في شمال إفريقيا على مدى أكثر من سبع سنوات ضد تاكفاريناس، الذي فوضته قبائل المزالمة ليكون قائدا لها⁽²⁾، أن جبهة القتال كانت واسعة فشملت العمق النوميدي والموريطني معا، زيادة على جنوبي المقاطعة البروقنصلية وصولا إلى مناطق السيرت الصغرى، أي في المناطق التي كانت خاضعة للسيطرة الرومانية المباشرة أو ذات التواجد الروماني من خلال حلفائهم ومستوطنهم⁽³⁾، وكان التحالف على الحرب ضد الرومان وحليفهم يوبا الثاني قد ضم جميع القبائل الضاربة في بلاد التل والسهوب والصحراء بما في ذلك قبائل الغرامنت⁽⁴⁾، حيث جمع حوله القبائل المورية في الغرب بقيادة مازيبا (Mazippa)، وقبائل الكنيثيين (Cinithi) في الشرق القريبة من السيرت والغرامنت وحتى قبائل الجيتول، ودرّبهم على استعمال السلاح، وعلمهم أساليب القتال استعدادا للمقاومة⁽⁵⁾.

(1) للإطلاع عن أسباب ثورة تاكفاريناس من وجهة نظر المؤرخين الفرنسيين ينظر: Lassère. J.M, Op. cit.

(2) Tacite, II.52; III,10.32.73 ; IV.23.

(3) Bénabou.M, Op. cit, pp.75-76.

(4) محمد البشير شنيقي، روما الإمبراطورية وبلاد، ص20.

(5) Tacite, II.52.

برزت قوة الثوار الموزولاميين والموريين في عددهم الكبير أمام قوات البروقنصل فوريوس كاميلوس (Furius Camillus) والتي مع أنها كانت تضم الجيش الثالث الأغسطي المعسكر بالمقاطعة البروقنصلية والقوات المساعدة الإحتياطية⁽¹⁾، وقد وصف المؤرخون قوات فوريوس بأنها كمشة من الرجال إذا ما قورنت بالأعداد الهائلة من النوميدي والمور المستعدين للقتال⁽²⁾⁽³⁾.

استعد الثوار للقتال باتباع خطط وطرق حربية مماثلة للتي يستخدمها الجيش الروماني بالإضافة إلى طريقتهم التقليدية في المنازلة. فنظموا صفوفهم بتوزيع المهام، تاكفاريناس على رأس جيش نظامي وفق الأساليب الرومانية⁽⁴⁾، تميز الثوار فيه بانضباطهم بامثالهم للأوامر واتباع الخطط الحربية الشبيهة بخطط الرومان، قسمت القوات إلى وحدات للمشاة وأجنحة للفرسان مدربين⁽⁵⁾، بينما فرق الموريين والكنيثي المدربة على أساليب الحرب التي يتحكم فيها الأفارقة وهي القائمة على الكر والفر، أسندت قيادتها لمازيبا وفرقه الخفيفة⁽⁶⁾، حسب تاكيتوس أن قبائل الموريين (Maures) قد انضمت لهذه الثورة بعد فترة قصيرة من اندلاعها⁽⁷⁾، وكانت مهمتها هي حرب العصابات⁽⁸⁾.

(1) Cagnat.R, Op.cit, p.10.

(2) Tacite. III.32.

(3) محمد البشير شنيقي، الجزائر في ظل الإحتلال، ص54.

(4) Bénabou.M, Op. Cit, p .78.

(5) Cagnat.R, Op. Cit, p.9.

(6) شافية شارن وآخرون، المرجع السابق، ص74.

(7) Tacite. III.20.

(8) Elmayer.A. F, Tripolitania and the roman empire (.B.C47-A. D235) markaz jihad al libyin tripoli 1997.p.57.

تعاقب على مواجهة هذه الثورة أربعة ولاة رومان، تلقوا الدعم من يوبا الثاني. وقد استطاع تاكفاريناس تحقيق انتصارات فاصلة على الجيوش الرومانية، ويرجع ذلك لتطبيقه حرب العصابات والكمائن التي يتقنها الأفارقة⁽¹⁾.

تم تقسيم ثورة تاكفاريناس إلى مجموعة من المراحل وفق القيادات العسكرية الرومانية التي تعددت وتعاقبت الواحدة تلو الأخرى على ولاية المغرب القديم لأجل القضاء على هذه الثورة وهي:

نبدأ بحملة البروقنصل فوريوس كاميلوس سنة 17م، الحقيقة أن هذه المرحلة لم تتحدث عنها المصادر بصورة واضحة ماعدا ذكرها أن بروقنصل إفريقيا فوريوس كاميلوس (Furius Camillus) هزم تاكفاريناس سنة 17م في ضواحي وادي المثل⁽²⁾، بعد قيامه بأول حملاته في إفريقية⁽³⁾، يذكر تاكيتوس أنه بعد هذه الهزيمة تراجع تاكفاريناس إلى المناطق الداخلية، في حين توج البروقنصل فوريوس كاميلوس بوسام النصر غير المقنع للرومان الذي أثار جدلا كبيرا في روما حتى تاكيتوس استنقصه⁽⁴⁾.

لم يستطع جيش تاكفاريناس تحقيق النصر رغم التحضيرات وذلك راجع إلى عدم أخذ الوقت الكافي لإعداد الجيش وتطوير أدائه والتحكم في تقنيات القتال الرومانية، وتأهيل الجند وتدريبهم بقدر يتيح لهم تحكما أفضل يمكن من خلاله الصمود في المعركة وإحراز النصر على عدو ذاع صيته في ساحات القتال⁽⁵⁾. ضف إلى ذلك دعم يوبا الثاني للجيش الروماني الذي أرسل فرقاً مورية لحلفائه⁽⁶⁾، يذكر كانيا وبن عبو أن يوبا الثاني لم يتوان في الاعتزاز

(1) بلقاسم رحمانى، قراءة في حروب وثورات الجزائر في الفترة القديمة، مجلة الدراسات التاريخية العسكرية، مج2، ع4،

الجزائر، 2020، ص26 ; Bénabou.M, Op. Cit, p .77

(2) شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص ص178-179.

(3) Tacite, Annales, III,20.

(4) Ibid, III,52.

(5) محمد البشير شنييتي، الجزائر في ظل الاحتلال، ص55.

(6) Tacite, Annales, II,52.

وتعيين بروقنصل آخر على المقاطعة الإفريقية وهو ل. أمبرونيوس (L.Ampronius) (18-21م) لمواجهة المقاومة، يذكر تاكيتوس أن البروقنصل الجديد أمر باستئناف القتال، وهزم تاكفاريناس في معركة قرب تالة (Thala)⁽¹⁾ (بالقرب من الحدود الجزائرية التونسية)، ما اضطر الثوار لتغيير أسلوب قتالهم فتحولوا من حرب المواجهة إلى حرب العصابات⁽²⁾.

في هذه المرحلة اشتد لهيب الثورة، وانتشرت في جميع بلاد المغرب من أعمدة هرقل غرباً إلى خليج السيرت شرقاً⁽³⁾، تميزت بانتهاج تاكفاريناس لأسلوب جديد في الحرب، حيث زيادة على مهاجمة الفرق الرومانية بالغارات السريعة، لجأ إلى الهجمات المتكررة على الحصون والقلاع الرومانية⁽⁴⁾.

ورغم انهزامه في معركتين متتاليتين (في موقعة وادي المثل وموقعة حصن تالة)، إلا أن تاكفاريناس لم ييأس واستمر في الإغارة من حين لآخر، كلما توفرت له الظروف الملائمة على مراكز العدو في جنوب نوميديا، في حين واصلت القبائل المورية بقيادة مازيبا هجماتها على مراكز العدو في الجنوب الموريطني مكبدين جيش يوبا الثاني والفصائل الرومانية خسائر كبيرة، وكان لحرب العصابات تلك أثر بالغ الخطورة على الجانب الروماني، سواء تعلق الأمر بالخسائر العسكرية في صفوف جنوده، أو الخسائر الاقتصادية المترتبة عن الإغارات على مزارع المعمرين، وانعدام الأمن مما أدى إلى تعطيل العمل الفلاحي⁽⁵⁾، وما يدل على خطورة الوضع بالنسبة للرومان، هو إرسال القائد الموزولامي تاكفاريناس إلى الإمبراطور تيريوس بعثة تطلب منه منحه وجنوده ما يكفيهم من الأراضي وإلا سيواصل

(1) Tacite, Annales, III, 20.21.

(2) Cagnat. R, Op.cit, p.5.

(3) Cagnat.R, Op.cit, p.15.

(4) محمد الهادي حارش، داسات ونصوص، ص 55.

(5) محمد البشير شنيقي، روما الإمبراطورية، ص 21.

الثورة. وهو ما اعتبره الإمبراطور تهديداً له؛ ما أجبره ومجلس الشيوخ الروماني على تعيين خليفة للوكيوس أبرونيوس⁽¹⁾.

حملة القائد يونيوس بليزوس (Junius Blaesus): الذي أعطيت له أوامر بأن يكون صارماً في إنهاء هذه الثورة، والملاحظ أنه كان أكثر خبرة ونباهة فظهر بمظهر القوة مع الثوار واللين والملاطفة مع القبائل الحيادية، فأصدر عفواً لكل من يضع السلاح وقدم العون للجيش الروماني وقد نجحت هذه السياسة مع البعض، بالإضافة إلى تغيير بليزيوس لخطته الحربية⁽²⁾.

قام بتجزئة جيشه إلى كتائب ووحدات خفيفة الحركة ووزعها على المناطق الملائمة عسكرياً لضمان سرعة تنقلها للحاق بالثوار، هذه الطريقة اقتضت توزيع الجيش إلى ثلاث أقسام. واحد لمراقبة الغرامنت ومركزها لبدة، القسم الثاني لمراقبة الوسط النوميدي ومركزها سيرتا أسندت قيادته لابنه، أما القسم الثالث كان تحت قيادته واتخذ من البروقنصلية مركزاً لعملياته، كما أمر بإقامة التحصينات⁽³⁾، وقد أشاد تاكيتوس بتكتيك بليزوس الذي تمكن من تحقيق انتصارات عديدة بفضلها، من بينها قتل أحد إخوة تاكفاريناس ما أجبره على التراجع للمناطق الصحراوية باتجاه حلفائه الغرامنت لأجل إعادة ترتيب أموره⁽⁴⁾، يشير تاكيتوس أن الثورة في هذه الفترة كانت شاملة في بلاد النوميدي والمور في غياب تاكفاريناس⁽⁵⁾.

واصل تاكفاريناس الصمود ومقاومة التحركات الرومانية بخطط مضادة سعياً منه لإفشال مد خط الليمس وطرد الرومان من منطقة التحالف الموزولامي الموري الجيتولي⁽⁶⁾.

(1) Bénabou.M, Op.cit, p.80.

(2) بلقاسم رحمانى، المرجع السابق، ص 27.

(3) Le Bohec. Y, Op. Cit, p.58.

(4) Tacite, Annales, III,72.

(5) Ibid.

(6) محمد العربي عقون، مقالات وآراء في تاريخ، ص 253.

في عام 22م قام بليزوس بحملته الثانية على تاكفاريناس لكنه فشل في القضاء على ثورته، الأمر الذي دفعه للتخلي عن قيادة الجيش ما اضطر روما لتعيين قائد جديد⁽¹⁾.

أما في سنة 23م توالى الأحداث في المنطقة وكانت لصالح تاكفاريناس إذ توفي يوبا الثاني، وثار رعاياه ضد ابنه بطليموس، وانضموا للثوار بسبب سخطهم على سياسته وسياسة أبيه الموالية للرومان، إذ كانت مشاعر الدعم والمساندة لدى الشعب الموريطني متجهة نحو ثورة تاكفاريناس وزعيم الثوار المور مازيبا⁽²⁾، كما انضم أيضا ملك الغرامنتيين الذي قدم له فرقا خفيفة⁽³⁾، وفي هذه السنة أيضا سحب الرومان الفرقة الإسبانية التاسعة⁽⁴⁾، وهو الأمر الذي استغله تاكفاريناس بنشره أخبار مفادها أن روما اضطرت لسحب الفرقة نتيجة ثورات شعوب أخرى⁽⁵⁾، ودعا كل الذين يفضلون الحرية على العبودية أن يسلكوا الطريق نفسه، ويحدثنا تاكيتوس بعد ذلك عن قيام تاكفاريناس بمحاصرة مدينة تبوسوكتو (Thubusuctu) التي تقع إلى الجنوب الغربي من مدينة صلداي⁽⁶⁾، لكن تمكن مساعد بليزوس القائد دولابيللا من فك الحصار عنها.

في صيف 23م يحدث تغيير آخر على القيادة في البروقنصلية بتعيين ب. كورنيليوس دولابيللا (Cornelius Dolabella) (23-24م) الذي كان مساعدا لبليزوس، قنصلا جديدا على الولاية الرومانية الافريقية، أين عزم الإمبراطور تيبروس على إخضاع نوميديا وقمع سكانها المتمردين بعنف لغرض إنهاء الحرب نهائيا وذلك بالقضاء على تاكفاريناس⁽⁷⁾.

(1) Bénabou.M, Op.cit, p.81

(2) Cagnat.R., Op.cit, p.20.

(3) Tacite, Annales, IV,20-24.

(4) Bénabou.M, Op.cit, p.81.

(5) محمد الهادي حارش، دراسات ونصوص، ص56.

(6) Tacite, Annales, III,74.

(7) Bénabou.M, Op.cit, p.81.

استهل مهمته العسكرية بتسليط القمع والإرهاب على السكان ورؤساء القبائل المتوضعة في المنطقة وتشريد البعض الآخر⁽¹⁾، كما أنه استعمل سياسة الإغراء لبعض رؤساء القبائل النوميديّة بمنحهم أراضي جراء انسحابهم من صفوف الثورة ووقوفهم ضد تاكفاريناس، واستطاع هذا القائد بهذه السياسة كسب بعض القبائل، وموازة مع هذه السياسة قام بطليموس (23-40م) بتعبئة المنطقة (مملكته) لشن حرب شاملة ضد الثوار المناوئين له وضد حلفائهم الموزولاميين، بالاتفاق مع البروقنصل الروماني دولابيل الذي أصدر تعليماته لبطليموس بتجهيز فرق من أتباعه في عمق المملكة لمراقبة تحركات السكان المناهضين والتصدي للثوار كلما أمكن الأمر⁽²⁾.

اتبع دولابيل الخطة نفسها التي اتبعها سلفه في جعل الجيش فرقاً ووحدات خفيفة وقليلة العدد على الأسلوب النوميدي⁽³⁾، وانتهاج حرب المباغته؛ حيث قسم جيشه إلى أربعة أقسام⁽⁴⁾، وقاد حملة بالقرب من سور الغزلان (Auzia)⁽⁵⁾ التي تركز فيها تاكفاريناس بحصن بال مع عدد من جنوده بعد انسحابه من توبوسكتو (تيكلات)⁽⁶⁾، استطاع دولابيل مباغته تاكفاريناس ليلا وتم القضاء عليه بعد مقاومة شديدة أسر على إثرها ابنه مع عدد من الثوار العام 24م⁽⁷⁾. هذه الموقعة التي دارت حولها أراء عديدة منها الخيانة والاغتيال.

(1) محمد العربي عقون، مقالات وآراء في تاريخ، ص 254.

(2) محمد البشير شنييتي، أضواء على تاريخ، ص ص 96-97.

(3) Bénabou. M, Op.cit, p.82.

(4) Tacite, Annales, III,20-24.

(5) أوزيا (سور الغزلان): تقع على الطريق الفاصل بين مقاطعتي نوميديا وموريطني القيصرية ذات موقع إستراتيجي عسكري متميز انتبه له الرومان بعد حملتهم على تاكفاريناس. للمزيد ينظر محمد البشير شنييتي، الجزائر في ظل الاحتلال، ص 192.

(6) تيكلات: تقع الى الجنوب الغربي من مدينة بجاية صلداي، أسست في عهد أوكتافيوس بموقع متميز من الناحية العسكرية والاقتصادية، أطلق عليها اسم الفرقة الأغسطية السابعة.

(7) Tacite, Annales, IV,24.

كان ليوبا الثاني وابنه بطليموس من بعده فضل في إخماد هذه الثورة نظرا للإمدادات العسكرية التي قدمها للجيش الروماني لسحق ثورة تكفاريناس وكانت المكافأة بعد القضاء عليها سنة 24م أن قدم وفد من مجلس الشيوخ ليمنح بطليموس عصا من العاج وحلة رومانية مطرزة، كما منحوه لقب الملك الصديق والحليف⁽¹⁾.

وبهذا انتهت ثورة المزالمة التي قادها تكفاريناس تلك الثورة الشاملة التي دامت سبع سنوات وكلفت الرومان خسائر مادية وبشرية كبيرة وأرهقت جيشه ومرتزقته وحلفاءه، فعُدّت بحق أصعب حرب خاضها الرومان في المغرب القديم منذ حرب يوغرطة.

إن استمرار الحرب لأكثر من سبعة أعوام وشموليتها في جميع بلاد المغرب دل على قدرة الأفارقة على تجاوز خلافاتهم واتحادهم في جبهة قتال واحدة هدفها القضاء على الاحتلال الروماني بالمنطقة، وهذا ما أكدته مبادرة قائد المور مازيبا بالانضمام إلى قائد النوميدي تكفاريناس. بالإضافة إلى انضمام قبائل أخرى كان لها الدور البارز في أحداث المنطقة.

شكل التحالف الموزيلامي الغرامنتي نموذجا للتضامن بين مختلف العناصر المحلية ومثالا للتآزر بين القبائل المرتحلة ونصف المستقرة في الأوراس وشماله ومع القبائل الصحراوية في جنوبه.

وختاما يتبادر إلى ذهن القارئ سؤال مهم، لماذا هذا الإجماع بين قبائل المغرب القديم وزعمائها على محاربة الرومان؟ الإجابة عن هذا السؤال تكمن في اجتماع عدة ظروف وأسباب سياسية وإقتصادية وعسكرية أدت إلى تحالف القبائل وقيامها بالثورة. ثم إن وجود عمق قبلي مترسخ ببلاد المغرب ممثلا في الكنفدرالية القبيلة، فما إن تسقط قبيلة من عرش ما تخرج نواة أخرى من قبيلة أخرى. وهو ما نستطيع تطبيقه على ثورة تكفاريناس التي

(1) محمد العربي عقون، مقالات وآراء في تاريخ، ص 256.

استطاعت تكوين وتشكيل حلف خماسي (خمس قبائل الموزولامي، الجيتول، الغرامنت، الكينشين، المور)، امتدت مضاربها من الأوراس إلى جبال ميلة، فالقبيلة تتوسع بحكم الولاء.

4. المقاومة المورية بموريطانيا الطنجية خلال القرنين الثاني والثالث الميلاديين:

ترى معظم الكتابات المعاصرة أن المواجهة المورية - الرومانية في هذه الفترة هي ثورة مفاجئة ربطتها بجماعات بشرية تعيش خارج إقليم موريطانيا الطنجية أي خارج الليمس، وتحديدًا قبائل البقواط والماكنيت والبوار في منطقة ويلي، وقبائل الأوتول بناحية سلا، وأحيانًا قبائل جبلية في شمال المغرب⁽¹⁾.

إذا تتبعنا التاريخ العسكري للطنجية خلال القرنين الثاني والثالث نجد أن جل الإضطرابات التي عرفها هذا الإقليم ترجع بالأخص إلى القبائل البقواطية⁽²⁾، ويمكن فهم طبيعة العلاقات التي سادت بين هذه القبائل والسلطات الرومانية بدراسة وتحليل النصوص المنقوشة التي تم العثور عليها بمختلف المواقع الأثرية.

- البقواط والهجوم على مدينة كارطناي (تنس) (Cartennae): تذكر نقيشة (نقيشة كرطناي)⁽³⁾ التي تعتبر أقدم شاهد أثري تحدث عن البقواط⁽⁴⁾، هجومًا باقواطيا على كرطناي الواقعة بموريطانيا القيصرية في عهد هادريان (Hadriani) (117-138م)، حيث تزامنت بداية عهده مع اندلاع عدة ثورات قادتها القبائل المورية بكل من موريطانيا القيصرية والطنجية حوالي عام 118م⁽⁵⁾، وتذكر النقيشة مساهمة سكان كارطناي في إقامة تمثال

(1) عبد العزيز أكرير، مقاومات الموريين للرومان، ص34.

(2) محمد اللبار، الباقواط وتاريخ، ص64.

(3) CIL.VIII.9663.

(4) محمد اللبار، المرجع السابق، ص ص70-71.

(5) Cagnat .R, Op.cit, pp.45-46.

لحاكم المدينة كايوس فولكينوس أوبتاتوس (Caius Fulcinus Optatus) الذي أفشل هجوما باقواطيا على مدينتهم⁽¹⁾.

استمرت الاضطرابات التي شملت المقاطعتين القيصرية والطنجية على حد سواء⁽²⁾، ما جعل الإمبراطور هادريان يرسل القائد كوينوس ماركيوس توربو (Quintus Marcuis Turbo)، والذي أنهى حملته عام 118م⁽³⁾، غير أن الاضطرابات لم تتوقف وهو ما دفع بالإمبراطور هادريان نفسه العبور من اسبانيا لموريطانيا لأجل القضاء على هذا الغليان⁽⁴⁾.

وكان من نتائج هذا الهجوم البقواطي قيام الإمبراطور هادريان بطرد هذه القبائل من موطنها والحد من تحركاتها، الذي يعتقد المؤرخون أنه كان يمتد من بلاد الشلف إلى جبال الأطلس الأوسط بالمغرب الأقصى، لكن المطاردة الرومانية أزاحتها غربا إلى المقاطعة الطنجية⁽⁵⁾. كما أقام إجراءات دفاعية كان أثرها بالغا على القبائل الرحل وأنصاف الرحل بموريطانيا الطنجية، أين قطعت عليهم الطرق المتجهة شمالا حيث كانوا ينتقلون بقطعانهم وبذلك لم يبق لهم سوى الاتجاه غربا بحثا عن أماكن للانتجاع⁽⁶⁾.

وإدراكا منهم أن المواجهة العسكرية مع قبائل البقواط الثائرة والقوية لم تنجح، استخدم الرومان الدبلوماسية لتقليل خطرهم. وهو ما يتضح من خلال مجموعة من النقائش اللاتينية التي تم الكشف عنها بمدينة فوليبيليس (Volubilis)، والتي تؤكد عقد اتفاقيات السلام بين النيابات الرومانية وزعماء ورؤساء قبائل البقواط الطنجية⁽⁷⁾، وتغطي هذه النقوش الفترة

(1) جيروم كركوبينو، المغرب العتيق، ص ص 386-390.

(2) Bénabou.M, Op. cit, p.122.

(3) Ibid, p.123.

(4) Ibid, p.127; 182 ص، المرجع السابق، شارل أندري جوليان،

(5) جيروم كركوبينو، المغرب العتيق، ص ص 385-390.

(6) السالك مهني، الثورات المورية ودورها في تراجع الليمس الروماني بموريطانيا الطنجية، مجلة رؤى تاريخية للأبحاث والدراسات المتوسطية، مج2، ع2، 2022، ص 36.

(7) Hamdoune.C, Op.cit, pp3045-3052.

الممتدة من حكم هادريان (117-122م) إلى غاية سنة 280م ما يقرب قرن ونصف⁽¹⁾، أي القرنين الثاني والثالث الميلاديين⁽²⁾⁽³⁾، ولجأت روما لهذه السياسة لكون قبائل البقواط سيطرت بحكم موقعها على خط الاتصال البري الرابط بين الموريطانييتين القيصرية والطنجية من جهة، ومن جهة أخرى شكلت مصدر تهديد لأمن الرومان بوجودها بجوار منطقة ويلي، كما أنها كانت تجاور بعض القبائل المورية التي عرفت بعدائها للرومان كقبائل البوار لذلك سعت روما لإبعادها عنها⁽⁴⁾.

تظهر النقوش أن البقواط استطاعوا تكوين تحالفات مع بعض القبائل المورية القوية أحيانا مع البوار (Bavares)، وأحيانا مع قبائل المكنتيت الطنجية (Macénites)⁽⁵⁾، هذه الأخيرة التي تحالفت معها وشنوا هجوما على المراكز الرومانية في عهد الإمبراطور تيتوس كويديوس ماكسيموس (Titus Coiiedius Maximus) (165-168م)⁽⁶⁾.

- الموريون وثورتهم على مدينة سالا: شهدت هذه المدينة اضطرابات خلال عهد

أنطونيوس بيوس التقى (Antonin le Pieux) (138-161م) منها هجمات قبائل الأوتول القريبة من مدينة سالا عام 140م⁽⁷⁾، وقد هددت القبائل أمن الرومان بالمنطقة بسبب تحركاتها المستمرة باتجاه الشمال، حيث كانت تقوم بعمليات نهب لقطعان الماشية وتدمير المحاصيل الزراعية الرومانية⁽⁸⁾. وتؤكد النقيشة المكتشفة بسلا والمؤرخة بـ144م هذه الاضطرابات أين أهدى سكان المدينة هذه النقيشة للقائد الروماني سولبيكوس فيليكس

(1) Ferzoul. E, Rome et la Mauritanie Tangitane un constat d'échec ? Ant.Af, 16, 1980, p.102.

(2) الأعشي مصطفى، نقائش معاهدات السلام بين الباكوات، ص15.

(3) ينظر الفصل الرابع، ص ص296-300.

(4) نصيرة ساحير، موريطانيا الطنجية، ص110.

(5) Bénabou .M, Op.cit, p.147.

(6) Ibid, p.147; Desanges. J, Catalogue..., Op. cit, p.33.

(7) Frézouls. E, Les Baquates..., Op.cit. p.99.

(8) Plin l'ancien, V.5.

(Sulpicius Félix) الذي خلصهم من غارات قبائل الأوتولول⁽¹⁾، ونتيجة لهذه الأحداث التي عرفت المنطقة تم ابعاد وطرد القبائل إلى المناطق الجنوبية، وأحيطت مدينة سالا بسور يحميها من مختلف الجهات⁽²⁾.

وتبين الأحداث المذكورة أن ثورات القبائل المورية كانت دائما مستمرة ولم تعرف التوقف، كما أنها امتدت لتشمل كلا الموريطانييتين القيصرية والطنجية، وشاركت فيها جميع القبائل سواء كانت مستقرة أو بدوية، معبرة بذلك عن رفضها لسياسة الاحتلال الروماني.

نشبت الثورة من جديد بالطنجية في عهد ماركوس أوريليوس أنطونينيوس (Marcus Aurelius Antoninus) (161-180م) وعهد كومودوس (M. Aurelius Commodus) (180-192م)، وزاد من خطرهما تسربات الموريين إلى ولاية إسبانيا وخاصة على مقاطعة بيتيكا (Betique)⁽³⁾ في عام 168م، مما دفع السلطات الرومانية إلى تأسيس سور في ويلي⁽⁴⁾.

فقد شهدت موريطانيا الطنجية اضطرابات خطيرة حيث شنت القبائل المورية هجومات على مقاطعة بيتيكا في الجهة الجنوبية لإسبانيا، وتواصلت الهجمات طيلة سنوات 171 و 173 و 177م⁽⁵⁾، ويرجع الباحثون مسؤولية هذا الهجوم إلى قبائل البقواط المتحالفة مع قبائل الماكنيت⁽⁶⁾.

(1) جيروم كاركوبينو، المغرب العتيق، ص ص 330-334.

(2) Ferzoul.E.Op.cit.p101.

(3) **مقاطعة بيتيكا**: هسبانيا بايتيكا، التي غالبا ما تُختصر (Baetica)، ظهرت خلال عهد أغسطس حوالي 27 ق.م الذي أعاد تنظيم مقاطعة هاسبانيا، فقسمها إلى مقاطعتين منفصلتين: الأولى هاسبانيا أولتيريور لوزيتانيا، أما المقاطعة الثانية فتحمل اسم أولتيريور بيتيكا، ألحقت إدارة مقاطعة بيتيكا فيما بعد بالمقاطعات السيناتورية (البروقنصلية). للمزيد ينظر: Dion Cassius, III.29; Plin l'Ancien, III, 6.

(4) شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص 182.

(5) Bénabou .M, Op.cit, pp.147-148 ; Cagnat .R, L'armée romaine... Op. cit, pp.50-51.

(6) Ibid, p.148.

وفيما يتعلق بالأسباب التي كانت وراء هجوم القبائل المورية⁽¹⁾ على مقاطعة بيتيكا، يرجع للتحصينات الرومانية التي شيدها الرومان وامتدت من مدينة كارطيناي بموريطانيا القيصرية شرقا وصولا إلى وادي ملوية غربا، وهي الإجراءات التي حدثت من تحركات القبائل المورية، وبالتالي لم يبق أمامها إلا التوجه غربا والاندفاع نحو مضيق أعمدة هرقل لتهاجم بيتيكا، بحثا عن مراعي وغنائم جديدة⁽²⁾، ونتيجة لذلك وضعت روما مقاطعة بيتيكا تحت يد قائد عسكري يحمل لقب ليغاتو (Legato) الذي نجح إلى حد معين في القضاء عن ثورة المور وارجاع السلم للمنطقة سنة 173م⁽³⁾.

- اضطرابات موريطانيا الطنجية استمرت في عهد الإمبراطور ألكسندر سيفيروس (222 - 234م)، لعل أهمها تلك التي أشار لها تاريخ الأباطرة (Scriptorum Historiae Augustae) بين سنتي 232 و234م، وتمكن فوريوس كيلسوس (Furius Celsus) من القضاء على الثوار الذين لم يحدد المصدر المذكور هويتهم سوى أنهم من المور⁽⁴⁾، والراجح أنهم من قبيلتي البوار بموريطانيا القيصرية والبقواط الذين اتحدوا تحت قيادة واحدة وهو ما تظهره العبارة التي تظهر بنقيشة ويلي التي تعود لعهد ألكسندر سيفيروس (Princeps Gentis Bavarum Baquacum)، وتشير إلى إجراء محادثات سلام بين زعيم قبيلة البوار والبقواط وحاكم الطنجية، والنقيشة لا تظهر اسم الزعيم القبلي ولا اسم الحاكم، وبما أن البوار المذكورون في الأول فهذا يجعلنا نعتقد بأنهم العنصر المسيطر، وبالتالي فالزعيم القبلي

(1) حمل بعض المؤرخين مسؤولية الهجوم على مقاطعة بيتيكا إلى القبائل المورية القاطنة بجبال الريف، وذلك لقرب مضاربها من المضيق، بينما فريق آخر من المؤرخين فينسب الهجوم إلى قبائل البقواط مستنديين في ذلك إلى الاتفاقيات السلمية التي جمعت بين الرومان والبقواط سنوات 173-175م والتي تزامنت ونهاية الثورة. للمزيد ينظر: Frézouls E, Les Baquates..., Op.cit. p.107 ; Bénabou .M, Ibid, p.149.

(2) Bénabou .M, Op.cit, p.149.

(3) Ibid, p.149.

(4) مقدم بنت النبي، المرجع السابق، ص136.

الذي فاوض الحاكم الروماني كان بوارى⁽¹⁾، كما أننا نفهم من الكتابة النقوشية أن قبائل البوار والبقواط قبيلة واحدة لأن كلمة (gens) جاءت في المفرد⁽²⁾.

كان للتقارب الجغرافي بين القبائل دور مهم حيث شجعها في أحيان كثيرة على التحالف والتجمع، فالماكنيت كانوا جيران البقواط الجنوبيين، والبوار جيرانهم الشرقيين⁽³⁾، وقد شكل اتحاد القبيلتين خطراً كبيراً على أمن الرومان بالمنطقة مما أدى إلى توحيد المقاطعتين موريطانيا القيصرية والطنجية تحت سلطة قائد عسكري واحد وهو فلافيوس سيلسوس الذي ألحق بهم الهزيمة، وبذلك انتهت ثورة البوار والبقواط باتفاق سلمي مع الرومان⁽⁴⁾.

لا يبدو أن الوضع في موريطانيا الطنجية قد هُدم منذ ذلك الوقت، وهو ما يمكن فهمه من خلال عملية تجديد وتعدد اتفاقيات السلم والسلام الموقعة بين حكام الطنجية وزعماء البقواط بين عامي 139م إلى سنة 280م⁽⁵⁾، وهو الوضع الذي كان خاضعاً لطبيعة العلاقة بين القبائل الحليفة فيما بينها من جهة وبين حاكم الطنجية من جهة أخرى⁽⁶⁾، حيث أن هذه الاتفاقيات لم تدم طويلاً، لتندلع من جديد ثورات القبائل المورية وتنتهي بإبرام معاهدات جديدة ضمنت الأمن مؤقتاً وسلامة الرومان.

5. ثورات القرن الثالث الميلادي بموريطانيا القيصرية:

لم تنقطع ثورات السكان المحليين في المغرب القديم طيلة فترة الاحتلال الروماني بالمنطقة، تعبيراً عن رفضهم للسياسة الرومانية القائمة على التوسع، والتوغل في أراضي القبائل المحلية واستمرارها في الضغط عليها وحصارها بإقامة المنشآت العسكرية، وبناء

(1) مصطفى الأعشي، نقائش معاهدات السلام، ص ص 42-43.

(2) جهيدة مهنتل، المرجع السابق، ص 431.

(3) Bénabou .M, Op.cit, p.196.

(4) Camps. G, les Bavares ..., Op.cit. p.241.

(5) مصطفى الأعشي، نقائش معاهدات السلام، ص ص 48-57، محمد اللبار، المرجع السابق، ص 80؛ Frézouls E.,

Baquates..., Op.cit. p.70-73, Les

(6) محمد البشير شنيقي، روما الإمبراطورية، ص 119.

القلاع والحصون ما حد من حريتها⁽¹⁾، بدأ هذا الصدام منذ القرن الأول واستمر وبقوة خلال القرن الثالث الميلادي أين وجدت هذه القبائل الفرصة سانحة لشن هجمات، ضد السلطة الرومانية وزعزعت أمنها واستقرارها بالمنطقة⁽²⁾.

من خلال القراءة المتأنية لمحتوى مجموعة من النقوش التي عثر عليها بأراضي القيصرية، وهذه النقوش لا تقدم معلومات كافية عن المقاومات والثورات التي قام بها المور ضد الاحتلال الروماني؛ كونها كتبت من طرف القادة العسكريين الرومان بينما أهمل السكان المحليون ذكر إنجازاتهم، والواضح أن ما وصلنا من نقوش يخلد فقط الحالات التي حقق فيها الرومان الانتصار وهي في غالبها اتسمت بالتباهي بانتصارات حكام المقاطعات على القبائل الثائرة، ولكن وباعتماد تلك النقوش تم إحصاء أهم الثورات التي قامت بالمغرب القديم الروماني، وما يهمنا هو المجال الجغرافي لمقاطعة موريطانيا القيصرية خاصة خلال القرن الثالث الميلادي التي كانت القبائل البوارية طرفا فيها وهي:

1.5. البوار وحرب الحركة:

1. ثورة 227 م : من الثورات المعروفة بالمنطقة تلك الممتدة ما بين 226-227 م ضد بروكيراتور موريطانيا القيصرية ليكنيوس هيروكلس (Hirocles T.Licinius)، الذي جمع قواته لهزيمة جماعة ثائرة تحت أسوار أوزيا⁽³⁾، وذكرت هذه الثورة في نقيشة عثر عليها بمدينة سور الغزلان (Auzia)، تخذل انتصار هذا الحاكم على قبائل يحتمل أن تكون البوار، حيث يظهر إهداءه وتشكراته لأعيان مستعمرة أوزيا بعد المساعدة التي قدموها له للقضاء على هذه الثورة، التي قامت بها جماعة وصفتها النقيشة بالبائسة

(1) مقدم بنت النبي، المرجع السابق، ص136.

(2) خديجة منصوري، المرجع السابق، ص175.

(3) Laporte.J. P.(*Saldae vgait, Béjaia, Bougie*) et les révoltes berbères contre Rome .Actes du colloque, ville d'histoire et de civilisation, Bejaia, 2013.p.19.

(Desperatissimurtb)⁽¹⁾، المتحالفة مع قبائل الحلف الخماسي بقيادة فراكسن التي برعت في حرب الكمائن، كما تشير نقيشة أخرى إلى أن هذا القائد كان فعلا حاكما للقيصرية في تلك الأثناء أي العام 227م⁽²⁾، وكان البوار أول المهاجمين لقربهم من مراكز الاحتلال، فنزلوا من موطنهم بجمال البابور مكتسحين المزارع الرومانية في السهول، ما دفع المعمرين إلى بناء الأسوار والتحصينات للاحتماء بها عند الضرورة بتشجيع من الإمبراطور ألكسندر سيفيروس وإشراف حاكم المقاطعة⁽³⁾، وما تحصين قلعة خربة عين السلطان الواقعة إلى الجنوب من سطيف وقلعة عين ملول إلا دليل على هذه الاضطرابات⁽⁴⁾.

يعود سبب نشوب هذه الثورة إلى قيام الرومان بفتح طريق بين ستيفيس وأوزيا (سور الغزلان)، عبر جبال البابور في محاولة الأباطرة السيفريين فرض رقابة مشددة على سكان هذه الجبال، ويشهد على ذلك نصب ميلي عثر عليه في برج غريس يعود إلى عهد الإمبراطور سبتيموس سيفيروس، هذه الثورة كانت على غير العادة داخل الليمس الروماني وليس من الصحراء⁽⁵⁾، إذا فسبب هذه الثورة هو رفض قبائل البوار للسياسة الرومانية واستمرارها في الضغط عليهم وحصارهم بإقامة المنشآت العسكرية وبناء القلاع والحصون وهو ما حد من حركتهم⁽⁶⁾. كما ذكرت نقيشة أخرى معاصرة لهذه الأحداث (أي العام 227) عثر عليها بخربة عين السلطان جنوبي سهول سطيف، أعمالا تحصينية قد جرت على قلعة يبدو أنها كانت قائمة بنفس الموقع وتدعى سيتوفتس (Castillum Citofetense)⁽⁷⁾. وقد

(1) Camps.G, les Bavares... Op.cit, p.249.

(2) CIL, VIII ,9354

(3) يشاري محمد الحبيب، المرجع السابق، ص 71.

(4) رمضان تسعديت ، المرجع السابق، ص 44.

(5) المرجع نفسه، ص ص 33-34.

(6) مقدم بنت النبي، سياسة الرومان، ص 136.

(7) شنيطي محمد البشير، المرجع السابق، ص 227.

تميزت هذه الثورة ببراعة القبائل المشاركة فيها في نصب الكمائن ولكن بسبب عدم التنظيم تم القضاء عليها بواسطة حاكم موريطانيا القيصرية⁽¹⁾.

2. ثورة سنة 253 - 262 م: من الثورات التي قامت بالمنطقة أيضا تلك التي شاركت فيها قبائل البوار وقبائل الحلف الخماسي في النصف الثاني من القرن الثالث ميلادي التي اشتدت ما بين سنوات 253. 262 م، و289 حتى 298م⁽²⁾، يذكر كركوبينو (Carcopino) أن إفريقيا الرومانية عرفت تزايد في الثورات والتي دامت تسع سنوات، بدأت بثورة قبائل البوار القاطنة بمرتفعات البابور الذين اتحدوا مع قبائل الحلف الخماسي⁽³⁾، وهاجموا نوميديا فامتد لهيبها إلى سهول سطيف وتخوم نوميديا، إلا أن حاكم مقاطعة موريطانيا القيصرية تمكن من التصدي لهذه الثورة ودفعهم للانسحاب، يذكر كانيا (Cagnat) أن الثوار استطاعوا أخذ عدد من الأسرى المسيحيين وبخاصة النساء الأمر الذي دفع بالقديس كبريانوس (Cyprianus) لجمع مبلغ كبير من المال قدر بـ 100 ألف سيسترس لأجل اقتداء المختطفات وبالأخص العذارى منهن، وقام بإرسالها إلى عدد من الأساقفة منهم أسقف توكا (Thucca) لتحريرهن⁽⁴⁾، ولم يرد في رسالته للأساقفة في نوميديا اسم أي قبيلة من القبائل المشاركة في ثورة سنة 253م، أين استعمل كبريانوس كلمة

(1) Laporte .j. p, Op. cit, p.19.

(2) Camps.G, Op. cit, p.249 ; Laporte .j.p, Saldae,Op.Cit,p19.

(3) أحمد صفر، مدينة المغرب العربي التاريخ عشرون قرنا من تاريخ إفريقيا من عصور ما قبل التاريخ إلى العهد البيزنطي، تونس، دار النشر وبسلامة، ص373.

(4) Cyprian, Epist, LXII (p. 698, éd. Hartel) ; Cagnat .R. L'armée romaine... Op. Cit, p.53.

البرابرة (Barbarus) في وصفه للمختطفين⁽¹⁾، وعملية الاختطاف هذه لا يوجد دليل كاف يثبت إصاقها بالثوار، والراجح أن العمل يرجع إلى قطاع الطرق وليس الثوار⁽²⁾.

تمكن حاكم موريطانيا القيصرية ماركس أوريليوس فيتاليس (M.Aurelius Vitalis) وقائد الجناح العسكري للتراقين أولبيوس كاستوس (Ulpius Castus) من إلحاق الهزيمة بالثوار بعين بودية (Ain Bou dib) الواقعة بالقرب من وادي الأكل⁽³⁾، وفي فيفري 254م انتصر قائد الفرسان الموريين أيليوس بريمانوس (P.Aelius Primanus) هو موري مرومن⁽⁴⁾، على الثوار بنواحي سور الغزلان (أوزيا) يحتمل أنهم من البوار⁽⁵⁾، وابتداء من سنة 254م امتدت الثورة إلى كامل القيصرية ونوميديا⁽⁶⁾.

عين كورنيليوس أوكتافيوس (M.Cornelius Octavianus) قائد أسطول مسينا⁽⁷⁾، حاكما على موريطانيا القيصرية ما بين سنوات 255 إلى 258م، الذي تولى القتال ضد قبائل البوار وتمكن من إلحاق هزيمة بهم وتشتيت جمعهم الكبير، حيث تشير النقيشة التي عثر عليها في مضيق ثنية المكسن (ينظر النص رقم 11)⁽⁸⁾ بالممر الرابط بين البابور وسهل

(1) Carcopino.J, L'insurrection de 253 d'après une inscription de Miliana .Rev.Afr, n°298, 1919.p.4; Cagnat .R, Op. cit, p.60.

(2) محفوظ خالد، قبائل نوميديا وموريطانيا القيصرية وأزمة القرن الثالث للميلاد " قراءة جديدة في ثورات القرن الثالث"، مؤلف جماعي النظم القبلية في تاريخ بلاد المغرب: تاريخها، أدوارها، وتأثيراتها السياسية والثقافية، جامعة يحيى فارس المدية، 2021، ص88؛

Bénabou .M, Op.cit, p.218.

(3) Laporte .j.p, Op.cit, p.20.

(4) Carcopino.J, L'insurrection de 253...Op, cit, p.10.

(5) Laporte .j.p, Op.cit, p.19.

(6) مقدم بنت النبي، سياسة الرومان، ص138.

(7) Bénabou .M, Op.cit, p.221.

(8) قد الباحثان كرسطول ولابورت قراءه لهذه النقيشة للمزيد ينظر :

Christol .M, Laporte. J-P, Teniet-El-Meksen. Un nouveau gouverneur de Maurétanie Césarienne dans les Dernières décennies du III siècle et les luttes entre le pouvoir romain et les Bavares (AE,1907, 157 : ILS,8959) ,Ant Afr, t.38-39, 2002-2003, pp.109-121.

سطيف على بعد 30 كلم من مدينة سطيف (Sitifis)، إلى انتصاره على قبيلة البوار (Bavares) سنة 258م⁽¹⁾، وقد ورد بنص النقيشة أسماء ثلاثة ملوك⁽²⁾ قضوا في هذه المعركة وهم تغاوين (Taganim) ومسمول (Masmule) وفاهم (Fa(b)am) وهو الاسم الوحيد من بين أسماء الملوك الثلاثة الذي أثير حوله شك كون الحرف الثالث غير مكتمل، وقرأ (Faiem) فالاسم غالبا فاهم⁽³⁾، وقد أشار النص إلى أسر عدد كبير - دون تحديده بالضبط- من أفراد العائلة الملكية لهذه القبائل⁽⁴⁾، إن ذكر أسماء وإعطاء صفة الملوك في نص النقيشة لدليل على وجود إمارات مستقلة عن السلطة الرومانية سكنت المصادر عن ذكرها، وأيضا لأهمية هذه الثورة⁽⁵⁾، وعلى ما يبدو من الموقع الذي عثر فيه على هذه النقيشة أن الجيش الروماني يكون قد منع هذه القبائل من الزحف من الجبال إلى السهول العليا السطاييفية على المحاصيل الزراعية، وقام بصدها واعتراضها في هذا الموقع الذي يربط السلاسل الجبلية الشمالية بالهضاب العليا⁽⁶⁾.

النص رقم 11: ثنية المكسن

[ob victoriam adversus] **Bavarum gentes** quorum omnis multitudo prostrata est interfectis **Taganim Masmule et Faiem** regibus adpraehensis etiam afra fa...vasamen et...inim con Lectis rega [libus vota diis immortalibus Getulor(um) [persolv]it sul[pi]cius sac[rat]us⁽⁷⁾

تميزت سنة 259 بعدة معارك بين الفرق الرومانية بقيادة الليغاتوس ماكرينوس ديكيانوس حاكم نوميديا (Caius Macrinus Decianus) والثوار الذي سعى للحد من

(1) مقدم بنت النبي، المرجع السابق، ص 138.

(2) Drisi. S, Op.cit, p.57.

(3) Christol .M, Laporte. J-P, Op.cit, p.116.

(4) Ibid, p.116.

(5) شنييتي محمد البشير، روما الإمبراطورية، ص 224.

(6) Camps. G, Bavares..., Op.cit, p.1397; Drisi. S, Op.cit, p.57.

(7) ILS, 8959.

التحركات المتتالية لهذه القبائل إلى نوميديا⁽¹⁾، حيث كانت أول معركة بالقرب من مدينة ميلاف (Milev) بنوميديا، والمرة الثانية بالقرب من الحدود النوميديّة الموريطنانية وهي الأحداث التي خلّدتها نقيشة لامبيز⁽²⁾، وبعد المعركة الثانية وانهزام البوار انضمت قبائل الحلف الخماسي⁽³⁾، التي هاجمت شرق موريطنيا وغرب نوميديا من الوسط متبعة وادي الذهب، بينما توجهت قبيلة الفراكسينانس (Faraxinenses) نحو سور الغزلان وسهل مجانة، قاد هذه الثورة فاراكسن الذي لقب من طرف الرومان بـ (Famosus) أو (Famosossimus) والتي يمكن ترجمتها بالمشهور الذائع الصيت أو المزعج، وثورتهم هذه تزامنت وثورة الحلف الخماسي⁽⁴⁾، رغم أهمية هذه الثورة وعدم تمكن الجيش الروماني من القضاء عليها إلا في سنة 260م⁽⁵⁾ (ينظر النص رقم 12 نقيشة أوزيا)، فإن المصادر الأدبية لم تتطرق لها ولم تتحدث عنها.

يذكر لابورت أن قائد الكتيبة الإمبراطورية للفرسان الموريين الذي يخيم في حامية أوزيا غارغيليوس مارتياليس (Quintus. Gargilius Martialis) نجح في أسر وقتل قائد مشهور (Faraxen) زعيم قبيلة الفراكسينانس وذلك قبل فترة وجيزة من سنة 259م⁽⁶⁾، هذه الهزيمة لم توقف الثوار واستمرت الثورة ونجحت قوات البوار في القضاء على القائد غارغيليوس مارتياليس سنة 260م في كمين نصب له حين عودته من الحرب التي خاضها ضد الفراكسينانس⁽⁷⁾، وأمام خطر هذه الثورة على نوميديا وموريطنيا القيصرية لجأت الإدارة الرومانية إلى استدعاء م.كورنيليوس أوكتافيانوس (M.Cornelius Octavianus) قائد

(1) Carcopino.J, L'insurrection de 253...Op, cit, p.8.

(2) CIL, VIII.2615=ILS, 1194.

(3) مقدم بنت النبي، المرجع السابق، ص138.

(4) محفوظ خالد، قبائل نوميديا، ص91.

(5) Carcopino.j, Op. Cit, p.374.

(6) Laporte .j. p, Saldae ,... Op. Cit, p.20; Carcopino.J, L'insurrection de 253...Op, cit, p.10.

(7) CIL. VIII, 9047. نقيشة أوزيا والتي تشترك مع نقيشة لامبيز في نفس الأحداث.

أسطول مسينا وعينته على رأس القوات النوميديّة الموريطنانية بين سنوات 260-262م⁽¹⁾ ومنحته صلاحيات واسعة وإمكانيات بشرية ضخمة للقضاء على ثورات البوار، وقد تمكن من هزمهم بالقرب من المهدية على مستوى سهول سطيف⁽²⁾.

وما يفهم من هذه الثورة أن تحالفا كبيرا وتنسيقا وقع بين قبائل المور (التي قطنت بإقليم موريطنيا القيصرية وحتى الطنجية) القوية، التي يمكن أن نسميها إمارات وهي قبائل البوار، الحلف الخماسي والفراكسنانسس بالإضافة إلى قبائل البقواط⁽³⁾، وكلها قبائل ذات شأن كبير في التاريخ العسكري الروماني بالمقاطعات الرومانية، حتى إن بعض المؤرخين شبه هذا التحالف بما جرى مع تاكفاريناس والقبائل المورية والكنثيين⁽⁴⁾.

غير أن نقيشة مليانة زوكابار (zuccabar) والمؤرخة بـ 1 يناير 263م⁽⁵⁾ تحدثت عن استمرار الثورة بموريطنيا القيصرية إلى غاية 263م تاريخ إخمادها من طرف الحاكم أوريليوس فيكتور (M. Aurelius Victor)، فالنقيشة تشير بوضوح للمشاكل التي هزت إفريقيا في بداية النصف الثاني من القرن الثالث، كما أنها وضحت مدى انتشار القبائل المشاركة في هذه الثورة بكل من نوميديا وموريطنيا القيصرية، وحتى أن الثورة تحركت جنوبا، ويظهر ذلك من خلال نقيشة أوزيا التي تظهر هجوم القبائل المتحافة عليها في الفترة الممتدة بين 251 و260م⁽⁶⁾.

النص رقم 12 (نقيشة أوزيا):

Q(uinto) Gargilio Q(uinti) f(ilio) Q(fuirina tribu) Martiali eq(uiti)

(1) بشاري محمد الحبيب، المرجع السابق، ص75.

(2) خنيش عبد الفتاح، المرجع السابق، ص105.

(3) Carcopino.J, L'insurrection de 253...Op, cit, p.10.

(4) Bénabou .M, Op. cit, p.226.

(5) CIL. VIII, 9045 .

(6) Carcopino.J, L'insurrection de 253...Op, cit, p.10.

r(ornano) praef(ecto) coh(ortis) I Astyrum pr(ovinciae) Brittaniae trib(uno) co(hortis) Hispfanorum)

Pr(ovinciae) Mauretaniae Cae (sariensis) a mil(itiis) praep (osito) coh(ortis) sing (ularium) et vex fillationis)

eq<q> (uitum) Mauror(um) in territorio Auziensi praetendentium dec(urioni) duarum col<l>-

(oniarum) Auziensis et Rusguniensis et pat(rono) prov(inciae) ob insignem in cives amorem et singularem

erga patriam adfectionem et quod eius virtute ac vigilantia **Faraxen** rebellis cum satellitibus suis fuerit captus

et interfectus ordo col(oniae) Auziensis insidiis **Bavarum** decepto p(ecunia) p(ublica) f fecit) dfecreto)

dfecurionum) VIII Kalfendas) Apr filis) anno prfovinciae) CCXXI (= 26 mars 260)⁽¹⁾

ترجمة النص:

الكتابة عبارة عن إهداء لغارغيليوس مارتياليس (Q. Gargilius Martialis) قائد منطقة أوزيا، وتذكر الكتابة مراتبه المختلفة، فهو قائد الفرقة العسكرية ببريطانيا واسبانيا، ثم موريطانيا القيصرية حيث أشرف على الفرق العسكرية الخاصة بالحرس وفرق الفرسان الموريين، تشيد الكتابة بحبه لوطنه -أوزيا- وهو الذي قام سابقا بأسر القائد الموري فراكسن، قبل أن يقع في كمين نصبه له البوار، قام المجلس المحلي لأوزيا بهذا الإهداء بأموال الخزينة العمومية وكان ذلك في سنة 260م⁽²⁾.

إذا كان قمع السلطة الرومانية لتلك الثورات التي شهدتها النصف الأول من القرن الثالث قد سمح بعودة الأمن واستقرار الأوضاع بموريطانيا القيصرية، فإن ذلك الاستقرار لم

⁽¹⁾ CIL. VIII, 9047 .

⁽²⁾ جريدة مهننل، المرجع السابق، ص433.

يدم لفترة طويلة حيث ما إن حل سنة 289م حتى تشهد هذه المقاطعة سلسلة أخرى من الثورات أشد خطورة وأكثر عنفا⁽¹⁾.

4. ثورات سنوات 289-297م:

تميزت الفترة الممتدة ما بين حكم غالينوس (Gallienus) (253-268م) وبروبوس (Probus) بندرة الشواهد المادية، وربما ساد الأمن والاستقرار في موريطانيا القيصرية لكن ما إن حلت سنة 289 م حتى تغير الوضع، بقيام ثورات أكثر عنفا من سابقتها دامت حوالي عشر سنوات، امتدت فشملت تقريبا كامل أراضي المقاطعة الرومانية⁽²⁾، خاضها البوار وقبائل أخرى حليفة منها قبائل الحلف الخماسي، تشير نقيشة سور الغزلان (Auzia) إلى أن إقليم مقاطعة موريطانيا القيصرية عانت من ثورة شهدتها هذه المنطقة، غير أن حاكم المقاطعة أوريليوس ليتوا (Aurelius Litua) تمكن من القضاء على البواريين المتواجدين فيما وراء الشطوط سنة 289م وعاد إلى القيصرية متوجا بالنصر⁽³⁾، في السنة نفسها اندلعت ثورة قبائل الحلف الخماسي⁽⁴⁾ التي هددت السهول العليا لموريطانيا انطلاقا من الونشريس إلى القبائل الكبرى، وتوجب على أوريليوس ليتوا الخروج على رأس القوات السطايفية والقيصرية للقضاء عليها⁽⁵⁾.

وما زاد من خطورة الوضع تدخل قبائل أخرى تتمركز بالشرط الشرقي ووسط الحضنة يحتمل أنها من القبائل الرحل، يفترض حدوث تحالف بين هذه القبائل المنتشرة في شمال الصحراء، وقبائل التل وسكان الجبال (قبائل الحلف الخماسي وقبائل البوار والباواريين

(1) خديجة منصوري، الدوناتية وثورات، ص 207.

(2) أحمد صفر، المرجع السابق، ص 74.

(3) بشاري محمد الحبيب، المرجع السابق، ص 78.

(4) مقدم بنت النبي، المرجع السابق، ص 141.

(5) Hamdoune. Ch. L'expédition de Maximien en Afrique. In : Antiquités africaines, 46-48, 2010. p. 188.

المقيمين جنوب الشطوط ترانس تاقنسيوس (Bavari Transtagnensibus)⁽¹⁾ بين وادي الساحل وجبال الحضنة) فكانت بحق ثورة شاملة وعارمة⁽²⁾ (ينظر النص رقم 13 نقيشة شرشال)، وواصل أوريليوس ليتوا حربه ضد قبائل الحلف الخماسي إلى أن انتصر عليهم سنة 292م⁽³⁾ لكن المؤرخ ستيفان ويليامس (Williams) اعتبره انتصارا محدودا⁽⁴⁾. وقد خلفت هذه الثورة تراجع السيطرة الرومانية نحو الشرق، بحيث أصبحت المنطقة الممتدة على شكل شريط من مستغانم إلى باتنة منطقة حرة خارجة عن السيطرة الرومانية⁽⁵⁾.

النص رقم 13 : نقيشة شرشال.

Iovi Optimo Maximo
ceterisque dis
immortalibus
gratum referens
quod erasis funditus
Babaris transtagnen
sibus secunda praeda
facta salvus et incolumis
cum omnib(us) militibus
dd(ominorum)
nn(ostrorum) Diocletiani et
Maximiani Augg(ustorum)
regressus
Aurel(ius) Litua v(ir) p(erfectissimus) p(raeses) p(rovinciae) M(auretaniae)
C(aesarensis)

(1) Ibid. p. 188.

(2) Bénabou.M, Op. cit. p.235.

(3) Poulle. M. A, Op.cit. p.126.

(4) محفوظ خالد، قبائل نوميديا وموريطانيا، ص 91.

(5) المرجع نفسه، ص 91.

votum libens posvui⁽¹⁾

تحدث النقيشة هن إهداء قام به حاكم موريطانيا القيصرية أوريليوس لتويا (Aurelius Litua) في عهد الإمبراطورين ديوقلديانوس (Diocletiani) وماكسيميانوس (Maximiani)، وهي إلى احتفال هذا الحاكم بانتصاره على فرع من قبائل البوار⁽²⁾، وتؤرخ النقيشة بـ 290-292 وقد ورد فيها كلمة باباريس (Babaris) التي تدل على قبائل البوار حسب الباحثين، والنقيشة تشير إلى فرع من فروع قبائل البوار وهي ترانس تاقنسيبوس (Transtagnensibus)⁽³⁾.

ما يمكننا أن نستشفه بعد استعراضنا لمختلف ثورات قبائل البوار، وقبائل أخرى وباعتمادنا على الكتابات الإبيغرافية التي ذكر فيها اسم قبيلة البوار، يتضح لنا أولاً أن الإطار الجغرافي الذي شهد تحركات القبيلة هذه واسع، إذ يشمل أربع مقاطعات رومانية، فقد ورد اسمها في كل من موريطانيا الطنجية وموريطانيا القيصرية وموريطانيا السطايفية، وأخيراً بمقاطعة نوميديا مما جعل بعض الباحثين يعتقدون أن هذه القبيلة غير مستقرة وتتصف بالترحال، بينما فريق آخر فرأى أن هذه القبيلة تنقسم إلى مجموعتين: بوار شرقيون و بوار غربيون. (يرجع للخريطة رقم 9).

خلفت ثورات القرن الثالث التي قادتها قبائل البوار وقبائل أخرى، خروج مناطق شاسعة عن الاحتلال الروماني غرب موريطانيا القيصرية وحتى بين القيصرية والسطايفية، وهي المناطق الداخلية بمرتفعات التل الوهراني بما فيها الونشريس، نتيجة تراجع الخطوط الدفاعية، بينما ظلت بعض المدن الساحلية والقريبة منها تحت السيطرة الرومانية، وهي مناطق انتشرت فيها معظم القبائل التي ستشارك في ثورة فيرموس.

⁽¹⁾ CIL, VIII, 9324.

⁽²⁾ جريدة مهنتل، المرجع السابق، ص 436.

⁽³⁾ Drisi. S, Op.cit, p.59.

6. ثورة فيرموس وتحالفه مع القبائل المورية:

شهد الثلث الأخير من القرن الرابع جملة من الصراعات الدينية بين الدوناتية وأتباع الكنيسة الرسمية، والاضطرابات الإجتماعية (ثورة الدوارين)، والثورات العسكرية، لعل ما يهمنا منها كلها هي ثورة فيرموس بن نوبل والسلطات الرومانية، المصدر الأساسي حول ثورة فيرموس التي اندلعت في حوالي 372م، واستقطبت القبائل المورية المختلفة، التي تمكنت من إلحاق خسائر معتبر بالرومان في الأرواح والعتاد، والتي يسميها "حركة عصيان"، هو المؤلف الروماني أميان ماركولان (Ammien Marcellin) الذي زار المنطقة وعاش بعضاً من أحداث ثورة فيرموس وتحدث عنها في كتابه تاريخ روما في الكتاب التاسع والعشرين الفصل الخامس المعنون بـ "حرب فيرموس"، ورغم ضياع كثير من فصول كتابه⁽¹⁾ قدم معلومات قيمة، غير أن ماركولان لم يفصل في خلفيات وأسباب الثورة ذلك أنه اكتفى بتتبع حملة ثيودوز (Theodosius) على إفريقيا، وهو ما يصعب في تناول جوانب عديدة من مجريات هذه الثورة ولعل ما يهمنا هنا هي القبائل التي ساندت فيرموس؛ وذكرها ماركولان لكن دون تحديد لمواضعها ومسارات تحركاتها⁽²⁾.

ومن الكتاب الذين سجلوا أحداث هذه الثورة نذكر أوروسيوس بولس (Orose) في كتابه "تاريخ ضد الوثنيين" (Histories against the Pagans) الكتاب السابع الفصل (33)⁽³⁾ والذي عاش في زمن متاخر عن الأحداث نسبياً في القرن الخامس الميلادي⁽⁴⁾،

⁽¹⁾ Ammien Marcellin, XXIX.V.2-52.

⁽²⁾ محمد الهادي حارش، ثورة فيرموس، مجلة الدراسات التاريخية، ع7، الجزائر، 1993، ص11.

⁽³⁾ أوريسيوس (Orose): هو بول أوريسيوس من إقليم براكارا في مقاطعة جليقة في الشمال الغربي من إسبانيا، لا يعرف تاريخ ميلاده، يحتمل أنه ولد فيما بين 375 و380م، عاش في القرن الخامس ميلادي، وهو أحد تلاميذ القديس أوغسطين الذي كتب مدينة الإله بعد الإتهامات التي ألغاها الوثنيين على انتشار المسيحية، في سقوط مدينة روما العام 410م على يد القوط، أين طلب أوغسطين من تلميذه كتابة عمل مصاحب يوضح الكوارث التي تعرضت لها البشرية منذ أقدم العصور، أنتج أوريسيوس أطول ملخص للتاريخ الروماني من البداية وحتى حياته. للمزيد ينظر: أوريسيوس، تاريخ العالم، تر: عبد الرحمان بدوي، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1982، بيروت، صص 5-6.

⁽⁴⁾ Orose.VII.33.5.

وممن اهتموا بنقل أخبار فيرموس نجد أيضا كلوديوس (Claudius) صاحب كتاب حرب جيلدون (De Bello Gildonic)، الذي نقل أخبار تمرد على روما هو الآخر بعد أن كان حليفا لها⁽¹⁾، كما لا ننسى ماجاء به أوغسطين (Augustin) الذي ذكر الأحداث التي صحبت ثورة فيرموس، كاتهامه خصومه الدوناتيين بالمشاركة في ثورة البربري فيرموس، وتحريضه على الإطاحة بالإمبراطورية الرومانية⁽²⁾. وسجلت الوثائق الأثرية معطيات مهمة عن هذه الثورة⁽³⁾.

وعن أسباب ثورة فيرموس فيرجعها المصدر الأدبي الرئيسي ماركولان إلى تدخل الكونت رومانوس (Comes Romaus)⁽⁴⁾ في المشاكل التي عرفت أسرة نوبل مباشرة بعد وفاة هذا الأخير والعمل على تفرقتها (الإرث الذي تركه لهم والدهم وعلى الخصوص الحكم)، وهو التناحر الذي أدى إلى اغتيال أخيه سماك (Sammac) حليف رومانوس والطامح لورثة عرش والده، والذي ناصر أخوه جيلدون، حيث يعتقد أنه الوريث والزعيم الشرعي الذي اختاره نوبل⁽⁵⁾، استغل رومانوس الحادثة لإظهار تمرد فيرموس عن الرومان⁽⁶⁾، وهو ما أدى لانقلاب فيرموس وثورته، وتمرده على الرومان بعد أن كانت عائلته حليفة لهم منذ أجيال⁽⁷⁾.

ومن الأسباب التي أدت إلى قيام هذه الثورة الشاملة التي هددت الوجود الروماني بالمقاطعة القيسرية، هي تلك الظروف والمعطيات الموضوعية التي ساعدت في اندلاعها منها فساد كبار المسؤولين الرومان من ذلك تصرفات الكونت رومانوس (Comes

(1) Claudianus. Gurre de Gildon. 350.

(2) Augustin, Epist, 87; 164, contra parm, I.10.17.

(3) ينظر الفصل الرابع، ص ص 301-303.

(4) Ammien Marcellin, XXIX.V.

(5) Laporte.J. P, les armées romaines et la révolte de Firmus en Maurétanie l'armée romaine césarienne, in de Dioclétien à Valentinien 1er, Diffusion de Boccard, Paris, 2004, p.283.

(6) Ammien Marcellin, XXIX.V.2-3.

(7) Camps.G, Firmus...Op.cit. p.2847.

(Romanus) التعسفية ضد الأهالي⁽¹⁾، والمتهم بالتسيب وجلب المصاعب للإمبراطورية، وهو ماتظهره شكاوى رعايا كل من بلدتي طرابلس ولبدة⁽²⁾.

ويعطينا (م.ب) شنيتي مجموعة من الأسباب التي أدت إلى قيام هذه الثورة لعل أهمها هي تطلع الإمارات المورية التابعة لروما والتي تنامي نفوذ أمرائها، إلى المزيد من المكاسب الترابية أو الانفصال عن السلطة الرومانية نهائيا، كما حققته القبائل الثائرة في القرن الثالث الميلادي، وهو ما يفسر شساعة خريطة المعارك الكبرى التي دارت بين جيش تيودوز الروماني والقبائل الثائرة إلى جانب فيرموس، فأغلب المعارك جرت في بلاد التيطري والبيبان وما جاورهما⁽³⁾.

نضيف لهذه الأسباب ذلك الصراع الذي عرفته الكنيسة الأفريقية، وكان على أشده بين أتباع الكنيسة الرسمية (الكاثوليكية) وأتباع الكنيسة الدوناتية التي كانت تستخدم جماعات الدوارين (الثوار الريفيين)، الذين وجدوا الفرصة سانحة في الإنضمام لثورة فيرموس⁽⁴⁾.

وصفوة القول أن أسباب ثورة فيرموس متعددة ومتشابكة⁽⁵⁾، يوجزها كانيا (Cagnat) بوصفه أن ثورته تعود لأسباب دينية ومطالب استقلالية وانتقام شخصي "vengeance personnelle, passions religieuses, revendications d'indépendance"⁽⁶⁾.

تميز الإطار الجغرافي لثورة فيرموس بالشساعة فامتدّ من وادي الصومام ويسر شرقا إلى كرتناي (تنس)، وسهول نهر الشلف وجبال الونشريس غربا، حيث كانت مضارب قبائل المازيس التي ناصرت⁽⁷⁾، إلى أوزيا ومسيلة جنوبا (الحضنة)⁽¹⁾، ويمكن تفسير ذلك بمدى

(1) Laporte.J. P, Les révoltés dans..., Op.cit, p.128.

(2) Cagnat .R, Op.cit, p.70.

(3) محمد البشير شنيتي، روما الإمبراطورية، ص ص 234-235.

(4) خديجة منصوري، الدوناتية وثورات، ص 252؛ 2849؛ Op.cit. Camps.G, Firmus...

(5) للمزيد عن أسباب ثورة فيرموس ينظر: خديجة منصوري، المرجع نفسه، ص ص 247-252.

(6) Cagnat .R, Op.cit, p.78.

(7) Decret. F et Fantar .M, Op.cit. p.335.

شساعة نطاقات أملاك عائلة نوبل⁽²⁾، وهي بذلك شملت أراضي من مقاطعات نوميديا، والموريطنيتين السطايفية والقيصرية، بالإقليم المستعصي الذي ظل خارج حدود السيطرة الرومانية (الجبال، المرتفعات والسهوب)، يتمتع بنوع من الاستقلالية مشكلا وحدات مستقلة نسبيا، تهدد أمن المدن والقرى الرومانية⁽³⁾.

يذكر أميان ماركولان ثلاث عشرة قبيلة من أنصار فيرموس بأسماء ليبية، وبعضها لاتيني تعرف باللاحق اللاتيني (Suffixe)⁽⁴⁾ والتي يصفها بالمرتزقة عديمي الضمائر⁽⁵⁾ وهي:

قبيلة أباني (Abanni)⁽⁶⁾، وهي قبيلة آيت عبان أو آيثعبان التي تسكن السفوح الشمالية الغربية لمسيلة قرب شط الحضنة⁽⁷⁾، وأستوماتيس (Az/astomates) ، بايوريس (Baiures)، باوزريس (Bawzres)، كانميرياني (Canmuriani)⁽⁸⁾، كبريانسس (Caprarienses)⁽⁹⁾، (Cafaves)⁽¹⁰⁾، إيسلانس (esalenses = Iesalem)⁽¹¹⁾، وقبيلة الإيسافلاس (Îsaflenses)⁽¹²⁾، يوباليني (Iuaaleni)⁽¹³⁾، وقبيلة الماسينانيسيس

(1) محمد الهادي حارش، ثورة فيرموس، ص 11.

(2) Camps.G, Firmus...Op.cit. p.2848.

(3) عبد الحميد عمران، من مقاومات الاحتلال الروماني في شمال إفريقيا مع نهاية القرن الرابع الميلادي، المجلة التاريخية الجزائرية، مج 4، ع 1، 2020، ص ص 12-13.

(4) Laporte.J. P, Les révoltés dans la guerre de Firmus en Maurétanie Césarienne (370-375), Éditions du Comité des travaux historiques et scientifiques' Collection CTHS. Hisronuî, 2014, p.122.

(5) Ammien Marcelin, XXIX, V, 25

(6) Ibid, XXIX.V.37.45.

(7) محمد الهادي حارش، دراسات ونصوص، ص ص 61-64.

(8) Ammien Marcellin, XXIX.V.33.

(9) Ibid, XXIX.V.35.

(10) Ibid, XXIX.V.37.

(11) Ibid, XXIX.V.44.47.50.

(12) Ibid, XXIX.V.40.43.46.51.52.53.

(13) Ibid, XXIX.V.44.

(Masinissenses)⁽¹⁾، و قبيلة المازيس (Mazices)⁽²⁾، و قبيلة الموسوني (Musones)⁽³⁾، التيندانيس (Tyndenses)⁽⁴⁾، بالإضافة إلى مجموعة من القبائل الأخرى التي لم يسميها ماركولان⁽⁵⁾، يذكر (م.ح) فنطر أن فيرموس واستعدادا لمواجهة جيش رومانوس جمع تعزيزات ومقاتلين من خمس عشرة قبيلة⁽⁶⁾.

وما نستخلصه من مناصرة كل هذه القبائل لفيرموس هو مكانته بين قومه، واعتبار مناصرة الرومان لأخيه سماك تدخل في شؤون الأسرة المورية⁽⁷⁾. وهو الأمر الذي صعب من مهمة الرومان في القضاء على هذه الثورة على حد قول المؤرخ أميان ماركولان، واقتصر دورهم في كثير من الأحيان على الدفاع فقط أمام هذا الأمير الموري الذي استطاع أن يضمن وحدة القبائل الموريطانية والثقافا حول ثورته الشاملة، ويجندوها إلى جانبه⁽⁸⁾، لدرجة أنه كان بإمكانه أن يسخر للمعركة الواحدة ما يقارب العشرين ألف مقاتل، حيث اندفعت إليه القبائل البدوية والقبائل الجبلية التي لم تكن خاضعة إلا شكليا للرومان⁽⁹⁾، وهو ما دفع القديس أغسطين إلى تسمية فيرموس بالملك البربري الذي يسعى للإطاحة بالإمبراطور والتربع على عرش روما خلفا له⁽¹⁰⁾.

أعلن فيرموس عن ثورته عام 372م بعد أن عقد تحالفات مع العديد من القبائل المورية المذكورة أعلاه، وبعد أن لبس الحلة الأرجوانية (Pourpre)، ووضع التاج حسبما ورد عن

(1) Ammien Marcellin, XXIX.V.11

(2) Ibid, XXIX.V.17.21.25.26.30.51.

(3) Ibid, XXIX.V.27.

(4) Ibid, XXIX.V.11

(5) Laporte.J. P, Les révoltés dans..., Op.cit, p.123.

(6) Decret. F et Fantar .M, Op.cit. p.335.

(7) محمد الصغير غانم، المظاهر الحضارية والتراثية لتاريخ الجزائر القديم، ج4، دار الهدى، الجزائر، 2021، ص205.

(8) المرجع نفسه، ص206.

(9) عبد الحميد عمران، من مقاومات، ص14.

(10) Augustin, Epist, 87; 164, contra parm, I.10.17.

أميان ماركولان⁽¹⁾، كان أول هدف لفيرموس هو قيصرية (Caesarea) أهم مدينة في موريطانيا حيث قام بحرقها⁽²⁾، كما استولي علي إيكوزيوم (Icosium)(الجزائر العاصمة) ونهبها⁽³⁾، وحاصر مدينة تافزة (تيبازة)، واستولى أتباعه على كارطناي (Cartennae) وخرّبوها⁽⁴⁾، وانضمت إليه المدن الداخلية⁽⁵⁾، وبذلك سيطر على كل المنطقة الشرقية من موريطانيا القيصرية، ويفهم من نصوص ماركولان انضمام فرقتين من الكتائب المساعدة الرومانية التي كانت تتشكل من الأهالي إلى صفوف فيرموس⁽⁶⁾، الفرقة الرابعة للرماة (la IV cohorte des Archers) وجنود ثابتون⁽⁷⁾.

ونتيجة لحملات الأمير الموري التي لقيت صدى في أوساط القبائل المورية، انتشرت الثورة بشكل سريع وفي وقت قصير، ما أثار مخاوف الرومان بخطورة الحالة، الأمر الذي أدى بالإمبراطور فالنتينيانوس الأول (Valentinianus I) (364-375م)، لإرسال أكبر قادته وهو الكونت فلافيوس ثيودوز (Flavius Theodosius) الذي عرف بحنكته الحربية⁽⁸⁾ لمواجهة فيرموس، والذي اصطحب معه قوات كبيرة⁽⁹⁾ من بلاد الغال وبانونيا ومن باقي أقاليم الإمبراطورية⁽¹⁰⁾.

نزل القائد الروماني بجيجل (Igilgili) عام 372م، بعيدا عن المنطقة التي يسيطر عليها فيرموس، أين شرع في الهجوم المعاكس الذي بالغ أميان ماركولان في ذكره والإطراء

(1) Ammien Marcellin, XXIX.V.3.48-49.

(2) Orose.VII.33.5.

(3) Laporte.J. P, Les révoltés dans..., Op.cit, p.130 ; Gsell.Stt, AAA.F.5 n°11 .

(4) Cagnat .R, Op. cit, pp.80-81.

(5) Laporte.J. P, Les révoltés dans..., Op.cit, p.130.

(6) Ammien Marcellin ,XXIX.V .20.

(7) Laporte.J. P, Les révoltés dans..., Op.cit, p.131.

(8) يذكر أن هذا القائد كان ببلاد الغال عندما اندلعت ثورة فيرموس، فحملته انطلقت من منطقة آرل (Arles) ببلاد الغال.

(9) Ammien Marcellin ,XXIX.V .4.

(10) Cagnat .R, Op. cit, p. 81.

بقائده (تيودوز)⁽¹⁾. غير أن المصادر الكلاسيكية أهملت تفاصيل المرحلة التي سيطر فيها فيرموس على الوضع قبل الإنزال الروماني، والذي عرف بالحرب الصامتة⁽²⁾ بين رومانوس، وعائلة فيرموس التي استمرت حوالي العشر سنوات ما بين سنوات (363-365/372م)⁽³⁾. واهتمت فقط بذكر الجولة الثانية التي اعتاد المؤرخون على اعتبارها الإطار الزمني للحرب، وهي فترة بقاء القائد تيودوز في موريطانيا القيصرية يقاتل ثوار المور⁽⁴⁾، وهي الجولة التي استمرت لمدة ثلاث سنوات بدءًا من نزول تيودوز بجيجل 372-375م⁽⁵⁾.

استمرت الثورة لمدة ثلاث سنوات كانت نتائجها غير حاسمة بين النصر والهزيمة لكلا الطرفين المتحاربين، غير أن أهم وقائع هذه الحرب تمثلت في استرجاع الرومان قيصرية، وفك الحصار عن ايكزيوم وتيبازا واقليم متيجة⁽⁶⁾، وسعى القائد الروماني المتحالف مع جيلدون أخ فيرموس لكسب الوقت⁽⁷⁾، فجعل القبائل المورية الثائرة تمل الحرب وتفقد الحماس، وبالتالي تتخلى عن مناصرة فيرموس حتى يسهل القضاء عليه، في الوقت الذي ينكل فيه بأنصار فيرموس ليكونوا عبرة لكل من يرغب في الانضمام إليه⁽⁸⁾، وقد سعى

(1) Ammien Marcellin ,XXIX.V.

(2) ساهم الحاكم رومانوس في إشعال القتال بين صماك وفيرموس وهو ما أدى إلى مقتل سماك، وأشاع رومانوس أن الأمر بقتله هو فيرموس، ما أثار حرباً صامتة بين رومانوس وعائلة فيرموس، أعلنت عن نفسها عدة مرات في شكل مناوشات تظهر عصيان فيرموس، حيث تذكر بعض المصادر أن الحرب استمرت عشر سنوات (365-375م) أو اثنتي عشرة سنة.

(3) شنييتي محمد البشير، روما الإمبراطورية، ص 236.

(4) المرجع نفسه، ص 236.

(5) للمزيد عن مجريات ومحطات حرب فيرموس ينظر: Ammien . XXIX.V; Cagnat.R, Op.cit, pp.81-90
Marcellin

(6) محمد البشير شنييتي، روما الإمبراطورية، ص 236.

(7) Camps.G, Firmus...Op.cit. p.2851.

(8) محمد الصغير غانم، المظاهر الحضارية، ص 206.

تيودوز إلى تفكيك صفوف فيرموس من الداخل بإغراء القبائل، وأمرائها بامتيازات مقابل تعاونهم السري مع الرومان في سبيل الإطاحة به⁽¹⁾.

حاول فيرموس بعد أن توالى هزائمه نتيجة نقص عتاده⁽²⁾، وتراجع القبائل المورية عن مناصرته فتح مفاوضات مع القائد الروماني، واستعان ببعض رجال الدين الكاثوليك (Ritusautistites Christiani) في محاولة منه لكسب الوقت في انتظار تجديد قواته⁽³⁾، إلا أن تيودوز بالغ في شروطه التي تضمنت استسلام القائد فيرموس، ومحاكمته بتهمة قتل شقيقه، ثم شكل عصابة شقت عصا الطاعة عن السلطات الرومانية. لكن فيرموس تراجع عن طلب الصلح لأن القائد الروماني غالى في شروطه⁽⁴⁾.

لجأت روما لسياستها المعهودة " فرق تسد " للإطاحة بأتباعها المتمردين⁽⁵⁾، فوقع فيرموس بيد تيودوز بتواطئ من ايغمازن (Igmasen) زعيم قبائل الإيسافلاس (Isaflens) الذي كان على اتصال مسبق وسري بالقائد الروماني⁽⁶⁾، يذكر ماركولان أن نهاية فيرموس كانت مأساوية أين فضل الانتحار والموت بدلا من الإستسلام، ولم يرسل لمعسكر القائد الروماني بقلعة سوبيكارنس (Subicarensse Castellum) إلا وهو جثة هامة يحملها جمل وقد عرض تيودوز جثته أياما ليراها الناس ويخافوا⁽⁷⁾.

وبنهاية فيرموس الذي قاد جموع القبائل المورية في ثورة دامت ثلاثة سنوات، وشملت منطقة واسعة امتدت من موريطانيا القيصرية حتى موريطانيا السطائية، خضعت القبائل

(1) استطاع تيودوز الانتصار على أخوي فيرموس ماكزيزيل وديوس اللذان كانا يقودان قبيلتي تيندن، وماسينيس بمدينة توبوسكتو، ثم توجه بعد ذلك القائد الروماني إلى مدينة تيبازة أين أخضع القبائل المورية.

(2) محمد البشير شنييتي، المرجع السابق، ص 237.

(3) Cagnat .R , Op. Cit, p. 84.

(4) محمد الصغير غانم، المظاهر الحضارية، ص 207.

(5) محمد البشير شنييتي، روما الإمبراطورية، ص 237.

(6) Ammien Marcellin ,XXIX.V.

(7) Ibid ,XXIX.V.

المورية مرة أخرى لسلطة روما بعدما صودرت أراضيها. كما عملت روما على تفكيك القبائل المتحالفة وتشديد مراقبتها، بعقد تحالفات مع الأمراء المحليين لتقوية أتباع الرومان في المنطقة، أمثال إيغمازن وجيلدون الذي عين في عدة مناصب رومانية منها حاكما على إفريقيا برتبة كومت (Comes) سنة 385م⁽¹⁾، وهو المنصب الذي أهله لأن يتحكم في زمام الأمور كلها بالمنطقة، واستمر محافظا على ولائه للامبراطورية الرومانية لعدة سنوات، غير أنه أعلن عصيانه للرومان هو الآخر بداية من عام 397م⁽²⁾.

ما يهمنا من سرد أحداث ثورة فيرموس ورغم التحيز الكبير للمؤرخ ماركولان الذي عاصر سير الأحداث، هي تعداد القبائل المورية المتحالفة مع فيرموس وتوضيح امتداد مجالها، ضف إلى ذلك ذكره لبعض المواقع الجغرافية التابعة لموريطانيا القيصرية، وهي إشارات بينت لنا تلك التحركات القبلية الساعية للتحرر من القيود الرومانية التي ميزت هذه الفترة، وهو ما يفسر ظهور وسيطرة الإمارات المورية حتى وإن كانت في ظاهرها حليفة ومرتبطة بالرومان عن طريق أمرائها وملوكها؛ على مناطق شاسعة بعد تراجع السيطرة الرومانية والتي سيكون لها الدور الكبير في إضعاف وحتى طرد الاحتلال الروماني من بلاد المغرب خلال القرن الخامس الميلادي.

وخلاصة القول أن ثورات الأهالي في المغرب القديم لم تنقطع طيلة فترة الاحتلال الروماني بالمنطقة، والتي كان للقبائل المحلية دور كبير فيها أين واجهته، وواجهت زحفه نحو العمق النوميدي والموريطاني. ورغم أن هذه الثورات تراوحت بين القوة، والضعف إلا أنها استطاعت إنهاك قوى الاحتلال الروماني.

ما ميز هذه الثورات والمقاومات هو ذلك التحالف والتكتل بين مختلف القبائل المحلية، من ذلك التحالف الموزيلاي الغرامنتي الجيتولي الذي كان نموذجا للتضامن بين مختلف

(1) محمد العربي عقون، المظاهر الحضارية، ص 208.

(2) Modéran. Y, *Gildon, les Maures et l'Afrique*. In: *Mélanges de l'Ecole française de Rome. Antiquité*, tome 101, n°2. 1989. pp. 821-872.

القبائل المحلية، ومثالا للتآزر بين القبائل المرتحلة ونصف المستقرة في الأوراس، وشماله مع القبائل الصحراوية في جنوبه، وهو التحالف الذي تزعمه الموزولامي تاكفاريناس.

كانت قبائل المغرب القديم تقوم عند شعورها بالخطر المشترك من الاحتلال الروماني بعقد تحالفات فيما بينها من أجل تقوية مقاومتها وصفوف مقاتليها، ومن تلك التحالفات القبلية تحالف قبائل البقواط والبوار مابين 118-122م ضد تكثيف الجيش الروماني لاحتلاله وامتداده جغرافيا بمد الخط الدفاعي الأول⁽¹⁾، أيضا تحالف بين سنتي 173-175م زمن حكم الامبراطور أوريليوس لمقاومة الحملة العسكرية الكبيرة التي أطلقها الإمبراطور إذ وصلت وحداتها مشارف مدينة أفلو الحالية بالأغواط سنة 174م⁽²⁾، وتحالف سنتي 258-259م بين قبائل البوار، وقبائل أخرى أشهرها الفراكسينانس، ثم انضمام قبائل الحلف الخماسي وغيرهم، بالإضافة الى ذلك التحالف الذي أشارت إليه الوثائق لأربعة ملوك موريين وغيرها⁽³⁾. كما لا يخفى عنا ذلك الالتفاف القبلي الكبير حول فيرموس وثورته خلال القرن الرابع الميلادي.

وعن سبب ظهور هذه التحالفات بين القبائل المحلية نرجعه للتقارب الجغرافي بين القبائل، وهو الأمر الذي شجعها على التحالف والتجمع، ثم إن التحالف بحد ذاته لدليل على وعي القبائل بضرورة محاربة الاحتلال الروماني مجتمعة متجاوزة خلافاتها الداخلية، التي يظهر أنها كانت تقوم بتنسيق وتنظيم فيما بينها.

⁽¹⁾ Cagnat .R, Op. Cit, pp.45-46.

⁽²⁾ عبد النور العمري، تطور الخريطة العسكرية للجيش الروماني ببلاد المغرب القديم في ظل إستراتيجية التوسع وحتمية التراجع (146-ق.م-349م) أطروحة دكتوراه، إ: توفيق حموم، جامعة الجزائر2، قسم التاريخ، 2014/2015، ص 122-123.

⁽³⁾ خالد محفوظ، مقاومة القبائل، ص206.

ثانيا: التأثيرات الاجتماعية:

1. تفاقم ظاهرة البداوة بالمغرب القديم:

تعتبر ظاهرة البداوة والترحل في المغرب القديم قديمة بسبب الخصائص الجغرافية والتغيرات المناخية، وهي المعطيات التي جعلت غالبية سكانه يعتمدون في نمط معيشتهم على الرعي الذي يمتاز بالحركة والانتجاع، فالظاهرة تعود للألف الرابعة قبل الميلاد، وهي مرحلة سابقة لظهور الزراعة والمجتمعات المستقرة والتي يمكننا الكشف عنها من خلال مجموعة من الرسوم والنقوش الصخرية الموجودة في مختلف مناطق الصحراء الكبرى، التي تظهر رعاة الأبقار (مرحلة من مراحل الفن الصخري)، ونزوحهم عنها بعد تغيّر المناخ تدريجيا من مناخ رطب إلى مناخ صحراوي، وقد تركوا لنا مسيرتهم وسعيهم في البحث عن الكلا والماء⁽¹⁾.

أشارت المصادر التاريخية الإغريقية واللاتينية المتعلقة بسكان المغرب القديم إلى قدم ظاهرة البداوة⁽²⁾، حيث ذكرها هيرودوت⁽³⁾، والجغرافي سترابون وقد قدم تعريفا دقيقا للبداوة، مرتبطا بالجيتول وبلاد جيتوليا⁽⁴⁾، وسالوست⁽⁵⁾، كما ذكرها بوليبيوس⁽⁶⁾⁽⁷⁾. وكان للظروف الاجتماعية والاقتصادية التي أوجدتها عوامل جغرافية معينة وتاريخية، الأثر في تحديد شكل، واتجاه، والمدى الجغرافي، وشدة البداوة بالمنطقة، نركز أكثر على العوامل التاريخية، أو العوامل الاستعمارية التي ارتبطت بالاحتلال الأجنبي خاصة الروماني المتصفة بالنشاط

(1) محمد البشير شنييتي، التوسع الزراعي، ص 9.

(2) Lassère. J.M, Vbiqve Popvlvs, Op.cit, p349.

(3) Gsell.St., Hérodote..., Op.cit, p.25 ;185,186، هيرودوت

(4) Strabon, XVII. 3. 19.

(5) Salluste, XVII.

(6) Polybius, XII,3-4.

(7) ينظر الفصل الثاني، ص 94.

الزراعي، والتحضر، ونبذ أشكال التحرك البشري الذي يصعب عملية السيطرة على البلاد، ويهدد الأمن⁽¹⁾.

في فترة الاحتلال الروماني لاحظنا تزايداً لظاهرة البداوة، وذلك راجع لسياسته الاستيطانية، التي تبعها توسيعاً للخريطة الزراعية، والعمران على حساب أراضي الرعي التي وصلت إلى مشارف الصحراء (الزيتنة)، و قد أدى ذلك إلى تغيير جوهري في توزيع السكان في المناطق الزراعية القرب ساحلية بالمغرب القديم، نتيجة للظروف الاضطرابية التي تمر بها هذه المناطق⁽²⁾، ما أدى بتحول الكثير من أشباه الرحل إلى بدو خُلص، بعد أن انتزعت منهم أراضيهم وأجبروا على امتحان أسلوب التحرك كسبا للقوت⁽³⁾، أين تم طرد الكثير من القبائل البدوية من أراضيهم الزراعية والرعية إلى مناطق السهوب وشمال الصحراء، وهو ما خلف العديد من الثورات المتواصلة التي تزعمتها قبائل بدوية، ونتيجة لذلك أنشأ الرومان حدوداً محروسة (خطوط الليمس) للتحكم في البدو الذين سماهم لاسير (Lassér.J.M) بالفئة المستعصية من الأهالي، ومنعهم من الرجوع إلى أراضيهم مرة ثانية⁽⁴⁾.

تمكن الرومان من بسط سيطرتهم على كامل أراضي المغرب القديم باستثناء غرب القيصرية والطنجية، والسيطرة الرومانية امتدت ليس فقط على المناطق الصالحة للزراعة في التل، ولكن سيطرت أيضاً على أراضي السهوب بعد زمن أكتافيوس أغسطس (27ق.م- 14م)، حتى أنها بلغت مداها في العهد السيفيري (193-235م)⁽⁵⁾، وبذلك وقعت الكثير من أراضي المغرب في مشمولات الخريطة الزراعية التي يحظر على البدو الرعاة ارتيادها.

(1) محمد البشير شنيقي، أثر الضغط الديمغرافي، ص 34.

(2) محمد البشير شنيقي، نظرة على الوضع، ص 12.

(3) محمد البشير شنيقي، نوميديا وروما، ص 286.

(4) Lassér.J.M. Vbique Poupulus...Op.cit, p.351.

(5) Ibid, p.348.

خلفت السياسة الرومانية القائمة على دفع، وطرد القبائل المحلية خارج حدود السيطرة الرومانية بعد انتزاع أراضيها الزراعية، وإقامة حدود محروسة ممثلة في الاستحكامات العسكرية التي تمنع تسلل وعودة البدو الرحل نحو الأقاليم الزراعية ذات نمط الحياة المستقر وحياة التمدن⁽¹⁾، نموًا ديمغرافيًا كبيرًا في مختلف الأقاليم المحاذية لمنطقة الحدود الرومانية من جهة الجنوب، الذي أخذ ينمو ويتأهب حتى أنه استطاع تشكيل قوة عسكرية ساهمت في الأحداث التاريخية التي عجلت بإنهاء الاحتلال الروماني⁽²⁾.

بيّن غزال (Gsell) نتائج تغيير الوضع الديمغرافي ببلاد التل الزراعية الذي تميز بالنمو نتيجة السياسات الرومانية القائمة على الاستيطان⁽³⁾، والذي ترتب عنه توافد عناصر بشرية جديدة⁽⁴⁾، تركزت بمناطق الثقل الاقتصادي التي ساعدت على ارتفاع الكثافة الديمغرافية، وهو ما أدى إلى الضغط على القبائل المحلية التي قاومت انتشار المزارعين الرومان، فأبعدتها إلى ما وراء الإقليم الزراعي المحتاج إليه نحو الداخل (في حركة شمال

(1) عبد النور العمري، القبيلة البدوية المغاربية قبل وأثناء الفترة الرومانية، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، مجلد 5، ع 9، 2017، ص 5.

(2) محمد البشير شنيقي، روما الأمبراطورية، ص 195.

(3) للمزيد عن هذه السياسات (نشاط حركة الاستيطان، الاستحواذ على الأراضي الزراعية، الكنطنة، طرد القبائل المحلية، الاستحكامات العسكرية... الخ) يرجع للفصل الرابع.

(4) نقصد بالوافدين جميع العناصر البشرية التي وفدت لبلاد المغرب أثناء الاحتلال الروماني، بصرف النظر عن أصولها القانونية، أو الكيفية التي انتقلت بها إلى هذه البلاد أو تاريخ حلولها بها، وهي العناصر التي شكلت مع الأهالي المتأثرين بالحضارة الرومانية ما يمكن أن نسميه بالمجتمع الروماني في شمال إفريقيا آنذاك، حيث تعرضت التركيبة الاجتماعية للمقاطعات الإفريقية تغييرا جذريا، فحلت بها عناصر وافدة هاجرت إليها من مختلف المدن والمقاطعات الرومانية، وأصبح المجتمع خليطاً يضم مختلف العناصر التي كونت مجتمعاً جديداً والذي كان يتكون من (الإيطاليين الذين كان توافدهم بأشكال مختلفة : كجنود، مزارعين (Coloni)، تجار (Negotiatores) وأصحاب الحرف (Corporatic)، صف إلى ذلك عناصر أخرى كاليهود، الإغريق، والسوريين... للمزيد ينظر: محمد البشير شنيقي، نوميديا وروما، ص 228-246.

جنوب)، نتج عنه فتح الصحراء الكبرى من طرف البربر الذين تعرضوا للضغط الروماني من جهة الشمال، ما خلق منطقة خطر وهي الفرضية الشهيرة التي تباناها هذا المؤرخ⁽¹⁾.

تسبب فتح الصحراء في حالة من التحرك البشري اتخذ مسارات عدة، منها تلك التي توجهت إلى عمق الصحراء الكبرى في مسارات طويلة، ومنها مسارات قصيرة المدى اتخذت وجهتها السهول العليا الموريطانية وشمالي الصحراء بما في ذلك الأطلس الصحراوي المتميز بصلاحيته للرعي الشبه الدائم، وهو الموطن الجديد الذي اتخذته القبائل المطرودة بجوار منطقة الليمس في جميع المقاطعات الرومانية⁽²⁾، وهذا ما جعل البدو يشكلون ضغطا قويا على الليمس، فهم بحسب بيكار (ش.ج) خطر على الزراعة والمجتمع الحضري⁽³⁾، لذلك عملت القيادة العسكرية الرومانية على تحصين شبكة الليمس كل ذلك لمنع البدو من التسلل نحو السهول الداخلية.

إن الوضع الديمغرافي الضاغط من الشمال الزراعي نتيجة توسع الخريطة الزراعية، حتم منع الرومان للرعاة من التسلل إلى بلاد التل التي كانت تستقبل وافدين من خارج بلاد المغرب، ونتيجة لذلك أصبحت منطقة طرد سكاني نحو الجنوب الواسع، وهي المنطقة التي تحتم على المهاجرين إليها أن يتحولوا إلى نمط الرعي، ما ساهم في نمو ظاهرة البداوة خارج الليمس⁽⁴⁾.

ربط مؤرخو فترة الاحتلال الروماني لبلاد المغرب ظهور الجمل ببروز ظاهرة البداوة وطغيان نمط الترحل، وهو ما سيؤثر على الزراعة وال عمران الرومانيتين بالمنطقة⁽⁵⁾. وقد توافق زمنيا انتشار الجمل في الصحراء الكبرى، وطرد وإبعاد القبائل المحلية من التل من

(1) Gsell. St, La Tripolitaine e...., p.163; Monsieur. P et Fevrier. P.A. Observations sur la tribu dans le Maghreb antique. In: La Méditerranée Rome : École Française de Rome, 1996. P.841.

(2) محمد البشير شنيقي، روما الإمبراطورية، ص196.

(3) Thouvenot. R, Op.cit, p.131.

(4) محمد البشير شنيقي، روما الإمبراطورية، ص198.

(5) المرجع نفسه، ص199.

طرف الرومان حسب غزال (Gsell) الذي لم يحدث قبل القرن الثالث الميلادي⁽¹⁾، التي سيطرت على الصحراء الأمر الذي إقتضى تربية الجمل الذي مكنهم من الحياة في هذه المنطقة وربطهم بها.

وعن تاريخ ظهور الجمل يورد غزال أن هذا الحيوان لم يكن موجود بأفريقيا بكثرة إلا بداية من القرن الرابع للميلاد وربما القرن الذي سبقه⁽²⁾. ويعتقد غوتيه (Gautier.E. F) الملم بجغرافية المغرب التاريخية أن ظهور الجمل بالمنطقة تأخر إلى القرن الثاني الميلادي، وعلى خلاف ذلك يرجح لاسير (Lassér.J.M.) أن استخدام الجمل أقدم بكثير مما اعتقده غوتيه⁽³⁾، وقد أدى ظهور الجمل إلى تهديد أمن المدن الساحلية الخاضعة للرومان والولاية الإفريقية ككل، وبالأخص في طرابلس أين اصطدمت روما بالهجمات التكررة للقبائل البدوية الممتطية للجمال⁽⁴⁾، وأخذت تتسلل إلى شمال أفريقيا منذ القرن الثالث كي تبلغ أقصى انتشارها لها أثناء العهد البيزنطي⁽⁵⁾.

ما يهمننا في موضوع انتشار الجمل وبعيدا عن جدليات أصله وتاريخ دخوله للمغرب هو استعمالاته بالمنطقة سواء بالنسبة للرومان أو القبائل البدوية، فتوسيع الخريطة الزراعية والعمرانية جنوبا أظهرت دور الجمل حيث أنه مكن مستعمليه من سهولة التنقل جنوبي الليمس، وأظهر الجمل نجاعته في حراسة المناطق الصحراوية عندما استخدم من طرف جنود الحدود الجنوبية المعروفين بالهجانة السورية⁽⁶⁾ أو الفرسان والمرابطة بالحصون

(1) Gsell. St, La Tripolitaine ..., Op.cit. p.154.

(2) ستيفن غزال، تاريخ إفريقيا الشمالية، ج5، ص ص 8-9.

(3) Lassér.J.M. Vbique Poupulus...Op.cit, pp.349-350.

(4) إميل فيليكس غوتيه، المرجع السابق، ص 101.

(5) Bénabou.M.Op.cit. p.223 ; Courtois.Ch, Les Vandales..., Op.cit, pp.88-109.

(6) الهجانة: أو الخيالة أو الفرسان التدمريين فرقة عسكرية سورية، تم إستقدامهم لبلاد المغرب منذ القرن الثاني ميلادي أي حوالي سنة 150م، ليتزايد عددهم في العهد السيفيري ضمن الوحدات المساعدة في جيش المقاطعة الإفريقية وبخاصة حنود الحدود الجنوبية المواجهة للقبائل الصحراوية البدوية في الجنوب النوميدي، الذين أتى بهم الإمبراطور ألكندر سيفيروس العام 225 م كإجراء عسكري خلفا للفيلق الأغسطسي، وذلك من أجل تدعيم خطوط الليمس (Limes)، وقد اعتمد على

المتقدمة المواجهة للقبائل الصحراوية البدوية في الجنوب النوميدي⁽¹⁾، والذين كانوا يتحركون على ظهور الجمال، ضف إلى ذلك دوره الفعال في تجارة الصحراء الكبرى التي كانت تتكفل بها قبائل بدوية متمرسة منذ زمن موغل في القدم، واللافت للانتباه أن ظهور الجمل في الأحداث التاريخية ببلاد المغرب وانتشاره على نطاق واسع بالمنطقة وتشجيع العناية به، صادف اختفاء الفيل بوتيرة عكسية⁽²⁾.

يفترض (م.ب) شنيتي أن الرومان أنفسهم ساهموا في إنماء البداوة بطريقة غير مقصودة، فهي كانت نتيجة عكسية لما أرادوا تجنبه بتغليبهم الزراعة والاستقرار على الرعي، والتقل في منطقة شمال إفريقيا التي تخضع فيها أنماط الحياة لشروط مناخية⁽³⁾. ثم إن ظاهرة استخدام الجمل وإنماء نوعه لدى البدو، يجب ربطها أيضا بظاهرة تفاقم البداوة في العهد الروماني فما سيادة الجمل وانتشاره لأمر متعلق بشيوع النمط الاقتصادي والاجتماعي الذي كان لروما إسهام فيه، كما أن بروز القبائل الجمالة التي عملت على النزوح من الشرق نحو شمال أفريقيا عبر الصحراء والسهوب، في تكريس البداوة وزحفها على أقاليم الليمس⁽⁴⁾. وصفوة ما خلصنا إليه في النهاية أن من تسبب في انسحاب الاحتلال الروماني هو صعود البدو من الجنوب. وما منظور المدرسة الفرنسية التي اعتبر خط الليمس يبين الخطر القادم من الجنوب وبانهياره انهارت الامبراطورية الرومانية.

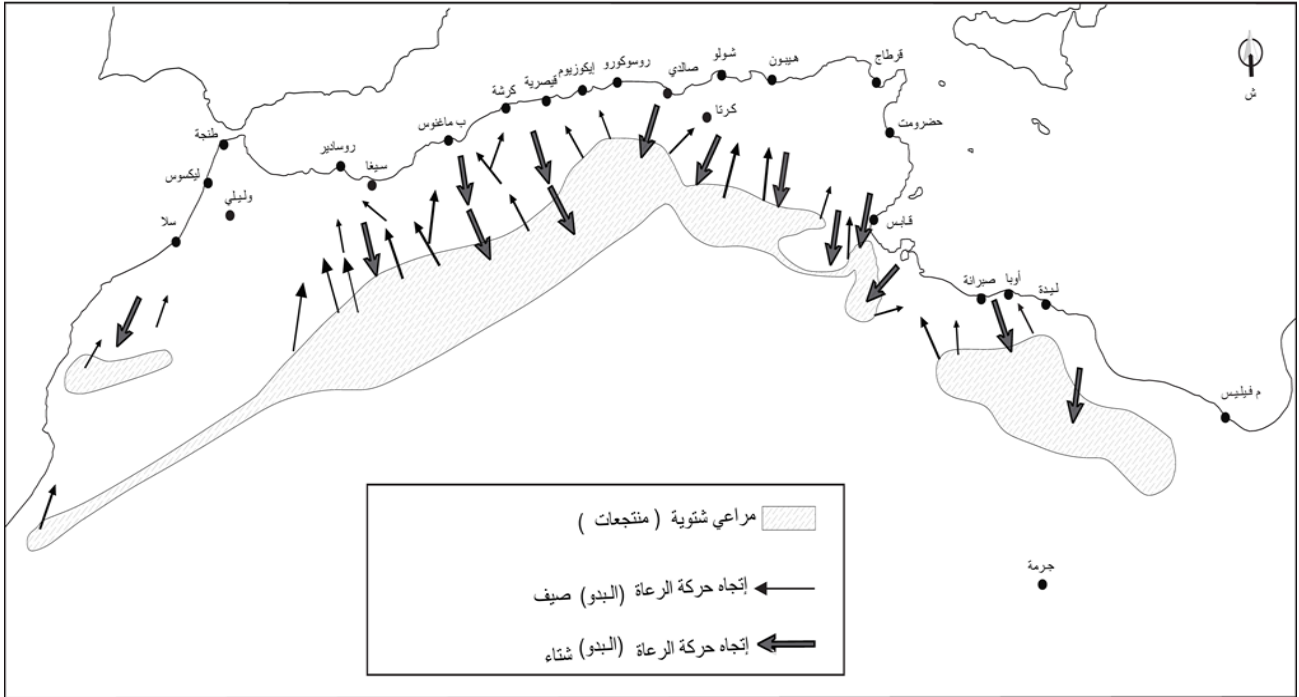
هذا العنصر لقدرته على التكيف مع المناخ وطبيعة الولاية المشابهة لطبيعة ومناخ بلدهم، عسكر الخيالة التدمريون بقلعة (كاستيلوم Castellum) ديميدي Dimmidi مسعد حاليا، فيما وراء الليمس النوميدي. للمزيد ينظر: محمد بن عبد المؤمن، العنصر السوري ببلاد المغرب القديم من خلال نماذج من النقوش اللاتينية، المجلة الجزائرية للمخطوطات، ع12، جامعة وهران، 2015.

(1) محمد البشير شنيتي، روما الأمبراطورية، ص203.

(2) المرجع نفسه، ص203.

(3) محمد البشير شنيتي، المرجع نفسه، ص199.

(4) المرجع نفسه، ص ص206-207.



الخريطة رقم 21: مناطق الرعي التقليدية ومسارات الترحل صيفا وشتاء، من إنجاز الطالبة نقلا عن، محمد البشير شنييتي، روما الإمبراطورية، ص 374.

2. تعريف زراي (Tarif de Zraï) شاهد على مراقبة منافذ البدو:

سعى الاحتلال الروماني باستراتيجيته الدفاعية القائمة على تحصينات الليمس في كل من البروقنصلية ونوميديا والموريطنيتين القيصرية والطنجية، لتأمين مجالها الجغرافي الذي كانت تتحكم فيه شدة المقاومة وطبيعة الجوار الجغرافي بالجهة الجنوبية، وهو ما يظهر من انتشار الوحدات العسكرية الرومانية (جنوبي نوميديا والقيصرية) عبر مرتفعات متوالي المكملة لجبال الأوراس من الناحية الجنوبية الغربية، وجبال الزاب، وتوغلت الوحدات العسكرية حتى الجهة الغربية إلى ما وراء جبال أولاد نايل، كل ذلك بغية التمسك في المعابر والمنافذ الرئيسية، ونقاط المياه بغرض التحكم في حركة صنف هام من القبائل وهم البدو الرعاة الرحل بين الصحراء والتل، ما سهل على الجيش الروماني سيطرته على المنطقة⁽¹⁾.

(1) محمد البشير شنييتي، روما الإمبراطورية، ص 88-89.

عرف المغرب القديم قبل الاحتلال الروماني، وحتى أثنائه تنقلا للقبائل بين الشمال والجنوب، فكان البدو الرحل ينتقلون في فصل الصيف إلى منطقة التل بحثا عن الكلا والماء لماشيته، وفي فصل الشتاء يتوجهون إلى شمال الصحراء حيث المراعي الطبيعية، وهذه الحركة الفصلية تولد عنها تبادل تجاري بين هؤلاء البدو الرحل والسكان المستقرين، إضافة إلى ذلك كانت هناك حركة ثانية دائمة هي تنقل سكان الجبال نحو السهول لعرض منتوجاتهم واقتناء ما يلزمهم⁽¹⁾.

وهنا نتساءل عن الطرقات والسبل التي يسلكها البدو الرحل وسكان الجبال؟ والتي يظهر أنها كانت مسالك طبيعية بين الكتل الجبلية والوديان، رسمت نتيجة الاستعمال الدائم لها، دون تدخل للإنسان في إنجازها. وقد تقطن الرومان لهذه المنافذ لذلك سعوا لمراقبتها بغية التحكم في حركة الجبليين والبدو في آن واحد، وحتى أحكموا الثغور في وجه القبائل الصحراوية.

ولنا في منطقة زراي لخير مثال عن تلك المنافذ والمعابر التي سيطرت عليها الوحدات العسكرية الرومانية، تحكمت من خلالها في حركة القبائل البدوية والصحراوية، وحتى في المبادلات التجارية بين المناطق الصحراوية والتلية، وتحتل منطقة زراي المعروفة حاليا باسم زراية⁽²⁾ موقعا استراتيجيا هاما بين مقاطعتي نوميديا وموريطانيا القيصرية (الجنوب الغربي لمقاطعة نوميديا)، أي بين سلسلتي الأطلس التلي والأطلس الصحراوي ما أعطاها دورا

(1) محمد الحبيب بشاري، دراسات تاريخية، ص122.

(2) تقع مدينة زراية الحالية على بعد حوالي 50 كلم جنوب شرق ولاية سطيف، و100 كلم جنوب غرب قسنطينة، و20 كلم شمال شرق حوض الحضنة. وعن أصل مصطلح زراي (Zarai) فهو اسم بربري مشتق من الجذر (ZRY) الذي يعني المرور أو الفحص في اللهجة الشلحية والقبائلية، ويدل اشتقاق اسمها على قيمة المنطقة قديما أين شكلت منطقة عبور للسلع من الجنوب نحو الشمال الروماني. للمزيد ينظر:

Trousset.P. Le tarif de Zarái : essai sur les circuits commerciaux dans la zone présaharienne. In: Anti Afr,38-39,2002. p. 355.

سياسيا وعسكريا واقتصاديا في الفترة الرومانية ممثلا في مراقبة تلك المنافذ، وتظهر النقيشة المكتشفة بالمنطقة والمعروفة بالتعرفة الجمركية لزراي⁽¹⁾ (ينظر الشكل رقم 3).

تظهر وثيقة تعريفية زراي (Zarai)⁽²⁾ المكتشفة عام 1858م وبإسهاب تلك المبادلات التجارية التي كانت بين جنوب نوميديا ومنطقة السهوب الرعوية، وهي المبادلات التي كان يتم تنظيمها من قبل الرومان⁽³⁾، فموقع التعريفة الجمركية يقع على طريق القوافل القادمة من المزاق وإقليم طرابلس، وحتى من الجريد والمناطق الجنوبية للأوراس والمتجهة نحو موريطانيا⁽⁴⁾، وبذلك احتلت التعريفة موقعا استراتيجيا على نقطة الانتقال من مقاطعتي نوميديا نحو موريطانيا القيصرية، كما مثلت تعريفية زراي إحدى أبرز النقاط الجمركية ذات التدفق البشري والتجاري الكبير الذي كان يتم عبرها، يضاف لذلك أنها سهرت على مراقبة طرق القوافل التجارية التي تعبر مضارب القبائل البدوية بالسهوب⁽⁵⁾، القادمة من الجنوب نحو الشمال⁽⁶⁾، فهي ترصد وتحرس الطرق الرئيسية المطلة على مناطق الحدود الرومانية التي يتردد عليه البدو⁽⁷⁾. يذكر الباحث بول تروسي (Trousset.P) أن منطقة زراي شكلت معبرا ماقبل صحراوي⁽⁸⁾، فهي تقع في قلب نظام الطرق التي تمتد فروعها نحو طبنة

(1) CIL. VIII. 4508.cf. 18643.

(2) تعريفية زراي: هي نقيشة لاتينية اكتشفت عام 1858 وجدت بالقرب من ممر جبلي على الحدود بين مقاطعتي نوميديا وموريطانيا القيصرية على الطريق الروماني الرابط بين نقاوس وسطيف أي على طريق القوافل التجارية، مؤرخة ب 202م ترجع لعهد الامبراطور سبتيموس سيفيروس، وهي تمثل تعريفية جمركية مفروضة على السلع التي يسمح لها بالمرور بين المقاطعتين، جاء في هذه الوثيقة ذكر لمختلف المواد موزعة في أربعة قوائم مبينة مختلف الضرائب المفروضة عليها، وهي ضريبة الرأس، ضريبة الملابس والأقمشة الأجنبية، ضريبة الجلود، ضريبة العبور. للمزيد ينظر: Trousset Pol. Le ,tarif de Zarai: essai sur les circuits commerciaux dans la zone présaharienne. In : Anti afr ;pp. 355-373. 39,2002-38

(3) Lassér.J.M. Vbique Populus...Op.cit, p.350.

(4) دليلة بورني، المرجع السابق، ص 62.

(5) Trousset. P. Le tarif de..., Op.cit, p.355.

(6) Lassér.J.M. Vbique Populus...Op.cit, p.357.

(7) Trousset.P. Le tarif de..., Op.cit, p.355.

(8) Ibid, p.357.

(Tobna) وبسكرة عبر نقاوس (شمال شرق الحضنة)، وزانا نحو لامبيز وسيرتا⁽¹⁾، فكان مركزها مثاليًا لإقامة مركز جمركي يخص البضائع الإفريقية⁽²⁾.

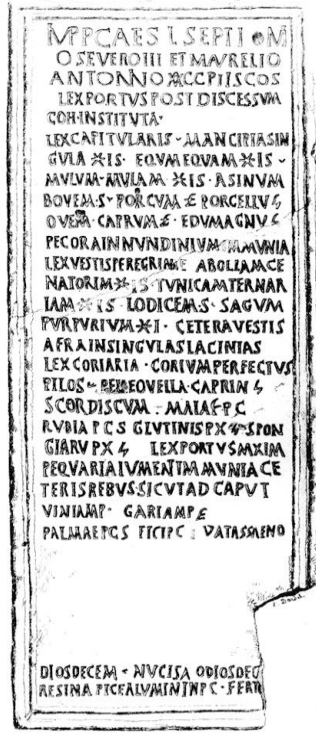
كانت تعريفه زراي تفرض على مختلف البضائع الداخلية مثل: الجلود، القماش، الحيوانات.... التي تجلب من طرف البدو الرحل القادمين من الحضنة، إضافة إلى أن هؤلاء البدو كانوا يشترون المواد الكمالية كالخمور، والأقمشة، والجاروم، فموقع زراي الإستراتيجي والتجاري الهام القريب من خط الليمس (ليمس القرن الثاني وبداية القرن الثالث)، سمح بعقد علاقات تجارية مع مختلف المناطق الرعوية والزراعية والساحلية، ووضحت التعريفه هذه الحركة التجارية النشيطة، والمزدهرة بين المناطق التابعة للإمبراطورية الرومانية، والمناطق المستقلة عنها⁽³⁾.

وما يهمنا من تعريفه زراي الجمركية أنها أقيمت في أحد أهم نقاط عبور البدو، والتجار بين موريطانيا القيصرية ومقاطعة نوميديا القادمين من الجنوب باتجاه الشمال، وهي تسمح لنا بفهم درجة تحكم الرومان بعالم البدو الذين كان لهم دور في التجارة الداخلية، وتظهر التعريفه أيضا سعي الرومان للسيطرة على هذه المنافذ بغية مراقبة وكبح تحركات مختلف القبائل المحلية سواء جبلية، بدوية أو صحراوية.

(1) نجوى راشي، الحضور التاريخي لمدينة زراي "قراءة في كيفية النشأة والتطور عبر التاريخ"، مجلة هيروdot للعلوم الإنسانية والاجتماعية، مج6، ع3، 2022، ص123.

(2) Trouset. P. Le tarif de..., Op.cit, p.357.

(3) نجوى راشي، المرجع السابق، ص134.



TARIF DE DOVANE
(trouvée à Ksira (Mauritanie))



الشكل رقم 3: يمثل نص تعريف زراعي، Troussel Pol. Le tarif de..., Op.cit, p.358

3. النمو الديمغرافي وأثره على حركة السكان الداخلية:

يقدم لنا نص ترتليانوس وصفا بليغا للوضع الديمغرافي في إفريقيا الرومانية خلال القرن الثالث بقوله: "يكفي إلقاء نظرة على ما حولنا للتعرف على أن العالم تتزايد ثروته، ويكثر سكانه يوما بعد يوم، إذ كل شيء فيه قد استُغل، وكل أمر قد تعرض للمتاجرة، المزارع الغنية أبعدت الصحراء الشهيرة، والحقول قهرت الغابات، والقطعان أزاحت الحيوانات المفترسة. لقد جففت المستنقعات وزُرعت، وتسَلَّقت الأشجار الصخور.... في كل مكان بيوت وفي كل جهة شعب (سكان)، وفي كل ناحية مدينة، إنها الحياة في كل مكان، كل هذا دليل على أن الجنس البشري قد تزايد كثيرا"⁽¹⁾، وعبارات ترتليانوس الواردة في كتاب (De

⁽¹⁾ ينظر الصفحة المتعلقة بنص ترتليانوس:

Tretulianus, d'après Lassér.J.M. Vbique Poupulus...Op.cit, p.573.

Anima.30) تدل على أن النمو الديمغرافي في أيامه - خلال القرن الثالث - كان ذا طابع استعماري استيطاني: منها تلك العبارة التي تختصر التطور الاقتصادي والديمغرافي لأفريقيا: "... حقول زاهية محت الصحاري الأكثر قسوة، وأخرى مزروعة قهرت الغابات، وقطعان جفت منها الضواري... إنه دليل قاطع على النمو البشري، نحن جميعا أصحاب مهمة في هذا العالم؛ في كل مكان يتردد هذا الأنين بصوت مدو ما أحوجنا إلى الطبيعة"(1). وأشار ساليستوس هو الآخر إلى كثافة ديمغرافية ريفية محلية، والتي تفيد بأن الأرياف والمدن كانت عامرة وأن البلاد كانت مكتفية بأهلها، وأن التوافد الأجنبي الذي صحب التوسع الروماني قد أدى إلى بروز هذه الظاهرة(2).

وهو ما تشير إليه الوثائق الأثرية المتعلقة بالخريطة البشرية المغربية القديمة أيضا، التي تبين ظاهرة عدم الانتظام في التوزيع البشري، والأمر ناتج عن التباين في القدرة الاقتصادية بين إقليم وآخر(3)، فساكن أفريقيا بلغوا في بعض الأماكن كثافة كبيرة تتجاوز المائة في كلم²(4)، فهذا كرتوا (Courtois) يعطي إحصائيات دقيقة تقدم تقديرا عاما وحسابا تحليليا للسكان، أين قارن سكان شمال إفريقيا أواسط القرن التاسع عشر، والمقدر بثمانية ملايين نسمة، واقترح نصف هذا العدد كحد أقصى للسكان الذين عاشوا بالمنطقة خلال العهد الإمبراطوري الأول(29-284م)، أين بلغت فيه أفريقيا أوج نموها الديمغرافي(5)، وبذلك كان عدد سكان أفريقيا في أكبر اتساع لها خلال العهد السيفيري 4,000,000 نسمة بكثافة متوسطة قدرها 10 نسمة في كلم²، هذا العدد الذي انخفض إلى ثلاثة ملايين نسمة خلال العهد الإمبراطوري المتأخر(284-395م)(6)، بينما إحصائيات لاسير التي استخلصها من المصادر (الأدبية والإيبغرافية) فتحدث عن حوالي ثلاثة ملايين نسمة 3,000,000 من

(1) شارل جيلبار بيكار، المرجع السابق، ص 60؛ Lassér.J.M. Vbique Poupulus...Op.cit, p.573

(2) Salluste, LXVI.

(3) محمد البشير شنيقي، نوميديا وروما، ص 251.

(4) شارل جيلبار بيكار، المرجع السابق، ص 54.

(5) Courtois. Ch, Le Vandals..., Op.cit, p.106.

(6) Ibid, p.106.

ساكني المدن الكبرى بالمقاطعات الأفريقية خلال القرن الأول الميلادي⁽¹⁾، في حين قدر بيكار (ش.ج) سكان أفريقيا الرومانية خلال القرن الثالث الميلادي بحوالي ستة ملايين ونصف المليون نسمة 6,500,000، موزعة على الأقاليم العمرانية الكبرى كالتالي: البروقنصلية: مليونان ونصف، طرابلس: نصف مليون، شرقي نوميديا: مليون ونصف، الوسط النوميدي: مليون ونصف، ويبقى 500 ألف نسمة موزعة بين الموريطنيتين القيصرية والطنجية⁽²⁾، وذلك بعد تقديره لعدد المدن الأفريقية والذي يصل حوالي 500 مدينة منها 200 في البروقنصلية وحدها⁽³⁾، واقترح لوبوهيك (Le Bohec) خمسة ملايين نسمة 5,000,000، سكن ثلثي هذا العدد البروقنصلية على مساحة تزيد عن 100,000 كلم²⁽⁴⁾.

والارتفاع الديمغرافي الذي عرفته بلاد المغرب كان نتيجة لتوافد أجنبي بدأ منذ سقوط قرطاجة 146 ق.م واشتد ابتداء من القرن الأول الميلادي، وهي الظاهرة البشرية التي كان لها انعكاس على حركة السكان الداخلية في صورة عوامل دفع سواء تعلق الأمر بالأهالي، أو حركة الانتشار الداخلي التي قام بها الوافدين الأجانب من الرومان مزارعين وتجار، وقدماء الجنود⁽⁵⁾، وحتى عناصر أجنبية مختلفة الأعراق منهم الإسبان، الغاليون، الإغريق، والسوريون⁽⁶⁾.

بالنسبة للأهالي فالهجرة الداخلية كانت نتيجة عوامل دفع ساهمت في التحرك أو لنقل التهجير والطرد التعسفي داخليا، وكان أصحابها من الأهالي الريفيين وأشباه الرحل الثائرين أو المقاومين⁽⁷⁾، فبعد أن استولى الاحتلال الروماني على أراضيهم الخصبة وترك ما بقي من الأراضي لهم، فقد كانت أراضي فلاحية قليلة الأهمية جبلية وبعيدة عن مراكز

(1) Lassér.J.M. Vbique Poupulus...Op.cit, p.567.

(2) شارل جيلبار بيكار، المرجع السابق، ص ص 58-59.

(3) المرجع نفسه، ص 50.

(4) Le Bohec. Y, Op.cit, p.135.

(5) محمد البشير شنييتي، نوميديا وروما، ص 261.

(6) شارل جيلبار بيكار، المرجع السابق، ص ص 109-110.

(7) شارل جيلبار بيكار، المرجع نفسه، ص 261.

الاستيطان، وهذا الوضع هو ما عرف بالكنتنة (Cantonnement)⁽¹⁾، وهي العملية التي اعتبرها لاسير المعجب بالأعمال العسكرية الرومانية الموجهة للأهالي، من الأعمال المنهجية الهامة التي تنسب للاحتلال الروماني⁽²⁾، ساهمت في ظهور خصوصية إقليمية بالشمال الإفريقي القديم تسببت في تغيير جوهرى للخريطة البشرية، حيث سيعرف الوضع الديمغرافي الخاص بالأهالي في المنطقة ظاهرة استمرت عبر قرون وفي فترات لاحقة، وهي اكتظاظ الجبال أي بلاد التل بالسكان وانخفاض الكثافة في السهول مع أن السهل هو الوسط النموذجي للنشاط والإنتاج الإقتصادي⁽³⁾، وهي الظاهرة التي يوردها أميان ماركولان أثناء حديثه عن ثورة فيرموس بقوله أن الكثافة السكانية عالية في المناطق الجبلية لموريطانيا⁽⁴⁾.

وبالنسبة للوافدين فحركة التوافد على المقاطعات الأفريقية الأكثر أمنا، أدت إلى نمو ديمغرافي فاق قدراتها وإمكاناتها على الاستيعاب، ما أدى لظاهرة الهجرة الداخلية، والانتشار انطلاقا من المناطق الأكثر كثافة بشرية، نحو مناطق أقل سكانا، وكانت الاتجاهات الرئيسية لذلك الانتشار الغرب والجنوب والجنوب الغربي⁽⁵⁾، ويرجع بيكار (ش.ج) هذا الانتشار إلى القرن الثاني، ومستهل القرن الثالث الميلادي انطلاقا من شمالي الولاية البروقنصلية، نتيجة تعدد واتساع المدن⁽⁶⁾، بينما يذهب لاسير إلى القول أن أغلب المدن التي عرفت تزايدًا سكانيًا سريعًا في ظرف قصير، وجهت فائضها السكاني إلى قرى ومدن صغيرة على شكل هجرات داخلية سعيًا وراء الأرض⁽⁷⁾، والانتقال نحو الداخل يدخل ضمن حركة المد الاستيطاني، والذي هو نتيجة حتمية لتوسع ديمغرافي⁽⁸⁾.

وما توسيع الخريطة الزراعية في إفريقيا الرومانية إلا استجابة ونتيجة لهذه الحركة الديمغرافية، من خلال سعي الرومان للاستيلاء على الأراضي الواقعة في المناطق الملائمة

(1) محمد العربي عقون، الاقتصاد والمجتمع، ص 171.

(2) Lassér.J.M. Vbique Poupulus...Op.cit, p.625.

(3) محمد العربي عقون، الاقتصاد والمجتمع، ص 171.

(4) Ammien Marcellin, XXIX, V.

(5) محمد البشير شنتي، نوميديا وروما، ص 262.

(6) شارل جيلبار بيكار، المرجع السابق، ص 59.

(7) Lassér.J.M. Vbique Poupulus...Op.cit, p.601.

(8) Ibid, p.610.

لنشاط الزراعي منها سهول الشمال الشرقي والمزاق (البيزاكينا)، وصولاً إلى مشارف الصحراء، وهي المناطق التي تتوفر على مناخ ملائم ومنسوب مناسب من التساقطات المطرية، فالتوسعات الرومانية بدأت من الساحل وغدت تغطي كل المنطقة التالية في البروقنصلية ونوميديا (تونس والجزائر الغربية)⁽¹⁾، وأظهرت الشواهد الأثرية الكثافة الديمغرافية في مناطق التل، فدلّت النقوش اللاتينية المستخرجة من بعض مراكز العمران التي أوجدها الاستصلاح أن نسبة عالية من سكانها كانوا أحفاداً لجنود ومزارعين قدماء⁽²⁾. وهذا يعني تحول المراكز العسكرية التي أقيمت لأغراض أمنية سابقاً إلى تجمعات سكنية، فظهرت أقاليم عمرانية جديدة في منطقة الليمس شملت جنوبي الأوراس وبلاد الحضنة بنوميديا، وجنوبي التيطري والونشريس بموريطانيا⁽³⁾.

خلفت الهجرة الداخلية هذه آثارها على القبائل المحلية، فقبائل كثيرة اضطرت للانتقال من مواطنها الأصلية واستقرارها في أقاليم أخرى غريبة عنها، كما تشتتت عشائر وبطون كبرى بعد الاستيلاء على مضاربها، فذهب ذكرها وانمحي أثرها⁽⁴⁾. كل ذلك نتيجة للضغط الديمغرافي القادم من الشمال.

كانت اتجاهات هذه الهجرات في القرون الأولى من الاحتلال الجنوب والغرب، وذلك نتيجة أعمال التهجير والمطاردة التي مارسها الجيش الروماني ضد كثير من القبائل النوميديّة، والمورية التي لجأت إلى المناطق الجبلية، وارتمت بعضها الآخر في المناطق السهلية والصحراء، من ذلك تلك الحركة السكانية خلال القرنين الأول والثاني من مقاطعة نوميديا نحو مقاطعة موريطانيا القيصرية⁽⁵⁾، بحثاً عن أراضي صالحة للعيش، أين ذكرت هجرات لعديد القبائل المناهضة للسلطة الرومانية، ولنا في قبائل الموزولامي التي هُجرت لخير مثال، والكثير من قبائل البورقنصلية ونوميديا⁽⁶⁾. التي أبعدت خارج الليمس وحتى تم

(1) شارل جيلبار بيكار، المرجع السابق، ص 56-57.

(2) محمد البشير شنيّتي، نظرة على الوضع الديمغرافي، ص 18.

(3) محمد البشير شنيّتي، أثر الضغط، ص 37.

(4) محمد البشير شنيّتي، نوميديا وروما، ص 262.

(5) خالد محفوظ، المقاطعات الإفريقية، ص 206.

(6) يرجع للفصل الرابع.

تقييد تنقلاتها، وفي هذا الصدد يشير تريتيانوس: "...إن السلطة عملت على ألا تتجاوز شعوب المور والجيتول الحدود المعينة لها"⁽¹⁾.

ولكن بداية من أواخر القرن الثالث الميلادي، ونتيجة لحركة الهجرة، والتهجير للقبائل المحلية نلاحظ ارتفاعا في الكثافة الديمغرافية، ببلاد التل والمناطق السهبية والصحراوية، على طول خط الليمس الروماني، وفي عمق المقاطعات الأفريقية، وهو الوضع الذي سيسجل حركة سكانية جديد كانت لها تأثيرات وانعكاسات مهمة، جمعت بين الدوافع الاقتصادية والاجتماعية وبخلفيات تحريرية⁽²⁾، حيث سيتغير مسار الهجرات بالاتجاه العكسي جنوب - شمال، وغرب شرق، فبالنسبة لمسار الحركة الأولى جنوب شمال نستدل بما أورده لاسير عن الحركة السكانية نحو أقاليم الحضنة وجنوب متليلي بموريطانيا القيصرية⁽³⁾.

وفي الجنوب الشرقي لمقاطعة نوميديا كانت حركة القبائل على شكل عودة إلى الأوراس والنامشة حتى جنوب قفصة⁽⁴⁾. كل ذلك نتيجة للنمو الديمغرافي الكبير الذي عرفته مناطق التماس مع الحدود الجنوبية للمقاطعات الرومانية، ضف إلى ذلك ضعف وتقهر الدفاعات الرومانية المتراجعة، ما أدى إلى زحف لقبائل محلية من الجنوب نحو الشمال ساعية للعودة إلى أراضيها التي صودرت منها سابقا.

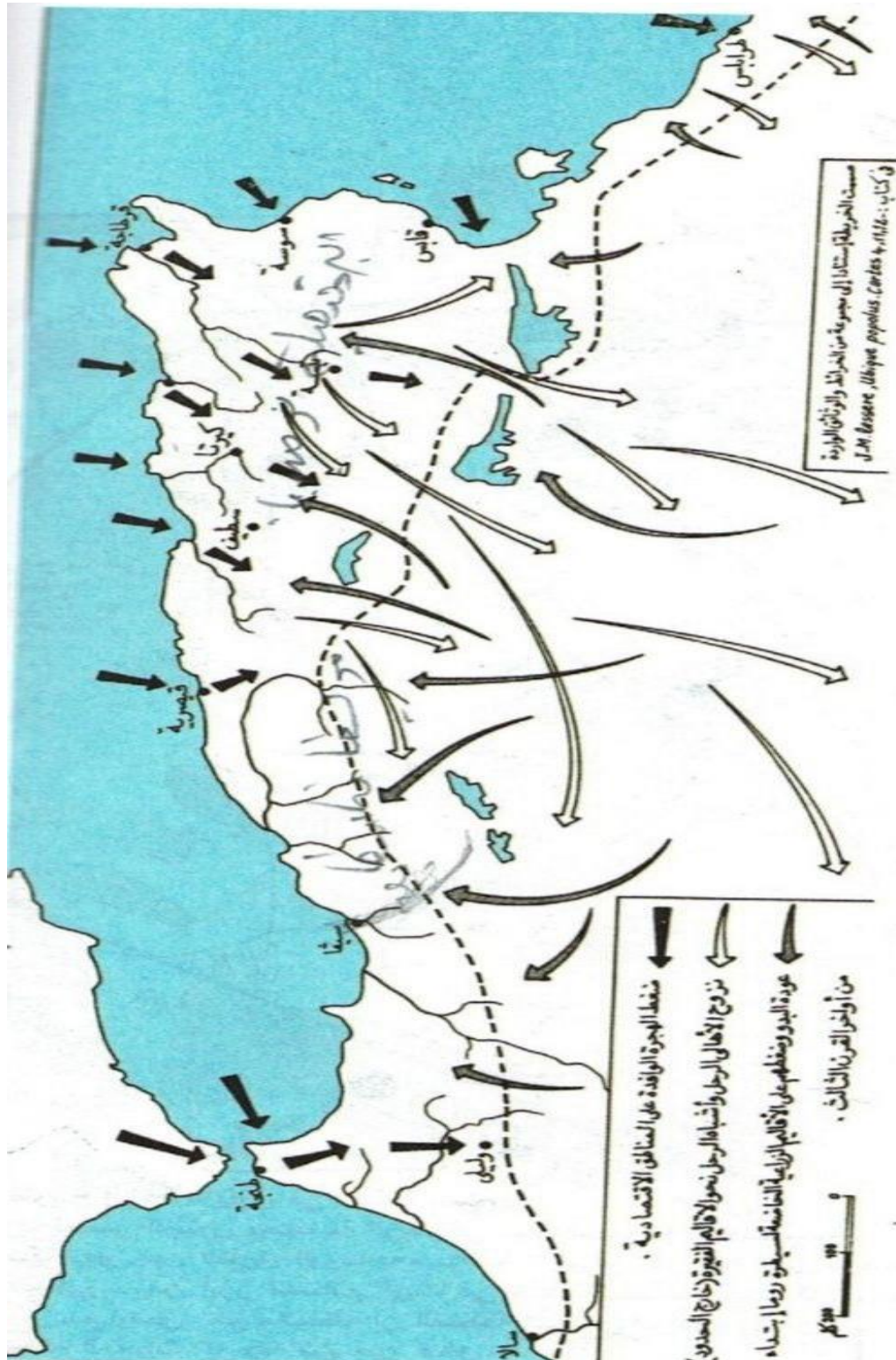
أما بالنسبة لأسباب وسياقات هذه الهجرات ومساراتها المختلفة، فيمكننا حصرها في الدوافع الأمنية والاقتصادية.

(1) محمد البشير شنيقي، أثر الضغط، ص 36.

(2) خالد محفوظ، المرجع السابق، ص 206.

(3) Lassér.J.M. Vbique Poupulus...Op.cit, p.597.

(4) Bénabou.M, Op.cit, p.212.



الخريطة رقم 22: اتجاهات الحركة الديمغرافية بالمغرب القديم، محمد البشير شنييتي، روما الإمبراطورية...، ص 372.

ثالثا: أثر تحركات القبائل المحلية على البيئة في المغرب القديم

كان لتحركات القبائل المحلية الأثر البارز في بيئة بلاد المغرب القديم، وعلى الخصوص الجبال، والسهوب، وشمال الصحراء، فهي المناطق التي لجأت إليها تلك القبائل أثناء الفترة الرومانية، التي عملت على تكريس الاحتلال الشامل عن طريق الاستيطان والاستيلاء على الأراضي التلية الخصبة، بل تجاوزت حركة الاستيطان لتشمل حتى المناطق الجنوبية، دافعة بذلك السكان الأصليين الذين رفضوا الإجراءات الرومانية إلى خارج حدود السيطرة الرومانية، مما أدى إلى ارتفاع الكثافة السكانية بتلك المناطق، وهو الأمر الذي سترك أثره على الإنسان والبيئة معا.

إن المنطقة التي تعرضت لتأثيرات جراء تحرك وهجرة السكان سواء محليين ممثلين في مختلف القبائل، أو وافدين مستوطنين هي منطقة السهوب بالخصوص، والسهوب هي تسمية مناخية تعني الإقليم الذي تنتشر فيه نباتات السباسب (Steppes) ويسوده طقس جاف قليلا⁽¹⁾، وهي في بلاد المغرب القديم النجود أي الهضاب، ونقصد بها سهولا مرتفعة محاطة بكتل جبلية تدرج في مجموعة الأطلس، وجبال الأطلس هي تسمية أطلقها المعاصرون على كل جبال إفريقيا الشمالية⁽²⁾، والمنطقة هذه نجدها في تقسيمات هيرودوت لبلاد لوبة أين قسمها إلى أربعة مناطق، منطقة الساحل، ومنطقة الحيوانات المتوحشة، ومنطقة الواحات والصحراء⁽³⁾، لا يميز هيرودوت المناطق بشكل واضح فقط بل إنه يشير بدقة إلى الخط الذي يفصل شمال إفريقيا إلى منطقتين طبيعيتين جيدا⁽⁴⁾، وهي بالتحديد القسم الداخلي الذي يعتبر امتدادا لموطن القبائل اللوبية الساحلية، وهي منطقة تكثر بها الوحوش والضواري⁽⁵⁾.

وساد بمنطقة السهوب مناخ جاف قليلا اتسم بطول النهار وجفاف الهواء، وارتفاع درجات الحرارة (حدها الأقصى 40 إلى 45°)⁽⁶⁾، بينما المناخ في المناطق الساحلية خلال المرحلة الرومانية أي ما بين القرنين الثاني قبل الميلاد، والقرن الخامس الميلادي، فكان رطبا

(1) محمد البشير شنييتي، أثر الضغط، ص 33.

(2) شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص 14.

(3) Hérodote. IV.174.

(4) Tissot.C. J, Joseph.Ch, Op.cit. p. 265.

(5) Hérodote. IV.174-175.

(6) شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص 17.

يفوق معدل الرطوبة الحالية، إذ شهدت مناخا مثاليا ساهم في ازدهار الفلاحة وتوسيعها في المنطقة، وهو ما تظهره الآثار الدالة على استيطانهم بمنطقة النمامشة والأوراس بالشرق الجزائري، حيث أثروا على الغطاء النباتي الطبيعي بإقتلاع بعض الغابات لاستغلال أماكنها في الزراعة، كما أثروا في المجاري المائية من خلال المنشآت الموجهة للري التي بقيت آثارها ظاهرة لحد الساعة⁽¹⁾، كما كان المناخ رطبا شمال موريطانيا الطنجية(المغرب الأقصى)، وهو ما حافظ على الغابات المتوسطة خاصة أشجار البلوط، بالإضافة إلى المحافظة على الغطاء النباتي⁽²⁾.

إذا ونتيجة لطبيعة منطقة السهوب المتميزة تضارسيا أو مناخيا، نشأت حياة اجتماعية واقتصادية متحركة منذ أن سيطر الإنسان على هذه المساحة الشاسعة، بواسطة الرعي الدائم على امتداد الفصول الذي خلف نفاذاً للغطاء النباتي، فكان التنقل نحو بلاد التل صيفا تارة، وتجاه الأطلس الصحراوي شتاء تارة أخرى، وهي الظاهرة التي سيكون لها الأثر البارز على بيئة السهوب خلال الفترة الرومانية⁽³⁾. أين اجتمعت عديد العوامل التي أضرت بالبيئة منها تغليب الزراعة والعمران، ولنا في نص ترتليانوس⁽⁴⁾ سابق الذكر أعلاه خير مثال، الذي خلف زحفا للعمران الاستيطاني الذي اشتدت حركته خلال القرن الثاني الميلادي، ونتج عنه نقل حدود السيادة الرومانية إلى سباسب السهوب والصحراء، لجأت خلالها السلطات الرومانية إلى انتزاع الأراضي من أصحابها الشرعيين وإبعادهم عنها، ونتيجة لذلك نزح الأهالي المبعدين اضطراريا من أراضيهم إلى المناطق الجبلية والسهبية والصحراء، واتخذوا منها موطنًا جديدا، فأزالوا الغابات لتوفير مساحات للزراعة والرعي، وأفنوا الحيوانات الضارية، وهو

(1) أظهرت التنقيبات على مسافة قليلة جنوبي وادي جدي ينبع قرب الأغواط، ويسير في اتجاه الشرق حتى الجنوب الشرقي لبسكرة، أثر لحفير عظيم على طول 60 كلم، والذي يبدو أنه منشأة للري الزراعي بالمنطقة، كونه يبدأ من الوادي، وهو دليل على أن وادي جدي كان يمد المنطقة بمقدار كبير من الماء تكفي للسقي. للمزيد ينظر: ستيفن غزال، تاريخ إفريقيا الشمالية، ج1، ص80.

(2) سمير أيت أومغار، مناخ شمال إفريقيا خلال الفترة الرومانية: مقاربات جديدة، مجلة هيسبريس تامودة Hespéris Tamuda، ع1، الرباط، 2017، ص ص66-67.

(3) محمد البشير شنييتي، أثر الضغط، ص33.

(4) ينظر الصفحة المتعلقة بنص ترتليانوس:

Tretulianus, d'après Lassér.J.M. Vbique Poupulus...Op.cit, p.573.

ما أثر على الغطاء النباتي والثروة الحيوانية⁽¹⁾، ويَحتمل شنيّتي (م،ب) أن هذه المناطق الجبلية والسهبية كانت خالية من السكان في بداية الاحتلال الروماني، غطتها الغابات الكثيفة والسباسب، واستوطنتها حيوانات كثيرة ومتنوعة⁽²⁾، دل على ذلك نصوص أدبية كثيرة⁽³⁾. ثم نجد الإجراءات العسكرية التي كانت من أهم العوامل التي أثرت على بيئة المغرب القديم، حيث يعتبر الليمس بوصفه مؤسسة عسكرية دائمة النشاط، ووسيلة استيطان فعالة وقوية، قد عمل على تغيير الوضع الديمغرافي وعلاقة الانسان المغربي القديم بوسطه الطبيعي⁽⁴⁾.

1. تضرر الحيوانات البرية:

تميزت منطقة المغرب القديم بثروة حيوانية متنوعة، لاسيما عصور ما قبل التاريخ والعصور القديمة التي سبقت الاحتلال الروماني، والمرتبطة بتنوع المناخ والتضاريس والغطاء النباتي، وشهدت على ذلك النقوش والرسوم الصخرية بمنطقة الأطلس الصحراوي والصحراء الوسطى⁽⁵⁾، ونصوص من المصادر الأدبية الكلاسيكية التي أطلقت عليها تسميات مختلفة، كالحيوانات الليبية المتوحشة (Ferar Libycae)، والحيوانات الإفريقية المتوحشة (Freae bestiae Africanae)⁽⁶⁾، بالإضافة إلى المصادر المادية منها المصكوكات التي ورد رسم لعدد الحيوانات على عملة الكثير من الملوك النوميديين⁽⁷⁾، يضاف كذلك صور ومشاهد صيد هذه الحيوانات، والتي جُسدت في لوحات الفسيفساء المختلفة⁽⁸⁾، ومن أبرز الحيوانات نجد المفترسة منها كالأسود، والفهود، والنمور،

(1) محمد البشير شنيّتي، روما الإمبراطورية، ص 167.

(2) المرجع نفسه، ص 168.

(3) Hérodote. IV.191-192.

(4) محمد البشير شنيّتي، أثر الضغط، ص 35.

(5) سليم سعيدي، الحيوان وأهميته الدينية في المغرب القديم من فجر التاريخ إلى الغزو الوندالي (1200 ق.م-429 م)، أطروحة دكتوراه، إ: عبد العزيز بن لحرش، جامعة قسنطينة 2 - قسم التاريخ، قسنطينة، 2019/2018، ص 19.

(6) Hérodote. IV.191-192 ; Strabon, XIIV.III.6 ; Salluste, 17. 6; Pline l'Ancien, V.26.

(7) Mazard.J, Oo.cit, p.68.69.78.130. (الملك يوبا الثاني، والملك بوخوس، والملك بطليموس) حيث تظهر على عملات كل من الملك بوخوس، والملك يوبا الثاني،

(8) للمزيد عن الحيوانات المختلفة ببلاد المغرب القديم من خلال الفسيفساء ينظر: تغريد على شعبان، الحيوانات الوحشية من خلال الفسيفساء الأفريقية الرومانية، أطروحة دكتوراه، تونس، 2001.

وربما الدببة، والتي كانت منتشرة في كل المغرب القديم وبأعداد كبيرة⁽¹⁾، حتى أنها شكلت خطراً على السكان حسب سالوستوس⁽²⁾.

والى جانب هذه الحيوانات عاشت الفيلة، وأفراس النهر، وأنواع عديدة أخرى في مختلف مناطق المغرب القديم من السيرت شرقاً إلى موريطانيا غرباً⁽³⁾، حيث يقول هيرودوت⁽⁴⁾ في الفقرة 191: "...تكون هذه الأرض وبقية الجزء الغربي من ليبيا مليئة بالوحوش وغابية أكثر من أرض البدو الرعاة.... ومنه باتجاه الغرب تكون أرض الفلاحين جبلية جداً، وغابية مليئة بالوحوش، ويوجد في هذه الأرض الثعابين الضخمة جداً، والأسود والفيلة، والدببة، والحمير ذات القرون"، إلا أن غالبية هذه الحيوانات قد انقرضت، فلم ينته حكم الرومان للمغرب القديم حتى تقلصت أعدادها كالأسود والنمور والدببة، واختفت تماماً حيوانات أخرى أهمها الفيلة⁽⁵⁾، ويرجع البعض سبب الانقراض إلى ذلك التغيير النسبي في المناخ⁽⁶⁾، بينما يرجعه غزال إلى عوامل بشرية⁽⁷⁾.

- إفناء الفيل الإفريقي:

يعتبر الفيل الإفريقي (*Elephas africanus*) واحداً من أهم الثدييات الضخمة التي تحتاج شروطاً مناخية ملائمة منها وفرة الكلا والماء والظلال⁽⁸⁾، عاشت الفيلة بالمغرب القديم خلال فترة التواجد الروماني، وأثرت في جوانب كثيرة من الحياة اليومية⁽⁹⁾، بالنسبة لتاريخ ميلاد هذا الحيوان بشمال إفريقيا فلا يزال مجهولاً، وهو متداخل في الزمن مع أصناف أخرى. حاول بعض الباحثين الربط بين فيلة إفريقيا وفيلة المغرب القديم خلال الفترة

(1) محمد الحبيب بشاري، روما وزراعة، ص 308.

(2) Salluste, XVII.6

(3) محمد الحبيب بشاري، المرجع السابق، ص 308.

(4) Hérodote. IV.191-192.

(5) محمد الحبيب بشاري، المرجع السابق، ص 314.

(6) نقلاً عن ستيفن غزال، تاريخ إفريقيا الشمالية، ج 1، ص 76.

(7) المرجع نفسه، ص 89؛ إميل.ف. غوتييه، المرجع السابق، ص 93.

(8) يُعد حضور الفيل بشمال إفريقيا مؤشراً تاريخياً قوياً على توافر وسط طبيعي ومناخي ملائم، ممثلاً في رطوبة المجال وكثافة الغطاء النباتي، للمزيد ينظر: سمير أيت أومغار، ملاحظات حول مناخ المغرب القديم، مجلة أسطور، جانفي، 2016، ص 64.

(9) سمير أيت أومغار، المرجع السابق، ص 60.

القرطاجية والرومانية، هذه الفترة الأخيرة التي ستشهد إفناءً للفيلة⁽¹⁾. وقد أثار اختفاء الفيل في القرون الأولى من الاحتلال الروماني لبلاد المغرب القديم مجموعة من التساؤلات⁽²⁾، هل كان بسبب التغير في المناخ الذي تعرضت له المنطقة في هذه الفترة؟ أم أن للإنسان دوراً في هذا الاختفاء؟

اعتبر بعض الباحثين اختفاء الفيل الإفريقي إحدى العلامات الدالة على ذلك التغير في المناخ الذي طرأ على منطقة المتوسط، والذي صاحبه تراجع في الكلا والمياه ما أدى إلى انقراضه⁽³⁾. إلا أن عددا كبيرا من الباحثين استبعد هذا الرأي، وأقروا بدور العامل البشري كسبب رئيسي لاختفاء الفيل، وحتى حيوانات أخرى بالمنطقة، فهذا غزال يجزم بأن انقراض الفيل يرجع لأسباب يتعذر تفسيرها، وأن لا دخل لتغير المناخ في هذا الاختفاء، ويعتقد أن حملات الصيد الكثيرة والموسعة لاصطياد هذه الحيوانات المستعملة في الفرجات⁽⁴⁾، بالإضافة إلى الرغبة في الحصول على العاج، كافية لتفسير اختفائها⁽⁵⁾.

يبدو أن تراجع الفيلة جنوباً قد حدث بالموازاة مع تقدم الاستيطان الروماني في بلاد التل، حيث لم يبق في المناطق الخاضعة لسيادة روما آخر القرن الأول ما يمكن مشاهدته بسهولة⁽⁶⁾، وقد نفى بلين وجود الفيلة بالأرياف النوميدية في زمانه، أي في القرن الأول الميلادي⁽⁷⁾. وعليه فانقراض الفيل حدث جراء الفعل البشري، ذلك أن هذا الحيوان في الفترة الرومانية تأثر بالحضور المتزايد للإنسان، واتساع المساحات المزروعة في بيئته، والصيد

(1) محمد البشير شنييتي، روما الإمبراطورية، ص 170.

(2) ذكر ثيمستوس (Thémistius) الذي عاش خلال القرن الرابع الميلادي، أن الفيلة لم تعد موجودة بشمال إفريقيا، وفي القرن السابع الميلادي أشار إيزيدور الإشبيلي (Isidore de Sévill) إلى اختفائها من موريطانيا الطنجية، والتي كانت فيما مضى مليئة بالفيلة. للمزيد ينظر: ستيفن غزال، تاريخ إفريقيا الشمالية، ج 1، ص 89.

(3) سمير أيت أومغار، المرجع السابق، ص 60.

(4) تعرضت الحيوانات البرية بمختلف أصنافها في المغرب القديم إلى عمليات صيد واسعة، والتي وجد فيها مصدر للريح بالاستفادة من جلودها (الأسود، الفهود، النمر، الدببة)، وأنيابها بالنسبة للفيلة، وريشها بالنسبة للنعام، وحتى من أجل لحومها، كما استخدمت في الاستعراضات (المهرجانات والمدرجات) بإفريقيا وروما، استمرت عملية إبادة الحيوانات البرية الإفريقية حتى سنة 523م غثر صدور قرار إمبراطوري يمنع الألعاب التي تدرج فيها حيوانات مفترسة. للمزيد ينظر: محمد الحبيب بشاري، روما وزراعة، ص 315-320.

(5) ستيفن غزال، تاريخ إفريقيا الشمالية، ج 1، ص 89.

(6) إميل.ف. غوتيه، المرجع السابق، ص 90.

(7) Pline l'Ancien, VIII.7.

المنتظم، وتزايد البحث عن أنيابه العاجية، بالإضافة إلى استهلاك لحمه⁽¹⁾، كلها عوامل كان لها الدور الأساسي في إفناء الفيلة⁽²⁾.

كان لسياسة روما الاستيطانية والتوسعية، عسكرية كانت أو زراعية وحتى عمرانية دوراً مهماً في اختفاء، وهجرة العديد من الحيوانات التي عاشت بالمغرب القديم، فاستصلاح الأراضي الغابية والسهبية، تسبب في تدمير البيئة الملائمة لمعيشتها، والإخلال بالسلسلة الغذائية لكثير من حيوانات المنطقة⁽³⁾.

نتيجة للإجراءات الرومانية كسياسة التهجير والحشد(الكنطنة)، والطرْد، والنقل التي طبقتها الإدارة الرومانية على القبائل الأهلية(المحلية) النوميديّة والمورية إلى أماكن مُحددة، بالمناطق الغابية الصعبة، وجنوب منطقة السهوب وشمال الصحراء، وجدت غالبية هذه القبائل نفسها في أراضي ذات إمكانيات زراعية واقتصادية محدودة كالغابات، ما اضطرها إلى الدخول في صراع مميت مع الحيوانات المفترسة منها على الخصوص كالأسود والفهود، فعمل أولئك النازحون على إزالة الغابات ومطاردة الحيوانات⁽⁴⁾، يورد ساليستوس أسباب وفاة الأهالي المغاربة وهي: الحروب، الشيخوخة، والحيوانات المفترسة، حيث يذكر: "الناس أصحاب، قساة في العمل، يموتون عموماً عند الشيخوخة باستثناء الذين يموتون تحت وقع الحرب أو نهش الحيوانات المفترسة، لأنه نادراً ما يموتون مرضاً..نضيف إلى هذا أن الحيوانات الضارية كثيرة"⁽⁵⁾، فنص ساليستوس هذا ورغم مبالغته يبين مدى الخطورة التي كانت تشكلها هذه الحيوانات على حياة الناس، وهو ما أدى بهم إلى اصيادها للتخلص من خطرهما على حياتهم وحياة ماشيتهم⁽⁶⁾.

وكنتيجة ترتب عن مزاحمة الإنسان للحيوانات البرية في بيئتها، أن ساهم في تدمير الغطاء النباتي وإفناء أنواع كثيرة من الحيوانات، واتخذ من بيئة تلك الحيوانات موطناً له وهي مناطق النزوح.

(1) شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص 206.

(2) سمير أيت أومغار، المرجع السابق، ص 61.

(3) محمد الحبيب بشاري، روما وزراعة، ص 314-315.

(4) محمد البشير شنيّتي، أثر الضغط، ص 38.

(5) Salluste, XVII.6.

(6) محمد البشير شنيّتي، المرجع السابق، ص 39.

2. تضرر الغطاء النباتي:

لاحظ المختصون في علم النبات أن تراجعاً واضحاً قد أصاب الغطاء النباتي وعلى الخصوص الغابات، في بلاد المغرب القديم منطقة الهضاب العليا والأطلس الصحراوي تحديداً، بداية من القرن الأول الميلادي⁽¹⁾، وقد سجل بلين اختفاء أنواع من أشجار جبل الكوراريوس (الونشريس) (Ancorarius) بموريطانيا التي تعرف بنوعيتها الجيدة في إنتاج الخشب الرفيع، فذكر شجر التويا (Thuja) (شجرة صنوبرية دائمة الخضرة)⁽²⁾، وذلك بسبب تصدير كميات كبيرة من خشبه إلى روما لصناعة الأثاث الفاخر⁽³⁾، ونتيجة للأنشطة البشرية المتزايدة، والاستغلال المكثف للبيئة كالعمرارة، والنجارة، وحتى التدفئة، ونتيجة للاستهلاك المفرط تدهورت غابات البلوط الفليني بموريطانيا الطنجية⁽⁴⁾. وغابات المغرب القديم على العموم.

كما استغلت الغابات من طرف الرعاة كمراعي طوال أيام السنة، عكس ما كان عليه الوضع سابقاً (لجأ الأهالي إلى الغابة في فصل الصيف بعد نفاذ الكلا والماء بالمراعي الداخلية جنوب السهول العليا في موريطانيا القيصرية ونوميديا، ووسط وجنوب البروقنصلية)، وهو ما ساهم في تدهورها وإتلافها، ذلك أن الماشية بوطئها المتكرر على التربة جعل منها صلبة تمنع نمو النوبات والرشيمات (Germes)، وإتلاف البراعم الناشئة واستهلاك الأغصان الطرية⁽⁵⁾، وأُتلف جزء آخر من الغابات نتيجة لأعمال الحرق العمدي⁽⁶⁾، حيث أورد سترابون ذاكراً حرائق مهولة بموريطانيا ذهب ضحيتها الفيلة بقوله: "...بالإضافة إلى روايات أسطورية حول الفيلة، إذ يقول إن الحيوانات المتوحشة الأخرى تهرب من النار، أما الفيلة فهي تحاربها وتدافع عن نفسها أمامها لأنها تحرق الغابة"⁽⁷⁾. يضاف لذلك أعمال الحرق التي تعرضت لها غابات المغرب القديم من طرف

(1) محمد البشير شنييتي، روما الإمبراطورية، ص 169.

(2) Pline l'Ancien, VIII.95.

(3) محمد البشير شنييتي، روما الإمبراطورية، ص 177.

(4) سمير أيت أومغار، المرجع السابق، ص 69.

(5) ستيفن غزال، تاريخ إفريقيا الشمالية، ج 1، ص 139.

(6) محمد البشير شنييتي، المرجع السابق، ص 178.

(7) Strabon, XVII.III.8.

الأهالي المزارعين الذين طُردوا من أراضيهم الخصبة، بغية استغلالها في الزراعة، في هذا الصدد يذكر شنييتي (م.ب): "...كانت الضرورة تقتضي أن يقوم أولئك الريفيون النازحون باستصلاح مساحات من تلك الأراضي بحرق الغابات وإفناء الحيوانات"⁽¹⁾. عملية الحرق تجدد تربة الغابات التي ينخفض مردودها مع الاستعمال المتكرر⁽²⁾.

إن الاستغلال المكثف لغابات المغرب القديم من طرف الإدارة الرومانية وحتى الأهالي؛ أدى إلى اختفاء بعض أنواع الأشجار، واستصلاح الأراضي الغابية عن طريق إزالة الأشجار أدى مع مرور الوقت إلى الإضرار بالتربة عن طريق عملية الانجراف، كما تعرضت هذه المناطق لظاهرة التصحر. يضاف لذلك الأثر البارز الذي تركته إزالة الغابات على الثروة الحيوانية البرية باختفاء وانقراض أنواع كثيرة⁽³⁾، هذا بالنسبة لتأثر الغابات.

بالنسبة للمراعي وتأثرها، فقد تسببت سياسة روما في إبعاد الرعاة، وتهجيرهم وطردهم وحشدهم في مناطق فقيرة، كالغابات، وجنوب منطقة السهوب وشمال الصحراء، وهي أقاليم قليلة المراعي، نادرة الأراضي الزراعية، في تقليص مجال حركات الكثير من القبائل المحلية وحصر تنقلاتها، مما أجبرهم على استصلاح تلك الأراضي سابقة الذكر لزراعتها، وتوفير مراعي لماشيتهم، عن طريق إزالة الأشجار، وهو ما ساهم في إتلاف المراعي الطبيعية، والغابات وخلفت أضرارا لحقت بالغطاء النباتي، كانجراف التربة وظاهرة التصحر. فالمراعي دمرت بسبب كثرة تردد الماشية عليها طوال السنة، وبذلك عدم تجدد الكلأ، وهذا ما كان يدفع بالبدو الرحل إلى التحرك شمالا بحثا عن مراعي جديدة، محاولين تجاوز الخطوط الدفاعية الرومانية⁽⁴⁾.

خلف تحرك القبائل المحلية نحو عمق، وجنوب بلاد المغرب القديم في الفترة الرومانية أثرا بارزا على المناطق الجبلية أولا، وثانيا على السهوب والصحراء، فكان أثر النزوح والتحرك إلى المناطق الجبلية واضحا على الغطاء النباتي باقتلاع الغابات التي تضمن التوازن المناخي مما ساهم في إحداث تغيير في مناخ المنطقة، ولو كان هذا التغيير

(1) محمد البشير شنييتي، روما الإمبراطورية، ص 176.

(2) محمد الحبيب بشاري، روما وزراعة، ص 306.

(3) المرجع نفسه، ص 305.

(4) المرجع نفسه، ص 306.

ضئيلاً⁽¹⁾. كما ساهم نزوح الأهالي في بروز ظاهرة القرى الجبلية المعلقة بقمم الجبال والمرتفعات، أو الملتصقة بالمنحدرات الوعرة، مما ساهم في ارتفاع الكثافة العمرانية والبشرية بهذه المناطق⁽²⁾.

بينما كان لنزوح الأهالي نحو مناطق السهوب، وشمال الصحراء الأثر البارز والخطير على الغطاء النباتي والثروة الحيوانية معاً، بسبب الرعي الجائر الناتج عن انتشار الترحال كنمط للعيش⁽³⁾، نتج عن ذلك الاستغلال الكثيف للغطاء النباتي والتربة ما ساهم في انتشار القحولة، طيلة المرحلة الرومانية⁽⁴⁾.

وخلاصة القول أن الأنشطة البشرية المتزايدة خلال الفترة الرومانية كانت من العوامل المسؤولة عن ذلك التغيير الذي طرأ على بيئة المغرب القديم خلال الفترة الرومانية، ممثلاً في تناقص وحتى اختفاء للثروة الحيوانية البرية، وتراجع ملحوظ للغطاء النباتي، وهي التأثيرات التي لا يزال أثرها بارزاً ليومنا هذا - انتشار القحولة -.

رابعاً: انحطاط الإمبراطورية الرومانية وظهور إمارات مورية محلية خلال القرن الخامس الميلادي

أول ما نبدأ به عنصرنا هذا هو طرح إشكالية انحطاط الإمبراطورية الرومانية، وانكماشها في بلاد المغرب القديم خلال القرن الخامس، من منظور من تسبب في إسقاطها؟، فهل يمكن اعتبار الاجتياح الوندالي (Vandales) القادم من الشمال هو السبب؟ أو أن هناك طرفاً آخر ساهم في تدهور وانحيار روما بالمنطقة وهذا الطرف هو القبائل المورية البدوية في بلاد المغرب والقادمة من الجنوب؟

وإذا رجعنا لاستعمالات مصطلح المور فهو انتشر مع بداية انهيار الإمبراطورية الرومانية في بلاد المغرب القديم، أين تردد لدى كتاب القرن الرابع وأبرزهم أميان ماركولان، الذي قصد به جميع السكان الأصليين المستقلين عن السلطة المباشرة للحكام الرومان،

(1) ستيفن غزال، تاريخ إفريقيا الشمالية، ج1، ص90.

(2) محمد البشير شنييتي، روما الإمبراطورية، ص176.

(3) المرجع نفسه، ص177.

(4) سمير أيت أومغار، المرجع السابق، ص70.

ويدينون بالولاء لأمراء محليين أتباعاً لروما أو لشيوخ وزعماء قبائل مستقلة أو حليفة للإدارة الرومانية⁽¹⁾، وتطور الاسم أكثر طيلة الفترة الوندالية والبيزنطية حيث تمت الإشارة إليهم عن طريق المؤرخ بروكوب القيصري، حتى أنه أطلق عليهم أحيانا اسم لواتة، ونجد أن أغلب النقوش الأثرية الرومانية في موريطانيا القيصرية التي تذكر مصطلح المور لا يتجاوز عمرها نهاية القرن الرابع الميلادي⁽²⁾.

فقد ساهم تدهور أوضاع الإمبراطورية الرومانية أواخر القرن الرابع الميلادي في جميع الميادين السياسية والعسكرية والاجتماعية والدينية⁽³⁾، والتي انعكست بدورها على الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والدينية(الصراع الديني بين الدوناتيين والكاثوليك) ببلاد المغرب القديم، في تخلي الإدارة الرومانية على جزء كبير من أراضي ولاية المغرب الروماني، مما كان يعتبر أملاكها ولم تحتفظ إلا بما أطلق عليه "إفريقيا المفيدة"⁽⁴⁾، وهو الوضع الذي شجع القبائل المورية البدوية المتواجدة على تخوم الليمس، وخارجه بالجهة الجنوبية على التقدم شمالا في اتجاه المناطق الزراعية، في محاولة للاستقلال عن السلطة الرومانية⁽⁵⁾. وقد رصد مؤرخو العهد الروماني المتأخر وما بعده⁽⁶⁾، إختراق تحصينات الليمس في الجزء الشرقي من مقاطعة طرابلس من قبل قبائل بدوية تستعمل الجمل⁽⁷⁾، وهي القبائل التي عرفت اتساعا في مجال تحركها نتيجة التطور الملحوظ لظاهرة الترحال والرعي⁽⁸⁾.

كما تراجعت السيطرة الرومانية نحو الشرق بداية من أواخر القرن الثالث (بتراجع خطوط الليمس)، مخلفة مناطق شاسعة في الموريطانييتين القيصرية والطنجية التي أصبحت

(1) Ammien Marcellin. XXVIII.

(2) رابح لحسن، أضرحة الملوك المور والنوميد، دار هومة، الجزائر، 2004، ص.51.

(3) شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص.323.

(4) محمد الحبيب بشاري، أوضاع الإمبراطورية الرومانية في النصف الثاني من القرن الرابع ميلادي ثورة جيلدون 397-398م، مجلة الإتحاد العام للآثاريين العرب، ع.13، د.س.ن، ص.247.

(5) محمد البشير شنيقي، الجزائر قراءة، ص.230.

(6) Ammien Marcellin. XXVIII.6-29 ; XXIX.5.2.6.12 ; XXX.7.10.

(7) Courtois .C.le vandal... Op.cit,pp.103-104.

(8) Troussset .P, Op.cit, pp.5583-5584.

حرة غابت عنها السيطرة الرومانية، وهي أقاليم تمكنت قبائل محلية مستقلة تقطن في الجبال والمناطق غير الخاضعة للرومان من استرجاعها والسيطرة عليها⁽¹⁾، فقد سيطر ملوك وأمراء محليون على سكان المدن والأرياف خارج المناطق التي كانت تحت السلطة الرومانية ولم يشملها الاستيطان الروماني.

أوضحت الدراسات التاريخية أن الإمبراطورية الرومانية انتهجت سياسة خاصة ببلاد المغرب القديم خلال نهاية القرن الثالث والقرن الرابع الميلاديين، تمثلت في محاولة احتواء واحتضان القبائل المورية المجاورة لمجال نفوذها، وحتى المتواجدة داخل الأقاليم الخاضعة لها⁽²⁾، فكانت في البداية علاقة الإدارة الرومانية بقبائل المور غير مباشر حيث اعترفت لها باستقلال ذاتي من حيث النظم الداخلية والقوانين وكذا الأعراف المتعامل بها داخل القبيلة، أو فيما بين القبائل والإمارات الأخرى، واكتفت بالسيطرة على قادتها وأمرائها مع اعترافها بسلطتهم على أقوامهم⁽³⁾، وأعطتهم تسميات رومانية خاصة على مناصبهم مثل حاكم القبائل (Prefectus Gentis) و (Princeps Gentis)⁽⁴⁾، وتمكنت هذه القبائل من تشكيل وحدات سياسية مستقلة نسبياً، وصفها كورتوا بالجزر العائمة في محيط روماني⁽⁵⁾.

غير أن المصادر التي توفرت لنا سواء الكتابية، أو المادية أهملت ذكر أخبار تلك الكيانات السياسية، فهي لم تتعرض لأحوال المور السياسية والاجتماعية في حد ذاتها، وإنما تذكر بعض الإشارات لهم ضمن أحداث عسكرية تتعلق بتمردات وانتفاضات كانوا طرفاً فيها، ما تطلب تدخلات عسكرية لقمعها خلال القرن الثالث (ثورات قبائل البوار والبقواط، والحلف الخماسي وقبائل الفراكسنانس)⁽⁶⁾⁽⁷⁾.

(1) خالد محفوظ، مقاومة القبائل، ص ص 207-208.

(2) يوسف عيش، الاحتلال البيزنطي، ص 230.

(3) محمد البشير شنيقي، الجزائر قراءة، ص 242؛ XXIX.V.2؛ Ammien Marcellin.

(4) Bénabou.M, Op.cit, p.447.

(5) Courtois .C, le vandal... Op.cit, p.89.

(6) شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص ص 273-275.

(7) يرجع للعنصر الأول.

وحتى في القرن الرابع وإن عاد الهدوء والاستقرار إلى المنطقة إلا أن بعض المصادر تسجل أخبارًا لأسر مورية استقادت من دعم روما، وهي أسر ذات نفوذ عقاري وسياسي، وقيادة عسكرية وإدارية، مع احتفاظها بنفوذها التقليدي على رأس قبائلها، وذلك ماجسدته عائلة نوبل (Nubel) وابنه فيرموس، والتي استغلته الإدارة الرومانية لتكون واسطة بينها وبين الأهالي، وحتى لمراقبة مختلف القبائل⁽¹⁾، المتحركة عبر مجال جغرافي مترامي الأطراف، ولكن مع مرور الوقت حاولت هذه الأسر تكوين كيانات سياسية مورية، وهو ما أبرزته أحداث الربع الأخير من القرن الرابع الميلادي، أين تبنت شخصيات قوية من هذه الأسر حركة مقاومة استقطبت قبائل مورية مختلفة، وحتى زعماء من الحركة الدوناتية، من ذلك ثورة فيرموس سنوات (366-372م)، ثم جيلدون (397-398م) في موريطانيا القيصرية⁽²⁾. وهي الثورات التي خلفت نتائج منها تفكيك القبائل المتحالفة، ولو لبعض الوقت من خلال تكريس أسلوب فرق تسد، وإعادة ترتيب النظام الروماني في المنطقة وبتكليف أمير محلي متحالف مع الرومان للحفاظ على نفوذه. وأهم نتيجة أن هذه الثورات ساهمت في تجديد الرغبة في التحرر، وعدم الرضوخ للمحتل مجسدة ذلك في إمارات مورية⁽³⁾.

إن أخبار إمارات وممالك المور المستقلة التي أخذت تتشكل، وتحتل مواقعها في الخريطة السياسية للمغرب أواخر العهد الروماني، نادرة بسبب سكوت المصادر المعاصرة لها، ويبقى ما وصلنا من أخبار إلا عرضا لأحداث عسكرية في المقاطعات جرت بينها وبين الجيش الروماني، وهي تتصف بالاعتصاب والتقطع فلا تمكن الباحث من تصور الواقع التاريخي لتلك الكيانات⁽⁴⁾.

(1) يوسف عبيش، الاحتلال البيزنطي، ص232.

(2) محمد البشير شنييتي، روما الإمبراطورية، ص229.

(3) عبد الحميد عمران، من مقاومات، ص18.

(4) محمد البشير شنييتي، روما الإمبراطورية، ص218.

إذا كان يتعذر علينا الوصول إلى الأدلة اليقينية حول سيطرة إمارات المور على المناطق الخارجة عن السيطرة الرومانية خاصة بموريطانيا القيصرية، بشكل جعلها في حالة امتناع عن السلطة المركزية في الفترة السابقة للاحتلال الوندالي وأثناء المرحلة الأولى منه، فإن ظهور المور في الأخبار المتعلقة بمهاجمة الوندال لروما عام 455م⁽¹⁾، وتقاسم الغنائم المسلوقة من هناك مع الجنود الوندال، حسب ما جاء به فيكتور الفيتي (Victor de Vita) المعاصر للأحداث، وبروكوب (Procopius)، تدعونا إلى التساؤل عن هؤلاء المور الذين تقاسموا الغنائم مع الملك جنسريق ملك الوندال؟⁽²⁾، وعن طبيعة العلاقة بينهم والوندال؟ والتي يظهر أنها كانت قائمة على تحالف مصلي حقق من خلاله الانتصار والتحرر، عكس علاقة التبعية والاستغلال التي كانت في العهد الروماني.

لخير دليل على أن المور استطاعوا استعادة الوحدة السياسية، والعسكرية ذات المضمون الكونفدرالي، والذي نجحت في بعثه هذه القبائل المورية أواخر العهد الروماني بتشكيل إمارات قوية منذ القرن الخامس الميلادي والتي لعبت دور الأحلاف المثاليين للوندال في مواجهة الرومان⁽³⁾، والتي كانت تطمح لاسترجاع أقاليم جغرافية تشكل عليها ممالكها، وقد قدم شنييتي (م.ب) تحليلاً عن بروز هذه الممالك في هذا الوقت بالذات أنه من منظور السعي لإثبات الوجود وملاء الساحة السياسية في المناطق التي عجزت روما عن حفظ هيبتها فيها⁽⁴⁾.

وقد ذكرت مصادر القرنين الخامس والسادس مجموعة من القبائل، أو لنقل إمارات مورية كان لها دوراً كبيراً في سير الأحداث ببلاد المغرب القديم، حيث ظهرت بأسماء جديدة، وفي مواقع مختلفة غير التي عرفت بها في الفترتين النوميديّة والرومانية، وذلك راجع

(1) Courtois .C, le vandal... Op.cit, p.124.

(2) Modéran.Yves, Les Maures ...Op.cit, p.542.

(3) يوسف عيش، الاحتلال البيزنطي، ص233.

(4) محمد البشير شنييتي، روما الإمبراطورية، ص255.

لكثرة ترحالها وتحركها بسبب سياسة التضييق الممارسة عليها من قبل الإدارة الرومانية⁽¹⁾، وسمحت المصادر بالوقوف على أربع كيانات مورية كبرى تقاسمت خريطة المغرب القديم بطريقة متفاوتة، ويعتقد عيبش أن هذه الكيانات المورية تميزت بقاسم مشترك، تمثل في تشبثها بجغرافيتها⁽²⁾، وهي:

1. القبائل الصحراوية الطرابلسية: اشتهرت منذ القرن الرابع بقبائل لواتة (Laguatan)، وردت في أشعار كوريبيوس على أنها قبائل متمردة من خلال قوله: "...وأخضع بسلاحك المتمردين من اللواتيين"⁽³⁾، والأوسترياني (Austoriani) التي ستعرف بهوارة خلال الفترة الإسلامية⁽⁴⁾، قطنت هذه القبائل الجزء الشرقي من المقاطعة الطرابلسية إلى حدود القرن الرابع الميلادي، يذكر موديران أن القبائل الطرابلسية استقرت بالمنطقة قبل القرن الرابع غير أنها لم تكن معروفة باسم لواتة وهوارة⁽⁵⁾، ثم تحركت باتجاه الغرب شيئاً فشيئاً إلى أن سيطرت على الجزء الجنوبي من تونس الحالية⁽⁶⁾، برز دور القبائل الطرابلسية أكثر حسب ما سجلته المصادر خلال بدايات الفترة الوندالية أين تحالفت معهم ضد الرومان⁽⁷⁾، غير أن هذه القبائل قامت بثورات في فترة خلفاء جنسريق (Genseric) (429-477)، وفي الفترة البيزنطية. يضاف لهاتين القبيلتين مجموعة من القبائل المتحالفة معهما، وهي في غالبيتها قبائل تقطن المناطق الداخلية⁽⁸⁾، وهي قبائل الإيفوارس (Ifuraces) الجبلية في المقاطعة الطرابلسية، وقد اشتهرت بمقاومتها للبرنطيين⁽⁹⁾، والموكتونيانيون (Muctuniani)⁽¹⁾.

(1) عماد طويل، المور والتحويلات السياسية والعسكرية في المغرب القديم خلال الفترتين الوندالية والبيزنطية (5-7م)،

أطروحة دكتوراه في التاريخ القديم، إ: بلقاسم رحمان، قسم التاريخ، جامعة الجزائر 2، الجزائر، 2018/2017، ص73.

(2) يوسف عيبش، الاحتلال البيزنطي، ص234.

(3) كوريبيوس، ملحمة الحرب الليبية الرومانية مقاومة قبائل المغرب العربي للاستعمار الروماني، تر: محمد الطاهر الجري، منشورات مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، ليبيا، 1988، ص28.

(4) Modéran.Yves, Les Maures ...Op.cit, p.109 ; Courtois.C. le vandal... Op.cit, p.103.

(5) Modéran.Yves, Ibid, p.110.

(6) Courtois.C. le vandal... Op.cit, p.349.

(7) Modéran.Yves, Les Maures ...Op.cit, pp.544-546.

(8) يوسف عيبش، الاحتلال البيزنطي، ص235.

(9) Courtois.C. le vandal... Op.cit, p.348.

2. إمارتي المزاق:

1.2. قبائل الفراكشيش (الفراكسيس) (Frexes): والتي تقطن البيزاكينا القديمة ما بين تالة وتلابت (Thelepte) (إقليم المزاق)⁽²⁾، يذكر كوريبوس مجموعة من أسماء ملوك لهذه القبيلة منهم أنتالاس (Antalas) والذي وصفه على أنه أمير الفراكسة، ابن قنفان (Guenafan) الذي أسس إمارة ووحد القبائل المورية لمواجهة الوندال⁽³⁾، ويبدو أن هذه الإمارة كانت صغيرة مع بداية القرن الخامس الميلادي، إلا أنها مع نهاية العهد الوندالي تحولت إلى إمارة قوية سيطرت على مرتفعات الظهير الأوسط، وحتى أنها تحالفت مع القبائل الطرابلسية⁽⁴⁾.

2.2. مملكة قبائل كودزينا (Cusina): حسب بروكوب هو من قادة المور المنتمين لمقاطعة نوميديا والمزاق⁽⁵⁾، جاورت مملكته مملكة أنطلاس، كانت لها مكانة ودور مهم، وهو ماجعل البيزنطيين يحاولون استمالتها والتحالف معها⁽⁶⁾، وقد برز دور مملكة كودزينا في المنطقة كطرف متحالف إما ضد البيزنطيين أو بجانبهم⁽⁷⁾.

3. مملكة الأوراس (Ourasis): أقدم إشارة عن هذه المملكة هي نقيشة آريس⁽⁸⁾ التي تحدثت عن ماستياس (Masties) باعتباره ملكا للمور والرومان، ثم أصبح إمبراطورا في نهاية عهده، كما أوردت المصادر الأدبية (بروكوب وكوريبوس) عددا من الأمراء، كانوا في حالة تنافس أو نزاع بين بعضهم البعض⁽⁹⁾.

(1) Corippus, Joh, II, 115. نقلا عن Modéran.Yves, Les Maures ...Op.cit, p.46.

(2) Modéran.Yves, Les Maures ...Op.cit, p.316.

(3) Corippus, Joh, III, 184-188. نقلا عن Modéran.Yves, Les Maures ...Op.cit, p.315.

(4) يوسف عيبش، المرجع السابق، ص245.

(5) Procope, B.V.II .8.9 ;10 .2.

(6) Modéran.Yves, Les Maures ...Op.cit, p.400.

(7) يوسف عيبش، المرجع السابق، ص250.

(8) اكتشفت بمنطقة آريس سنة 1914م.

(9) يوسف عيبش، الاحتلال البيزنطي، ص252.

4. المملكة الموريطانية: والتي بها ثلاث ممالك هي مملكة ألتافا (Altava) وملكها ماسونا أو مازونا (Masuna)⁽¹⁾ والتي تظهرها نقيشة أولاد ميمون⁽²⁾، ومملكة ماستيناس (Mastinas) أو ماسيقاس (Mastigas) جنوب شرشال⁽³⁾، وهي التي عرفت مملكة الجدار أو مملكة الونشريس⁽⁴⁾.

إن وجود ذكر لهذه الممالك والقبائل المورية أواخر العهد الروماني في المصادر المتأخرة وحتى النقوش اللاتينية كنقيشة مازونا ونقيشة ماستيناس، يبرز ذلك التعايش بين المجتمعات الحضرية التي تشكلت في المناطق الزراعية خلال العصر الروماني، وبين مجتمع الأهالي المور الذين انفرد أمراؤهم بالسلطة التي منحها روما لبعضهم، في إطار سياسة الإحتضان والاحتواء بالأمراء والملوك الأقوياء، مما أدى إلى خضوع كلي للمدن وأقاليمها لسلطة الملوك المور، وهو ما سمح لهم من بسط سيادتهم الفعلية على المناطق التي تراجعت عنها روما وتجنبها الوندال، وشملت مقاطعتي القيصرية والطنجية وكثيرا من السطايفية وجنوبي نوميديا وأجزاء هامة من البيزاكينا وطرابلس⁽⁵⁾.

فبداية من القرن الخامس بدأت تظهر بهذه المناطق إمارات مورية قوية سعت للتخلص من التبعية الرومانية واسترجاع أراضيها المسلوبة، وهو ما وجدته في الحملة الوندالية على بلاد المغرب أين تحالفت مع الوندال، والتي كان لها الدور الكبير في اضمحلال الحضارة الرومانية بالمنطقة⁽⁶⁾، وأكدت المصادر الكاثوليكية وعلى رأسها فيكتور الفيتي العلاقة الودية

(1) للمزيد عن نقيشة مازونا ينظر: محمد بن عبد المؤمن، نقيشة مازونا ملك المور والرومان (Rex Gentium Maurorum et Romanorum)، المجلة الجزائرية للمخطوطات، ع11، 2014.

(2) CIL.VIII.9835.

(3) Courtois.C. le vandal... Op.cit, p.336.

(4) Ibid, pp.335-336.

(5) محمد البشير شنيقي، الجزائر قراءة، ص244.

(6) يوسف عيش، مقاومة المور، ص 114.

التي جمعت المور بملوك الوندال، وأنهم كانوا في مقدمة الجيش الوندالي الذي اقتحم روما واحتلها⁽¹⁾.

وعن طبيعة العلاقة الودية بين المور والوندال يظن شنيتي(م.ب) أن مصلحة الوندال هي التي اقتضت اعتراف الوندال للمور بالسيادة على أراضيهم التي سيطروا عليها أواخر العهد الروماني بسبب حاجة الوندال لحلفاء أقوياء، وهو ما وجدوه في الإمارات المورية⁽²⁾، العلاقة السلمية هذه بين المور والوندال تدل على الاستقلالية التي تمتع بها المور على ما يذكر موديران⁽³⁾، وقد امتدت من 429 إلى 439م وهو ما يعكس غياب أي حركة ثورية طيلة هذه الفترة⁽⁴⁾، غير أن الوضع سيتغير مع وفاة الملك جنسريق بسبب ضعف السلطة الوندالية أين سيعرف عهد خلفائه ثورات مستمرة بدأت سنة 484م⁽⁵⁾.

ما يمكن استنتاجه أن بروز هذه القبائل المورية مشكلة كيانات سياسية مستقلة أواخر العهد الروماني وبداية الحملة الوندالية، في مختلف مناطق المغرب القديم من طرابلس حتى موريطانيا، ما هو إلا دليل على ذلك التماسك القبلي الرافض لسياسة الاحتلال الروماني، وهو برهان على تواصل وامتداد المقاومة المورية طيلة فترة الاحتلال الروماني التي قاربت الستة قرون، في محاولة منها لاسترجاع جغرافيتها ببلاد المغرب القديم.

من خلال استعراضنا لما سبق خلصنا إلى أن كل تلك السياسات، والإجراءات إقتصادية كانت أم إجتماعية وحتى إدارية، التي اعتمدتها الرومان في المنطقة والموجهة ضد قبائل وشعوب بلاد المغرب القديم، هدف من ورائها إلى بسط سيطرته وتكريس الاحتلال والسيادة على المنطقة، وهي إجراءات حركت الأحداث السياسية والعسكرية، وتجلت ذلك في

(1) Corippe, Joh, I, 468-469. المقاومة المور خلال القرن السادس ميلادي، المقاومة. الجزائرية عبر العصور، ملتقى وطني، سطيف، 2012، ص113.

(2) محمد البشير شنيتي، روما الإمبراطورية، ص257.

(3) Modéran.Yves, Les Maures ...Op.cit, p.542.

(4) Ibid, p.546.

(5) Courtois.C. le vandal... Op.cit, pp.440-441.

رفض القبائل للإجراءات الرومانية الموجهة ضدها، وهو ما تظهره ثورات الأهالي التي لم تنقطع طيلة فترة الاحتلال الروماني بالمنطقة بل كانت دائمة وفي تصاعد مستمر، حيث واجهت الاحتلال الروماني، وزحفه نحو العمق النوميدي والموريطاني عسكرياً. ورغم أن هذه الثورات تراوحت بين القوة، والضعف إلا أنها استطاعت إنهاك قوى الاحتلال الروماني وأبانت عن فشله.

ما ميز هذه الثورات والمقاومات هو ذلك التحالف، والتكتل بين مختلف القبائل المحلية، كالتحالف الموزولامي الغرامنتي الجيتولي الذي كان نموذجاً للتضامن بين مختلف القبائل المحلية، ومثالاً للتآزر بين القبائل المرتحلة ونصف المستقرة في الأوراس، وشماله مع القبائل الصحراوية في جنوبه. كما أن مختلف الثورات والمقاومات وعلى امتدادها في الزمان والمكان، أبانت عن اتساع مجال القبائل المحلية وقدرتها على التحرك في أقاليم المغرب القديم شمالاً وجنوباً، شرقاً وغرباً.

خلف عدم الاستقرار المجالي الذي اتسم بتحركات القبائل، واضطراب في ديمغرافيا المنطقة نتيجة لمجموعة من السياسات الرومانية الاقتصادية والسياسية والعسكرية والاجتماعية وحتى دينية، تعميقاً وتفاقماً للمشهد البدوي القادم من الجنوب في بلاد المغرب القديم، وعلى الخصوص نهاية العصر الرماني، وهو ما تسبب في تراجع وحتى سقوط الإمبراطورية الرومانية بالمنطقة.

إذا كان الدور القبلي قد اكتفى بالمقاومة على عهد الاحتلال الروماني فإنه سعى إلى إقامة ممالك خلال العهدين الوندالي والبيزنطي، وما ظهور إمارات مورية محلية خلال القرن الخامس الميلادي عبر أقاليم المغرب القديم، والتي كان لها دور في إنهاء الاحتلال الروماني بالمنطقة. لخير دليل على نظام قبلي محلي قائم بالمنطقة سعى لتوسيع رقعته وتأسيس نفوذه، وطمح إلى استرجاع الجغرافية المغربية.

خاتمة

خاتمة:

في دراستنا هذه سلطنا الضوء على القبائل وحركاتها في بلاد المغرب القديم خلال فترة الاحتلال الروماني، وقد سمحت لنا المعلومات المتوفرة بين أيدينا توصلنا إلى مجموعة من النتائج هي:

عرف المجال الممتد من غرب مصر شرقا أو لنقل ليبيا(مذابح الأخوين فيلاني) شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا، ومن البحر المتوسط شمالا إلى الصحراء الكبرى جنوبا تسمية بلاد المغرب، وأطلق عليه خلال الفترة القديمة مجموعة من التسميات الأخرى: كلوبة، أفريقية، بلاد البربر، المغرب، وسكن المنطقة هذه عديد الشعوب والقبائل، خلدت أسماءها المتعددة (لوبيون، أفريقيون، نوميدون، موريين، بربر، أمازيغ) الوثائق القديمة الإغريقية واللاتينية والبيزنطية، بالإضافة إلى الوثائق المصرية، التي يمكن من خلالها التعرف على الليبيين القدماء ومختلف التسميات، والملاحظ أن هذه المصادر كتبت من جانب واحد، وهو الجانب غير الليبي وهي بذلك لا تخلو من مبالغة وتحيز لذلك وجب تناولها بحذر، وفهم سياقات توظيفها واستعمالها في الكتابات القديمة. غير أن ما جاء في هذه المصادر يبقى حصيلة هزيلة، حيث أننا لا يمكن أن نعرف عن انتشار القبائل وتوزيعها قبل العهد الروماني، الذي قدم نصوصا كتابية ونقوشا إيبغرافية تجعل من الممكن التعرف على عدد كبير من شعوب وقبائل المنطقة.

إن تناول مسألة الهجرات القديمة لبلاد المغرب القديم وبمختلف نظرياتها، أثارت جدلا واسعا حول جذور السكان الأصليين بين الباحثين والمؤرخين، فتعددت روايات المؤرخين القدامى، وتضاربت آراء وفرضيات المختصين والباحثين المحدثين، بين الأصل الأوروبي والنزعة القائلة بالأصول الشرقية، وأخيرا نظرية تدافع عن الأصول المحلية، وهي النظرية التي وظفها باحثون محليون سعوا إلى تأصيل ساكني المغرب القديم في المنطقة، وذلك من خلال تبيان ارتباط سكان المغرب القديم بإنسان ما قبل التاريخ بالمنطقة ذاتها.

أمدت المصادر الكتابية الإغريقية واللاتينية بالكثير من المعلومات حول القبائل الليبية القديمة التي كانت تعيش في بلاد المغرب القديم، وقد استقينا معلوماتنا هذه من خلال ما تركه هؤلاء الكتاب من أخبار حتى ولو كان معظمها خليطاً بين الحقائق والأساطير، بعيداً عن الواقع، مقتضباً، ومتفرقاً، ويضاف لهذه النصوص الأدبية نصوصاً أخرى تضمنتها النقوش الإيبغرافية المجسدة باللغة اللاتينية في الغالب التي أمدتنا بكم هائل من المعلومات استقدنا منها في معرفة أسماء، وأماكن انتشار القبائل.

قدمت النصوص الأدبية القديمة والنقوش الأثرية الخاصة بفترة الاحتلال الروماني في المغرب القديم كمّاً هائلاً من المعلومات، جعلتنا نتعرف على غالبية شعوب وقبائل المنطقة، وذلك بتبيان أسمائها، ومناطق انتشارها وتوزيعها، وهو ما سمح لنا برسم خريطة بشرية لهذه القبائل خلال الفترة محل الدراسة باعتماد ما جاءت به هذه النصوص، التي وزعت القبائل والشعوب في كل مقاطعة رومانية على حدى، طرابلس، البروقنصلية، نوميديا، والموريطنيتين القيصرية والطنجية.

إن الاختلاف في تحديد مضارب ومواطن كثير من قبائل المغرب القديم المحلية بين مختلف المصادر أدبية كانت أو أثرية، يرجع بالدرجة الأولى لكون تلك القبائل في الفترات القديمة كثيرة التحرك والتنقل والترحال، وعدم استقرارها بمكان واحد؛ وعدم الاستقرار هذا ليس مربوطاً بالقبائل البدوية الرحل أو أشباه الرحل بل حتى بتلك المستقرة والجبلية، ففي حال نزوح قبيلة قوية نحو أراضي تقيم بها قبائل أخرى ربما هي أقل قوة منها ما يضطر هذه الأخيرة للرحيل إلى منطقة أخرى، وهذا ما حدث بين قبيلة الموزوني والحلف الخماسي.

إن التشابه في أسماء العديد من القبائل المنتشرة في ربوع أقاليم المغرب القديم، - كتسميات قبائل مازيكس، ماكسيس، ماسوشي، ماسخيتاي، مازيس، مازاسيلا، مزازيك، مازاكس كمثال-، راجع لانقسام هذه القبائل وحتى تغيير لمواطنها، وكذلك نتيجة تحركاتها الممتدة في الزمان والمكان، وفرض مختلف الظروف الاقتصادية والسياسية وحتى العسكرية.

شهد المغرب القديم خلال الفترة الرومانية تحركات لغالبية قبائله وهي تحركات غير معهودة وبمسارات ومحطات عديدة، نتيجة لمجموعة من الظروف والعوامل السياسية، والعسكرية، وللظروف التاريخية والجغرافية التي كان لها دورًا هامًا في فرض حتمية التنقل، كما كان للأنشطة الاقتصادية الممارسة من قبل هذه القبائل دور هام في تكريس هذا التنقل المتمحور أساسًا في الرعي والزراعة وتجارة القوافل.

إذا كانت الظروف والعوامل السابقة الذكر هي التي جعلت من تحركات القبائل في المغرب القديم ظاهرة بارزة في تاريخه منذ القدم، فإن الأمر سيزداد أكثر خلال الفترة الرومانية نتيجة لجملة من السياسات، والإجراءات الرومانية التي استهدفت تكريس الاحتلال والسيادة على شعوب وقبائل المغرب القديم، وذلك من خلال إخضاع، ثم تفكيك القبيلة وتهجيرها، ومن هذه السياسات نجد:

السياسة الاستيطانية الرومانية القائمة على نزع الأراضي الزراعية من الأهالي، ومنحها للمعمرين الرومان جنودًا كانوا أو مزارعين، وهي السياسة التي طردت القبائل واستولت على أراضيهم منذ فجر الإمبراطورية، فالكنطرة أو سياسة الاستحواذ فتحت لروما السيادة الفعلية على مختلف أقاليم المغرب القديم لاسيما المحاذية للحدود الرومانية بالمناطق الداخلية، وهو الأمر الذي حّد من حرية تنقل وتحرك الأهالي، والذين حشدوا في مناطق محددة، يترددون عليها وحتى دفع البعض الآخر من القبائل نحو المناطق الجنوبية الصحراوية.

خلفت سياسة الحشد والحرش أو ما اصطلح عليه مسمى الكنطنة مجموعة من الآثار، تمثل الأثر الأول في توسيع المجال الاستيطاني الروماني الاستغلالي، بينما تمثل هدف الكنطنة الثاني في تثبيت القبائل المحلية عن طريق تحديد مجالها داخل أرض رعوية أو جبلية خالية من أي مدينة، حيث توضع هذه القبائل في كتلة تحت سلطة حاكم قبيلة دون ترحيل أو نقل لهم، لمنع تحركاتها، وثالثًا استهدف الرومان من وراء هذه العملية البنية الاجتماعية المحلية، حيث عمل على تفكيك وتشتيت القبائل وعزلها عن بعضها البعض.

ومن الإجراءات التي كان لها الأثر البارز في تحركات القبائل المحلية سياسة الطرد والدحر للمناطق الجنوبية الصحراوية والغربية، وهو إجراء لجأت إليه الإدارة الرومانية لمواجهة القبائل الرافضة لإجراءات تحديد أراضي القبائل.

لجأ الاحتلال الروماني إلى سياسية سلمية هدفوا من ورائها لتوسيع الخريطة الزراعية أولاً، وثانياً تشجيع القبائل المحلية على الاستقرار واحتراف الزراعة، وهي سياسة الزيتة، ما خلف حالة من الأمن والاستقرار على الحدود الجنوبية للمقاطعة الرومانية في المغرب نتيجة ربط الأهالي بالأرض من وجهة نظر الرومان، غير أنه كان لهذه السياسة أثراً سلبياً تمثل في تنمية البداوة أكثر بالمغرب القديم.

كان للاستحكامات العسكرية الرومانية دوراً مهماً في تحركات قبائل المغرب القديم ومحاصرتها، فخط الليمس أو الخطوط الدفاعية هي مجموع الهياكل ذات الطابع العسكري، والغرض منه هو فرض رقابة شديدة على حركة الأهالي، خاصة البدو الرحل الذين يعتمدون في حياتهم على الرعي، والتنقل بين مراعي الشمال في فصل الصيف، ومراعي الصحراء في فصل الشتاء، ويتم ذلك عن طريق التحكم والسيطرة على الممرات الطبيعية التي يمرون بها، التي تعد شريان الحياة بالنسبة لهم، وقد تحدث الباحث الفرنسي "بيار سلامة" والباحثة الجزائرية "بن صديق" عن الحدود الرومانية باعتبارها حدوداً ثابتة، تم إنجازها للتحكم في التحركات القبلية، ومنع أي هجوم على الممتلكات الرومانية.

خلف تراجع وانسحاب خط الليمس نتيجة تراجع القوة الرومانية أواخر القرن الثالث الميلادي، أجزاء كثيرة من أراضي المغرب القديم حرة حركة عكسية للقبائل المحلية، فبعد أن كانت بمسار شمال- جنوب خلال الثلاثة القرون الأولى، أصبحت بمسارات جنوب شمال حيث سعت القبائل المحلية للسيطرة على تلك المناطق الخارجة عن سيطرة الرومان، وهذه التحركات القبلية ماهي إلا عودة للقبائل إلى موطنها، ومجالاتها الحيوية التي صودرت منها خلال العهد الإمبراطوري الأول.

لجأ الرومان بالإضافة للإجراءات سابقة الذكر إلى أسلوب الاحتضان والمهادنة مع القبائل المحلية لغرض تقليص نفوذها ومراقبتها وحتى عزلها عن القبائل الأخرى، كسياسة الأحلاف ولنا في عائلة نوبل خير مثال، يضاف لذلك عقد معاهدات السلام مع القبائل من ذلك ما تم مع قبائل البقواط والماكنيت الطنجية، يضاف لذلك منح المواطنة الرومانية. وهدف السلطة الرومانية من الاتفاقات السلمية الظرفية كان مزدوجًا؛ فمن جهة هدفت للحد من تحركات القبائل المحلية، ودفعها للتفكير في الاستقرار ومن ثم تسهيل مراقبتها والتأثير عليها، ومن جهة أخرى ربحا للوقت إلى غاية تحصين قواعدها الجديدة، أو ترميم القديمة، ومن جهة أخرى هدفت إلى الفصل بين القبائل المحلية وتشيتيتها.

ساهمت الإجراءات والسياسات الرومانية في تحركات قبائل المغرب القديم، كسياسة الاستيطان الرومانية التي طاردت القبائل واستولت على أراضيهم، ضف إلى ذلك إجراءات المنع، والحصار الصارمة سواء اقتصاديا، أو عسكريا، أو إداريا، أو سياسيا، التي مارستها روما ضد القبائل، وحتى سياسة الاحتضان والسلم. وكلها عوامل كان لها الأثر البارز في تحركات قبائل المغرب القديم طيلة العهد الروماني، وحتى في فترات لاحقة.

إن سياسة الاحتلال الروماني القائمة على الاستيلاء على الأراضي الخصبة، وترك ما بقي من الأراضي الجبلية الفقيرة والبعيدة عن مراكز الاستيطان للأهالي للانتفاع بها، خلف اختلالا ديموغرافيا تميز باكتظاظ الجبال بالسكان وانخفاض الكثافة السكانية في السهول نتيجة لتراجع الأهالي لهذه المناطق، وهي الظاهرة التي بقيت ملازمة لشمال إفريقيا عبر فتراته اللاحقة، أين نجد الثقل الديمغرافي في المقاطعات الأفريقية كان الريف والمناطق الجبلية.

سعت القبائل المحلية من الثورات والمقاومات غير المنقطعة والمتجددة التي عمت كامل بلاد المغرب، للبحث عن حرية التنقل خاصة التنقلات الموسمية، بعد أن تدخل الرومان فيها، كما أظهرت هذه الثورات بروز التحالفات بين القبائل المحلية، وهو دليل على وعي هذه القبائل بضرورة التكتل ونبذ الفرقة لأجل التصدي للاحتلال الروماني التوسعي

الاستغلالي. ورغم أن هذه الثورات تراوحت بين القوة، والضعف إلا أنها استطاعت إنهاك قوى الاحتلال الروماني.

حتى وإن كانت البداوة ظاهرة اجتماعية واقتصادية أوجدتها عوامل جغرافية ومناخية، غير أن للسياسة الاحتلالية المتمثلة في سياسة الاستيطان الروماني، التي قامت على مصادرة وانتزاع الأراضي، وتوسيع المجال الزراعي على المجال الرعوي، وتشجيع الاستيطان الأجنبي على حساب السكان الأصليين، ما أفرز إحكامًا للرقابة والسيطرة على الرعاة والزراع وإبعادهم عن مواطن الاستقرار والزراعة نحو الأقاليم الرعوية النائية بالصحراء والسهوب الغربية، وهو ما خلف تحول كثير من القبائل إلى البداوة وامتهان أسلوب التحرك كنمط لعيشهم، وبالتالي يمكننا القول بأن سياسة الرومان الاستيطانية ساهمت في خلق ومضاعفة ظاهرة البداوة بالمغرب القديم أكثر فأكثر.

إذا كان لطبيعة المناخ السائد وتضاريس المغرب القديم دور في ثنائية البدو والزراع، إلا أن التواجد الروماني زاد من تركيز واشتداد هذه الثنائية، إن لم نقل أنه قد ساهم إلى حد كبير في خلقها وتفاقم أمرها، وذلك باستيلائهم على الأراضي الزراعية وإزاحتهم لسكانها نحو الجنوب، ومنعهم الرعاة من التردد على المناطق الشمالية، عن طريق إنشاء أجهزتها الدفاعية.

عرفت مختلف مقاطعات المغرب القديم خلال القرن الثاني على الخصوص نموًا ديمغرافيًا كبيرًا؛ نتيجة لتعرضها لتوافد بشري من جميع أنحاء المتوسط خاصة الإيطاليين، من جنود ومزارعين وإداريين، كان له الأثر البارز في تحركات سكان وقبائل المنطقة، فخلف هجرات داخلية وبمسارات مختلفة، أما بالنسبة لأسباب وسياقات هذه الهجرات ومساراتها المختلفة، فيمكننا حصرها في الدوافع الأمنية والاقتصادية.

تمثل المسار الأول في تلك التحركات القبلية من الأقاليم الشمالية باتجاه مناطق الجنوب (مسار شمال-جنوب)، وذلك نتيجة للتوافد الكبير للأجانب على مختلف مقاطعات المغرب القديم، ما تبعه من انتزاع، ومصادرة للأراضي وإقصاء لمختلف القبائل (تهجير

ومطاردة)، مقابل توزيعها على قدماء الجنود والمعمرين الرومان، يضاف لذلك تحكم الإدارة الرومانية في حرية تنقلات القبائل.

سجلت حركة سكانية في النصف الأول من القرن الثالث وتواصلت بعده، على طول خط الليمس بمسار جنوب شمال، وغرب شرق، وحتى شرق غرب نحو الأقاليم الشمالية من خلال منافذ ونقاط تسلل. وذلك نتيجة زحف القبائل المحلية التي زاد عددها وتكاثر جمعها، وازدحمت بهم المناطق الرعوية المتاخمة لليمس أين كونوا حزام ديمغرافي حوله، زادت كثافته شيئاً فشيئاً حتى أصبح قوة ضاغطة على التحصينات الرومانية، التي بدأت بالانسحاب والتقهقر، فتحركوا من الجنوب نحو الشمال بعد تراجع نفوذ الرومان في كثير من الأقاليم الجنوبية والغربية، وسعت القبائل البدوية هذه للعودة إلى أراضيها التي صودرت منها سابقاً، كما استعادوا حرية تنقلاتهم.

إن الأنشطة البشرية المتزايدة خلال الفترة الرومانية كانت من العوامل المسؤولة عن ذلك التغيير الذي طرأ على بيئة المغرب القديم خلال الفترة الرومانية، ممثلاً في تناقص وحتى اختفاء للثروة الحيوانية البرية، وتراجع ملحوظ للغطاء النباتي، وهي التأثيرات التي لا يزال أثرها بارزاً ليومنا هذا.

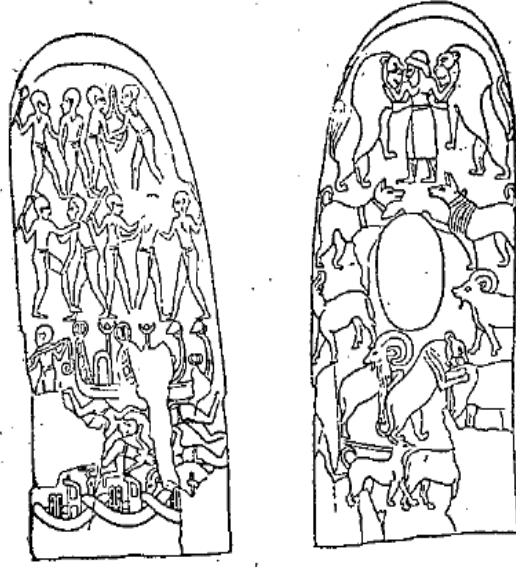
إن أخبار إمارات وممالك المور المستقلة التي أخذت تتشكل، وتحتل مواقعها في الخريطة السياسية للمغرب أواخر العهد الروماني، نادرة بسبب سكوت المصادر المعاصرة لها، ويبقى ما وصلنا من أخبار إلا عرضاً لأحداث عسكرية في المقاطعات جرت بينها وبين الجيش الروماني، وهي تتصف بالاعتصاب، والنقطع فلا تمكن الباحث من تصور الواقع التاريخي لتلك الكيانات

ذكرت مصادر القرنين الخامس والسادس ميلادي مجموعة من القبائل، أو لنقل إمارات مورية كان لها دور كبير في سير الأحداث ببلاد المغرب، حيث ظهرت بأسماء جديدة، وفي مواقع مختلفة غير التي عرفت بها في الفترتين النوميدية والرومانية، وذلك راجع لكثرة ترحالها وتحركها بسبب سياسة التضييق الممارسة عليها من قبل الإدارة الرومانية، ونجحت

هذه القبائل المورية أواخر العهد الروماني في تشكيل إمارات قوية، منذ القرن الخامس الميلادي والتي لعبت دور الأحلاف المثاليين للوندال في مواجهة الرومان، وطمحت تلك الممالك المورية المحلية لاسترجاع أقاليم جغرافية تشكل عليها ممالكها، وسعت لإثبات وجودها وملأ الساحة السياسية في المناطق التي عجزت روما عن حفظ هيبتها فيها.

الملاحق

الملاحق



الملحق رقم 1: مقبض سكين جبل العركي، عن حسين عبد العالي مراجع، المرجع السابق، ص4



لوحة التحنو
ن: 2
Gardiner, in Alam, Pharaohs
Egypt of the Pharaohs



الملحق رقم 2: لوحة التحنو (صلاية الحصون والغنائم)، عن حسين عبد العالي مراجع، المرجع السابق، ص4



الملحق رقم 3: الكنترة الرومانية شرق الجم، نقلا عن:

Saumagne. Ch, Les vestiges d'une centuriation romaine à l'est d'El-Djem, dans: Comptes rendus des séances de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres, 73e année, N. 4, 1929. P. 310

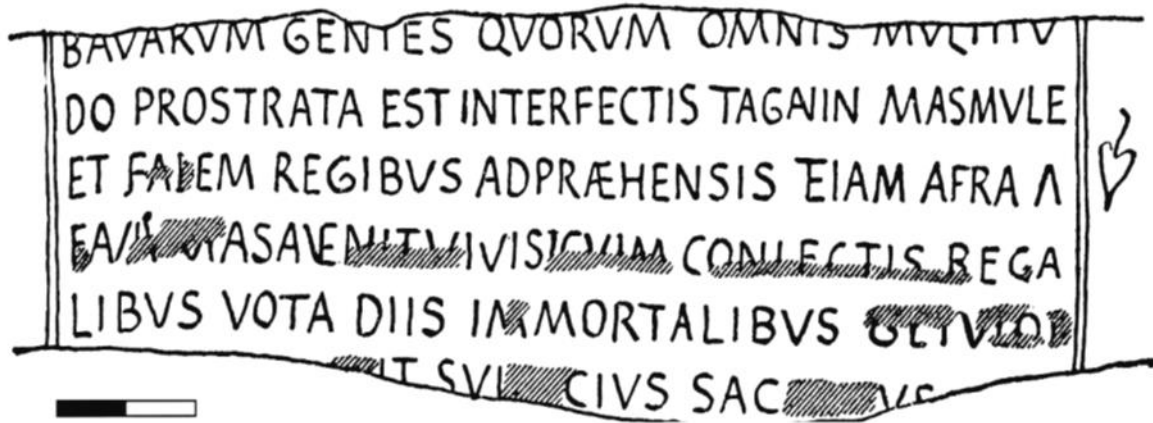


الملحق رقم 4: علامة الكنترة المكتشفة في شط الفجيج، محمد العربي عقون، الاقتصاد والمجتمع...، ص 83.

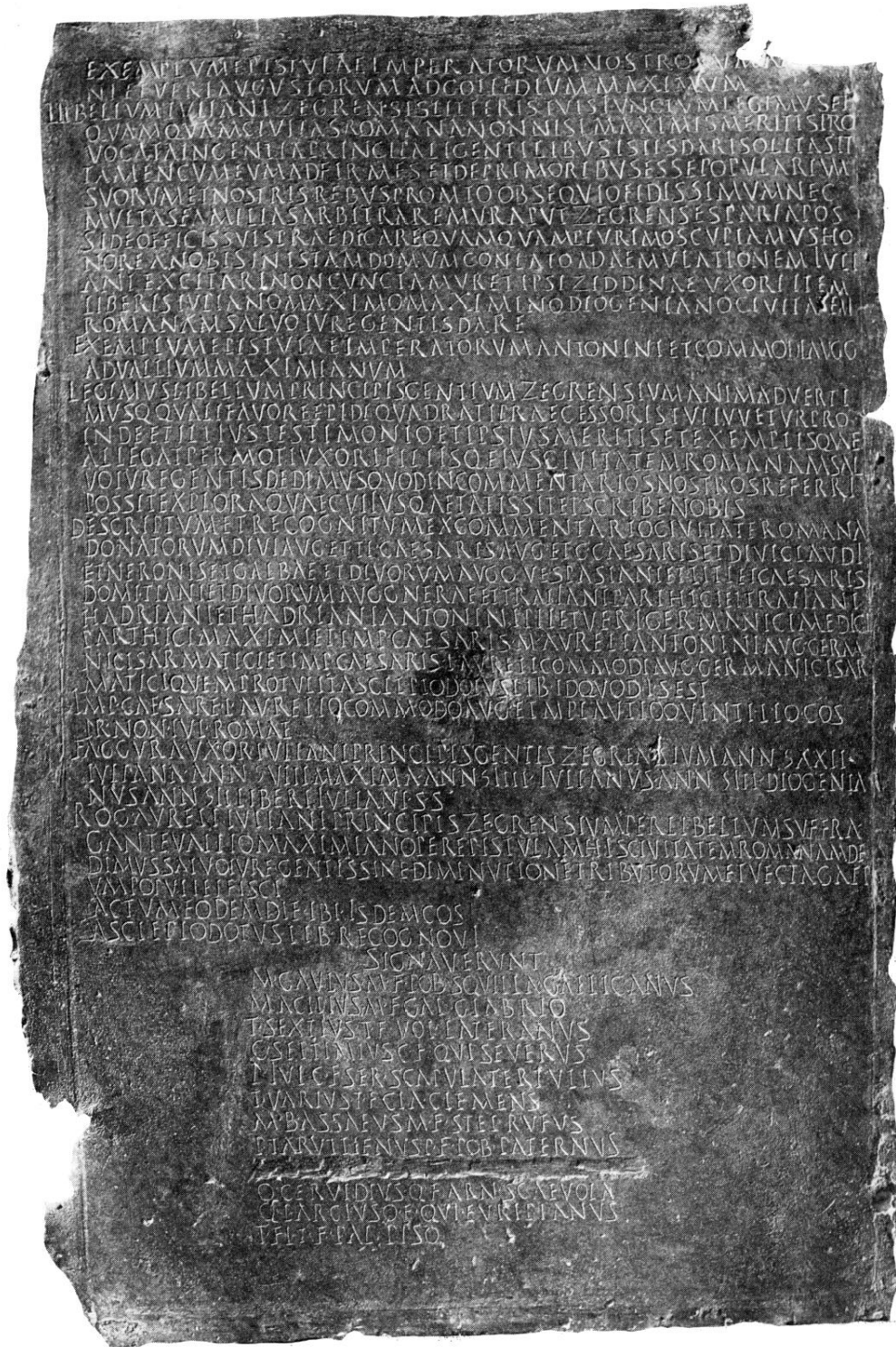


الملحق رقم 5 : نقيشة ثنية المكسن (Teniet-el-Meksen) تصوير: (cliché CNRS - Centre Camille Jullian, n° 28406)

نقلا عن: Christol .M, Laporte. J-P, Op.cit, p.124



الملحق رقم: نص نقيشة ثنية المكسن، Christol .M, Laporte. J-P, Op.cit, p.110



الملحق رقم 7: لوحة باناسا، Seston. W, Euzennat. M, Op. cit, p. 471

قائمة البيليوغرافيا

قائمة البيبليوغرافيا

أ. المصادر:

■ المصادر المترجمة:

1. تاريخ يوسفوس اليهودي، سليم إبراهيم صادق، المطبعة العلمية ليوسف إبراهيم، بيروت.
2. التوراة، سفر التكوين، الإصحاح العاشر. 13.
3. سالتوس، الحرب اليوغرطية، تر: محمد مبروك الدويب، منشورات جامعة بنغازي، ليبيا، 2007.
4. سترابون، جغرافية سترابون (وصف ليبيا ومصر) الكتاب السابع عشر، تر: محمد المبروك الدويب ط1، دار الكتب الوطنية، بنغازي، 2003.
5. فرجيل، الألياذة، تر: عنبر سلام الخالدي، ط2، دار العلم للملايين، بيروت، 1978.
6. كلاوديوس بطليموس، الجغرافيا، VI، تر: محمد المبروك الدويب، ليبيا، 2002.
7. كوربيوس فلافيوس كريسكونيوس، ملحمة الحرب الليبية الرومانية أو مقاومة قبائل المغرب العربي للاستعمار الروماني، تر: محمد الطاهر الجارري، مركز الجهاد للدراسات التاريخية، طرابلس، 1988.
8. هيرودوت، نصوص ليبية، تر: علي فهمي خشيم، دار مصراتة، 1967.

■ المصادر الفرنسية:

1. Ammien Marcellin, Histoires Romaines, texte établi et trad par P. Goukowsky, édition belles lettres, Paris, 1975.
2. Appien, Histoire Romaine, éd, P. Viereck, dans Bib, Teulner, 1906.
3. Augustin. St, Cont. Epist. Parmen., 43, 6, 17; Contra Cresconium.
4. César, Bellum Africum, texte établi et trad par E. Galletier et J. Fontaine, Paris, les belles lettres, 1968.
5. Diodore de sicile, bibliothèque historique, trad par Miot AF, paris : Librairie de Hachette, 1917.
6. Dion Cassius, Histoire Romaine, trad. Gros (E.) et Boissée (V.), éd. Fermin Didot, Paris, 1845-1870.

7. Florus, Abrégé de l'histoire romaine, trad. P. Hainslin et H. Watelet, éd. Garnier, Paris, 1932.
8. Hérodote, Histoires, Livre IV, trad., PH. E. Le grand, éd., Les belles Lettres, Paris, 1949.
9. Hérodion, Histoire Romaine ,IV, Trad par Léon Harelvvy (1860), Edition broché, paris,2010.
10. La table de Peutinger, Section VI.
11. Orose (Orosius), Histories against the Pagans. L.VII. trad: I.W. Raymond .1936. <http://www.attalus.org/info/orosius.html>
12. Pline l'ancien, histoire naturelle, texte établi et trad et commenté par. J Desanges, Paris, 1980.
13. Polybe, Histoir générale, trad : M. Félix bouchot, adolphe delahays libraire, Paris,1847.
14. Procope de Césarée, Guerre des vandales, I et II, libraire de Firmin Didot frères, Paris, 1852
15. Salluste, Guerr de Jugrtha, XVII,3, Texte établi et trad par A. Ernout,10ème tirage, Les Belles Lettres, Paris, 1974.
16. Strabon, Géographie, trad. par I Amédée, Paris,1980, Liv II.
17. Scylax, Pseudo-Skylax's Periplous: The Circumnavigation of the Inhabited World: translated by Graham Shipley (University of Exeter, Bristol Phoenix Press,2011.https://www.hs-augsburg.de/~harsch/graeca/Chronologia/S_ante06/Skylax/sky_p000.html
18. Tacite, Annales, trad. Bornecque, Paris, 1956.
19. Tertulienus, De Anima (DE L'AME). Trad par E.-A. de Genoude
20. Tite Live, Histoire romaine, éd. Les belles lettres, Paris, 1940-2005.

ب. مصنف النقوش اللاتينية:

1. Année épigraphique, Paris, depuis 1888.
2. Corpus inscriptionum Latinarum, III, VI, VIII, XIII,X, XVI, Berlin, depuis 1863.
3. Choix d'inscriptions de Palmyre, Paris, 1920, éd. J-B. Chabot.

ب. قائمة المراجع:

أ/ باللغة العربية:

1. ابن خلدون، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأعظم، ج6، مؤسسة جمال للطباعة والنشر، بيروت، 1979.

2. الأعشي مصطفى، نقائش معاهدات السلام بين الباكوات الأمازيغ والرومان في موريطانيا الطنجية خلال القرنين الثاني والثالث الميلاديين، منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، المغرب، 2004.
3. أكرير عبد العزيز، تاريخ المغرب قبل الإسلام الممالك المورية الأمازيغية قبل الاحتلال الروماني (قراءة جديدة)، الدار البيضاء، 2007.
4. بازامة محمد مصطفى، ليبيا هذا المصطلح في جذوره التاريخية، مؤسسة تاولت الثقافية، بيروت، 1975.
5. البرغوثي عبد اللطيف محمود، التاريخ الليبي القديم من أقدم العصور حتى الفتح الإسلامي، ج1، تامغناست.
6. بوطالب محمد نجيب، سوسيولوجية القبيلة في المغرب العربي، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2002.
7. بوكبوط محمد، الممالك الأمازيغية في مواجهة التحديات صفحات من تاريخ الأمازيغ القديم، إصدارات مركز طارق بن زياد، المغرب.
8. بيومي مهران محمد، المغرب القديم، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1990.
9. جوليان أندري شارل، تاريخ إفريقيا الشمالية، تر: مزالي (م) وسلامة(ب)، دار التونسية لنشر والتوزيع، 1969.
10. جيلبار شارل بيكار، حضارة شمال أفريقيا (تريبوليتانيا-البروقنصلية-نوميديا-موريتانيا) خلال الفترة الرومانية، تر: العربي عقون، ط1، دار المثقف للنشر والتوزيع، الجزائر، 2020.
11. جينيون إداورد، اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها، تر: محمد علي أبو درة، دار الكهنة العامة للكتاب، مصر، 1997.
12. حارش محمد الهادي، التاريخ المغربي القديم السياسي والحضاري منذ فجر التاريخ إلى الفتح الإسلامي، المؤسسة الجزئية للطباعة، الجزائر، 1992.

13. حارش محمد الهادي، دراسات في تاريخ الجزائر الماضي والحاضر، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2013.
14. خشيم علي فهمي، نصوص ليبية من هيرودوتس/سترابو/بلييني الأكبر/ديودور الصقلي/بروكوب القيصري/ليون الأفريقي، تامغناست، 1967.
15. خشيم علي فهمي، نصوص ليبية من هيرودوتي، سترابون، بليين الأكبر، ديودوروس الصقلي، بروكوب القيصري، ليون الأفريقي، ط2، دار مكتبة الفكر، ليبيا، 2006.
16. دزار أحمد عبد الحليم، مصر وليبيا فيما بين القرن السابع والقرن الرابع ق.م الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2000.
17. الدويب محمد مبروك، الكتاب السابع عشر عن جغرافية سترابون (وصف ليبيا ومصر)، منشورات جامعة قاريوس، ليبيا، 2001.
18. الدويب محمد مبروك، بلييني الأكبر الكتاب الخامس من التاريخ الطبيعي (وصف إفريقيا ومصر وغرب آسيا)، ط2، مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية بوزارة التعليم، ليبيا، 2019.
19. الدويب محمد مبروك، هيرودوت الكتاب الرابع من تاريخ هيرودوتس الكتاب السكيثي والكتاب الليبي، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، 2003.
20. رستوفتزف. م، تاريخ الامبراطورية الرومانية الاجتماعي والاقتصادي، تر ومر: زكي علي، محمد سليم سالم، منشورات مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1975.
21. ستيفن غزال، تاريخ إفريقيا الشمالية، تر: محمد التازي سعود، ج1، الرباط، 2007.
22. ستيفن غزال، تاريخ شمال أفريقيا القديم، تر: محمد التازي سعود، ج7، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 2007.

23. شارن شافية وبلقاسم رحماني ومحمد لحبيب بشاري، الاحتلال الاستيطاني وسياسة الرومنة، منشورات، المركز الوطني لدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2007.
24. شنيّتي محمد البشير، الاحتلال الروماني للمغرب القديم وسياسة الرومنة 146 ق.م/40، ط2، المؤسسة الوطنية للكتب، الجزائر، 1985.
25. شنيّتي محمد البشير، الجزائر في ظل الاحتلال الروماني بحث في منظومة التحكم العسكري (اليمس الموريتاني ومقاومة المور)، ج1، ج2، ديوان المطبوعات الجامعية، 1999.
26. شنيّتي محمد البشير أضواء على تاريخ الجزائر ا لقديم (أبحاث ودراسات)، دار الحكمة، الجزائر، 2003.
27. شنيّتي محمد البشير، الجزائر قراءة في جذور التاريخ وشواهد الحضارة، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2007.
28. شنيّتي محمد البشير، نوميديا وروما الإمبراطورية تحولات اقتصادية واجتماعية في ظل الاحتلال، مؤسسة كنوز، دار الحكمة، الجزائر، 2012.
29. شنيّتي محمد البشير، روما الإمبراطورية وبلاد المغرب (سجال عسكري وتفاعل حضاري)، موفم للنشر، الجزائر، 2019.
30. شنيّتي محمد البشير، دراسات في التاريخ والآثار القديمة بالجزائر وبلاد المغرب، دار كنوز الحكمة، الجزائر، 2018.
31. شنيّتي محمد البشير، تاريخنا القديم في كتابات اليونانيين القدماء (سترابو- هيرودوت- بروكوبوس-بوليبوس)، الدار الجزائرية للكتاب، ط1، الجزائر، 2024.
32. صحراوي عبد القادر، التحصينات العسكرية بنوميديا وموريتانيا القيصرية أثناء الاحتلال الروماني (146ق.م-284م)، دار الهدى، الجزائر، 2011.

33. عبد الفتاح عبد العزيز، روما وأفريقيا، ط1، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 2007.
34. العقون أم الخير، دولة الأمازيغ في مصر الفرعونية 950ق.م - 715ق.م، مكتبة المهتدين المصرية، 2015.
35. عقون محمد العربي، الاقتصاد والمجتمع في الشمال الإفريقي القديم، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2008.
36. عقون محمد العربي، الكنفدرالية السيرية دراسات في تاريخ وآثار ونظم سيرتا العتيقة، منشورات نوميديا، الجزائر، 2019.
37. عيش يوسف، الاحتلال البيزنطي لبلاد المغرب دراسة للأوضاع الاجتماعية والاقتصادية، تق: محمد البشير شنييتي، ط1، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.
38. غازي حليلة وبن ميس والحسن بودرقا، أضواء على تاريخ إفريقيا القديم وحضارته، ط1، دار السلام للطباعة والنشر، الرباط، 2007.
39. غانم محمد الصغير، الأمازيغ عبر التاريخ نظرة موجزة في الأصول والهوية، ط1، التوخي للنشر والتوزيع، الرباط، 2010.
40. غانم محمد الصغير، المظاهر الحضارية والتراثية لتاريخ الجزائر القديم، ج4، دار الهدى، الجزائر، 2021.
41. غانم محمد الصغير، المملكة النوميديّة والحضارة البونية، ط1، دار الأمة، الجزائر، 1998.
42. غانم محمد الصغير، سيرتا النوميديّة النشأة والتطور، دار الهدى للطباعة والنشر، الجزائر، 2008.
43. غانم محمد الصغير، مقالات وآراء في تاريخ الجزائر القديم، ج2، دار الهدى عين مليلة، الجزائر، 2010.

44. غانم محمد الصغير، مقالات وآراء في تاريخ الجزائر القديم، دار الهدى، الجزائر، 2005.
45. غانم محمد صغير، التواجد الفينيقي في الجزائر، دار الهدى، الجزائر، 2003.
46. غوتيه إميل فيليكس، ماضي شمال أفريقيا، تر: هاشم الحسيني، مؤسسة تاوالت الثقافية، 2010.
47. كامبس غبريال، البربر ذاكرة والهوية، تر: عبد الرحيم حزل، إفريقيا الشرق، المغرب، 2014.
48. كامبس غبريال، ماسينيسا وبدايات التاريخ، تر: محمد العربي عقون، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 2009.
49. كامبس غبريال، من ضفاف البحر الأبيض المتوسط الى أطراف الصحراء-البربر-، تع: عبد الرزاق الحليوي، ط1، منشورات البحر الأبيض المتوسط، تونس.
50. كامبس هانريات فابرر، الزيتون والزيت في إفريقيا الشمالية خلال الفترة الرومانية، تع: محمد العربي عقون، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2014.
51. كركوبينو جيروم، المغرب العتيق، ترجمة محمد التازي سعود، أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، 2008.
52. محجوبي عمار، ولاية إفريقية من الاحتلال الروماني الى نهاية العهد السوري (146ق.م - 235 م)، تونس، 2001.
53. محمد سليمان أيوب، جرمة من تاريخ الحضارة الليبية، ط1، دار المصراطي للطباعة والنشر، طرابلس-ليبيا، 1969.
54. محمد شفيق، لمحة عن ثلاثة وثلاثين قرنا من تاريخ الأمازيغيين، دار السلام للنشر والتوزيع، الرباط، 1989.

55. محمد علي عيسى، الجذور التاريخية لسكان المغرب القديم من خلال المصادر الأثرية والأنثروبولوجية واللغوية، منشورات المركز الليبي للمحفوظات والدراسات التاريخية، ليبيا، 2012.
56. مصطفى كمال عبد العليم، دراسات في تاريخ ليبيا القديم، المطبعة الأهلية، بنغازي، 1966.
57. المغرب الأقصى عند الإغريق واللاتين القرن السادس ق.م القرن السابع ب.م، تر: المصطفى مولاي رشيد، شركة النشر والتوزيع المدارس، الدار البيضاء، 1993.
58. ملاوي فتحي حسن، فقه الانتماء إلى المجتمع والأمة، ط1، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الأردن، 2012.

ب/ المراجع بالفرنسية:

1. Baradez. J, Fossatum Africae, Art et métier graphique, paris, 1949.
2. Ben Seddiki. N, Les Troupes auxiliaires de l'Armée Romaine en Maurétanie césarienne. Sous le Haut Empire, soc.nat d'édition et de Diffusion, Alger, 1982.
3. Bénabou. M, La résistance africaine à la romanisation, Paris, 1976.
4. Cagnat. R, L'armée romaine d'afrique et l'occupation militaire de l'Afrique sous les l'empereurs, imprimerie nationale E. Leroux, 1912.
5. Camps. G, Monuments et Rites Funéraires Protohistoriques, pris 1968.
6. Cat. E, Essi sur la province de la Maurétanie Cessarien, Paris, 1891.
7. Carcopino. J, Le limes de Numidie et sa garde Syrienne d'après des inscriptions récemment découvertes, Syria, 6, 2, 1925.
8. Carette. E, Origine et Migrations des principales tribus de l'Algérie, IMPRIMERIE IMPÉRIALE M DCCC LIII, paris.
9. Desanges. j, Catalogue des tribus Africaines de l'antiquité classique a l'oust du nil, publications de la section d'histoire dakar, 1962.

- 10.Desanges. J, recherches récentes sur le peuplement de l'Afrique du Nord, Afrika und Rom une der Antike, éd. H-J. Diesner, H. Barth et H-D. Zimmermann, Halle-Wittenberg, 1968.
- 11.Decret. F et Fantar.M.H, L'Afrique de nord dans l'antiquité histoire et civilisation (des origines au V siècle), payot, paris,1981.
12. De Saint Martin, V, Le nord de l'Afrique dans l'antiquité grecque et romaine : étude historique et Géographique, Imprimerie Impériale, Paris ,1863.
- 13.Elmayer.A. F, Tripolitania and the roman empire (.B.C47-A. D235) markaz jihad al libyin tripoli 1997.
- 14.Gsell. S, Atlas archéologique de l'Algérie, fibraires éditeurs, paris,1911.
- 15.Gsell.S, Hérodote, textes relatifs à l'histoire de L'Afrique du nord, topographie Adolph Jourdan, paris, 1915.
16. Lassère. J.M, Vbique Populus. Peuplement et mouvements de population dans l'Afrique romaine de la chute de Carthage à la fin de la dynastie des Sévères (146 av. J.-C. – 235 ap. J.-C.) Préface de Marcel Le Glay. Paris : Éditions du Centre National de la Recherche Scientifique, 1977.
- 17.Ladhari .M-A, Grecs et Orientaux en Afrique romaine en Haut-Empire : Etude démographique et sociale, (Thèse pour obtenir le grade de Docteur de l'Université Paris-Sorbonne, soutenue le 24 Decembre 2014).
- 18.Le bohec. Y, L'archéologie militaire de l'Afrique du Nord dans l'antiquité, Paris, Presse de l'ENS, 1979.
- 19.Le Bohec.Y, Histoire de l'Afrique romaine de l'Atlantique à la Tripolitaine 146 av. J-C – 533 ap. J-C, Ed. Armand Colin, Paris, 2005.
- 20.Le Bohec. Y, La troisième légion d'Auguste, Paris, CNRS, Coll., "Etudes d'antiquités Africaines", 1982.
- 21.Le Bohec. Y, Les unités auxilliaires de l'armée romaine en Afrique proconsulaire et Numidie sous le haut empire, Paris, CNRS, Coll., "Etudes d'antiquités Africaines", 1989.

- 22.Mazard. J, Corpus Nummorum Numidiae Mauretaniaeque, Paris, 1955.
23. Mercier. E, Histoire de l'Afrique septentrionale, T1, Ernest Leroux Editeur, Paris, 1888.
- 24.Modéran. Y, Les Maures et l'Afrique romaine (IVe-VIIe siècle) , École française de Rome, 2003.
- 25.Olivier. G, Recherches sur l'origine des Berbères, imp; Dagand, Bône (Annaba), 1867.
- 26.Tissot .ch, Exploration Scientifique de La Tunisie Géographie comparée de la province d'Afrique romaine, Paris, Imprimerie nationale, 1888.
27. Tissot.C J, Charles Joseph, La Libye d'Hérodote (pl. XI, XII) (cf. p. 264). In: Bulletin de correspondance hellénique. Vol 1, 1877.
- 28.Th. Mommsen, Histoire Romaine, traduit par R. Cagnat, J. Toutaine, Tome 11, Imile Bouillon, paris, 1889.
- 29.Rachet .M, Rome et les Berbères. Un problème militaire d'Auguste à Dioclétien [compte-rendusem-link Desanges Jehan, Revue belge de Philologie et d'Histoire Année 1972.

ج. المقالات:

أ/ المقالات بالعربية:

1. إبراهيمي محمد، سكان المغرب القديم من خلال المصادر الأثرية المصرية، مجلة قضايا معرفية، ع2، سبتمبر 2018.
2. أعشي مصطفى، العلاقات بين بعض القبائل المورية والرومان في سهل الغرب خلال القرنين الثاني والثالث الميلاديين قبيلة الزيكرينيين نموذجا، مجلة البحث التاريخي، الجمعية المغربية للبحث التاريخي، 2008.
3. أعشي مصطفى، العلاقات بين بعض القبائل المورية والرومان في سهل الغرب خلال القرنين الثاني والثالث الميلاديين قبيلة الزيكرينيين نموذجا، مجلة البحث التاريخي، الجمعية المغربية للبحث التاريخي، 2008.

- 4.أكريز عبد العزيز، مقاومة الموريين للرومان بموريطانيا الطنجية ما بين 40م-285م دراسة إستوغرافية، المقاومة المغربية عبر التاريخ أو مغرب المقاومات، أعمال الندوة الدولية، الرباط، 2005.
5. أيت أومغار سمير، مناخ شمال إفريقيا خلال الفترة الرومانية: مقاربات جديدة، مجلة هيسبريس تامودة Hespéris Tamuda، ع1، الرباط، 2017.
- 6.بخوش زهير، التنظيم العسكري بنوميديا الجنوبية (الإقليم الأوراسي) ودور الجيش الروماني في تكريس الرومنة من الناحية المجالية، المجلة الجزائرية للأمن والتنمية، ع13، جويلية 2018.
- 7.بشاري محمد الحبيب، أوضاع الإمبراطورية الرومانية في النصف الثاني من القرن الرابع ميلادي ثورة جيلدون 397-398م، مجلة الإتحاد العام للآثارين العرب، ع13، د.س.ن.
- 8.بعيطيش عبد الحميد، التجمعات القبلية في المملكة النوميديّة ودورها في تكريس نظام الحكم، المدينة والريف في الجزائر القديمة، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر، الجزائر، 2013.
- 9.بنت النبي مقدم وخالفي جميلة، القبائل الجبلية أثناء العهد الروماني، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، مج15، ع2، 2019.
10. عبد الرحمان بن أعطي الله، البدو في الجزائر ودورهم خلال العصور القديمة، أعمال الملتقى الوطني المدينة والريف في الجزائر القديمة، الرشاد للطباعة والنشر، معسكر، 2014.
- 11.بودواة المغربي الصديق، الأصول الأولى لسكان المغرب القديم بين روايات ابن خلدون وحقائق ما قبل التاريخ، المجلة العلمية للدراسات التاريخية والحضارية، ع1، جامعة محمد بن علي السنوسي الإسلامية، 2018.
12. بوسليمان سعاد، قراءة في تاريخ الحضنة القديم، مجلة دراسات في العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، مج32، ع2، جويلية 2019.

13. بوطالب محمد نجيب، سوسيولوجيا القبيلة في المغرب العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت، 2002.
14. بوغرة وفاء، ظاهرة تعدد الزوجات في الأسرة اللوبية القديمة قبل القرن الرابع قبل الميلاد، الحوار الفكري، (د، س، ن).
15. بيرك جاك، في مدلول القبيلة بشمال إفريقيا، ضمن كتاب الأنثروبولوجيا والتاريخ حالة المغرب العربي، تر: عبد اللطيف الفلق، ط2، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، 2007.
16. الترالي محمد، الحياة البدوية بمنطقة الساقية الحمراء، دار القلم، الرباط، 2019.
17. حارش محمد الهادي، ثورة فيرموس، مجلة الدراسات التاريخية، ع7، الجزائر، 1993.
18. خشم علي فهمي، القبائل الليبية والعربية القديمة: هل من صلة؟، الندوة العلمية حول التحركات البشرية والهجرات اليمنية إلى بلاد الشام وشرق وشمال أفريقيا قبل ظهور الإسلام وبعد ظهوره، المركز العالمي لدراسات وأبحاث الكتاب الأخضر، ط1، ليبيا، 2005.
19. خنيش عبد الفتاح، قبائل البوار ومقاومتها للاحتلال الروماني بمنطقة سطيف خلال القرن الثالث ميلادي، التاريخ الثقافي لمنطقة سطيف (المجال، الإنسان، التاريخ)، ج3، منشورات الوطن اليوم، سطيف، 2021.
20. داينلز تشارلز، أعمال الحفر والتنقيب في مواقع الجرامانت، تر: مصطفى عبد الله، مجلة آثار العرب، ع2، مارس 1991.
21. الراشدي فرج محمود، التواجد الليبي في المجتمع المصري القديم، المجلة الليبية العالمية، جامعة بنغازي، ع4، ديسمبر 2015.
22. راشي نجوى، الحضور التاريخي لمدينة زراي " قراءة في كيفية النشأة والتطور عبر التاريخ"، مجلة هيرودوت للعلوم الإنسانية والاجتماعية، مج6، ع3، 2022.
23. راشي نجوى، سياسة الزيتنة في منطقة ستيفيس أثناء الفترة الرومانية، التاريخ الثقافي لمنطقة سطيف المجال، الإنسان، التاريخ، ج1، منشورات الوطن اليوم، سطيف، 2019.

24. رحمانى بلقاسم، روما وسياسة الرومنة في شمال إفريقيا (بلاد المغرب أنموذجا)، مجلة البحوث والدراسات، ع9، يناير 2010.
25. رحمانى بلقاسم، قراءة في حروب وثورات الجزائر في الفترة القديمة، مجلة الدراسات التاريخية العسكرية، مجلد2، ع4، الجزائر، 2020.
26. ساحير نصيرة، الليمس الروماني بمقاطعة موريطانيا الطنجية (المغرب الأقصى) 42-280م، مجلة دراسات في آثار الوطن العربي، ع10، (د، س، ن).
27. ستي صدوق، مقاومة البوار الموريطانيين للاحتلال الروماني، مجلة الحقيقة للعلوم الاجتماعية والانسانية، مج21، عدد3، 2022.
28. سرحان أبو بكر، القرى والتجمعات القبلية في المغرب القديم (تونس الجزائر المغرب الأقصى) فترة الاحتلال الروماني (27ق.م - 235م)، وقائع تاريخية، مركز البحوث والدراسات التاريخية، ج1، القاهرة، 2014.
29. سرحان أبوبكر، عادات وتقاليد سكان شمال إفريقيا القديم (814ق.م - 429م)، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية المصرية، ع11، ج1، مصر، 2021.
30. السعيد عصام، العادات الاجتماعية للمشوش، مجلة حوليات التاريخ والجغرافيا، المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة، ع9، ديسمبر 2015.
31. سلوى بوشارب، أشكال التنظيمات الاجتماعية بالمغرب القديم من خلال المصادر الأدبية والمادية (دراسة في الأصول والتطور)، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، مج2، ع4، 2014.
32. سنوسي محمد وكاكي محمد، السياسة الإدارية الرومانية بموريطانيا القيصرية خلال العهد الامبراطوري الأعلى، مجلة دراسات إنسانية واجتماعية، مج10، ع3، وهران، 2021.

33. سويسي نرجس محمد، السياسة الرومانية تجاه قبيلتي الزيغرنسيس والبكواتيس في ولاية موريتانيا الطنجية خلال القرنين الأول والثاني ميلادي، مجلة القرطاس، ع10، المغرب، سبتمبر 2020.
34. السيد محمد عمار علي، النفوذ الروماني في الشمال الأفريقي خط الحدود (الليمس) نموذجاً، مجلة كلية الآداب، ع40، جامعة بنها، أبريل 2015.
35. سيدي محمد العيوض، قبيلتا الزغرنسيين والبنوري وتقلاتهما في سهل الغرب خلال الفترة الرومانية، قطوف من تاريخ شمال إفريقيا القديم أعمال مهداة للأستاذة البضاوية بلكامل، تن: سيدي محمد العيوض والحسن بودرقا، تق: عبد العزيز أكرير، مركز أطلس للطباعة والنشر والتوزيع، 2023.
36. شنييتي محمد البشير، أثر الضغط الديمغرافي على بيئة السهوب في العهد الروماني (اختفاء الفيل وتفاقم البداوة)، مجلة آثار، مج6، ع1، 2018.
37. شنييتي محمد البشير، نظرة على الوضع الديمغرافي والاجتماعي في المغرب أثناء الاحتلال الروماني، المؤتمر الدولي الثاني لحضارة وتاريخ المغرب، وهران، 1982.
38. شنييتي محمد البشير، نوميديا الشعب والمملكة، الجزائر النوميديّة، المتحف الوطني سيرتا، 2007.
39. العقون أم الخير، من مصادر تاريخ المغرب القديم الرسوم الصخرية والآثار المصرية، مركز البحث في الانثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، CRASC، وهران، 2016.
40. عقون محمد العربي، المجتمع والثقافة في الشمال الإفريقي القديم نظرة موجزة في إسهامات الجزائر في الحضارة الإنسانية، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، ع4، جوان، 2015.
41. عقون محمد العربي، مسيلة والماسيل مقارنة موجزة في أصول مدينة مسيلة، دورية كان التاريخية السنة الحادية عشر، ع42، ديسمبر 2018.

42. العقيلي فاطمة، بعض مظاهر التفاعل الحضاري بين الليبيين والإغريق في إقليم قورينائية في الفترة من 631-323 ق.م، RESS Journal Route Educational & Social Science Journal، Volume 7، Issue 4، Istanbul / Türkiye، أبريل 2020.
43. عمران عبد الحميد، من مقاومات الاحتلال الروماني في شمال إفريقيا مع نهاية القرن الرابع الميلادي، المجلة التاريخية الجزائرية، مج4، ع1، 2020.
44. عمران عبد الحميد، نوميديا أثناء الاحتلال الروماني، مجلة عصور جديدة، ع10، جويلية 2013.
45. العمري عبد النور، القبيلة البدوية المغاربية قبل وأثناء الفترة الرومانية، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، مج5، ع9، 2017.
46. العميم محمد، القبيلة والمجال في تاريخ المغرب القديم نموذج علاقة الرحل بالمستقرين، مجلة كلية الآداب، الجديدة، ع8-9، 2004/2003.
47. عولمي ربيع، قبائل موريطانيا القيصرية ودورها العسكري إبان ثورة فيرموس 372-375م، مؤلف جماعي النظم القبلية في تاريخ بلاد المغرب: تاريخها، أدوارها، وتأثيراتها السياسية والثقافية، ط1، منشورات مخبر الدراسات التاريخية المتوسطة عبر العصور، جامعة يحيى فارس، المدينة، 2021.
48. العياضي حفيظة، المنظومة القبلية في الاوراس من كيان النوميدي إلى مقاومة الاحتلال الروماني، ع25، 24، مجلة العصور الجديدة، 2016.
49. العيساوي مها، إشكالية المنهج والمصطلح في المدرسة التاريخية الجزائرية مصطلح المجتمع المغاربي القديم أنموذجاً، أشغال الندوة العلمية بالمدرسة العليا للأساتذة ببوزريعة 2011، مؤسسة كنوز الحكمة، الجزائر 2012.

50. فنطر محمد حسين، اللوبيون وحدة أم شتات قبائل وشعوب مختلفة، مجلة الدراسات الفينيقية البونية والآثار اللوبية، ع12، المعهد الوطني للتراث، 2002.
51. فنطر محمد حسين، قبيلتان لوبيتان الجرميون والنسمونيون، مجلة دوماتو، ع5، الرياض، جانفي 2002.
52. فنطر محمد حسين، من هم أسلافنا الأوائل، الجزائر النوميديّة، الجزائر، 2007.
53. قادري حدة، بوليبيوس Polybuis مؤرخ الحروب البونية، أوراق المجلة الدولية للدراسات الأدبية والإنسانية، مج2، ع1، باتنة، 2020.
54. القماطي حميدة عوادات، زراعة الزيتون في شمال إفريقيا خلال العصر الروماني، مجلة العلوم الإنسانية والعلمية والاجتماعية، ع2، ديسمبر، 2016.
55. اللافي محمد، قبيلة النبينجيني وروما في بلاد نفزاوة (الجنوب الغربي التونسي)، مجلة مدارات تاريخية، مج1، ع4، ديسمبر، 2019.
56. اللبار محمد، الباكواط وتاريخ موريطانيا الطنجية، أعمال الندوة الدولية المقاومة المغربية عبر التاريخ أو مغرب المقاومات، المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، الرباط، 2005.
57. محفوظ خالد، قبائل نوميديا وموريطانيا القيصرية وأزمة القرن الثالث للميلاد " قراءة جديدة في ثورات القرن الثالث"، مؤلف جماعي النظم القبلية في تاريخ بلاد المغرب: تاريخها، أدوارها، وتأثيراتها السياسية والثقافية، جامعة يحيى فارس المدينة، 2021.
58. محفوظ خالد، مقاومة القبائل المورية ضد الاحتلال الروماني خلال القرن الثالث - بحث في العلاقات المورية الرومانية- دراسات تراثية -أعمال الملتقى الدولي النظم العسكرية في بلاد المغرب منذ القديم الى نهاية العصر العثماني، العدد5، الجزء 1، 24-27 نوفمبر 2014.
59. محمد أمحمد سالم، الليبين القدماء ودورهم في تجارة الصحراء، مجلة البحوث التاريخية، العدد2، مجلد31، ليبيا، 2009.

60. مسعي عبد الحق، دور منطقة سطيف في مقاومة الاحتلال الروماني خلال القرن الرابع الميلادي، الخريطة التاريخية والأثرية لمنطقة سطيف، دار بهاء الدين، 2011.
61. مكحلي محمد، إشكالية القبيلة في الدراسات الاجتماعية - المغرب العربي أنموذجا-، مجلة أفاق فكرية، ع1، 2014.
62. منصوري خديجة، شوبا في الفترة الرومانية، مدينة شوبا ميتيسبيوم في عيون الباحثين، جيجل، 2005.
63. منصوري خديجة، قبائل موريطانيا القيصرية (القرن I / القرن II)، مجلة الدراسات المغربية، وهران، 1998.
64. مهنتل جهيدة، النوميديون ضحية للمصادر القديمة، مجلة آراء وأبحاث في التاريخ والأثار القديمة، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع بوزريعة، الجزائر، 2012.
65. مهني السالك، الثورات المورية ودورها في تراجع الليمس الروماني بموريطانيا الطنجية، مجلة رؤى تاريخية للأبحاث والدراسات المتوسطة، مج2، ع2، 2022.
66. اليوبي عبد الرحمان، علاقات قبائل موريطانيا الطنجية بالسلطة الروماني، أعمال الندوة الدولية المقاومة المغربية عبر التاريخ أو مغرب المقاومات، المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، الرباط، 2005.
- ب/ بالفرنسية:

1. Atgier .P, Les Maures d'Afrique, bullins et Mémoires de la société d'anthropologie de paris, V°, Série. Tome4 ,1903.
2. Ait Amara.O, Massinissa et la sédentarisation du peuple numide, Vie et genres de vie au Maghreb : Antiquité et Moyen Age Actes du quatrième colloque international du Laboratoire de Recherche : « Occupation du sol, peuplement et modes de vie dans le Maghreb antique et médiéval », Sousse, 04, 05 et 06 mai 2017.
3. Benseddik. N, et Laporte J.P, Les Bavares transtagnenses peuple de Maurétanie Césarienne, Actes du sixième congrès de Lyon (23-25 octobre

- 2014), Les auxiliaires de l'armée romaine, des alliés aux Fédérés, Paris : De Boccard, 2016.
4. Boëtsch.G. Ferrié. J.N, L'impossible objet de la raciologie (Prologue à une anthropologie, physique du Nord de l'Afrique), C.E. A, Vol 33, n° 129, 1993.
5. Carcopino .J, L'insurrection de 253 d'après une inscription de Miliana. Rev.Afr, 1919.
6. Carthy .O.M, Algeria Romanna, Recherches sur l'occupation et la Colonisation de l'Algérie par les Romains, Rev, Afri, 1857.
7. Chaker. S, Origines : linguistique et préhistoire, Ency berb [En ligne], 35 | 2013, document O26, mis en ligne le 01 juin 2018, consulté le 25 septembre 2020. Ency berb.2829.
8. Camps.G, Gubul, Ency berb, 21 | 1999.
9. Camps. G, Faraxen, Ency berb, 18, 1997.
10. Camps. G, Firmus, Provence, Edisud, Vol, no 19 , 1998 [En ligne], mis en ligne 2011, ency berb.revues.
11. Camps. G, Les numides et la civilisation punique, dans Anti. Afr., 1979.
12. Camps. G, Origines des Berbères, Ency Berb I, Édisud, 1984, p14. - Vignet-Zunz Jacques, (4) Les Berbères hors de l'histoire ? C.E.A, Vol ,22, n°85-86, 1982.
13. Callegarin.L et Moreau. J, Le Gétule : cet Autre insaisissable, Figures de l'étranger autour de la Méditerranée antique. Actes du colloque 'A la rencontre de l'Autre', L'harmattan, Paris, mars 2009.
14. Carcopino.J, L'insurrection de 253 d'après une inscription de Miliana. Rev.Afr, 1919.
15. Christol .M, Laporte. J-P, Teniet-El-Meksen. Un nouveau gouverneur de Maurétanie Césarienne dans les Dernières décennies du III siècle et les luttes entre le pouvoir romain et les Bavares (AE, 1907, 157 : ILS, 8959), Ant Afr, t.38-39, 2002-2003.
16. Desanges, J. Cinithi. Ency berb, Peeters Publishers. 1994.
17. Desanges. J, Gétules, Ency berb, vol 20, 1998.
18. Desanges.J, Mue / Mui, Ency berb, vol 32 | 2010.

- 19.Desanges.J, Numides/Numidae (Note complémentaire), Ency berb, 34 | 2012.
- 20.Desanges. J. De la Marmarique à la Maurétanie. Nouvelles données en matière de mouvements de population. In: Anti afr, 37,2001.
- 21.Desange.J, Gamphasantes, Ency Berb [En ligne], (Vol 19), Ed Peeters Publishers, France, 1998.
- 22.Duval.N, Ammaedara, Encyc berb, 4 | 1986 .
- 23.Euzennat. M. Les troubles de Maurétanie. In: Comptes rendus des séances de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres, 128^e année, N. 2, 1984.
- 24.Euzennat .M, Le limes de Tingitane. La frontière méridionale. Paris : Éditions du Centre National de la Recherche Scientifique, 1989.
- 25.Ferzoul. E, Rome et la Mauritani Tangitane un constat d'échec ? Ant.Af, 16, 1980.
- 26.Fevrier P. A. Le Maure ambigu ou les pièges du discours. École Française de Rome, 1996.
27. Fevrier. P.A, Observations sur la tribu dans le Maghreb antique. Publications de l'École française,1996.
- 28.Gascou.J. Le cognomen Gaetulus, Gaetulicus en Afr Rom. In : Mélanges d'archéologie et d'histoire, tome 82, n°2, 1970.
- 29.Gsell S, La Tripolitaine et le Sahara au III^e siècle de notre ère. C.R.A.I,1933.
- 30.Gsell. S, Observations géographiques sur la révolte de firmus, RSAC, 36,1902.
- 31.Hamdoune.Ch, Ad Fines Africae Romanae. Les mondes tribaux dans les provinces maurétaniennes, Scripta Antiqua, Bordeaux,2018.
- 32.Hamdoune. Ch. L'expédition de Maximien en Afrique. In: Antiquités africaines, 46-48, 2010.
- 33.Hamdoune .C, Gens, Gentes, Gentiles, Ency berb, 20 | 1998.

34. Le Bouhec. Y, Bilan des recherches sur le judaïsme au Maghreb dans l'Antiquité, 1994.
35. Leveau. Ph. L'aile II des Thraces, la tribu des Mazices et les praefecti gentis en Afrique du Nord. In: Anti Afr, 7, 1973
36. Paul Atgier, Les Maures d'Afrique, bullins et Mémoires de la société d'anthropologie de paris. Tome 4, 1903.
37. Pflaum Hans Georg. La date de la création de la province de Numidie. In: Bulletin de la Société Nationale des Antiquaires de France, 1958, 1959 .
38. Le Glay. M, L'administration centrale de la province de Numidie de Septime Sévère à Gallien. In: Antiquités africaines, 27, 1991. pp. 84-85.
39. Laporte. J.P, Nubel, Sammac, Firmus et les autres Une famille berbère dans l'Empire romain, L'Africa romana, Atti del xix convegno di studio Sassari.
40. Laporte. J. P et M'Charek. A, Musulames, Peeters Publishers, 31 décembre 2010.
41. Laporte. J.P, N'Gaous (wilaya de Batna), antique NICIVIBUS (Numidie) : Histoire antique, médiévale et moderne, Ency berb, 34 | 2012, document N53, mis en ligne le 15 décembre 2020, consulté le 23 septembre 2021.
42. Laporte, j.p, Particularités de la province de Maurétanie césarienne (Algérie centrale et occidentale), Provinces et identités provinciales dans l'Afrique romaine, 2011.
43. Laporte. J. P, Saldae vgait, Béjaia, Bougie) et les révoltes berbères contre Rome. Actes du colloque, ville d'histoire et de civilisation, Bejaia, 2013.
44. Laporte. J. P, les armées romaines et la révolte de Firmus en Maurétanie l'armée romaine césarienne, in de Dioclétien à Valentinien 1er, Diffusion de Boccard, Paris, 2004.

- 45.Laporte.J. P, Les révoltés dans la guerre de Firmus en Maurétanie Césarienne (370-375), Éditions du Comité des travaux historiques et scientifiques' Collection CTHS. Hisronuî, 2014.
46. Laporte J.P, Quinquegentanei (ou quinquegentiani) : Une confédération du Mons Ferratus (Djurdjura) au cours des révoltes berbères du IIIe siècle, Ency ber [En ligne], 39 | 2015, document Q08, mis en ligne le 20 février 2024, consulté le 21 février 2024.
- 47.Laporte.J. P, Ptolemee et La Mauretanie Cesarienne, CRAI, 2003.
- 48.Leveau. Ph. L'aile II des Thraces, la tribu des Mazices et les praefecti gentis en Afrique du Nord. In: Antiquités africaines, 7,1973.
- 49.Lassère. J-M, La tribu et le monarque. In: Anti Afr, 37, 2001.
- 50.Lassère J-M. Un conflit routier : bservations sur les causes de la guerre de Tacfarinas. In : Anti Afr. 18,1982.
- 51.Lassère.J.M., Manuel d'Epigraphie Romaine, volume 1, Editions Picard, Paris 2007
- 52.M'Charek, Musulames, Ency berb, 32 | 2010.
- 53.Modéran.Y, Mazices, Mazaces, Ency berb, 31. 2010.
- 54.Modéran. Y, Mythes d'origine des Berbères (ANTIQUITÉ ET MOYEN ÂGE), Ency berb [En ligne], 32 | 2010, document M152a, mis en ligne le 11 novembre 2020.
- 55.Modéran. Y, De Julius Honorius à Corippus : la réapparition des Maures au Maghreb oriental, In: Comptes rendus des séances de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres, 147^e année, N. 1, 2003.
56. Modéran. Y, Gildon, les Maures et l'Afrique. In: Mélanges de l'Ecole française de Rome. Antiquité, tome 101, n°2. 1989.
- 57.Monsieur. P et Fevrier. P.A. Observations sur la tribu dans le Maghreb antique. In: La Méditerranée Rome: École Française de Rome, 1996.
- 58.Kotula. T, Les Principes Gentis et les Principes Civitatis en Afrique romaine (Eos, LV, 1965.). In: Revue des Études Anciennes. Tome 70, 1968, n°3-4 .

- 59.Kotula.T et Peyras.J, Afri, Encyc. Berb, 2, Aix-en-Provence, Edisud, 1985.
- 60.Rebuffat. R. Les tribus en Maurétanie Tingitane. In: Anti Afr, 37,2001.
- 61.Sestom. W et Euzennat .M, un dossier de chanceiirie romaine : la Tabula Banasitana, Étude de diplomatique. In: Comptes rendus des séances de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres, 115^e année, N. 3, 1971.
- 62.Shaw, B. D. Autonomy and tribute: mountain and plain in Mauretania Tingitana. In: Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée, n°41-42, 1986.
- 63.Thouvenot.R. L'Afrique romaine aux trois premiers siècles. (Gilbert Charles Picard. La Civilisation de l'Afrique romaine). In: Journal des savants, 1960, n.°
- 64.Trousset.P, Recherches sur le limes tripolitanus du Chott El-Djerid à la frontière tuniso-libyenne. Préface de Maurice Euzennat. Paris : Éditions du Centre National de la Recherche Scientifique, 1974.
- 65.Trousset.P, Nomadisme (Saharien en Afrique du Nord dans l'antiquité), Ency berb [En ligne], 34, 2012.
- 66.Trousset.P. Le tarif de Zará : essai sur les circuits commerciaux dans la zone présaharienne. In: Anti Afr,38-39,2002.
- 67.Trousset.P. Les bornes du Bled Segui. Nouveaux aperçus sur la centuriation romaine du Sud tunisien. In: Anti afr, 12,1978.

د. الرسائل الجامعية:

- 1.بخوش زهير، التركيبة البشرية لمجتمع الريف الأوراسي أثناء الاحتلال الروماني -دراسة تحليلية ومقارباتية مع أسماء أفراد مجتمعات المراكز الحضارية "أوراس"، أطروحة دكتوراه، إ: محمد مصطفى فيلاح، جامعة الجزائر 2، معهد الآثار، 2017/2016.
- 2.بشاري محمد الحبيب، دراسات تاريخية لمقاطعة موريطانيا السطايفية، مذكرة ماجستير، إ: محمد البشير شنييتي، جامعة الجزائر 2، 1992.

3. بن السعد سليمان، علاقات مصر بالمغرب القديم منذ فجر التاريخ حتى القرن السابع قبل الميلاد، أطروحة دكتوراه، إ: محمد البشير شنيقي، جامعة قسنطينة، 2009/2008.
4. بن النية رضا، صنهاجة المغرب الأوسط من الفتح الإسلامي حتى عودة الفاطميين إلى مصر (80هـ - 699م/362هـ - 973م)، إ: بوبة مجاني، رسالة ماجستير، جامعة منتوري، قسنطينة، 2006/2005.
5. بن ميرة بن سعيد، دور القبيلة في التغيرات المذهبية في بلاد المغرب الإسلامي (2-6هـ)، أطروحة دكتوراه، إ: حسيبة بن علي، جامعة حسيبة بن بوعلي، قسم العلوم الإنسانية، الشلف، 2022/2021.
6. بنت النبي مقدم، سياسة الرومان تجاه قبائل المغرب القديم خلال العهد الإمبراطوري الأعلى، مذكرة ماجستير، إ: خديجة منصوري، جامعة وهران، 2002/2001.
7. بنت النبي مقدم، الأسرة في بلاد المغرب القديم خلال العهد الروماني - الإمبراطوري الأعلى -، أطروحة دكتوراه في التاريخ القديم، إ: رحمان بلقاسم، جامعة الجزائر 2، 2013/2012.
8. بورني دليلة، تطور النظام الضريبي في شمال إفريقيا، رسالة ماجستير، إ: محمد البشير شنيقي، جامعة الجزائر 2، 2001/2000.
9. بوسليمان زروقي حياة، دراسة مكونات مجتمعات مدن موريطانيا القيصرية من خلال الكتابات اللاتينية في الفترة الممتدة بين القرنين الأول والثالث للميلاد، أطروحة دكتوراه في الآثار القديمة، إ: محمد المصطفى فيلاح، جامعة الجزائر 2، معهد الآثار، 2016/2015.
10. بوغرة وفاء، العلاقات الاجتماعية والثقافية بين المغرب القديم وشعوب البحر الأبيض المتوسط، أطروحة دكتوراه، إ: الطاهر ذراع، قسم العلوم الإنسانية جامعة أدرار، 2018/2017.

11. بوقرة غنية، مدينة تيديس والمحيط السيرتي خلال الفترة الرومانية (دراسة إجتماعية وإقتصادية)، أطروحة دكتوراه في التاريخ القديم، إ: عبد العزيز بن لحرش، جامعة قسنطينة 2، قسم التاريخ، 2021/2020.
12. تسعديت رمضان، الإصلاحات السيفيرية في بلاد المغرب القديم (193-235م)، رسالة ماجستير، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 1990.
13. محمد تكيالين، الاحتلال الروماني لليبيا ودوره في التطور الاقتصادي للمنطقة بين القرنين 1 ق.م-4م سيرينايا وتريبوليتانيا، أطروحة دكتوراه تاريخ قديم، إ: بلقاسم رحمان، قسم التاريخ، جامعة الجزائر 2، 2015/2014.
14. حسين عبد العالي، العلاقات الليبية الفرعونية منذ عصر ما قبل الأسرات وحتى بداية حكم الليبيين لمصر، مذكرة ماجستير، إ: رجب عبد الحميد الأثرم، جامعة قاريوس، ليبيا.
15. حموم توفيق، النخب الادارية والاجتماعية للكونفدرالية السيرتية والمدن الكبرى بنوميديا أثناء الاحتلال الروماني (منذ سنة 46 قبل الميلاد الى نهاية القرن الرابع ميلادي)، رسالة لنيل شهادة الدكتوراه في الآثار القديمة، معهد الآثار جامعة الجزائر 2، 2009.
16. ساحير نصيرة، موريطانيا الطنجية بحث حول الليمس ومقاومة المور، رسالة ماجستير، إ: محمد البشير شنياتي، جامعة الجزائر 2، 2001/2000.
17. سرحان أبوبكر حسني عيسى أحمد، مجتمع المغرب تحت الاحتلال الروماني 28 ق.م-235م، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الدراسات الأفريقية من قسم التاريخ، إ: السيد على أحمد فليفل وعزت زكي حامد قادوس، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، القاهرة، 2013.
18. سعيدي سليم، الحيوان وأهميته الدينية في المغرب القديم من فجر التاريخ إلى الغزو الوندالي (1200 ق.م-429م)، أطروحة دكتوراه، إ: عبد العزيز بن لحرش، جامعة قسنطينة 2- قسم التاريخ-، قسنطينة، 2019/2018.

19. عماد طويل، المور والتحولات السياسية والعسكرية في المغرب القديم خلال الفترتين الوندالية والبيزنطية (5-7م)، أطروحة دكتوراه في التاريخ القديم، إ: بلقاسم رحمان، قسم التاريخ، جامعة الجزائر 2، الجزائر، 2018/2017.
20. عبد الله الزدام نجلاء، الأحوال الحضارية للقبائل الليبية في المدن الثلاث خلال العصر الروماني، أطروحة دكتوراه، إ: محمد فهمي عبد الباقي والسيد محمد السعيد عبد الله، جامعة قناة السويس (قسم التاريخ)، مصر، 2019.
21. عبد الله الزدام نجلاء، الجرمنت وعلاقاتهم السياسية والتجارية مع المدن الساحلية خلال العصر الروماني، رسالة ماجستير، إ: أحمد أنديشه، جامعة المرقب، ليبيا، 2009.
22. العقون أم الخير، الليبيون وتأسيسهم للدولة في مصر الفرعونية، أطروحة دكتوراه في التاريخ القديم، إ: غازي جاسم الشمري ومحمد الصغير غانم، جامعة وهران، 2004/2003.
23. العمري عبد النور، تطور الخريطة العسكرية للجيش الروماني ببلاد المغرب القديم في ظل إستراتيجية التوسع وحتمية التراجع (146-ق. م-349م) أطروحة دكتوراه، إ: توفيق حموم، جامعة الجزائر 2، قسم التاريخ، 2015/2014.
24. عيش يوسف، الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية لبلاد المغرب أثناء الاحتلال البيزنطي، أطروحة دكتوراه، إ: محمد البشير شنيقي، جامعة منتوري، قسنطينة، 2006/2007.
25. عيساوي مها، المجتمع اللوبي في بلاد المغرب القديم من عصور ما قبل التاريخ إلى عشية الفتح الإسلامي، أطروحة دكتوراه، إ: محمد الصغير غانم، جامعة منتوري، قسنطينة، 2010/2009.
26. غميص علي فرج، الأوضاع السياسية في مدينة قوريني وأثرها على القبائل الليبية (631 ق. م-322 ق. م)، رسالة ماجستير، إ: أحمد محمد انديشة، الأكاديمية الليبية طرابلس، ليبيا، 2013.

27. قوراري مباركة، السلم الرماني في المقاطعات الإفريقية في عهد الأباطرة الأوائل للأسرة الأنتونية، مذكرة ماجستير، إ: محمد الحبيب بشاري، قسم التاريخ جامعة الجزائر2، 2012/2011.

28. لعياضي حفيظة، مقومات الوحدة وعوامل التفرقة في تاريخ بلاد المغرب في العصر القديم، أطروحة دكتوراه، إ: محمد الهادي حارش، قسم التاريخ، جامعة الجزائر2، الجزائر، 2018/2017.

29. مجاني عز الدين، المقاطعة النوميدية في عهد العائلة السيفيرية من خلال الشواهد الأثرية (196-235م) دراسة أثرية وتاريخية، رسالة دكتوراه، إ: سليم دريسي، معهد الآثار، جامعة الجزائر 2، 2019/2018، ص224.

30. محفوظ خالد، المقاطعات الإفريقية خلال الفوضى العسكرية 235م-285م " بحث في تداعيات الأزمة وانعكاساتها على البروقنصلية وموريطانيا القيصرية"، أطروحة دكتوراه، إ: محمد البشير شنييتي، جامعة الجزائر2، 2020/2019.

31. مسرحي جمال، أوضاع الشرق الجزائري القديم من زوال المملكة النوميدية حتى الغزوات الوندالية 46ق.م-429م، أطروحة دكتوراه، إ: مسعود شباحي، جامعة باتنة1 2018/2017.

32. منصوري خديجة، التطورات الاقتصادية لموريتانيا القيصرية أثناء الاحتلال الروماني، أطروحة دكتوراه، إ: محمد البشير شنييتي، جامعة وهران، 1996/1995.

33. منصوري خديجة، الدوناتية وثورات القرن الرابع في شمال افريقيا. رسالة ماجستير، جامعة وهران، 1986/1987.

هـ. الرسائل الأجنبية:

34. Ait Amara. O, Recherches sur Les Numides et Les Maures Face à La Guerre Depuis Les Guerres Puniques Jusqu'à L'époque de Juba 1er, Thèse Pour Le Doctorat, Université Jean Moulin -lyon, France.

35. Cossette. G, La romanisation de l'Afrique ! romaine à ! travers la diffusion et l'évolution de la citoyenneté romaine, de ! la République à Caracalla: les cas de Thugga et Lepcis Magna. de Maîtres en histoire. Université de Montréal. Département d'histoire. 2012
36. El Mustafa Filah, Recherches Sur Les Agglomérations Antiques Le Réseau Urbain Et Le Paysage Rural En Numidie Occidentale Algérie, Université de Provence, Faculté des lettres et sciences humaines Éditeur, 1986, 2 vol., (448 p.) + 1 vol. de pl.
37. Gsell. St, La Tripolitaine et le Sahara au IIIe siècle de notre ère. C.R.A.I, 1933.
38. Hamdoune. Ch, Les Auxilia. Externa. Africains des Armées Romaines, IIIe siècle Av. j.c- IVe siècle Ap. J.c, (Collection études militaires), université Paul-Valéry, Montpellier III, France, 1999.
39. M. Dondin-Payre, Recherche sur un aspect de la romanisation de l'Afrique du Nord, l'expansion de la citoyenneté romaine jusqu'à Hadrien, Ant. Afr. t. 17, 1981.

و. المراجع باللغة الانجليزية:

1. Bates. O, The Eastern Libyans an Essay, St Martin's Street, London, 1914, p 46.
2. Ekkehard Weber, Die Tabula Petingeriana mittelalterliche kopie einer spatromischen Weltkarte und UNESCO-Weltkulturerbe, KARTOGRAFIE UND KULTURGÜTERSCHUTZ, 2014.
3. Elmayer. A. F, Tripolitania and the roman empire (.B.C47-A.D235) markaz jihad al libyin tripoli 1997.
4. Gradiner. A, Egybt the Pharaons, Britain, 1961.
5. M. Liverani, The Libyan Caravan Road in Herodotus IV.181-185, Journal of the Economic and Social History of the Orient, Vol.43, 2000, pp. 496-520.

الفهارس

فهرس الخرائط والأشكال والجداول
فهرس الخرائط

الرقم	العنوان	الصفحة
01	ليبيا حسب هيرودوت القرن الخامس قبل الميلاد	21
02	العالم وفقاً لما يتصوره هيرودوت القرن الخامس قبل الميلاد	22
03	ليبيا حسب الجغرافي سترابون	25
04	أنماط المعيشة في بلاد المغرب القديم	101
05	مناطق القبائل الليبية الكبرى من خلال المصادر المصرية	117
06	التوزيع الجغرافي للقبائل اللوبية حسب هيرودوت	131
07	القبائل الليبية حسب هيرودوت	131
08	توزيع أهم مجموعات المور بطرابلس التي ذكرها كوربيوس	178
09	القبائل الكبرى بنوميديا	190
10	المناطق التي عرفت تواجد قبائل البوار حسب النقوش	202
11	البوار الشرقيون وفقاً لنقوش القرن الثالث	202
12	قبائل موريطانيا القيصرية	217
13	توزيع قبائل موريطانيا الطنجية خلال القرن الثاني الميلادي	228
14	توضيح حدود المجال الترابي لقبيلة الموزولامي، مع الإشارة إلى تعيين العلامات الحدودية الفاصلة بين أراضيهم وبين أراضي كل من أميدرا، مداورش، وتبسة وعين كمال	244
15	بعض القبائل المكنطة التي أشارت إليها النصوص الأثرية والأدبية بمقاطعة نوميديا	251
16	حدود الإمبراطورية الرومانية بالجنوب النوميدي وتطويق إقليم الأوراس خلال القرن الثاني الميلادي	271
17	الليمس الإفريقي (نوميديا وموريطانيا القيصرية) في أقصى حدوده خلال منتصف القرن الثالث	275

278	نزوح الأهالي الرحل وأشباه الرحل خارج حدود السيطرة الرومانية.	18
285	تراجع الليمس الروماني نهاية القرن الثالث الميلادي والحركة العكسية للقبائل	19
305	منطقة نفوذ نوبل وعائلته. الأسماء المكتوبة بخط مائل هي تلك الخاصة بالمواقع والقبائل التي مارس عليها فيرموس وإخوته بعض السلطة	20
369	مناطق الرعي التقليدية ومسارات الترحل صيفا وشتاء.	21
379	اتجاهات الحركة الديمغرافية	22

فهرس الجداول

الرقم	العنوان	الصفحة
01	أشكال واسم المازيس في النصوص الكتابية والإيبغرافية	41
02	نماذج لصيغ اسم الجيتول بالنقوش الإيبغرافية في أفريقيا الرومانية	147
03	مقارنة بين القبائل الليبية لدى كلا من هيرودوت وسكيلاكس والمصادر الرومانية	169
04	القبائل التي تعرضت لإجراءات الكنطنة (الحشد)	249
05	نماذج لأمرأ القبائل في مقاطعات نوميديا وموريطنيا القيصرية والطنجية من خلال المصادر الأثرية	293
06	ثورات القبائل الأهلية	319

فهرس الأشكال

الرقم	العنوان	الصفحة
01	لوحة من قبر سيتي الأول (1290-1279ق.م) من الأسرة التاسعة عشر تصور أقوام لبيو وتظهر الوشم والشعر المظفر الذي تميزوا به).	112
02	نقش بريديوم (praedium/praesidium) سماسيس في بيترا مالاكو (M'lakou). صورته وأعاد رسمه (J-P. Laporte)	306
03	نص تعريفية زراي.	373

فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوعات
	الإهداء
	الشكر
	قائمة المختصرات
01	مقدمة
الفصل الأول: المغرب القديم الأرض والسكان	
17	أولاً: الإطار المكاني للمغرب القديم من خلال المصادر الكلاسيكية الإغريقية والرومانية
26	ثانياً: تسميات بلاد وسكان المغرب القديم
26	1. تسميات البلاد
27	- ليبيا
30	- إفريقيا
33	2. التسميات التي أطلقت على ساكنة المغرب القديم
33	- الليبيون
36	- الإفريقيون
37	- البربر
39	- الأمازيغ
42	ثالثاً: أصل سكان المغرب القديم
43	1. روايات المؤرخين القدامى الإغريقية والرومانية
43	1.1. رواية هيرودوت
47	2.1. رواية ساليستوس
50	3.1. الأصول الشرقية
51	أ/ رواية القديس أغسطين
52	ب/ رواية بروكوب

54	2. رواية المؤرخون العرب
57	3. فرضيات المؤرخين المحدثين
61	4. فرضيات المدرسة المحلية
63	رابعاً: مصادر دراسة القبائل المحلية في المغرب القديم خلال الفترة الرومانية
63	1. قراءة في المصادر الكلاسيكية الإغريقية واللاتينية
73	2. المصادر الإيبغرافية
الفصل الثاني: شعوب وقبائل المغرب القديم قبل الاحتلال الروماني من خلال المصادر الأثرية والأدبية المصرية والكلاسيكية الإغريقية رومانية	
79	أولاً: النظام القبلي في بلاد المغرب القديم
80	1. الأسرة
83	2. القبيلة المغاربية القديم كأداة لحركة الشعوب
83	1.2. مفهوم القبيلة
88	- مفهوم الشعب
89	2.2. القبيلة والأرض
90	3.2. مفهوم وعوامل التحرك القبلي
92	- ثنائية البدو والمستقرين
97	4.2. أنماط عيش القبائل بالمغرب القديم
101	3. الاتحادات القبلية
104	ثانياً: المجموعات القبلية الليبية الكبرى الباكزة من خلال المصادر المصرية
104	1. أهم المصادر المصرية
107	2. القبائل الليبية القديمة من خلال المصادر المصرية
108	1.2. التحنو
109	2.2. التمحو
111	3.2. الليبو
112	4.2. المشوش

114	5.2. قبائل ليبية أخرى
118	ثالثا: القبائل الليبية في المغرب القديم من القرن الخامس إلى القرن الثاني قبل الميلاد
118	1. توزيع القبائل الليبية من خلال المصادر الكلاسيكية الإغريقو رومانية
132	2. الاتحادات القبلية الكبرى بالمغرب القديم خلال القرن الثاني قبل الميلاد
133	1.2. النوميديون
134	أ/ الماسيل
135	ب/ المازيسيل
140	2.2. الجيتول (القبائل الرحل) مسارات ومحطات تنقلها
146	- الجيتول في النقوش الأثرية
148	3.2. الموريون
الفصل الثالث: انتشار وتوزيع القبائل في المغرب القديم أثناء الاحتلال الروماني	
155	أولا: بلاد المغرب القديم مقاطعة رومانية
158	1. ضم نوميديا وإنشاء مقاطعة أفريقيا الجديدة (Africa Nova)
160	2. ضم موريطانيا 40م
162	3. التنظيم الإداري الروماني لبلاد المغرب القديم بعد إخضاعها
163	1.3. مقاطعة أفريقيا البروقنصلية
164	2.3. مقاطعة نوميديا
165	3.3. مقاطعتي موريطانيا القيصرية والطنجية
170	ثانيا: القبائل في مقاطعتي أفريقيا البروقنصلية وطرابلس
170	1. قبائل البروقنصلية
173	2. قبائل طرابلس
176	3. قبائل السيرت
179	ثالثا: انتشار القبائل في مقاطعة نوميديا
179	1. القبائل الموزولامية

179	1.1. الموزولامي من خلال المصادر الأدبية والأثرية
180	2.1. موطنهم
182	3.1. تحرك قبائل الموزولامي
183	2. قبائل نوميديا الشرقية
199	3. قبائل نوميديا الغربية
191	رابعا: توزيع القبائل في موريطانيا القيصرية
192	1. قبائل البوار وحركيتها
192	1.1. قبائل البوار في المصادر الأدبية والأثرية
198	2.1. موطنهم ومجالات تحركاتهم
203	2. قبائل شرق القيصرية
213	3. قبائل المنطقة الوسطى والغربية للقيصرية
218	خامسا: انتشار القبائل بموريطانيا الطنجية
218	1. قبائل المنطقة الشمالية
220	2. قبيلتا البانيوري والزيغرني وتقلاتها في سهل الغرب
223	2. قبائل جبال الأطلس
الفصل الرابع: الإجراءات الرومانية ودورها في تحركات القبائل المحلية بالمغرب القديم	
232	أولا: الاستيلاء على الأراضي الزراعية وتحويلها إلى أملاك رومانية
232	1. إجراءات نزع الملكية "الكنطرة"
238	2. سياسة الحشد "الكنطنة"
251	3. دحر وطرد القبائل للصحراء
257	4. الزيتنة
263	ثانيا: الاستحكامات العسكرية الرومانية في مواجهة تحركات قبائل المغرب القديم
265	1. ليمس جنوب البروقنصلية
266	2. ليمس تريبوليتانا (طرابلس)
268	3. ليمس نوميديا

271	4. ليمس موريطانيا القيصرية
275	5. ليمس موريطانيا الطنجية
278	6. تراجع الليمس الروماني نهاية القرن الثالث الميلادي والحركة العكسية للقبائل
285	ثالثا: علاقة السلطة الرومانية بالقبائل المحلية
285	1. إدارة القبائل في العهد الروماني
287	2. حاكم القبائل (Praefectus Gentis)
291	3. أمير القبائل (Princeps gentis)
293	رابعا: سياسة المهادنة والتحالف الرومانية
295	1. عقد معاهدات السلام
300	2. عائلة نوبل إمارة مورية حليفة للرومان
306	3. منح المواطنة الرومانية
	الفصل الخامس: أثر تحركات القبائل المحلية على بلاد المغرب القديم في ظل الاحتلال الروماني
317	أولا: القبائل المحلية في مواجهة السياسة الرومانية
319	1. انتفاضة قبائل الغرامنت والجيتول 22-21 ق.م
321	2. مقاومة قبائل الجيتول (3-6 م)
323	3. المقاومة المشتركة الموزولامية المورية الجيتولية
336	4. المقاومة المورية بموريطانيا الطنجية خلال القرنين الثاني والثالث الميلاديين
341	5. ثورات القرن الثالث الميلادي بموريطانيا القيصرية
353	6. ثورة فيرموس وتحالفه مع القبائل المورية
363	ثانيا: التأثيرات الاجتماعية
363	1. تفاقم ظاهرة البداوة بالمغرب القديم
369	2. تعريف زراي شاهد على مراقبة منافذ البدو
373	3. النمو الديمغرافي وأثره على حركة السكان الداخلية بالمغرب القديم
380	ثالثا: أثر تحركات القبائل المحلية على البيئة في المغرب القديم

382	1. تضرر الحيوانات البرية
386	2. تضرر الغطاء النباتي
388	رابعاً: انحطاط الامبراطورية الرومانية وظهور إمارات مورية محلية خلال القرن الخامس ميلادي
399	الخاتمة
408	الملاحق
413	قائمة الببليوغرافيا
440	الفهارس
441	فهرس الخرائط والأشكال والجداول
445	فهرس الموضوعات
451	الملخص

المخلص :

شهد المغرب القديم خلال فترة الاحتلال الروماني تحركات قبلية سواء كانت طوعية أم إجبارية، وبمسارات واتجاهات مختلفة، أدى هذا إلى عدم استقرار هذه القبائل بمكان واحد منذ الفترات القديمة، حيث أصبحت دائمة التنقل والترحال نتيجة لمجموعة من العوامل الطبيعية منها، والتاريخية، والتي أثرت في نمط معيشتها القائم على الرعي والبحث عن الكلاء ومصادر المياه؛ لتمتد ظاهرة عدم الاستقرار هذه إلى تلك القبائل المستقرة والجبلية. ذلك أن التدابير والإجراءات الرومانية المتعددة (سياسية، وعسكرية، وإدارية)، والتي استهدفت إخضاع ثم تفكيك القبائل المحلية وتهجيرها لأجل السيطرة والتحكم، جعلت من تحركات القبائل المحلية مظهرا بارزا في تاريخ المغرب القديم خلال هذه الفترة في كثير من الأحيان. وهي الحركية التي سترك أثرها بالمنطقة نتيجة للتغيير الحاصل في توزيع القبائل وانتشارها الجغرافي وحتى قاعدتها الديمغرافية، ما سينتج عنه مجموعة من التأثيرات الاقتصادية، والاجتماعية والأمنية، بسبب فقدانها لأراضيها ومصدر رزقها مما ساهم في تشتيتها، ومحاصرتها وحتى إفناء بعضها، كل ذلك انعكس على الجوانب السياسية من خلال تلك الثورات والمقاومات، والتمردات التي عرفتها منطقة المغرب القديم طيلة فترة الاحتلال الروماني.

Abstract:

During the Roman period, ancient Maghreb witnessed unusual tribal movements, whether voluntary or compulsory, and with new paths and directions, and despite our prior knowledge that its tribes and people did not settle in one place in the ancient periods, where they were constantly moving and traveling due to a combination of natural, climatic, and historical factors that affected the pattern of their life which was based on grazing and the search for abundant pasture and water sources. This instability is not linked to the nomadic or semi-nomadic tribes, but even to the settled and mountainous tribes. However, those numerous Roman measures and actions (political, military, and administrative) that aimed to subjugate and then dismantle the local tribes and

displace them in order to control, made tribal movements a prominent feature in the history of ancient Maghreb during this period often.

It is the movement that will leave its impact on the region as a result of the change in the distribution of the tribes and their geographical spread and even their demographic base, which will produce a set of economic, social and security effects, due to the loss of their lands and source of livelihood, which contributed to their dispersal and even the annihilation of some of them, all of which was reflected in the political aspects during those revolutions, resistances, and rebellions that the ancient Maghreb region experienced throughout the Roman period.